دِيْوان دِيْوان مِي الْمَا لَمْ الْمَا لَمُ الْمَا لَمُ الْمَا لَمُ الْمَا لَمْ الْمَا لَمُ الْمَا لَمُ الْمَا لَمُ الْمَا لَمُ الْمَا لَمْ الْمَا لَمُ الْمَا لَمْ الْمُعْلَى الْمُعْلِي الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلِى الْمُعْلَى الْمُعْلِى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلِمِ الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلَى الْمُعْلِمِ الْمُعْلَى الْمُعْلِمِ الْمُعْلِي الْمُعْلِمِ الْم

إعتداد سيِّدعَبرالماجرالغَورِي

الجشذء السشايي









.





اطبعة الثالثة 1428 هـ – 2007 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير و النقل و الترجمة و التسجيل المرئي و المسموع و الحاسوبي و غيرها من الحقوق إلا بإنن خطي من



للطباعة و النشر و التوزيع سنق بروت

الرقم الدولي :

الموضوع: أدب – الشعر

العنوان: ديوان محمد إقبال 2/1

الإعداد : سيد عبد الماجد الغوري

نوع الورق : شاموا

ألوان الطباعة : لون واحد

عدد العفمات : 1112

القياس: 17×24

نوع التجليد : كرتونيه

الوزن: 2 كغ

التنفيذ الطباعي : مطبعة ipex - بيروت التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت







ٱلدِّيْوَانُ ٱلسَّادِسُ

ضَربُ الڪليم ضرب کاميم ضرب ايم

نَقَلَدُ إِلَىٰ لَعَرَبَّيِةِ شِعْرًا الركتورعب الوهّابعُّرام



هذا الديوان الثالث (١) لمحمد إقبال باللغة الأردوية ، نُشر عام ١٩٣٦م ، ولم ينشر في حياته ديوانٌ بعده ، يشتمل هذا الديوان على آراء ونظرات في الناس جماعات ووحداناً وفي الدين والتربية والفنون والأدب والسياسة ، فهو أدخل في الفكر والفلسفة ، ولكن فيه من العاطفة والخيال ما يدخله في الشعر .

وكل حقيقة في هذا الكون أهل أن تدخل في الشعر ، إن صبغتها عاطفة الإنسان ، أو صورها خياله ، وموضوعات الشعر تتوالى من محيط دائرته إلى مركزها ؛ بعضها عند المحيط يدخل في الشعر قليلاً ، ويجاورُ ما هو خارج الدائرة . وبعضها أدخل في الدائرة ، وهكذا تتوالى إلى مركز الدائرة ، على قدر نصيب الموضوعات من العاطفة والخيال .

فالكلام في هذا الديوان (ضرب الكليم) شعر يقارب الحقائق المجردة أحياناً ، لكنه في جملته أقرب إلى المحيط منه إلى المركز .

والديوان في جملته ضرب يفجر الماء من الحجر لا موسيقا وغناء ، كما قال إقبال :

كفاحٌ شديد ، وضربٌ سديد فلا تبغ في الحرب عزف الوتر ومن أجل هذا سمًّاه إقبال « ضرب الكليم » ، رمزاً إلى قصة موسى عليه الصلاة والسلام حين ضرب بعصاه الحجر ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً .

فلعل القارىء يقدِّر حقائقه في معرض من الشعر شفاف أكثر مما يلتمس فيه خيال الشعر وزينته وبهجته .

⁽١) وهو الثالث بالأردوية ، وأما بترتيب الدواوين بالفارسية والأردوية فهو السادس .

محتوى الديواق

قسَّم الشاعر هذا الديوان على ستة أقسام ، وقدَّم قبلها قطعتين وقصيدة : القطعة الأولى أبيات قدَّم بها الديوان إلى أمير ولاية بهوفال حميد الله خان ، والثانية يُخاطب فيها القرَّاء ، والقصيدة سمَّاها تمهيداً .

وهذه أقسام الديوان الستة :

القسم الأول: الإسلام والمسلمون.

القسم الثاني : التعليم والتربية .

القسم الثالث: المرآة.

القسم الرابع: آداب الفنون الجميلة.

القسم الخامس: سياسات المشرق والمغرب.

القسم السلادس: أفكار محراب حبل الأفغاني .

وهذه الأقسام مؤلفة من قطع صغيرة بين بيتين وعشرة ، لا تتجاوز العشرة إلاً قليلاً .

والقسم الأخير منظومة واحدة مقسمة عشرين قسماً تختلف أقسامها أوزاناً وقُوافي ، ولكن الشاعر جعلها منظومة واحدة وربط بين أقسامها بأعداد متوالية .

وقد نقل هذا الديوان من الأردوية إلى العربي شعراً الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام ، وكتب الأستاذ غلام أحمد برويز لهذا الديوان كلمات قيمة يعرّف فيها هذا الديوان ، يقول فيها :

« هذا الديوان الذي نقدم إلى القراء ترجمته ، سماه العلامة إقبال « ضرب كليم » ووصفه بأنه (إيذان العصر الحاضر بالحرب) وأرى أنَّ هذا الوصف لا يخصُّ ضرب الكليم ، بل يشمل جانباً كبيراً من رسالة إقبال العظيمة ، فنحن إذا قسمنا رسالة إقبال انقسمت إلى قسمين خطيرين :

الأول: ثورة على « الإسلام غير المنزل من الله » وضعه الأعاجم وخيلوا إلى الناس أنه عين الإسلام ، وفرضوه على الأمة التي بُعثت لتمحو ما لا يلائم الدعوة القرآنية . وكان هذا الكيد للإسلام انتقاماً من الهزيمة التي أصابت الأعاجم بسيوف المسلمين . فقد علموا أن سرَّ القوة والسطوة في هذه الأمة المجاهدة ، سنن القرآن وعقائده التي تبعث الحياة في النفوس . فكادوا لها ليبعدوها عن القرآن ، ويربكوها في حبالة « الإسلام غير القرآني » . وقد أحكموا كيدهم حتى حسب المسلم الغرُّ هذا السراب ماة . لقد أدخلوا في الإسلام فلسفة اليونان المخدرة ، وخضوع المجوس للسادة ، وشريعة اليهود المعنيّة بالصور والأشكال ، كذلكم عمدوا إلى هذه الأمة التي كانت شعلةً من العمل والإقدام ، فجعلوها بالاستسلام واليأس كومةً من رماد .

والقسم الأول من رسالة إقبال نذير الموت لهذا الإسلام غير المنزل ، وبشير الحياة للإسلام القرآني .

* * *

والقسم الثاني من رسالة إقبال احتجاجٌ دائم على هذه الفتن التي تموج بها الحضارة الغربية ، والتي يذهب موجها بشباب الأمة الإسلامية كما يذهب السيل بالغثاء . وضرب الكليم هو إيذان هذه الحضارة بالحرب .

ما حضارة العصر الحاضر ؟ ولماذ يشتدُّ إقبال في معاداتها ؟

لا نعرف جواب هذا السؤال حتى نعلم ما الحضارة الإسلامية .

إنَّ من يتدبر القرآن يتجلَّى له أن الإسلام نظام حياة يسمى ديناً. فقد بيَّن القرآن للحياة الإنسانية مقاصد، وحدَّ حدوداً، وجعل للإنسان الاختيار والاجتهاد غير متعدِّ هذه الحدود وهذه المقاصد، والحدود لا تتبدل، فهي حقائق أبدية ، وقيم للحياة خالدة . يتبين من القرآن أنَّ للحياة مظاهر مختلفة متغيِّرة ، ولكن لها ينبوعاً واحداً لا يتغير ، وهذا الينبوع أصل هذه الحقائق التي ذكرت آنفاً .

- والإيمان بوحدة ينبوع الحياة ، ينبوع الحقائق الأبدية ، يؤدي حتماً إلى هذه النتائج .
- (أ) كلُّ إنسانٍ مودعٌ في فطرته ممكنات الحياة ، وغاية الحياة نموُّ هذه الممكنات وتجلِّيها . وهذه الجواهر الفطرية الخفية إذا نضجت وتلألأت تجلَّت ذات الإنسان . وحفظ هذه الذات وخلودها هما غاية سعي الإنسان وجهده .
- (ب) والناس آحادٌ في أخوةٍ شاملةٍ عامَّة ، لا تحدها الأوطان ، والأقوام ، واللغات .
- (جـ) ثم فلاح النوع الإنسانيّ في أن يمضي في الحياة على شريعةٍ واحدة ، يُتلقى بالوحي ، وهو اليوم محفوظ بين دفتي القرآن تحت هذه السماء .
- في الإسلام نظامٌ للمعايش محكم ، قائم على هذه القواعد المحكمة . يمضي الإنسان به على سنن التقدُّم والترقي ؛ حتى يبلغ في مراحل الكمال سدرة المنتهى .

وإليك خصائص هذا النظام :

- (أ) في هذا النظام يستطيع كلُّ فردٍ في الجماعة أن يمثّل في نفسه الصفات الإلهية التي يسمِّيها القرآن (الأسماء الحسنى). وهي ينبوع القيم الدائمة في الكائنات .
- (ب) وتستحكم نفس الإنسان فيستطيع أن يوازن بين هذه الصفات كلها ، فقد وصفت الأسماء بأنها الحسني . ولا يكون الحسن بغير اعتدال وتناسب .
- (ج) وتتجلَّى في الإنسان بصيرة يصحُّ بها حكمه ، ويستقيم رأيه ، فيعلم أيَّ هذه الصفات الإلهية تقابل أيَّ الحادثات الخارجية التي تنتابه .
- (د) ثم يبدو في الجماعة _ التي تؤلفها أفرادٌ من هذا القبيل _ قدرةٌ على تسخير عالم الطبيعة ، وصلاحيةٌ للانتفاع بهذا التسخير في فلاح الإنسان وسعادته .
- (هـ) وبالإيمان المحكم بوحدة الخالق ، ووحدة الكائنات ، ووحدة الأمة

وائتلافها تتوافق الأضداد الظاهرة بين الإنسان والكائنات ، وبين الإنسان والإنسان ، وبين الإنسان ونفسه ، فيزول التنافر والاضطراب عن الجماعة الإنسانية .

(و) ثم يرى كلُّ واحدِ في هذه الجماعة نفسه مظهراً للصفة الإلهية " رب العالمين " ، فيقوم على الإنسانية بالحق والعدل غير راجٍ أجراً ، ولا عوضاً . فتيسر لوحدان الجماعة ضروريات الحياة ، وتنمو فيهم القوى الفطرية ، وتذلَّل لهم الوسائل والأسباب أبداً .

杂垛垛

هذه خلاصة المدنية القرآنية في كلماتٍ قليلة . وعلى عكسها المدنية الحاضرة . فهي تناقض هذه الأصول كلَّ المناقضة .

هذه المدنية قائمة على هذه الفلسفة : إنَّ الحياة تنشأ من اجتماع العناصر ، المادية اتفاقاً ، وتفنى بتفرُّق هذه العناصر . والدنيا هي دنيا هذه العناصر المادية التي يتغيَّر فيها كلُّ شيء ، فليس فيها قيم دائمة ، وليس فيها قانون لمكافأة الأعمال . والخير ما يجلب لواحد أو جماعة نفعاً خاصاً (ولو كان في هذا هلاك آحاد ، أو جماعات أخرى) . والشرُّ ما يضرُّ واحداً أو جماعة . وكل أمل هؤلاء الوحدان والجماعات في الحياة أن تجرَّ إلى أنفسها منفعة . وعمل العقل والعلم أن يهيِّىء الأسباب والوسائل أو الحيل والمكائد لتحصيل هذه المنفعة .

ونتيجة هذه الفلسفة (مدنية العصر الحاضر) في الأفراد: أنَّ في كلِّ ستةٍ من تلك الأفراد فرداً يختلُّ عقله ، فيرسل إلى مستشفى المجانين ، كذلك دلَّ إحصاء أهل الغرب أنفسهم . ونتيجة هذه الفلسفة في الجماعات : أنَّ أمم العالم في شغلِ بالقتل ، وسفك الدماء ، والتدمير ، أو بالاستعداد للقتل ، والسفك ، والتدمير .

أنعم إقبال النظر في فلسفة الحياة ، ونظريات السياسة والعمران عند الأمم الغربية ، فتجلَّت له هذه الحقيقة : إنَّ هذه الفلسفة ، وهذا المنهاج في الحياة يجعلان هذه الدنيا جهنم لا محالة .

وإلى هذا كشف له السنن القرآنية حقائق الحياة حتى رأى البروق الكامنة في السُّحب ، والعواصف المضمرة في الرياح .

هذا النظر حفز إقبالًا إلى أن يحذر الغرب ، فيقول للغربيين سنة ١٩٠٥م : «ستقتل حضارتكم نفسها بخنجرها . لا يثبت العشُّ على خصنِ رطيبِ ضعيفٍ مضطرب » .

ولم يأل إقبال جهداً ، منذ ذلك الحين إلى آخر لمحات حياته ، في أن يحذّر الناس عامّة والأمم الإسلامية خاصّة من هذه الحضارة الشيطانية ، ويخوفهم عواقبها .

* * *

وهذه طائفة من النذر ، اسمها « ضرب كليم » يكتبها إقبال بعد أن يحطم كلَّ أصنام العصر الحاضر ، ولكنه لا يكتفي بأن يبطل سحر الفرعونية ، والهامانية ، والقارونية (١) ، بل يهدي هذه الأمة في نور القرآن إلى الأودية المباركة من سينا ، وفاران ، حيث تفيض البركة من ينابيع الأرض ، وينزل الخير من السماء .

هذا ما يتعلق بـ « ضرب كليم » . ويجدر بنا الآن أن نبرز نقطة من الأهمية بمكان في دراسة إقبال بوجه عام ، وهي : أنَّ شعر إقبال حافل بكلمات معينة ، عربية وفارسية ، لم يقصد إلى مدلولها اللغوي ، إنما استخدمها كاصطلاحات من وضعه هو . إذاً لا يتأتّى لأحد أن يتبين ما يرمي إليه الشاعر ما لم يكن ملماً بحدود تلك المصطلحات الخاصة ، مثل « علم وعشق ، ذكر وفكر ، خبر

⁽۱) یعنی : صفات فرعون ، وهامان ، وقارون .

ونظر ، سوز وساز ، أو درويش وقلندر ومردحُر » وأخرى غيرها . ومع أنَّ كلَّ واحدة من تلك الاصطلاحات لها أهميتها إلا أن من بينها اصطلاحاً هو بمثابة المحور لفكر إقبال ، المحور الذي حوله يدور شعره كله ، ألا وهو « خودي = الذاتية » . لقد كان هذا اللفظ يستعمل عندنا (بالأردوية) من قبل بمعنى الكبرياء والغرور (الأنانية) لكن إقبالًا أفاض عليه معنى خاصاً مغايراً للمعنى القديم الذي لم يلبث أن اختفى في أيامنا هذه أمام مزاحمه الجديد .

فماذا يعني إقبال بـ ﴿ خودي ٢ ؟.

إنَّ الإجابة عن هذا السؤال تأبى إلا البسط والتفصيل ، لأنَّ فلسفة إقبال هي فلسفة «خودي » سواء بسواء ، بحيث لا يمكن الإحاطة بمغزى هذا الاصطلاح بدون استعراض فلسفته برمَّتها . وليس هذا مقام التفصيل والإطناب ، إلا أنه نظراً إلى تكرار وجود هذا الاصطلاح في « ضرب الكليم » يتحتَّم علينا أن نعرُفه تعريفاً خاطفاً بكلمةٍ موجزةٍ قدر الإمكان :

هل شخصية الإنسان ووجوده الفردي ، أو بعبارة أخرى « أنا » حقيقة مستقلة ، أم هي من نسج الخيال فقط ؟ هذا هو السؤال الذي قلَّما أغفل مفكرو أية أمة من أمم العالم الإجابة عنه . فذهب أفلاطون ومن ورائه حكماء إيران والهند ، إلى أن الكون لا يتمتع إلَّا بالوجود الكلِّي ، وأنَّ ذات الإنسان (شخصيته أو « أنا ») وَهُم وخذعة لا غير . ثم إنَّ هذه الخدعة إنما تستمد القوة من العمل الذي هو بدوره ينشأ من الرغبة . فالطريق إلى التخلص من هذه الخدعة هو أن يتدرَّج الإنسان من ترك الرغبة إلى ترك العمل ، لكي يتلاشى حباب ذات الإنسان في بحر الوجود الكلِّي . وفناء الذات هذا هو النجاة والغاية من الحياة . فهذه هي فلسفة الحياة التي ظهرت وانتشرت بيننا باسم نظرية وحدة الوجود والتي حوّلت المسلمين من أمةٍ دائبةٍ في العمل إلى جمادٍ لا حراك به .

وقد عُني إقبال بتفنيد فلسفة الحياة هذه ، ومعارضتها بضدها أعني فلسفة «خودي » ، وتتلخص هذه الفلسفة الأخيرة في أن الوجود ليس كلياً يشمل

الكون من حيث المجموع ، بل هو فردي يخصُّ جميع الموجودات كُلُّ على حدة ، حتى أنَّ الله أيضاً فرد ، وإن كان متميزاً عن سائر الكون في طبيعة وجوده الفردي الخاص . ف قضوي عبارة عن أسمى صورةٍ للحياة الفردية التي بها تتشكَّل شخصية الإنسان ، ووجوده المستقل . وعلى هذا فالغاية من الحياة الإنسانية هي إثبات قضودي الاسلب الذات . ويعتقد إقبال : أنَّ الإنسان كلما تشبه بذلك الفرد الكامل العزيز الوجود (الذي يطلق عليه قانا المطلق أو الله) أصبح هو نفسه منفرداً عزيز الوجود ، وذلك بما يسمى بتقوية قضودي وحكامها . وقالتشبه بالله الإنما يعني استمرار الإنسان في التحلي بصفات الله إلى أن يتم بذلك جذب قانا المطلق المي نفسه (نفس الإنسان) . والمحك الذي يكشف عن قوة قضودي المخلق أو يخفى أنَّ أعظم تلك الموانع هي الموانع التي تعترض سبيله في الحياة ، ولا يخفى أنَّ أعظم تلك الموانع هي المادة ، ولكن لا يفهم من هذا أنَّ المادة شرِّ يستوجب الابتعاد والنفور منه ، فإنها ليست ولكن لا يفهم من هذا أنَّ المادة شرٌ يستوجب الابتعاد والنفور منه ، فإنها ليست شراً ، إنما هي وسيلة لإيقاظ الهمم ، وإبراز قوى الإنسان من مكامنها .

واحتناك الموانع والعوائق ، وتغلب الإنسان عليها يصل بـ «خودي » إلى أن تستطيع الصمود حتى لصدمة الموت ـ الأمر الذي ييسر لها الحصول على الحياة الخالدة . فكلُّ عملٍ يؤدي إلى تقوية «خودي » خير ، كما أنَّ كلَّ عمل يؤدي إلى الما إلى إضعافها شر .

ويبين إقبال المراحل المختلفة لارتقاء «خودي » فيقول: إنَّ المرحلة الأولى هي (خلق المقاصد) أو (توليد الرغبات) ، فإنَّ الرغبات والأماني هي عين الحياة وأصل القوة من حيث إنَّها تحرك وتدفع إلى العمل. والمرحلة الثانية لخلق المقاصد هي مرحلة الجهاد المتواصل لتحقيق تلك المقاصد، والحماس للحصول على المقاصد والسبق إلى الغايات هو ما يسمَّى بـ « العشق » في عرف إقبال. ثم إنَّ هناك ثلاثة شروط للنجاح في هذا الجهد: أولها الطاعة ، أعني: الانقياد التام لأوامر الله ، وذلك يستلزم إنشاء مجتمع على النظام الذي جاء به

القرآن . وينتج من الطاعة ضبطُ النفس ؛ الذي هو الشرط الثاني للنجاح . وليس المراد بضبط النفس القضاء أو الضغط على الشهوات ، بل مجرد « كظمها » أي : تغيير مجراها ، وتحويل وجهتها ، بحيث يتمُّ التوازن بينها ، ذلك التوازن الذي يتجلَّى بأكمل وجهٍ في الذات الإلهية الجامعة لصفاتٍ متضادةٍ متعادلةٍ للغاية .

وإذا تمَّ تطهير الفكر والعمل ، وتهذيب النفس على النحو الذي تقدَّم ، وصل الإنسان إلى المقام الذي يسمِّيه إقبال « نيابة الله » . وذلك هو الشرط الثالث . وإنما يعني إقبال بـ « نيابة الله » القوة التنفيذية التي تتولى إجراء حدود الله (أحكام القرآن) في العالم . (ولا تعني نيابة الله الحلول محلَّ الله ؛ لأن ذلك يستلزم خلوً المحل ، وانعدام شاغله أولًا) .

هذا المقام هو « مقام المؤمن » والمقام الذي يؤكد إقبال أنه يمثل آخر مدى قوة « خودي » واستحكامه . إذا انتهى الإنسان إلى هذا المقام غلب هو على الدنيا ، ولم تغلب الدنيا عليه _ الحال التي تسمّى في عرف إقبال « الفقر (حال الدرويش أو القلندر) » وهي عبارة عن تسخير جميع الكون ، ثم الاستغناء عنه بحيث يكون الإنسان مظهراً لتلك الصفة من صفات الله التي ذكرها بقوله « الصمد » و « غني عن العالمين » . والجماعة التي تنتظم أفراداً هذه حالهم هي الأمة المسلمة . وأقصى ما تهدف إليه رسالة إقبال هو البعث الجديد لهذه الأمة التي قبل عنها :

ميان امتان والامقام است كه آن امت دوكيتي را امام است نياسا يد زكار آفرينش كه خواب وخستكي بروي حرام است

(إنها تعلو فوق الأمم ؛ لأنّها أمةٌ نيطت بها الإمامة في الدنيا والآخرة فهي لا تني عن مواصلة أمور الخلق ؛ لأنّ النوم والتعب محرمان عليها) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ﴿ وَمَا مَسَنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق : ٣٨] وقيل عنها أيضاً :

« بباغان عندليبي خوش صفيري براغان جسره بازي زودكبري أمير أو بسلطاني فقيسري فقيسري فقيسري

(إنها في البساتين عندليبٌ حسن التغريد ، وفي الصحارى باز خفيف سريع الانقضاض ، الأمير فيها فقير على الرغم من كونه سلطاناً ، كما أنَّ الفقير فيها أمير على الرغم من كونه درويشاً)(١) .

﴿ لِنَكُونُوا شُهَدَاءً عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البغرة : ١٤٣] .

⁽١) قام بترجمة هذه الكلمات من الأردوية الأستاذ الدكتور محمد يوسف (المدرس بكلية الأداب بجامعة القاهرة) .

فَاللَّفُ السِّرَ دائباً كَالنسيم بَعْدَ غَوْصٍ في (الذَّات) ضربَ الكليم فطرة الحُرِّ لا تُطيع مُقاماً الحُرْد فاضرب ألف عَين تشقُّ صخرَك فاضرب

إلى القارئين

إذا لم تُصب في الحياة النظر كِفاحٌ شديدٌ، وضربٌ سديد مَعين الحياة دماءُ القلوب

فليس زجاجُك كُفءَ الحجر(١) فلا ترجُ في الحرب عَزفَ الوتر ولحنُ السدِّما لا المياهِ الفِطَر(٢)

* * *

⁽۱) أنت بالنظر الصائب صلبٌ تطيق الصدام في الحياة ، وإن لم يصب نظرك كنت كالزجاج لا تقوى على الصدام .

⁽٢) لحن المياه يستخرج من أوان تصف ، ويوضع فيها الماء مقادير مختلفة على نسب محددة ، ويضرب عليها . وهذه تسمى « جل ترنك » أي : لحن الماء . فقال الشاعر : إنَّ الفطرة لحن دم ، لا لحن ماء . يعني : أنَّ أنغامها تنبعث من دماء الناس ، لا من المياه .

تمهيد

(1)

يَقْظَة " السذات " لا أراها بدينر إنَّ روحَ الشُّعوب في الشرق غافر إنْ تَضِق بالجهاد في الأرض ذَرعاً ليس من خيفة الممات نجاةً ليس يُخفي صروفه الدهر لكن قد مُنِحتُ الهشيمَ في آسيا إذ

لا ولا تُجتلَبى لدى المحسراب من سموم الترياق ، رهنُ غياب⁽¹⁾ فحرامٌ مسراكُ فوقَ السَّحاب⁽¹⁾ إن تَر (الذات) هيكلاً من تراب⁽¹⁾ لك قلبٌ وناظرٌ في حجاب أنَّ ناري حديدةٌ في التهاب⁽²⁾

(Y)

ذَنبُ إقبالِ البيانُ وإن كان شبيه النوَّمان نورَ الوصال (٥) هاج أنغامُه عكوفاً على الخشخاش مَوْتَى ، إلى طلابِ المعالي فمهيضُ الجناحِ ألدفُ دارِ قد رَنا اليوم للفضاء العالي (٢) فعداهُ التغريدُ في الأسحار وحنينٌ ومُتعيةُ الأبصار (٧)

(١) الترياق : الأفيون .

⁽٢) يقول : إن لم يستطع الإنسان المجاهدة على هذه الأرض ، فاشتغاله بالفلك ، وما وراءه حرام .

⁽٣) يرى إقبال أنَّ الحياة الخالدة بقوة الذات . فمن حسب ذاته تراباً كالجسم لم يخلص من خشية الموت .

⁽٤) ناري شديدة الالتهاب ، فأنا قادرٌ على إحراق هشيم آسيا ؛ أي أممها التي هي كالهشيم ؛ أي إزالة مفاسدها وإعدادها للحياة .

⁽٥) إقبال قليل المخالطة للناس ، ولكن بيانه سائر فيهم .

⁽٦) إقبال دعا إلى طلاب المعالي العاكفين على الأفيون حتى طمحت الطير الداجنة كسيرة الجناح إلى عنان السماء لتطير .

⁽V) دعاء على إقبال بأن يحرم مما يحب من التغريد . . إلخ جزاء إيقاظه الغافلين .







القسم الأول

الإسلام والمسلمون





بنسب القوالكن التحسية

الصبح

إنَّا لنجهلُ مطلعَ الصُّبح الذي يُدعى بيوم أو غدٍ في الأزمُنِ لكنَّما الصبحُ الذي ارتجَت له ظُلَمُ العوالم ، من أذانِ المؤمنِ

* * *

لا إله إلا الله(١)

مُسْتسرُ في الدات معنى بعيدٌ سيفُ الداتِ قاطعٌ غيرُ نابِ عصرنا يبتغي خليلاً حَطوماً إنَّ دنياك مَسوئسن لا تصددِق في متاع الغرور تسعى وتبغي يا أسير الخسار والربيح يَنسى مالُ دنياك والبنون خداعٌ هي أصنامُ واهم قد براها حبس العقل في مكانٍ ووقتٍ حبسَ العقل في مكانٍ ووقتٍ لا زمانٌ ولا مسانٌ فحطّهم

لا إلــــه إلا اللهُ س___يه شُحــذُهُ لا إلْــــة إلا الله لا إناله الله (٢) ۇ ئىنىيە . لا إلـــــه إلا الله زوره . لا إناله الله رىچە! لا إلى الله نفسه! كلُـه . لا إنالة لا إلى الله وهمه . لا إناله إلا الله كفيوه . لا إناب إلا الله غلَّـه .

* * *

⁽۱) بنى الشاعر هذه الأبيات على كلمة التوحيد بلفظها العربي فجهدت في الملاءمة بينها وبين الوزن وجعلتها ردفاً وبنيت الروي قبلها على الهاء غير ملتزم حرفاً آخر .

⁽٢) الوُثْنُ : جمع وثن ، والموثن : مكان الأوثان .

الاستسلام للقدر(١)

وبالقرآن قد ملكوا التُريَّا وكان زَماعُهم قَدراً خفيًّا فما كرهوه صارَ لهم رَضِيًّا

من القرآن قد تركوا المساعي إلى (التقدير) ردُّوا كلَّ سَعْي اللهِ المسادِ الضمائر في إسارٍ

المعراج^(۲)

وذَرَّةِ طارَ فيها الشَّوقُ صاعدةً يا رِفْقةَ المَرجِ! تلقى الصقرَ مُقدمةً المسلمُ السَّهم، والأفلاكُ غايتُه جهلتَ ﴿ والنجم ﴾ أسراراً فلا عجبٌ

تُغيرُ في عَرَصات الشَّمسِ والقمرِ دُرّاجةٌ تملأ الأنفاسَ من شرر سرر سرائرُ الرُّوح في المعراج فاذًكر^(٣) ما زال مَدُّك محتاجاً إلى القمر⁽³⁾

* * *

⁽۱) يقول إقبال في هذه الأبيات : إنَّ المسلمين احتجوا بالقرآن في القصور عن السعي ، ومن هذا القرآن نفسه ملك المسلمون الآفاق . وقد ركنوا اليوم إلى القدر وكان عزمهم من قبل قدراً . والحقُّ أنَّ العبودية بدلت النفوس ، فرأوا حسناً ما كان عندهم قبيحاً .

 ⁽٢) الذرة التي يملؤها الشوق تعلو على الشمس والقمر ، والذُّرَاجة إذا ملأ صدرها الحماس
 قاتلت الصقر ، فإنما القوة الحق قوة الروح ، لا شيء يستعصي عليها .

 ⁽٣) يريد أن في المعراج سرُّ الروح . وهو رمز إلى أنَّ المسلم سهمٌ هدفه الفلك .

⁽٤) جهلت أسرار الآيات في أول سورة النجم ، التي يذكر فيها الوحي ، وتقريب الرسول إلى ربه . وليس جهلك عجيباً ، فإن نفسك لم تكمل ، ولا تزال خاضعة لما يؤثر فيها محتاجة إليه ، كما يحتاج البحر إلى القمر في مدّه .

إلى سيدٍ مصابِ بالفلسفة

لمْ تَحمِلَنْ زُنّار (بَرْجَسَانا)(۱)
طِلْسَمَة جميع خيالي وكيف تجتازُ الزمانَ (الذاتُ)؟
وقصدُه دستور ذي الحياة؟
اذانُ ميؤمن نِله الآفاق اذانُ ميؤمن في واللاتِ(١)
وطينت من نسل بَرْهَمي واللاتِ(١)
قد مُزِجَتْ بطينتي ومائي ومائي وإن يكن عرفائه قليلا فلسفة بعد من الحياة للسفة بعد من الحياة الموت المؤت المؤين أحمد وإبراهيم المؤت المؤين عابن علي المؤين يابن علي الركن يابن علي فالقرشي اتبعه لا البخاري)(١)

⁽١) برجسون : فيلسوف فرنسوي ، ويلفظ اسمه في الهند بركسان ، وهيكل : فيلسوف ألماني .

⁽٢) سومنات: معبد كبير في الهند هدمه السلطان محمود الغزنوي حينما فتح الهند، ويشيده الهنادك اليوم. واللات، ومناة من أصنام العرب.

 ⁽٣) هذان البيتان من شعر الخاقاني في (تحفة العراقين) وأبو علي والبخاري في البيتين :
 ابن سينا .

الأرض والسماء

هـو فـي أعيُـن خـريـفُ الـزَّمـان لا تفكِّـر فـي الـربـح والخسـران هــو أرض لعــالــم غَــاب ثــانِ صاح عَلَّ النها الله وأيت ربيعاً سالكَ النهج! كلَّ حين شُؤونٌ رُبَّ ما خِلتَه بدنياك أوجاً

* * *

اضمحلال المسلمين

يَقْضي الحوائج في الدُّنى مسالا يُيَسِّ وَ الغِنَسى السَّبِ الشَّجاعة ديدنا مسن الملسوك تَصَسوُنا مسن الملسوك تَصَسوُنا مسن قِلَّة المسال انتنا مسن قِلَّة المسال انتنا لي جوهدر فيسه سنا لا بالخرائسن والقُنَسى لا بالخرائسن والقُنَسى

إنَّ كان ذا الدهبُ الدي في الله في اله في الله في الله

非非特

العلم والعشق

إنَّم العِشْ قُ جنونُ العِشْ العِشْ العِشْ العِشْ العلامِ العلامِ العلامِ العلامِ العلامِ العلامِ الطنون ون العِلْم حجابُ العِلْم حجابُ العلام ورةٌ في الكائناتُ التَّارِي الكائناتُ التَّارِي العِلْم النائناتُ التَّارِي الكائناتُ التَّارِي الْمُنْسِلِي الْمُنْسِلْمُنِي الْمُنْسِلِي ا

قال لي العلم غروراً: قال لي العشق مجيباً: لا تكرن سروس كتراب فمرن العشق شهرودً مِنْ لهيب العِشق شارت __ق، وللعلــــم الصَّفـــات وشهــــــودُ (الـــــــذَّاتِ) للعِشْـ وحـــاةٌ وممـــات ومـــنَ العِشْــنِ ثِياتُ عِشقُنا خافسي الجووابُ عِلْمنــا سُــةِلٌ جلــيّ معج___زاتُ العِشْ__ق مُلِ_كُ زانـــه فقــــر وديـــن ه___ ل_ه عــرش مكيــن ومكــــانٌ ومكيــــن(١) ومــــــن العشـــــق زمـــــانٌ وبــــه يفتــــځ بــــاب إنَّمــا العشــق يقيــنِّ أُلْفَــــةُ المنــــزل فــــي شـــ رع مسن الحُسبُ حسرام راً حسنة السّسزب حسرام خط ب البحر حسلالٌ وَفْسِرة الحَسبُ حسرام (٢) علمنا نَسْلُ كتاب عِشْقُن الْمُ الْكتابُ

اجتهاد

عُلِّمَتْ في الهند من أيَّ طريقِ؟ لا ولا فيها من الفكر العميقِ مَحْفُلٍ يهفو إلى الفكر مَشوق ألف التحقيدي

⁽۱) يستعمل كثيراً في الآداب الإسلامية غير العربية كلمة مكين مع مكان . ويراد بها من يحل في المكان .

⁽٢) الحب لا يرضى القرار ففي شرعه ألفة المنزل حرام ، وحلال ركوب الخطر في البحر ، وحرام الدعة على البر . وخفقة البرق التي تحرق البيدر حلال ، ووفرة الحب ؛ أي : الجمع والادخار وحب السلامة حرام . وذكر البرق والبيدر شائع في الشعر الفارسي والأردى .

كم فقيه مُبعَد من توفيت (١) ما هدى المؤمن منهاجَ الرقيق (٢)

بــــدَّلـــوا القـــرآنَ لا أَنفُسَهـــم وكفــــى القـــرآنَ نقصـــاً أنَّـــه

* * *

شكر وشكوى

لَكُ الحمد إنَّيَ عبدٌ جهولٌ ولكن وُصِلْتُ بسرِّ الغيوبُ مَنَختُ القلوبَ هُياماً جديداً أثرتُ البعيد به والقريب ومن حرِّ شَدُوي يُرى في الخريف طَروباً بصحبتي العندليب ولكن خُلِقتُ بسارض بها نفوسُ العبيد بسرِقٌ تطيب

الذكر والفكر

ذانِ للسالك الطَّموح مقام نَزَلَتْ فيه اعَلَمَ الأَسْمَاءَ الْأَسْمَاءَ الْأَسْمَاءَ الْأَسْمَاءُ الْأَسْمَاءُ الْأَسْمَاءُ الْأَسْمَاءُ الْأَلْمُ ومقامُ العطَّارِ بِالذِّكرِ ضَاءُ (٤) ومقامُ العطَّارِ بِالذِّكرِ ضَاءُ (٤) وليذكرِ السبحانَ ربِّي الفكريرُ يقيسُ النزمانَ والأرجاءُ (٥)

徐锋特

 ⁽١) كرر إقبال هذا المعنى في شعره ، يقول : إن النفوس قد ضعفت ، فأولت القرآن تأويلاً
 يلائم ضعفها إشفاقاً من تكاليفه .

⁽٢) يعني أنَّ الذين بدلوا القرآن المذكورين في البيت السابق لم يجدوا في القرآن طريقاً إلى العبودية التي سكنوا إليها ، فحسبوا القرآن ناقصاً .

 ⁽٣) الآية : ﴿ وَعَلَّمَ مَادَمَ ٱلْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة : ٣١] .

 ⁽٤) في الأصل: العطار والرؤمي ؛ أي: فريد الدين العطار، وجلال الدين الرومي،
 وهما من كبار شعراء الصوفية.

 ⁽٥) الذكر يتصل بالحقيقة الإلهية ، والفكر في شغل بقياس الزمان والمكان .

شيخ الحرم

يَخْفَى عليكَ مقامُ آدمَ في الورى فالنفسُ ما نالَ الإله وصَالُها^(١) ما في أذانك من صباحي دعوة أو في الصلاة جمالُها وجلالُها

* * *

القدر(٢)

ربما يبلغ اللئيم مُناه على منطق القضاء خفاء على منطق القضاء خفاء على النّاسُ ذي الحقيقة طُرّاً نحو مسعى الأقوام يرنو القضاء على المنتاء القضاء المنتاء المنتا

وينالُ الكريم ضيمُ الرمانِ ويُسرَى دون منطقٍ في العيانِ وجلاها التاريكُ كللَّ أوانِ نظرةٌ كالحُسام فيها مَضاءُ

* * *

التوحيد

قوّةً كان في الحياةِ على الأرض فصارَ التَّوحيدُ علمَ الكلام رَدَّهُ في الفعال غيرَ مضيء جهلُنا اليوم ما لنا من مقام قائد الجيش! قد رأيتُ غُموداً مِن « هُو اللهُ » ما بها من حُسام (٣)

 ⁽١) يخفى عليك مقام الإنسان ، ولهذا أخلدت إلى الأرض فلم تصل إلى الله .

 ⁽۲) يقول إقبال في هذه الأبيات : إنَّ القضاء يبدو غير تابع للمنطق ، ولعل له منطقاً خفياً ،
 وعلى كل حال نرى حقيقةً لا جدال فيها ، هي أنَّ عين القضاء تنظر إلى مساعي الأمم ،
 فتقضى فيها على قدر مساعيها .

⁽٣) رأيت عموداً ليس فيها حسام من التوحيد ، وفي الأصل : من « قل هو الله » أي قل هو الله أي قل هو الله أي أي الله أحد .

دون فِعل ، يُعددُ لَغُو كلام (١) في النورَى ما إمامةُ الأقوام ؟

ما درى الشيخُ أنَّ توحيدَ فكرِ

* * *

العلمُ والدِّين (٢)

العلم يخلق إبراهيم موثنه هذي الحياة وهذا الكون ، ما بُدِلا ما يُحسن المرج تربيب الرُّهور إذا العلم إن لم يُضِف نَجُوى الكليم إلى

إذا تراه نديم القلب والنَّظر ما مُحدَثٌ وقديمٌ قولُ ذي بصر لم تَشْرِك النَّسماتُ الطَّلَّ في الزَّهَر رأي الحكيم فما للعلم من قَدَر

المسلمُ الهندي

قبال البَرَهْمَنُ: خبائنٌ أوطانه ونُبُوّةُ البَنْجِبابِ قباليت: كيافسر أيّانَ صوتُ الحَقّ يعلو هاهنا؟

والإنكليزُ تقول: هذا مجتدي مستمسكٌ بقديمه لا يهتدي (٣) ويلٌ لقلبي في الصّراع المُجْهد (٤)

* * *

⁽١) لا يفيد توحيد الأفكار دون توحيد الأفعال ، فإنَّ ثمرة وحدة الفكر وحدة العمل .

⁽٢) العلم وحده عاجز مُضل حتى يتَّصل به القلب ويصاحبه الإيمان ، ويهديه العشق . فإن كان كذلك خلق هو إبراهيمه ليحطم أوثانه التي يصنعها . هذا شأن الحياة ، لا قديم فيها ولا حديث ، والعلم والبصيرة أو العقل والقلب كالطلِّ والنسيم لا بدَّ من اشتراكهما في تربية الزهر .

 ⁽٣) نبوة البنجاب يقصد بها من أدعى النبوة (هو مرزا غلام أحمد القادياني) .

 ⁽٤) هذا الشطر مضمن في الشعر ، وقد جاء في الأصل بلفظ فارسي .

على ذكر الإذن بحمل السيف(١)

أيها المسلم تَدري اليوم ما هو مصراع من البيت الذي وأرى مصراع من البيت الذي وأرى مصراعه الثاني في أنت يا مسلم - إن تظفر به -

قيمةُ الفولاذ والعَضْب المذكر مضمرٌ فيه من التَّوحيدِ سِرّ سيفِ فَقْرٍ تحتويه كفُّ حُرّ خالدٌ أو حيدرٌ يوم المَكرر(٢)

* * *

الجهاد(٣)

الشيخُ أفتى أنّه عصرُ القلم أما دَرى الشيخُ بأنَّ وعظه فما ترى السلاحَ كفُ مسلمِ مَنْ قلبُه يهابُ مَوْتَ كافرِ فعلَّمَنْ ترك الجهادِ طاغياً أما ترى الغربَ بدا مُدَجَّجاً يا مُفتياً على الكنيس مُشْفقاً الحربُ في المشرق شرُّ داهِمٌ

ما السيفُ فيه حاكمٌ بين الأممُ في مسجدٍ قد صار من لَغْوِ الكلِم ؟ بسل قلبُه من للذَّةِ المسوت حُرِم فكيف ميتة الشَّهيدِ يَغْتنسم (٤) ؟ مِنْ كَفَّهِ يسيلُ في العالم دَم ليحفظ الباطلَ في عِنزُ عَمَمْ ؟ ليحفظ الباطلَ في عِنزُ عَمَمْ ؟ قد حارَ في أحكامِه أولو الفَهَم والحربُ في المغرب شرُّ لا جَرَم

⁽١) أذن الإنكليز للناس بحمل السيوف بعد أن حَرَّم حمل السلاح كله ، فنظم إقبال هذه الأبيات .

 ⁽۲) يريد خالد بن الوليد ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما .

⁽٣) قامت طائفة في الهند تنكر الجهاد ، تقول : إن هذا عصر الدعوة بالقلم لا القتال بالسيف ، وتدعو المسلمين إلى السلم ، فيأخذ عليهم إقبال أنهم يدعون المسلمين ولا سلاح في أيديهم ويتركون الأمم المدججة في السلاح التي تشن الحرب بين الحين والحين .

⁽٤) يريد بموت كافر: الموت في غير جهاد.

إن يَبْتَغ الحقّ فكيف حاسب المس للم لا الفِسرِنْعجَ ذلك الحَكَم ؟

القوة والدين

كم أصاب الإنسانَ في هذه الأر ويقول التاريخُ في كلَّ عصر: هي سيلٌ غُثاؤه الفَنُّ والعِلمُ وهي سُمُّ بغير دينٍ . وبالدِّين

ض مِن إِسْكَنْدَدٍ ومن جَنكيةِ خَطَدٌ فَرَولُهُ قُدوّةِ لعسزين وما أنَّدلَ الدورى من كنوز دواءٌ لكسل المسلم نَجين

* * *

الفقر(١)

الفقـــر يمضـــي بــــلا ســــلاح ِ في خَـوْمـةِ الحَـرب كــالــؤجـوم

(١) يشيد محمد إقبال بالفقر في مواضع كثيرة من شعره في هذا الديوان وفي غيره ، ويعدُّه مفتاح كل خير والوسيلة إلى كلّ سؤدد ، والمقتحم كل عقبة ، ومن الأبيات التي ذكر فيها الفقر في هذا الديوان .

في القطعة: « على ذكر الإذن بحمل السيف »: أيها المسلم تدري اليدوم ما هدو مصراع من البيت الدي وأرى مصراعه الشانسي فسي وقوله في القطعة « الفقر والملكية »:

الفقــــر يمضـــــي بـــــــلا ســـــــلاح وقوله في قطعة « الشُّلطان » :

تعلُّم فالسف مقسام وشسان وقوله في قطعة (الإمامة) :

يُمــرُ عليــك مــن فقــر مِسَنْــاً

قيمة الفولاذ والعضب اللَّكر مضمرٌ فيه من التَّوجيد سرّ سيف فقر تحتويه كنفُّ حرّ

في حومة الحرب كالرُّجوم

لفقـــر بـــدا فيـــه رومُ القـــران

فيطبع منك سيفاً للمنايا=

وكانُ ضرب له سديدٌ حَماسُهُ قَاصَ كانُ عصرِ يا غَيرة الفقر أنجدينا عبادة الغرب جمع مال

إنْ ثـار مـن قلبه السَّلبم قِصَّةَ فـرعـونَ والكليم واهدي إلى نَهجِك القويم تَنْخَررُ فـي رُوحه السقيم

وقوله في القطعة ﴿ نكتة التوحيد ؟ :

أيُّ ملسك مقسام فقسر ، ولكسن توثّر الذلّ مذعناً ما احتيالي وقوله في القطعة التي أولها « متاعك في الحياة فنون علم » :

ومسا إن ذلّ قسوم قسد أعسدُوا حساس المِشْت والفقر الغيسورُ ويتبين للقارىء من التأمّل في هذه الأبيات أنّ الفقر في لغة إقبال ليس عدم المال أو قلته ، ولا هو حاجة إلى ما يعيش به الإنسان ويعترُّ به من متاع الدنيا . فما يعني إقبال حين يذكر الفقر ويُشيد به ويُبالغ في إكباره ؟ الذي يُدركه القارىء من كلام الشاعر : أن الفقر الذي يعنيه الشاعر هو خلاص النفس من قيد التملُّك أو الطمع ، ومضيها عاملة مقدمة لا يطغيها وجدان ولا يذلها حرمان . وربما يملك الفقير قناطير من الذهب وربّما يكون ملكاً مسلَّطاً لا يُعمر سلطانه مال أو متاع .

وليس هذا المعنى بعيداً عمّا فسّر به بعض الصُّوفية الفقر.

في ﴿ رسالة القشيري ٤ :

سُئل يحيى بن معاذ عن الفقر ، فقال :

طيقته ألا يستغنى إلا بالله ١ .

وقال الشبلي :

ادنى علامات الفقر أن لو كانت الدنيا بأسرها لأحد فأنفقها في يوم ثم خطر له أن لو
 أمسك منها قوت يوم ما صَدَقَ في فقره > .

وفي الرسالة أيضاً:

« وقيل : صحة الفقر ألا يستغنى الفقير في فقره بشيء إلا بمن إليه فقره » .

وفي كتاب ﴿ عوارف المعارف ﴾ للسهروردي :

وقال الكتاني : ﴿ إِذَا صُحَّ الافتقار إلى الله تعالى صحِّ الغنى بالله تعالى ، لأنهما حالان لا يتمّ أحدهما إلا بالآخر ﴾ .

فترى أنَّ الفقر في هذا الكلام ليس عدم الملك وفوات المال ؛ ولكن ألا يرتبط الإنسان بما أدرك أو بما فَاتَ ، أعني أن لا تكون الدُّنيا في قلبه وإن كانت في يده .

العشقُ والسُّكر ما أباحا أنْ أضبِطَ النفسَ في همومي فعُقددة الكِم أنسيسم (١)

الإسلام

إِنَّ نَارِ ﴿ النَّاتِ ﴾ ، والنورُ لديها إِنَّ نَارِ ﴿ الذَاتِ ﴾ ، فاقبس من لظاها هي تقويم وجودٍ وهي أصل الله الفطأ

هي للإسلام رُوخ مستنيس (٢) في حياة الخَلْقِ نسورٌ وسُفورُ للتَّجَلِّي أُخْفِيَتْ خَلْفَ سُتور للتَّجَلِّي أُخْفِيَتْ خَلْفَ سُتور فله اسمٌ آخرُ: الفقرُ الغَيور (٣)

الحياة الأبدية^(٤)

صدَف لنا هذه الحياة ، وذاتنا ما قيمة الصدف الذي لا يستطيع إنْ صانت الذَّاتُ المتينةُ نفسَها

كالقطر من نيسان في الصدفات (٥) يُحيسل قطسرات إلسسى دُرَّات أعيست على الأيسام كل ممات

⁽١) كِمُّ الزهر لا يفتح إلا بالنسيم ، وبيان الشاعر وشكواه كالنَّسيم تفتح بهما نفسه .

⁽٢) روح الإسلام هي الذات نارها ونورها .

⁽٣) إِنَّا نَفَرِ الفرنج مَنْ لفظ الإسلام فنحن نسميه اسماً آخِر فيه حقيقته هو الفقر الغيور .

⁽٤) يؤكد الشاعر في هذه الأبيات رأيه في الذات أنّها مقصد الحياة ، وأنّها إن قويت واستحكمت ؛ لم تمت .

⁽٥) يقال : إنَّ الأصداف تكون على سطح الماء مفتوحة ، فإذا نزل مطر نيسان تدخل في كل صدفة قطرة منه فتنطبق عليها حتى تتحوَّل دُرَّة . والشاعر يجعل الحياة صدفة ، والذَّات قطرة من نيسان . ويريد أن تحكم الحياة الذات كما تحيل الصدفةُ القطرةَ دُرَّةً .

الشُلطان (١)

تَعَلَّم ؛ فالف مقام وسانِ إذا انجلت (الذَّات) في قهرها وتسوزن في ذا المقام القُوى وإنَّك في ذا المقام عظيم وإنَّك في ذا المقام عظيم وما ذاك بغي وقهر ولكن فمسا يستطاع بقهدر وبغي وأعياك في الدَّهر حفظ لفقر وكان على الدَّين سيما سجود وكان على الشمس منه سناً

لفقر بدا فيه روح القُرانِ فهاذا مقامٌ لملكِ السرَّمان فهاذا مقامٌ لملكِ السرَّمان قُرى مومنٍ تُبتلى بامتحان وظالٌ من الله في ذا المكان هو العشقُ والوَجُد ملءَ الجنان على الأرض حفظُ الورى في أمان فأصبحت في الرقِّ خِدنَ الهوان في الرق خِدنَ الهوان في المرى الكواكب مِل العيان فهل في نجومك منه معانِ ؟

إلى الصُّوفيِّ

تسرى عيناك دنيا المعجزات ومن دنيا الخيال عجبت ، فاعجب تبددًلها بنظرة غير واع

وفي عيني دنيا الحادثات للحيات المحادثات وكم تسدعوك دنيا الممكنات

* * *

⁽١) السُّلطان الحقُّ هو أحد شؤون الفقر ، كما يفسره الشاعر ، فهو تجلي (الذات) ـ ذات الفقير ـ بالتسلُّط . . (كتبت في بهو بال في رياض المنزل دار السيد راس مسعود) .

صريع الفرنج

_ 1 _

مِنْ تجلّي الفرنج نلتَ وجوداً فهمُ منك هيكلاً قد أقاموا ومن (الذات) هيكل التُّرْب خالِ أنت غِملًا مُللَقَب لاحسامُ

_ Y _

ووجـــودُ الإلـــه عنـــدك ريـــبٌ وأرى الــريــبَ فِــي وجــودك أنتــا إنَّما الكونُ جوهرُ (الذات) يُجْلَى فــانظــرنْ أيَّ جــوهــرِ قــد دفنتــا

* * *

التصو^ف ف (١)

إنَّ علم السلاهوت في ملكوت وقيامُ الأسحار في طول وَجُد ذلك العقلُ صاعداً للشُريا ينطق العقل (لا إله) ولكن كلماتي خوافق وسَنا الإصباح

ليس للدين آسيا - ليس شيًا ليس للذات راعياً - ليس شيًا ليس بالوجد سارياً - ليس شيًا ليس بالقلب مسلماً - ليس شيًا(٢) لـم يبـدُ خافقاً - ليس شيًا

* * *

⁽۱) يقصد الشاعر أنَّ علم الكلام إن لم يصلح الدين فهو لا شيء . وكذلك الذكر الذي لا يحفظ « الذات » والعقل الذي لا يصحبه العشق ، والفكر الذي لا يستجيب له القلب .

 ⁽٢) أي : يقول العقل : و لا إله إلا الله ، . . . إلخ .

الإسلامُ الهنديُّ

بوحدة الأفكار تحيا أمّة لا تُحفظ الوحدة إلا بالقُوى لا تُحفظ الوحدة إلا بالقُوى ليا عابداً ليس لديه قوّة وهات إسلاماً به تصوّف للشيخ في الهند أجيزت سجدة للمسيخ في الهند أجيزت سجدة المناها ا

ودونها الإلهام يُلْفَى ملحدا(۱) لم يُفلح العقلُ هنا ولا اهتدى اذهب إلى كهف وسبّح واعبدا إلى الردى والذلّ واليأس هدى فحسب الإسلام حُرزً سيّدا

قطعة(٢)

ما القلب مات، قلب يمحرو الفروداة يمحرو الفرون يمكرون فرون يمكرون فرون المحروث فرودات أو هياجا وفرون أو هياج المحروف نجم ما هاج طروف نجم ومروزة أكن صبحي في المحروزة أكن صبحي في في المحروزة أكن المحروز

ف أحي ذا السرميما في أمسم قديما شرع أمسم قديما المستحد أو ساحسلاً لطيما المستحد المستحد المستحد المسيمات بالمسيمات المسيمات المس

 ⁽١) بغير توحد الأفكار تعمُّ الفوضى . فالإلهام الذي هو سبيل الإيمان يصير إلحاداً .

 ⁽٢) عنوان هذه القطعة في الأصل (غزل) والغزل عندهم أبيات قليلة تجمع أفكاراً مختلفة .

 ⁽٣) الأباء: القصب، وهو سريع الاحتراق. ثم القصب يحرق أحياناً لإخصاب الأرض،
 فالشاعر يعني أنّه يحرق الأنفس لتزداد حياة.

مَــن حــاز مثلــي عينـاً جــريئــة هَجــومــا

الدُّنيا^(١)

كذاكم بدا لي بُوقلمون فهذا هلالٌ، وهذي نجومٌ وعين البصيرة أعملتُها فهذا تسرابٌ وتلك سماءٌ ولا أكتم الحقّ : أنت وجودٌ

وقلَّبتُ في الملكوت النظر وهيذا حجر وهيذا عقيت وهيذا حجر فيأوحت إلي صحيح الخبر وذليك طَرودٌ وهيذا نَهر ولا شيء ما ساح فيه البصر

* * *

الصَّلاة (٢)

وشاب بنـو الـدَّهـر وهـي فتـاةُ بـه مـن ألـوف السُّجـود نجـاة^(٣)

تلونُ في كل ثوب مناةً فهذا السجود الذي تجتويه

⁽١) أنا كذلك أبصر دنيا الألوان التي تشبه بوقلمون ، وأعرف الهلال والنجم والسماء والأرض . . إلخ ، ولكني أرى أنَّ الإنسان وجودٌ حقٌّ ، وما عداه ليس شيئاً .

 ⁽٢) الأصنام لم تنقطع عبادتها ، فلا بزال تظهر بين الناس في صور مختلفة ، فتعبد ضروب العبادات . فاعلم أنَّ سجود الصلاة الذي يثقل عليك ينجيك من آلاف السجود لهذه الأصنام .

⁽٣) تجتویه : تکرهه .

الوحي(١)

ليس هذا العقل ذو الوه بن حرياً بالإمامة فحياة الظينُ والتَّخمينِ ضَعيفٌ وسَقياميه ليسس في فكرك نسورٌ أو إلى السعي استقامه كيف يجلو في حياة ذلك الليل ظلامه؟ إنَّ لغيز الحسن والقبع ليُعيني ذا الفهامية حين لا تجلو الحياة السيرٌ منها مستهاميه

* * *

هزيمة

شرابُ (ألستُ) معذرةُ البطالةُ (٢) يرى في الشرع معتركَ البساله (٣) فتلك هي الهزيمةُ لا محاله

خلا الصَّوفيُّ مِنْ حُرقٍ وكدُّ ؛ وفسر السى تسرهُبسه فقيسهُ إذا خشي السرجال وغَسى حياةٍ

* * *

العقل والقلب

وطسوى الأفسلاك والأرضَ مسيسرا غيسرَ قلسب ثسار بسالعقسل جسسورا

سيطـر العقـلُ علـى الكـون أميـراً ذا جــــلالٍ يخضــع الكـــون لـــه

⁽١) العقل ظنَّ وتخمينٌ ، لا تضيء به النفس ، فلا تنجلي به ظلمات الحياة . وإنما إدراك الحسن والقبيح بالوحي ، وهذا لا يتاح إلا بأن تجلو الحياة أسرارها بنفسها .

 ⁽٢) يوم (ألست) أو عهد (ألست) إشارة إلى الآية ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف:
 (٢) عنالصوفي في سكر بذكرى (ألست) يتعلّل به ، ويعتذر لبطالته .

 ⁽٣) لما رأى الفقيه أنَّ الشرع جهادٌ وكفاحٌ فرَّ إلى الترلمُب

سكر العمل

في طريق الصُّوفيِّ سُكرُ الحال ونشيد الشَّغر المرجَّع مَيْت بين نوم ويقظة غيرُ صاح وبنفسي مجاهد لا أراه!

وطريقُ الفقيه شكرُ المقال خامدُ اللَّحن لم يُشَب بجمال بيسن سُكر الأفكر والبَلبال فيه سكرُ الأعمال لا الأقرال

* * *

القبر(١)

لا يجـــد القلنـــدريُّ راحـــةُ سكينـةُ الأفــلاك فــي الضَّــريــح لا

همَّة القلندر (٢)

يقول للزمان ذلك الفتى: امض إلى حيث يسو المؤمن مالك في معتركي مِن طاقة حذارِ من قلندر لا يُلذعن

وقلد رأى المترجم أن يبقي اللفظ في الترجمة لأنه عَلَم في الأصل ، وجعله أحياناً وصفاً وأحياناً نسّب إليه ، فقال : القلندرُ والقلندريُّ .

⁽١) فكرة الشاعر أنَّ النفس القوية المجاهدة لا تسكن في الحياة ولا بعد الموت . والقلندر أو القلندري : الحر الذي لا يركن إلى سكون ، ولا تقيده رغبة أو رهبة .

⁽٢) القلندر: يعني به الشاعر الإنسان الذي لا يصل نفسه بمال ، ولا أهل ، ولا دار وهو في الأصل اسم رجل ذهب هذا المذهب ، وأحدث طريق كان سالكوها يُديمون السفر ، لا يلبثون في مكان ، ولا يقيدهم ملك ، ولا أهل ، ولا وطن ، ويحلقون رؤوسهم . وسُمِّي سالك هذه الطريقة : قلندر باسم صاحب الطريقة .

إذا طغى اليم فهيًا أقدمن لقد محا سحرك تكبيري فهل يحاسب الأفلاك ذا القلندر

ما حاجتى مَلاحه والسُّفُن تَقُوى على جحوده يا وَهِن ؟ وقياهم أيامه لا يُقهر

الفلسفة

ليس يَخفى على القلَنْدر فكرٌ أنا عندي بكل حالِكَ خُبرٌ لا يقيم الحكيمُ في شَرَكُ اللف ليس هممُ الغوّاص أصدافَ بحرٍ إنَّ في حلقة المجانيين عقالاً إن أغلى من الجواهر ، معنى فلسفاتٌ ما سطّرت بدم القلب

ساور النشء ظاهراً أو خفيًا(۱) فبهـذا الطـريـق سـرتُ مليّا حفيًا يبتغـي الغـائصـوف كان حفيًا يبتغـي الغـائصـون دُرّاً بهيّا في شَـرارٍ يـرى لهيباً مضيّا(۱) صـدًق القلـبُ سـرّه مطـويـا مَـدواتٌ أو للمـات تُهيّا

* * *

رجال الله

لا المندي حسرب تسدور هُسراء ذا سنساء، وخسرقسة وقبساء (٣)

إنَّما الحرُّ من يُجيد ضِرابا وسجايا الأحرار تجمع تاجاً

⁽١) القلندر هنا إقبال نفسه .

⁽٢) بين الذين يعدون مجانين من أصحاب القلوب الحية من يرى الحقائق الكبيرة في مظاهر صغيرة ، فيرى في الشرارة لهيباً عظيماً .

⁽٣) سجية الحر فيها عظمة الملك ، وفيها خلق الصُّوفية لابسي الخرقة ، وفيها فقه العلماء لابسي القباء .

من خفايا تُرابهم أخذ الدَّهرُ فِطرة حررة تعاف السدنايا أنت في الكفر والتديُّن جَمْعاً

شَــراراً فصـاغ منه ذُكـاء من طَواف الأصنام عاشت بَراء وثنــيع تُقــدس الأهــواء(١)

الكافر والمُؤمن ^(٢)

أمس عند البحر قال الخضر لي قولاً أعية (٣) تبتغي الترياق من شُم في مرنج تتقييه ؟ فخيذ في قولاً سديداً هيو بالسيف شبيه فخيذ في قولاً سديداً هيو بالسيف شبيه ذا مضاء وضياء خبيرة الصّيقيل فيه : إنّمنا الكافساق تيبه وأرى الميؤمن كيوناً تساهيت الأفياق فيه

⁽١) الأحرار منزهون عن عبادة الأصنام، وأنت في إيمانك وكفرك لا تخلو من عبادتها.

⁽٢) يكرّر الشاعر هذا المعنى كثيراً: إنَّ المؤمن مسيطرٌ على الكون ، يتصرف فيه ، لا يضلُّ فيه ، ولا يحار ، فهو سائر على قانون يرفعه على الأحداث والغير ، وإنَّ غيره مقهور في الكون حائر ، تتلقفه أحداثه ، وتقلبه غيره .

والفكرة مأخوذة من مثنوي جلال الدين الرُّومي . فقد قصَّ المثنوي قصة افتقاد حليمة الرسول في طفولته وطلبها إيَّاه والهة ، وأنَّ جبريل لقيها ، فقال لها : لا تخشي عليه أن يتيه في الآفاق ، فهذه الآفاق تتيه فيه .

⁽٣) يروى أن الخضر صاحب إسكندر سارا حتى بلغا أرض الظلمات ، وفيها عين الحياة ، فشرب منها الخضر ، فخلد ، ولم يهتد إليها إسكندر . فينسب الشعراء إلى الخضر المعرفة والحكمة ، ويقولون عنه ما يشاؤون .

المهديُّ الحقُّ

سيَّارُ إفرنج وثابتُ مشرقِ(١) لا جِدَّةٌ في القول أو في المنطق والشَّعرُ أقلس في خَيالٍ مُغلق عالَم الأفكار ، غيرَ ممخرق

كلُّ ثَوى في مَحبسٍ من صُنعه: والشَّيخُ في حَرمٍ وحَبر كنيسةِ أهلُ السياسة في شِراكِ قديمِهم من لي بمهديُّ له نظرٌ يزلزلُ

المُؤمن

-1-

في الدُّنيا

بعيدٌ من المَحَكَ ، المؤمنُ (٢) جريء ليدى المَعْرَك ، المؤمنُ ويأبى على الفلك ، المؤمن يصيد من المَلك ، المؤمن

مع الصَّحْبِ لَيْن كمسَّ الحرير حديد والمَّدِ إذا ما طغي باطللٌ من الطِّين ، لكنْ على الطِّين يسمو وما همَّه صيدُ طيرٍ ولكن

_ Y _

في الجنَّة

تقول الملائك في غبطة : خبيبٌ إلى قلبنا ، المؤمن

⁽١) الفرنجي: الدائب في العمل ، كالكوكب السيَّار ، والشرقي: القاعد عن السير ، كالكوكب الثابت .

 ⁽٢) القافية مردوفة بكلمة « المؤمن » والرويُّ الكاف التي قبلها .

وللحسور شكوى إلى ربّها: سريعٌ إلى هجرنا ، المؤمن

محمَّد على الباب(١)

أجابَ (البابُ) في حفل مفيضاً في مقالاتِ وفيات الشيخ توفيت بياعراب (السّمواتِ) سرَتْ في الحَفْل غلطتُه في الحَفْل غلطتُه في الحَفْل غلطتُه في الحَفْل علطتُه في الحَفْل غلطتُه في الحَفْل علمت تعلم التحال الباب): لم تعلنوا وفياتتكم مقاماتي في واعنات ولي القيرانُ بالإعراب في حَبيس واعنات وإنّ المسامة على جياءت بتحريب لآيات

القدر^(۲) الخالقُ وإبليس

إبليس: يا إلها أمره كُنْ ليسس عنه من مَحيدُ للسس عنه من مَحيدُ السم يُصَدِب آدمُ منسي بعدد و أو حسدود ويدلُ غدرٌ، مِدنْ زمانٍ ومكانٍ فسي حدود كيدف أستكبر عدن أمرك أو كيدف أحيد

⁽۱) ناقش جماعة من العلماء في إيران محمد على المسمى: الباب، فقرأ من القرآن، فلحن في إعراب السموات. فضحك الحاضرون، فقال: إنَّ بشرى إمامتي تحريرُ الآيات من الإعراب.

⁽٢) مأخوذة عن محيى الدين بن عربي .

كــان فــي علمــك أنــي حـائــد عــن ذا السجــود

الخالق: هل عرفت السرَّ هذا قبل أو بعد الجحودُ؟ إبليس: بعدُ ! يا منْ مِنْ تجلِّيه كمالاتُ السوجود (الخالق ناظراً إلى الملائكة)

علَّمت فذاك ع في الله المال ا

خِسَّةُ الفطررة فيه قيال : ما شئت سجودي ذلك الظالم سَمَّى إِنَّه سمَّى إِنَّه سمَّى وَمُلْكَا الفالمات مَا المَّالِيةِ المَالِيقِيلِيقِ المَالِيقِيلِ

* * *

أين روح محمَّد !^(١)

أرى الملّـة البيضاء بُــدُد نظمُها وليسس ببحر العُرب لَــذَّةُ ثَـورةٍ ولا رَكُـبَ للحادي ولا زادَ عنده فبيّن لنا الأسرارَ روح محمد!

فمسلمُك انظر حاله ، أين يذهب ؟ وفي الصَّدر موجٌ غاله ، أين يذهب ؟ وقطعُ الفيافي هاله ، أين يذهب حفيظٌ لآي ، ياله ، أين يذهب ؟

⁽۱) يصف الشاعر في هذه الأبيات غمّه وحيرته ، فالأمة الإسلامية انفرط عقدها ، وفي صدره موج ، ولكن بحر العرب الذين ماجت بهم أحداث التاريخ ليس فيه هياج اليوم ، فيخلط به هذا الموج . وهو حاد ولكن لا زاد له ، ولا قافلة يحدوها . وأمامه فيافو هائلة . وهو حفيظ على آيات الله يبتغي أن يسير بها . فهو يلتمس سبيله في هذا العالم ويسأل روح الرسول أين يذهب .

مدنية الإسلام

حياةُ المسلم أعرف في بياني سناً كالصُّبح مَغربه طُلوعٌ ولا كالعصر ، خِلوٌ منْ حَياء حياةٌ بالحقائق في قَرادٍ عناصرُها يولِّقُها جَمالٌ وحسنُ الخَلْق من عُجْم لديها

كمالُ العقل فيها والجنونُ (۱) وحيدٌ ، كالزَّمان له شوون ولا فيها من الماضي فتون ولا فيها ما يُطلسِم أفلَطون (۲) تمثَّل فيه جبريالُ الأمين ونارُ العُرب فيها والشُّجون

* * *

الإمامة^(٣)

أتسألني: الإمامةُ ما مَداها؟ إمامُ العصر حقّاً من تراه بمرآة الممات يريك وجه ال

حبَاك الله مثلي بالخفايا فتسأمُ ما تشاهدُ في البرايا حبيب فتجتوي عيشَ الدَّنايا

⁽۱) الجنون هنا معناه الحماس للعمل والإقدام في غير مبالاة . فحياة المسلم في رأي الشاعر تجمع العقل والإقدام . وهي كالشمس تغرب لتطلع . وهي فذَّةٌ لا نظير لها ، ولكنَّها كالزمان في شؤونٍ متعددةٍ، وهي قائمةٌ على الحقائق ، وجامعةٌ عناصر الجمال والقوَّة .

⁽٢) ليست قائمة على أفكار أفلاطون ؛ التي ترى الحقائق في عالم المثل ، لا على هذه . الأرض .

⁽٣) يقصد أقبال مَنِ ادَّعوا الإمامة في الماضي وفي عصره . ويرى أنَّ الإمام من يعلو بأصحابه عن قيود الحاضر المشهود إلى عالم المعنى الفسيح غير المحدود . . إلخ .

ويشعركَ التخلُفَ عن كمالِ يُمرُ عليك مِن فقر مِسَنَا يُمرون الملَّمة البيضا إمامً

فينفخُ فيك مشبوبَ السَّجايا(۱) فيطبعُ منكَ سيفاً للمنايا كأنَّ المسلمين به سبايا(۱)

الفقر والترهُّب^(٣)

إسلامك الموهومُ شيءٌ آخر ؟ شتّانَ ، فانظر ، بين خَلوة راهب في الروح والأبدان يبغي جلوةً هو صيرفي الكائنات وجوده فاسأله عما ترتئيه أعالم لما أضاع المسلمون على المدى لم يبق فيهم من سليمانٍ ولا

الفقر عندك كالترهب يظهر وشراع فقر في عباب يمخر فنهاية الإيمان (ذات) تبهر (٤) فعن الفناء أو البقاء يخبر (٥) أم موج رائحة ولون يرخر ؟ ذا الفقر _ لما ضاع هذا الجوهر سلمان دولة عيرة لا تُقهر

⁽١) يشعرك ما فيك من نقص وما فاتك من كمال .

 ⁽٢) فتنة الملّة الإسلامية إمامٌ يمكّن أصحاب السُّلطان من إذلال المسلمين .

⁽٣) يشيد إقبال بالفقر ، وينسب إليه المعجزات . وهو فيما يؤخذ من كلامه : التحرر من الطمع والحرص ، وألا يملك الإنسان ما يملكه فيذله ، ويصدُّه عن الحق والخير . وهو لا يشبه الرهبانية في شيء . فمن حسب الفقر رهبانية فإسلامه غير الإسلام الذي يعرفه الشاعر .

⁽٤) الضمير في « يبغي » يرجع إلى الفقر ، وهو يطلب تجلِّي الروح والجسم . وتجلي الذات هو مقصد الإيمان .

⁽٥) هذا الفقر ينقد الكاثنات ، فيقول : هذا للفناء وهذا للبقاء ، وهذا حق ، وهذا باطل .

قطعة(١)

متاعُك في الحياة فنونُ علم وما عندي متاعٌ غير قلب لأهل الفكر معجزة تجلّت وأهلُ الذكر شادوا معجزات أقول لمسلم: ما فيك صدرٌ ومنزقتُ الجيوبَ وأنتَ خالٍ أقِلَ القولَ وافتحْ عينَ قلبٍ وما إنْ ذلً قدومٌ قدد أعدُوا

تظَلُ الدَّهدرَ منها في حُبور طمسوح مسا أراه بسالصَّبور بفلسفَّة معقَّسدة السُّطسور على موسّى وفرعونٍ وطور (٢) لأنفساس بهسا حَسرُ النشور جُنوني ـ لا ألومك ـ في قصور (٣) ولا تسكُ مُهندراً عنسد البصيسر حَماسَ العِشْق والفقر الغيور الغيور

التّسليمُ والرّضا

⁽١) عنوان هذه القطعة في الأصل ﴿ غزل ﴾ والغزل في عرف شعراء الفرس ومن قبلهم : أبيات قليلة في موضوع أو موضوعات . وربما لا تشتمل على شيء مما يسمّى بالغزل في الشعر العربي .

⁽۲) يقصد بموسى وفرعون كل من له صفات موسى أو صفات فرعون ، فلهذا نكَّرت الاسمين ، وصرفتهما .

⁽٣) يعني : إني لم أصيرك مثلي مجنوناً ؛ لأن جنوني لم يكمل ، فلم يؤثر فيك ، فاللوم على لا عليك .

نكتةُ التَّوحيد(١)

إنَّ سرَّ التَّوحيد طوعُ بَياني رميزُ شوق بسلا الله خفي خفي محمد مسرور في حرب حتى وزور كسم تُجلِّي الأفاق نظرة حسرً أيُّ مُليكِ مقامُ فقر اولكن الكَافية والكنان المُنابِ مقامُ فقر اولكن

شِدتَ في الرأس مَوْثَنا، ما احتيالي ؟ (٢) ليس في الفقه بيِّنا، ما احتيالي ؟ لستَ في الحرب مطعنا، ما احتيالي ؟ (٣) حجب الرقُّ أعينا ، ما احتيالي ؟ توثر الذلَّ مُذعنا، ما احتيالي ؟

الإلهام والحرية

إنَّ للحُسرِ ملهما نظرراتِ خَرُ أنفاسه يَشيع بروض يَهبُ العندليبَ سيرة باز يَهبُ العندليبَ سيرة باز ينحُ المجتدين شوكة جمَّ ووقى الله حكمة للذليل

تحفِيز القيولَ والفِعالَ بنار فترى الروض مُزهراً منْ شَرار كيف حالت طبائعُ الأطيار؟ عارفُ النفس والهُ الأسحار(٤) مثل جنكيز طالع بالدَّمار(٥)

 ⁽١) بنى الشاعر هذه القطعة على القافية المردوفة فحاكيته في الترجمة . والروي حرف النون
 في موثنا ، ومطعنا . . إلخ (المترجم) .

⁽٢) يمكن أن يبين سرَّ التوحيد ، ولكن ما حيلتي وقد بنيت في رأسك معبداً للأوثان . وقد وضعت كلمتي مصنم وموثن لمكان الصنم والوثن ، ترجمة لكلمتي بت كله ، بتخانه ، ونحوهما .

⁽٣) كم سرور في مجاهدة الباطل بالحق في هذه الحياة .

⁽٤) جم: يراد به جمشيد أحد ملوك الفرس في الأساطير.

⁽٥) يريد أنَّ حكمة الذليل تدمر الأمم كغارات جنكيز خان .

الرُّوح والجِسم(١)

تحيّر الناسُ في ذا اللغز من قدم: ومشكلي في اضطراب بي وفي ثَمَل ومشكلٌ لك أنَّ الخمر من قدح ما اللفظ والمعنى؟ وكيف الرُّوح في بدن؟

ما جوهر الرُّوح أو ما جوهر البدن؟ وشورة وسرور النفس والحزن أو أن من خمرة كاساً ، لذي زَكن (٢) جمر بدا في رَمادٍ منه للفَطِنِ

* * *

« لَاهور » و « كراجي »^(٣)

مسلم مسا آمسرا لَـــم روح سافسرا لخلسود آثسرا وأغلى جسوهسرا⁽³⁾ نَسِيًا مسادرى: الهساً آخسرا ﴾⁽⁰⁾

 ⁽١) يقول إقبال في هذه الأبيات : إنَّ همي في هذه الحياة القلق ، والثورة ، والسرور ،
 والحزن . وأنت شغلت نفسك بهذه الأسئلة ولم تشعر بحقيقة الحياة .

⁽٢) الزكن: الفطنة.

⁽٣) روي أنَّ هندوكياً في لاهور اسمه: راجيال، أساء الأدب في الحديث عن الرسول صلوات الله عليه، فذهب إليه مسلم اسمه علم الدين، وقتله في غير ضوضاء، وأن رجلاً من الهنادك في كراجي فعل فعله، فذهب إليه مسلم من كوهات في غير مشاورة، ولا مؤامرة فقتله. وأراد المسلمون أن يؤدوا دية القتيلين وينجوا القاتلين من العقاب، فكتب إقبال الأبيات.

⁽٤) يعنى : أنَّ كل ما تبذلون لا يساوي دم الشهيد . . إلخ .

⁽٥) الآية : ﴿ فَلَانْنَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَاءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذِّبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] .

النبُوقة(١)

لستُ المحددُثُ والفقيسة لا عليم عندي بالنبوة لكن إلى الإسلام في الأيام أوحي إلي بسرّه الفلكُ في المديت في ظلميات هو عندي حشيش المسلمين ما إن ليديها دعوة "

ولا السولي ولا المجدد كيف تسوصف أو تحدد كد ليف تسوصف أو تحدد للسي نظر مسدد المحيط في المنافقة الموقد : الحق الموقد : نبسوة فيهم تجدد المخلد للباس والمجدد المخلد

* * *

الإنسان

ذا طِلَسُمُ الكَون والعَدمِ هو سرُّ الله جالٌ فسلا إنَّ هسذا السدهرَ مسن أزلٍ ومضى الإنسانُ سيرتَه وإليك السرَّ أعلنه ما بدا روحاً ولا بَدناً

سُمُّسي الإنسانُ مسن قِسدَم يحتويه الوصفُ في كِلَم مسن سفسارِ باء بالسَّقَم لم يُصَبْ بالضَّعف والهَرَم إن تَسَعُسه غيسرَ متَّهِم: ذلسكَ الإنسانُ للفَهَسمِ:

« مكة » و « جنيوا »

كم حديث عن الشُّعوب سمعنا وحدةُ الناس خُجِّبت عن عيانِ

 ⁽١) يعنى الشاعر بهذه الأبيات من ادَّعى النبوة ، ودعا إلى المسالمة والكفِّ عن الجهاد .

حكمةُ الغرب فُرقةُ النَّاس والإسومة النَّاس والإسومة مسالٍ مسن مكسةٍ لجنيسوا خبُريني اليقين : هل عصبة الأقد

سلامُ فيه تسوخُدُ العُمسرانِ قد وعاه اللبيبُ في كلِّ آن: سوام خيرٌ أو عصبة الإنسان؟

* * *

يا شيخ الحرم

ودِّع الخلسوةَ يا شيخَ الحسرم يحفيظُ اللهُ ليك الفتيان في يحفيظُ عن الغرب زجاجاً أخذوا طيول ذلَّ أظلهم القليبُ به في جنوني منك أسرارٌ بدتْ

واسمعن في الفجر منّي ذا النغَم حُكم نفس، واشتعال في الهمم علّمنهم صَدمة الصّحْرِ الأصم أدرِكِ الحيران في هذي الظُّلَم فاجْزني يا شيخُ عن هذا اللَّمم(1)

المَهدي(٢)

أرى الأقوام تمضي في حياة على قدر التخيّل في الحياة في الحياة في المهدي قاد إلى النجاة (٣)

⁽١) يعني : أن نشوته وولهه وقد عبر عنهما بالجنون أدركا أسرار شيخ الحرم ، فأفشياها ، فهو يسأل الشيخ أن يكافئه عن هذا الجنون .

⁽٢) كتب سبنجلر يقول: إنَّ ضعف المسلمين من إيمانهم بالقدر والمهدي. فردً إقبال بأنَّ هاتين العقيدتين غريبتان عن الإسلام. وكتب مولانا أسلم جرا جبوري يأخذ على إقبال أنَّه يذكر المهدي في شعره أحياناً. فكتب إقبال هذه الأبيات يبين رأيه في عقيدة المهدي، ويذكر أنَّه يتوسل بها أحياناً إلى نفخ الحياة في موتى الأحياء.

 ⁽٣) يعني الفيلسوف الألماني نيتشه ؛ الذي تكلّم عن الإنسان الكامل .

فإنْ تنفر من المهديِّ يَنفِرُ إذا منا الحيُّ من جَهل تردَّى أتُسلِم ذا الجهولَ إلى الرَّدى أم

غزالُ المِسْكِ من هذي الفلاةِ (١) بأكفانٍ وأغرقَ في سُباتِ تمرزُق عنه أثروابَ المماتِ؟

المُؤمن

إنَّ للمومن العجيب الشانِ هو في قوله السَّديدِ وفي الفعل فيه قدستة إلى جبروتٍ في أن تُولَف هذي العناصرُ كان هو تُربُّ سما يجاورُ جبريلَ لست تحدي بسره فتراه فيه عزمٌ على القضاء دليلُ فيه عزمٌ على القضاء دليلُ هو بَرد النَّدى بقلب شقيقٍ هو بَرد النَّدى بقلب شقيقٍ ليله والنهار لحنُ حياةٍ ليله والنهار لحنُ حياةٍ إنَّ فكري مطالع لنجوم

كل حين جديد شان وآنِ على الله واضحُ البرهانِ وآنِ ومسن القهرِ فيه والغفرانِ المسلمُ المستعلي على الحِدْثان ويابى الحلول في الأوطان قسارئا وهو صورةُ القرآن وهو في العالمين كالميزان (٢) وبقلب البحار كالطوفان في انسجام كسورةِ الرّحمان نجمك أعرف طلوعه في بياني (٤)

⁽١) يعني أن هذه الفكرة تعطر بها النفوس المقفرة ، وتحمل ما يحمله غزال المسك في الفلاة ، فلا تحرم الناس منها .

⁽٢) يقول إقبال في مواضع كثيرة : إنَّ عزم المؤمن من القدر أو هو مشير على القضاء والقدر ، وإنَّ رأيه وعمله ميزان الصلاح والفساد في الحياة . وهنا يقول : إنَّ ميزان الأعمال في الدارين الدنيا والآخرة .

 ⁽٣) هو تارةً كالنَّدى يبرد قلب الشقائق ، وتارةً كالموج الهائج في البحر .

 ⁽٤) يقول: أيها الباحث عن مستقبله في طوالع النُّجوم هلّم أُدلّك على أسباب السعادة ،
 فإنّ فكري يطلع نجوماً صادقة تدلّ على السّعد والنّحس .

المُسلم البَنْجابِي (١)

يحلُّ في مرحلة ليركبا قسامسره داع غسويٌّ غُلِبا هوى من العُشُّ إليها مُعجبا

مجــدُدٌ فــي كــل حيــن مــذهبـا فــي حَلبــة التحقيــق نِكــسٌ وإذا حبــالــة التــأويــل إن تُنصّــب لــه

* * *

الحُرية(٢)

ألا مَن يطيق اليوم نُصحاً لمسلم من الكعبة اجعل بيت نار وإن تشأ وإن شئت فالقرآن تأويل لاعب رأيت بأرض الهند أيَّ عجيبة

وحرية الأفكار من ربّه أمر فموثن أفرنج به الزورُ والسّحر فجدّد لنا شرعاً يلائمه العصر فإسلامُها عبد ومسلمها حُرُ

* * *

نشر الإسلام في بلاد الإفرنج

هذي الحضارة ما تديّن قلبها فأخوة الإفرنج بالعَصَباتِ فلئن تنصَّر برهميًّ لم يرال للإنكليز إليه نظرة عات وَلَو انَّهم قد أسلموا لم يرفقوا بالمسلم المنكودِ من إعنات (٣)

⁽١) عُرف أهل البنجاب بكثرة النَّحل والدعوات المبتدعة .

⁽٢) ينعى إقبال في هذه الأبيات على من يدَّعون الحرية حين يتحدثون في الإسلام وحضارته ، فإذا عُرضت أوربة وحضارتها خنعوا لها فكراً وفعلاً .

⁽٣) لو أن الإنكليز أسلموا لم يُحسنوا معاملة المسلم .

لا وإلا^(۱)

لو لم تسِر في ظلام التُّرب نابتةٌ تقضي الحياة بـ لا ، في البدء نافية إنْ لم تجىء بعدها ﴿ إلا ، مثبَّتةٌ إِنْ أَمةٌ روحها لم يمض معتزماً

ما نشَّرت في فضاء النُّور أغصانا وفي النهاية «إلا» تُكمل الشانا كانت على الموت «لا» في الدهر عنوانا عن «لا» فقد آذنت بالهُلْك إيذانا

* * *

إلى أمراء العرب^(٢)

هل يُسْعدُ الكافرَ الهنديَّ منطقه من أُمَّةٌ قبل كلِّ النَّاس قد أخذتْ إخساءٌ مصطفويٌّ دون تفسرقية ما من حدود وأرض كان منشؤُها

مخاطباً أمراء العُرْب في أذبِ بحكمة فأعانتها على النُّوب: وهجر كل غوي من أبي لهب من أحمدِ العُربِ كانت أمة العَرب

⁽١) يرى إقبال أنَّ الحياة محوَّ وإثباتُ ، أو هدمٌ وبناء . فالأمة الصالحة تمحو السيىء وتثبت الحسن . وكلمة التوحيد قائمة على نفي غير الله وإثبات الله . فإن محت الأمة ولم تثبت ، أو هدمت ولم تبن فعاقبتها الفناء ، وهو يعني هنا حضارة أوربة عامَّة والروس الشيوعيين خاصَّةً .

 ⁽۲) العرب هم الأمة التي حملت إلى الأمم رسالة الإسلام ، وعلمتها الأخوة والتعاون .
 والشاعر ينعى على أمراء العرب أن نسوا هذه الرسالة التي بلغوها ، وكانوا أحق بها وأهلها .

الأحكام الإلهية(١)

قيد القضاء تَرى أم قيد أحكام في كلَّ حينٍ ترى التقديرَ في غِير إنَّ النبات وإنَّ الجامدات لها والمؤمن الحرُّ لا شيءٌ يقيِّده

ما أعجزتُ هذه أربابَ أفهام رهينُها بين لندًات وآلام (٢) من القضاء قيودٌ ذاتُ إحكام لكن لخالفه في قيد أحكام

الموت(٣)

في اللحد أيضاً يبقى إن يسك قلب حبّاً الله على النجوم تمضي والسنداتُ فيها راحٌ إنْ مسس جسماً مسوتُ فللسوج ود قُطب بُ

الغيابُ والحضور فيالقلبُ لا صبور كَشَور يطيور كَشَور يطيور في أبيد شرور واحتجب الظُّهورور منالب عسيور

⁽۱) إقبال يؤمن بحرية الإرادة ، وينفر كلَّ النفور من الاعتقاد بالجبر والاستسلام للأحداث . وفي هذه الأبيات يقول : إن الجماد والنبات خاضع لقوانين لا يحيد عنها ، وأمَّا المسلم فهو خاضع لأحكام الله لا لقوانين طبيعية تسيره مجبراً . وهذه الفكرة تلقى قارىء شعره في مواضع كثيرة .

 ⁽٢) عالم الطبيعة والحادثات في تغير مستمر فمن خضع له تداولته اللذات والآلام .

 ⁽٣) يرى الشاعر : أنَّ القلب الحيَّ لا يموت ، فهو حيًّ بعد الموت ، طموح طلعة ،
 لا يرضى بالسكون والقرار . وإنما حياة القلب في رأيه بقوة الذات (خودي) .
 والموت لا ينال الذات حين ينال الجسم .

قَمْ بإذن الله(١)

وسمياءٌ ، قيم بياذن الله

إن تَحُـــل دنيـــا فلـــم تَفْـــنَ أرضٌ مِنْ ﴿ أَنَا الْحَقُّ ﴾ انطوى فيك قلب ومضاءً ، قـــم بــــإذن الله(٢) لا تُرغ مما ترى ؛ لفرنج سيمياء ، قسم باذن الله (٣)

في هذه الأبيات يبشِّر إقبال بالمستقبل الوضَّاء على رغم الخطوب ، ويقول : تغيرت الدنيا ، ولكن الأرض والسماء كما كانت . وكلمة « قم بإذن الله) مكررة بلفظها في الأصل.

⁽٢) يرمز إلى قصة الحلاج الصوفي الذي قال أنا الحق . يقول للمسلم : فيك روح تنتسب إلى الأرواح العظيمة .

لا يرعك ما يحيط بك من فتن الإفرنج ، فهي سيمياء لا حقيقة له .





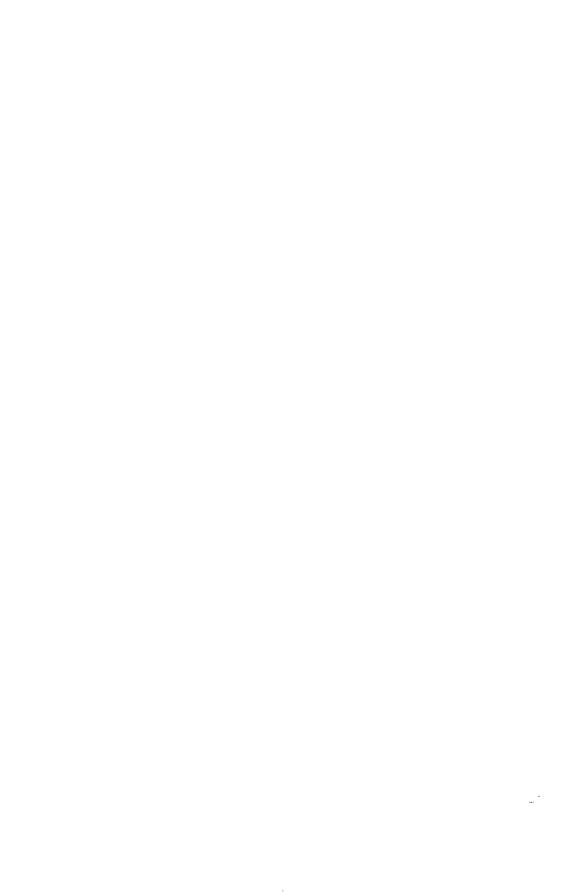


القسم الثاني

التّعليمُ والتّربيةُ







المقصود(١)

اسبئوزا:

يبصر العاقلُ الحياةَ وليست غيرَ نورٍ وجلوةٍ تُستحبُ أَنْ العاقلُ الحياةَ وليست غيرَ نورٍ وجلوةٍ تُستحبُ أَنْلاطون :

يبصر الموتَ عاقلٌ . فحياةٌ كشرارٍ بجنع ليل يشبُ ما إلى الموت والحياة النفاتٌ مقصدُ الذات رؤية الذاتِ حسبُ (٢)

إنسان هذا العصر

حُرم العِشْتَ وللعقل به تبعد العقل المعقل العقل العقل العقل المادة الما

نكَ زاتُ كشجاعٍ يشارُ (٣) ما هدى العقل لديه بصرُ وعلى الأفسلاك دام السّفررُ غسابَ عنه نععُه والضررُ ما يسفرُ ا

⁽١) يبين هنا الشاعر رأي اسبنوزا الفيلسوف ورأي أفلاطون ورأيه هو في المقصود من هذه الحياة . تُتبت هذه الأبيات في بهو فال في رياض منزل (دار السيد راس مسعود) .

⁽٢) هذا رأى إقبال.

⁽٣) النكزة : عضة الحية ، والشجاع : نوع من الحيات .

أمم الشرق

كيف تُجلى حقائقٌ لعيونٍ عَميتُ بالخضوع والتقليدِ كيف يُحيي الفرنجُ عُزباً وفُرْساً بفنونٍ تسيدُ نحو اللُحود

التَّنبه (١)

نظر المنجَّم في حِباك نجومه لكنْ مَقامُ النذات عنه يُستَر مَن يَدرِ أَنَّ النذات أَرفعُ منزلًا عَرف الزَّمان وصرفه لا يُقهر (٢) وجميل أنظار يرى وقبيحَها وحلالَ قلب والمحرَّم يُبصر

* * *

مُصلحو الشَّرق(٣)

يَسَت فلا أرجِّي في أناسِ لهم فن تلك كفن السَّامري(١)

- (۱) في هذه الأبيات ينعى إقبال أيضاً على الإنسان اهتمامه بعالم الطبيعة وإهماله نفسه ، ويقول : إنَّ تقوية الذَّات وتقديرها يعين الإنسان على الحادثات ويبصره الجميل والقبيح في البصيرة ، والحلال والحرام ، حلال القلب وحرامه (استفت قلبك وإن أفتاك المفتون).
 - (٢) أرفع منزلًا من الفلك .
- (٣) يأخذ الشاعر على مصلحي الشرق أنهم لم يخرجوا للناس شيئاً ، وأنهم لم يستمسكوا بالسنن الصالحة القديمة ، ولا أخذوا بالسنن الحديثة .
- (٤) السامري : الذي صنع لقوم موسى عجلاً من الذهب ، ودعاهم إلى عبادته ، فنَّه سحر وضلال .

سُقاةٌ في رُبوع الشرق طافوا سحابٌ ما حوى برقاً قديماً

على النُّـدماء بالقَـدح الخليِّ وليـس لـديـه مـن بـرقٍ فتـيً

الحضارة الغربية

أرى تثقيف إفسرنج فسروحُ خفسارةِ لهسمُ إذا مسا السروح جسانبها فسأيسن جمسالُ وجسدانِ

فسادَ القلسب والنَّظسر خَلَتْ مسنْ عفَّة السوطر جمسالُ الصَّفسو والطُّهُ رولط في السِّدوقِ والفِّكسر ولط في السِّدوقِ والفِكسر

أسرار ظاهرة(١)

ما بهم حاجةً إلى السيف قومٌ أيسن منك الأفلاك؟ إنَّك حُرَّ ما اصطخاب الأمواج؟ لذة سعي ليس يَهوى الشاهينُ مِنْ طولِ خفْقٍ

من حَديد يُصاغُ فيهم شبابُ وهي قَهْرٌ ذهابها والإيابُ والسابُ والسلالي يصوغها الوهاب يا أخما العرم لا ينلك التَّرابُ

⁽۱) قال موسوليني لإقبال حين لقيه : منْ ملك الحديد ملك كلَّ شيء . فأجاب إقبال : من كان هو حديداً فهو كل شيء . وقد ضمن هذا المعنى البيت الأول من هذه الأبيات .

وصية السلطان تِيبُو^(١)

طاوي البيداء شوقاً! أقبلن لا! وإن سار بليلي محملً جدول الماء! تقدَّم مُسرعاً لا تحر في مَصنَم الكونِ وسر يا مُذيبَ الحَفلِ! لا تقبل له كيل قلب ذلَّ للعقل فقد وحَدد الحقُ وثنَّي باطلً

لا تعسرُج ، منسزلًا لا تقبلَسنُ (") فامض شوقاً ، محملًا لا تقبلن واغد نهراً ، ساحلًا لا تقبلن في البرايا ، ضَلكًا لا تقبلن حُرقة ، كن مِشعلًا ، لا تقبلن قسال ربسي أزلًا : لا تقبلن فشوب حقّ باطلًا لا تقبلن

قطعة

إلى عَصبات العُرب ما أنت منتمِ ولستُ بهنديٌّ ولا أنا أعجمي

⁽۱) السلطان تيبو كان من ملوك المسلمين في ميسور جنوبي الهند . وقد حارب الإنكليز زمناً طويلاً ، وحاول أن يؤلب عليهم دولاً إسلامية ، ويتفق مع نابليون ، وكان في مصر حينئذ . فجمع له الإنكليز ما استطاعوا . فلما يئس من النصر ألقى بنفسه من قلعة فمات سنة ١٢١٣هـ .

وهو عند إقبال ممن تتجلَّى فيهم (الذاتية) فقد جعل هذه الوصية على لسانه . وفي هذه الأبيات أصول من فلسفة إقبال :

يدعو إلى السير الدائب ، وهجر المحمل ولو في صحبة ليلى ، وإلى المضي والتقدَّم والنماء ، فهو يدعو جدول الماء أن يسير حتى يصير نهراً ، وإلى السيطرة على هذا الكون والعلو عليه حتى لا يضل الإنسان فيه ، وإلى أن يحرق الإنسان بحرارة ذاته ولا يقبس من أحد ناراً ، وألا يذل القلب للعقل .

⁽٢) القافية مردوفة والروي اللام في منزلًا وساحلًا . . . إلخ .

فقد علَّمتني (الذاتُ) تحليقَ نافرِ بعينك أنسي كافرٌ غير مسلم فدينُك تعدادٌ لأنفاس مُحجم تبدَّلتَ فالتبديل في الشرع حكمةً فلست أرى في بيدِك اليومَ جِنّةً إذا حاد عن نار الحياة منغَّمً

يمرُّ على الدارين غيرَ محوَّم وأنت بعيني كافر غير مسلم وأنت بعيني كافر غير مسلم وديني إحراق لأنفاس مُقْدِم (١) فليس يُطيق الظبيُ شِرعة ضيغَم (٢) تشبُّ بهذا العقل ناز التَّقدُم (٣) فموتُ شُعوبٍ لحنُ هذا المنغَم (٤)

* * *

اليقظة

خِدنُ حقّ تنبّهت فيه (ذات) نظراتٌ لسديه تُشرقُ فيها إيه عبد الآفاق! كيف تداني أنت في البرّ قاعدٌ عن طِلابٍ

كالحسام المصمِّم البرَّاقِ ما انطوى في الذرّاتِ من إشراق رجال الله صاحب الأفاق وهو في البحر مَحرم الأعماق

* * *

تربية الذات

ربّب (الذاتَ) بالرعاية تُبصر (كفُّ تُرب) يُشيع في الكون نارا(٥)

⁽١) أنت تدين بالسكون والإحجام ، فحياتك عدُّ أنفاس ، وأنا أدين بالجد والإقدام فحياتي إحراق أنفاس .

⁽٢) كرر إقبال هذا المعنى ، يقول: إن الجماعة إذا ضعفت لم تستطع السير على شريعة القوة ، فهي تعمل في تبديلها بدل أن تبدل نفسها .

 ⁽٣) يرمز إلى هيام مجنون ليلى في البيداء . والجنون في شعر إقبال الإقدام في غير مبالاة .

إذا لم تكن الألحان ناطقةً بحرقة الحياة وكدِّها فهي مميتة للهمم .

⁽٥) تكثر الكناية عن الإنسان بكف من تراب ، أو قبضة من تراب .

إنَّ سـرَّ الكليـم فـي الـدهـر بيـدٌ وشُعيـبٌ والـرعـيُ ليـلَ نهـارا(١)

حرية الفكر

بحرية الأفكار هُلك جماعة إذا لم يكن فيها تَدَبُّرُ عالِمِ فحرية الأفكارِ في رأسِ جاهلٍ طريقٌ لِرَدِّ الناس مثلَ البهائم

حياة الذات

لِنَّ ترى طُغرَلًا أو سنجَراً لا يشاكلُ^(۲) غُ إِنِ الذَّاتُ حيَّت فالحزونُ مخاملُ ه وفي موته موجُ السَّراب سلاسلُ

إنِ النَّاتُ حَيَّتُ فَالْفَقِيرِ مَمَلَّكُ إِنِ الذَّاتُ حَيَّتُ فَالْبَحَارُ ضَحَاضَحٌ ترى في الحياة الوحشَ قاهر لجَّه

教教教

حكومة (٣)

يَرضى المريدونَ قولَ حقَّ ليسوا عن الحقِّ بالعُتاةِ والشيخُ قولَ الفقير يَقلي وليسَ للحقِّ بالمُواتي قلد قَعَدَتُ أمَّةٌ وباءتُ في حَلبة السَّعي بالخَزاةِ إنْ شغلت عقلَها ببحث فلسفة السَّع والصَّفاتِ

⁽١) يعني فسحة البيداء وتربية روح عظيمة كشعيب ، والجد الدائب .

⁽٢) طغرل وسنجر من ملوك السَّلاجقة .

⁽٣) بمعن*ي* حکم .

دستورُ ذا الدير ليس فيه لكنما راحسه نصيب الكنما والحسام الشهاد الشاباب فيها

للخمر والشَّرب من ثَباتِ (١) لأمـــة حُـــوَةِ السَّمــاتِ المُساتِ المسرُّ مــن مــورد الحياة

* * *

المدرسة الهندية

إقبالُ أقصر، هنا لا تُعرف الذاتُ الخير ألَّا تُعرف الذاتُ الخير ألَّا تُعرق عيم عين قُبَّرة فلحظة الحرَّ عام للذليلِ فكم ولحظة الحرَّ من خُلدِ رسالتُه وفكرة الحرَّ من حتَّ منورة كيسرامة حيَّة مساثلة

فما لمدرسة هذي المقالاتُ من البُزاة مقاماتُ وحالاتُ تبطى السَّيرَ بالعُبدان أوقاتُ ولحظةُ العبد من مَوتٍ فُجاءاتُ وفكرةُ العبد تغشاها الخرافاتُ والعبدُ منْ غيره تأتي الكراماتُ تصويرُه ولحونٌ والنباتاتُ (٢)

* * *

التربية

ليسس فيسه مِسنُ خفساءُ وهسي فسي القلسب ذَكساءُ (٣) ومتسساعٌ وثــــــــــراءُ

ف رق علم وحياة ه وحياة ه وحياة ه وحياة ه وحياة الماء الماء

⁽١) يكني عن الدُّنيا بالدَّير القديم ، وقد حذفت القديم في الترجمة .

⁽٢) يعني : حسب الذليل أن يعنى بهذه العلوم والفنون ، لا تدرك نفسه معاني الحياة السامية التي تسيطر بها على العالم .

⁽٣) ذكاء : اتقاد .

مُعضِ لُ أَنْ لي سس في في وأول و الأبصار نسزرٌ لي سس بي دعا أنَّ كاساً ما طريقُ الشَّيخ في المكتب كي في المكتب كي في المكتب إشعا

في خُطا السَّيسر اهتداء وأولسو العلسم زُهساء للعلسم زُهساء للسك مسن راح خَسلاء للقلسب ضياء (١) للقلسب ضياء الكهسرباء؟

الحسن والقبيح(٢)

إنَّ للفكر طُلوعاً وغروباً كنجوم سابحاتٍ في العوالي عالم النقال عالم النقال القبح في العوالي عالم النقال المنتفال المنتفال النقال النق

* * *

موت الذات

من ممات الذَّات في الغرب ظلامٌ مِنْ ممات الذَّات في العُرب خمودٌ مِنْ ممات الذَّات في الهند جَناحٌ مِنْ ممات الذات يُعري مسلماً

وبموتِ الذَّات في الشرق جذامُ ولسدى العُجسم عسروقٌ وعظامُ ولسدى العُجسم عسروقٌ وعظامُ هيضَ في الأقفاص والعشُ حرامُ مِنْ ثيابِ سادنُ البيتِ الحرام (٣)

 ⁽۱) المكتب ـ المدرسة : وفي تركية : المدرسة خاصة بالعلوم الدينية ، والمكتب لما
 يسمى مدرسة في مصر . والكلمة بعينها في الأصل .

 ⁽٢) هنا رأي لإقبال في الحسن والقبح متصل بفلسفته في الذات وقوتها وعلوها . يقول :
 ما تدركه الذات في اعتلاثها جميل ، وما تدركه في استفالها قبيح .

 ⁽٣) في الأصل (شيخ الحرم يبيع ثوب الإحرام ويأكله) والمعنى أن موت الذات قعدت بالمقيمين في الحرم عن المساعي، وسوغت لهم سفساف الأمور، فطوعت لهم =

ضيف عزيز

ضميرُ أولي المدارس في ازدحام وهــذا العصــرُ مــاض فــي هــواه ففي جَنَبات قلبك أخل بيتأ

بأفكار كما امتلأ القفيز جميالاً من قبيع لا يَميسزُ عسى يشوي به ضيفٌ عزيزُ(١)

العصرُ الحاضر

فأينَ يُصيب المرءُ ناضجَ فكرةٍ مدارسُ فيها كللُ عقل محررٌ أطاحت بعشق الغرب أفكار ملحد

وأجواءُ هذا العصر لا تُنضِجُ الثَّمر ولكن بها الأفكارُ عِقْدٌ قد انتثر وعبَّدَ عقلَ الشَّرق فَوضي من الفِكَر

طالب العلم^(۲)

الله يحب وك عِلماً بمائجاتِ العُبابِ ف___إنَّ بحـــرَكَ رَهْ __و ما يُبْتَلَى بـاضطـرابِ لـــن تستطيع فــراغــاً فــي السّفْـر مـن أبـواب

- أنفسهم أن يأخذوا ثوب الإحرام ليعيشوا به .
- ينبغي أن يخلى القلب حيناً من الأفكار المتزاحمة التي تشغله ليفرغ للواردات النفسية ، والمعانى الروحية العالية .
- يريد إقبال بالتعليم إيقاظ نفس الطالب، وتحريكها، وإثارتها للنظر، وحفزها للمطالب العالية ، لا تلقينها مسطورات الكتب .

ف_أنـــت قـــاري كتـــابِ ولســـتَ أهـــلَ كتـــاب ***

امتحان(١)

بسق وط وانتك اس تفتخر! وأنا يشتاقني بَحر وبَر وبَر كيف تُدرى أزجاجٌ أم حجر ؟

قال نهرُ الطَّوْد يوماً للحجر: أنت للأقدام والغم لَقَّى لم تُدَهْدَهُ من جِدارٍ مررَّةً

المدرسة(٢)

مَلَكُ الموتِ عصرُنا يتوفَّى يَرجُف القلبُ مِنْ كفاحِ حياةٍ أبعدَ الدرسُ عن حِجاك جُنوناً عين وجاك جُنوناً عين صقر مُنِحتَها وعليها حجيتُ دونك المدارس سرّاً

كل نفس بفكرة في المعاش وهي منوت لمُشفق من هراش صاح بالعقل: لا تَلُذ بنِقاش (٣) وضع السرق نظرة الخفّاش هو في البيد والرّواسخ فاش

**

⁽۱) في الأبيات التالية يضرب إقبال مثلًا لرأيه في أنَّ الكدَّ والجهد يقويان الإنسان، ويرفعانه، وأنَّ الحياة لا تكمل دون عناء _ يمثل بالنهر المتحدر من الجبل يهوي من صخر إلى صخر . . . إلخ .

⁽٢) يقول إقبال : إنَّ المدارس وسيلة إلى الوظائف ، وسبيلٌ إلى المعايش ، وهي لا تقدم بالإنسان على جهاد الحياة ، بل تهبط بالفطرة ، وتحجب عن الإنسان أسرار الخليقة . وإن يكن عنى مدارس الهند فما أشبه كثيراً من المدارس بها ! .

 ⁽٣) جنونٌ يقول للعقل أقدم ولا تتعلل بالجدل وتلذ بالمعاذير .

الحكيم نيتشه^(١)

لم يكن أهل نكتة التوحيد سرة معنى ب(لا إله) بعيد وحوى الشمس بالخيال المديد لذة الإثم نُصبُ طَرُف حديد

أي قدر لذا الحكيسم ولكن ليسس إلا لذي البصيرة يبدو أرسل الفكر أسهماً في سماء طاهر الطين في الترهب لكن

* * *

الأساتذة

فما شعاعٌ رمَته الشمسُ حيرانُ^(٢) وللروايات عممَّ الأرضَ إذعانُ يقودها العصر ما فيهنَّ نُكرانُ إنْ كان تربية الياقوتِ مقصِدَنا وما المدارس أو ما الدارسون بها كانت جديراً بقود العصر أدمغة "

* * *

قطعة

ا ينسام مُسرجٌ عين هِزيْسٍ في الظلامُ الأرض حمامُ الحديدة المنام الأرض حمامُ

يبلع المنزل سار لا ينام إنّما للعبد تُمنَى راحة "

⁽١) إقبال يعجب بنيتشه الفيلسوف الألماني وفي فلسفته شبه بفلسفته ، ولكنه يأخذ عليه أنّه عرف العقل لا القلب ، وأدرك العلم لا العشق . وهنا يقول : لم يكن (لنكتة التوحيد أهلاً ، وأنه كان صرورة عفّاً ، ولكن كان يتشوّف إلى لذة الإثم ، فيكثر الحديث عنها » .

⁽٢) يقول الطبيعيون القدماء : إنَّ العقيق والياقوت ونحوهما من الأحجار النفيسة تنضج بأشعة الشمس . ويقول إقبال : إن كان القصد تربية النشء فلا تجدي هذه الأشعة الحائرة المتفرقة . تربية النشء تقتضي أن يؤثر الأساتذة في التلاميذ تأثير أشعة الشمس المتجمعة في الأحجار النفيسة .

قد أزاغ العين في الغرب سناً ذاكم الحفال الذي أكوسه أعمَت الأسفارُ حِسًا فالصّبا

لك من صاحبِ ﴿ ما زاغ ﴾ إمامُ (١) كنجوم ، لمحة فيه المُقامُ لم تعطّر لك من روضٍ مشامُ (٢)

الدِّين والتعليم

قد عرفنا قدر أشياخ الحَرَم ولتعليم النَّصارى نغمم تكتبُ النَّلُ على أقدارها ربما تَغفِيرُ للفيرد ولا

كلُّ دعوى دون إخلاص سَقَم ليس من دين وخُلْف ذا النَّغَم أمَّةٌ بالذات فيها لا تُهَمَّم تغفِّر الفطرة آثام الأمسم

إلى جَاوِيد (٣)

- 1 -

حَـربٌ على الأديان ذا الـزمانُ مـركّـبٌ فـي طبعـه الكفـرانُ

(١) يشير إلى الآية في سورة (النجم) ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم : ١٧] وصاحب
 ما زاغ هو الرسول عليه السلام .

(٢) يعني أنَّ العكوف على الكتب أمّات الحس . فالصَّبا تمرُّ على الروض ، وتأتي الأيك
 فلا تشم رائحة الروض فيها . حجبت الكتب عن النفس إدراك المعاني الروحية
 العالية ، وأغفلت الإنسان عن وحي الكون .

(٣) جاويد ابن الشاعر ، وباسمه نظم (جاويد نامه) الديوان الخالد .

سُدّة أهل الله والله الكنها والكنه والحدق الحسر سحر سحر عين الحياة ماؤها نَضُوبٌ مَن كان في نظرتهم سهامٌ لكنما السدّار التسي سراجٌ ان تك (لا إله) في ضمير عُشُك فوق (الذات) أحكِمَنه الآدمي يُ يصا بني بحرر الدون حَبّة ترى السوف حَبّ المنوف حَبّ لا تغفلُ في في المنات حين لغير لغير لغير لغير المنت حين لغير المنت حين لغير المنت حين لغير

أرفع مما شيّد السلطان السّحر في أموره ميران السّحر في أموره ميران في أموره ميران في أيران والريحان منهم خيلا الكُتّاب والديروان أنت لها مَذاقُها عِرفان أن في الغرب من تعليمه أمان شم اطربَن ما شاءت الأغصان في كمل قطرة به طروفان أميا جفا راحته المدّهقان العلم حصّل واسْتَهِنْ بالصّغب

_ ۲ _

إنْ لم يكنْ في الصَّدر حرُّ قلب إن ينشَـطِ الغـزالُ فـي ذَكاء ماءُ الحياة هاهنا قريبٌ فـي غيرة أرى طريب وَحقَّ

لم تنضع الحياة في هُمام لم يظفر الصَّيادُ بالمَرام (٢) طريقُه حرارةُ الإقدام (٣) الفقرُ بالغيرة في تَمام

⁽١) يعني : دار إقبال التي نشأ بها جاويد .

 ⁽٢) إنّما يصاد الصيد حين يغفل ، أو يبطىء . فإن كان يقظاً وثّاباً لا يظفر به الصياد .
 فالإنسان لا تخضعه الحادثات إن صحبه الذكاء والإقدام .

متى تحمل القلب الذَّكيّ وصارماً وأنفاً حمياً تجتنبُكَ المظالمُ (٣) ماء الحياة يوجد في هذه الدنيا والسبيل إليه الجدُّ والكدُّ ، وشدَّة العطش . كما قال في رسالة المشرق :

غصن ألحياةِ نسدي من ظمننا في الطّلاب

يا قرة الأعين مستحيلً ليس المقالُ في الأنام نرراً وإنما بين السورى متاعي وإنما تراني وصدقُ أقوال بها تراني مسوهبة الخالاق لا تُراثُ لنور عينيه يقولُ نصحاً أبوت بال

لساشت ضراعة الحمام (۱) كم أنوري عندهم وجامي (۲) نُواحُ خالِ في دُجى الظّلام في نظر السَّنيا من الكرام نساهة السَّدُكر على الأيّام ما أجمل المقال من نظامي (۳) في حَلبة السَّبق إلى المعالي

_ ٣ _

عب على المؤمن ذي الليالي ولا أرى نشوان في كفي حفي المفات في المؤمن ثالث في المؤمن ألا المؤمن ألا المؤمن ألا المؤمن المؤمن المؤمن المؤمن ألا المؤمن المؤمن المؤمن ألم المؤمن ألم المؤمن المؤمن المؤمن ألم المؤمن

السدِّينُ والسدولةُ فعلُ هازي فليسس إلا كَلِسمٌ نَسوازي وابتغ فقراً أصله حجازي⁽²⁾ كسالله مستغسن بسلا إعسواز فإنما هذا مقام البازي ما بابن سينا كُجِلت والرازي إنْ لم يكن طبعُك من إياز⁽⁰⁾ من نَفَخات النَّاي في اشمئزاز⁽¹⁾

⁽۱) الباشق ضرب من الطيور الجوارح. ولا يذل الباشق كالحمام، فكذلك الكرام لا تضرع ضراعة الحمام.

⁽٢) ليس الكلام في الناس قليلاً ، فكم فيهم من شاعر مثل الأنوري والجامي . وهما من كبار شعراء الفرس .

⁽٣) نظامي شاعر فارسي كبير ذكر في مقدمة هذه الأبيات .

⁽٤) فقر نسب إلى الرسول الحجازي . راجع المقدمة في الكلام على الفقر .

⁽٥) السلطان محمود بن سبكتكين وغلامه إياز يشيع ذكرهما في الآداب الإسلامية الشرقية . وضرب محمود وإياز هنا مثلاً للعظمة والحقارة .

 ⁽٦) فذاك : إشارة إلى الفقر فنفسه لا يلائم الناي ولكن صور إسرافيل .

سارية بالكون في ارتجاز بلا سلاح في الزمان غاز عطيَّة الموهَاب هذا الفقر نظرتُ الليالي و وصاحب الفقر الغيور هذا إمارة المؤمن فيه سرو

* * *







القسم الثالث

المَّراُةُ







الرَّجل الإفرنجي

مشكل المرأة في هذي الحياة شهدت بالطُّهر كلُّ النَّهُ راتِ

كـم حكيـم قـد تمنّـى حلّـه لا تلُمها في فساد شائع عِشرة الإفرنج نهج مُفسدًّ جهل الحمقي طباع المحصّنات

سؤال

له الرومُ والهندُ يُزجى سؤالُ: حيالُ النِّساءِ وعُطْلُ الرِّجال ؟(١)

إلى عالم الغرب من أسلست كمال معاشرة عندكم

حِجاب

ولم تَنضُ دنياك هذا الإهابُ فندي في نقاب وذا في نقابُ (٢) ومن بَـرزتْ ذاتـهُ مِـنْ حجـابْ ؟

ارى فلكاً كال حين للون ولا فرق ما بين عرس وعرس ولم يمزل النَّاس رهمنَ حجابٍ

⁽١) الحيال: الخلو من الحمل.

⁽٢) نقاب الرجل والمرأة في هذا البيت يفسره ما في البيت الذي بعده ، أنَّ الذات لا تزال في حجاب . والعرس : الزوج للرجل والمرأة ·

الخلوة

فَضَحَ العصرَ جِنَّةٌ بِالشُّفُورِ إِن تَجُر متعة العيون مَداها قطرة المساء لا تُحسول دُرًا تُمسكُ الذَّاتُ نفسَها حين تَخلو

نُـورُ عَيْـنِ وظُلمةٌ في الصَّـدورِ كـان فيهـا الشتـاتُ في التفكيـرِ دون أصــدافهـا بقـاعِ البحـورِ لا خـــلاءٌ بمسجــدِ أو ديــورِ

* * *

المرأة

إنّم المراأة لون في رسوم الكانسات لحنه النفث نار السوجد في صدر الحياة ذلك الطيان تعالى في صدر الحيات ذلك الطيان تعالى في صوق أنج النّيسرات إنها ذرجٌ لديها كيلُّ دُرَّ من صفات ما لأفلاطون تسروي من قضايا معضلات وهُو منها كشرار من ذكي الجَمرات (١)

* * *

حرِّيةُ النِّساء

قضيةً عصر لستُ فيها بفَيْصلِ وإنْ كنتُ بين الشَّهد والسُّمِّ أفرِقُ وما نفعُ أقوالِ تـزيـدُ مَـلامتـي وقبـلاً بنو التمـديـن عنِّي تفرقوا يبيِّــنُ هــذا السِّــرَّ وجــدانُ مــرأةٍ ويَعْجِنُ عنه في الرِّجال المحقِّقُ

⁽١) يعنى : أن المرأة لا تتفلسف ، ولن تلد الفلاسفة .

أحــرّيــة النّسـوانِ أجمــلُ زينــة أم الجيـدُ بـالـدرّ الثميـنِ يطوّقُ (١)

حصانة المرأة

من حاز برد دِمائه عَصَبُ لا العلم يحفظها ولا الحُجُبُ فكسوفُ شمس فيهم كَثَبُ

في الصَّدر حقُّ ليس يُدركه حفظُ الأنوثة في يدي رجلٍ إنْ غاب هذا الحقُّ عن أمم

* * 1

المرأة والتعليم

مَوْتَ الأمومة إن رامت حضارتُهم فالموتُ عاقبة الإنسان في الغرب إنْ يجعل المرأة التعليمُ لا امرأة فالعلمُ مَوتٌ يراه صاحبُ القلب إنْ تحرمنَ الفتاة الدينَ مدرسةٌ فالعلمُ والفنُّ موتُ العِشق والحبُّ (٢)

* * *

المرأة

ووحدَه يتجلَّى جوهـرُ الـرَّجـلِ كيـانُهـا لــذَّةُ التخليــق كــالشُّعَــلِ

بغيره يتجلَّى جـوهــرُ امــرأةِ حـرارةُ الشَّـوق سـرٌ فـي بــلابلهــا

- (١) هذه قضية لا يفصل فيها إلا المرأة : أحرية المرأة كما نرى اليوم أحبُّ إليها . أو غل عنقها بعقد من اللؤلؤ في رعاية زوج وصيانة بيت .
- (٢) إن أغفلت المدرسة الدين الذي يحفظ للمرأة حرمتها وحدودها ؛ فعلمها وفنها موت عاطفة المرأة ، وذهاب الحب الحق .

من هذه النار أسرارُ الحياة بَدَت كذلكم في فؤادي للنساء أسئ

والخلقُ والموتُ منها في وغيَّ زَجِلِ لكنَّهـا عقـدةٌ أعيـتُ على الحيـل^(١)

* * *

⁽١) هو كذلك يرثي للمرأة مما أعدتها الفطرة له وما حملتها إياه . ولكن لا حيلة لأحدِ في هذا .





القسم الرابع

الأدب والننون







الدِّينُ والفنُّ

الدِّينُ والفنُّ والتدبير والخُطَب كَلُّ يُحيط بمكنونِ يَضنُ به ؛ ومن ضميرِ سليلِ الطِّين مطلعُها إنْ تحفظِ (الذاتَ) هذي فالحياة بها كم أمةٍ تحت هذي الشمسِ قد خَزِيتْ

والشَّعر والنَّش والتحريرُ والكتبُ في صدره يتوارى جوهرٌ عَجَبُ لكنْ لها من وراء الرُّهْر مضطرَبُ^(۱) أوْ لم تطقْ ذاك فهيَ السِّحر والكَذِبُ^(۲) إذْ جانب الذاتَ فيها الدِّينُ والأدبُ

* * *

التخليق

جِدَّةُ الدُّنيا بتجديد الفِكر همَّةُ الغائص في « الذَّات » لها قاهرُ الأيام من أنفاسه ريحُ أصحابٍ من البيد أتت

ليست الدُّنيا بصخير ومَدَرُ من غديرِ الماء بحرٌ قد زَخَر هي أعمارُ خلودٍ في الدَّهَر لا عجيبٌ إنْ بدا خِدْن سفَر (٣)

^{***}

⁽١) سليل الطين: الإنسان.

 ⁽٢) الدين وسائر ما ذكره في البيت الأول مقصدها حفظ الذات . . . إلخ .

⁽٣) يعجب إقبال بالبادية : لأنَّ الذات فيها أقوى ، ولذكرى الرسول وأصحابه الذين أخرجوا للعالم الحياة والقوة . وهو يجد من البادية ريحاً تبشر بصاحب مسعد له ، يدعو دعوته ، ويحقق أمله .

جُنون

وطـوى البيـدَ ـ ويحـه ـ المجنـونُ

واهمن البيست شماعمر وفقيمة في طمياح الجنون أيُّ كميال حين تعدو البيداء منه فنونُ (١) فله في المدروس أيضاً مجالٌ ليس وقفاً على الفيافي الجنون

إلى شعره

همت فسى حُسبُ الطلوعُ __رارُ عـن قلبي تَشيــغ فيه مسن نسار ضلسوغ

لىن مىن فعلىك شكرى: شغيت عين قلبيي فالأس لا تك___ن مشكل شكرار والتميس خليوة صيدر

مسجد (باریس »

يا نظري لا يخدعنك فنه للـــرُور هـــذا الحــرَمُ المغــرُبُ وليــس هـــذا حــرَمــاً لكنّــه عند الفرنج للغرام ملعب في صورةٍ من حرَم تُكلُّبُ (٢) قد أخفيت الإفرنج رُوحَ مَوثين إنَّ اللهٰ شيّد هلذا موثَناً

إن تجاوز البيداء إلى الحضر فنونه ، وفيه إشارةٌ إلى مجنون ليلي . (1)

⁽٢) الموثن : معيد الأوثان .

الأدب^(١)

من العقل الإلهي القويم على عَتبات محبوبٍ غريم وأحيا الروح في جسدٍ قديم

رأيتُ العشـق يقفـو اليـوم نهجـاً وليـس يُــريــق مــاءَ الــوجــه ذلّا محــا التقليــدَ فــي روح قــديـــم

* * *

البصيرة

السربيع النضير مسل الفضاء وشباب ومتعسة وسسرور وشباب ومتعسة وسسرور وعيون النُجوم في حَلَك الليل وعروس الهلال في هودج الليل وتبدي ذُكاء في رونق الصبح سرح العين ، لا تكلَّف أجراً

وجيبوش الشَّقيتِ في الصحراء ودلالٌ ونشوة بسالفَتاء (٢) وسَبْح الأفلاك في الدأماء (٣) تهسادى بمسوكسب للقاء وصمت الأفلاك في ذا الرواء لا يباعُ الجمالُ في ذا الفضاء

* * *

مسجد تُوة الإسلام(٤)

لـم يبـق إلا ادّكارُ مفقـودِ (٥)

تملأ صدري هموم مفوود

⁽۱) بهذا يُجمل الشاعر طريقة الأدب الحديث ، فهو مزاج من القلب والعقل . وهو يجدد الروح في صور قديمة ، أو يحرر من التقليد الأرواح العتيقة . (كُتبت هذه الأبيات في بهوفال . ـ رياض المنزل ـ دار السيد راس مسعود) .

⁽٢) الفتاء: الشباب.

⁽٣) الدأماء: البحر.

⁽٤) مسجد عظيمٌ شامخٌ في دهلي ، هدمت بعض جدره .

⁽٥) المفؤود: حزين الفؤاد.

قد خمدت « لا إله » لا حُرَقٌ في الخلق كلُّ العيون تنكرني مِنْ صَخركَ المسلمونَ في حجَلٍ في المُسلمونَ في حجَلٍ في إنَّما كُفَ ما تمثّله ألله علي الله تكبيره ليذي أذُن وما صلاتي بقلب ذي حُرَق ولا أذاني جيلالُ مقتدر

ولا تجال أسواء ملحود أعيا إيازاً مقام محمود^(۱) لجوهر كالرجاج معدود^(۱) صلاة حُر ربيب توحيد فيه وغي هالك وموجود ولا دُعائي دعاء معمود فكيف ترضى سجود رعديد

* * *

مسرح

تضيء حريسمَ وجودكَ ذاتُك لها فوقَ أوجِ الثُّريسا مَقسام أمِن « ذات » غيرك تَعمُر قلباً فلا تبعثن وُثنَها بعسد موت كمال المحاكاة أنت تَفنى

كِفَاحٌ بها وسرورٌ حياتُك جُليتَ بها وتجلَّتُ صِفاتُك معاذ الإله! تُرَى أين ذاتُك؟ فتحيا مناتُك فيها ولاتُك (٣) فيكفيك هم الحياة مماتُك (٤)

^{* * *}

 ⁽١) السلطان محمود وإياز مولاه ، أي لا ينال العبد مقام السيد .

⁽٢) لجوهرهم الضعيف كالرُّجاج .

 ⁽٣) الوثن : جمع وثن . ومناة واللات صنمان ذكرا في القرآن .

⁽٤) كمال التمثيل أن يفنى الممثل فيما يمثله ، فعليك أن تفنى فيمن تحاكيه ما دمت مقلداً فتستريح من عناء الحياة .

شعاعُ الأمل(١)

_ 1 _

تنادي أشعتَها في ضجَر عجبتُ لدنيا نهارٌ وليلٌ إلامَ الهيامُ بهاذا الفضاء فلا دِعَةٌ في اتقادٍ برملٍ ولا دِعَةٌ في دوام طرواف تجمَّعُن في صدريَ المستنير

ذُكاءُ وتجمعُ منها النشَوْلَ) عجبتُ عجبتُ لدنيا الغِيَر وجورُ الرَّمان بكنَّ استمرّ تَسلألاً ذرَّاتُه كسالشَّرر طواف الصَّبا في رياض الزَّهر ودعْن البداة ودَعْن الحضر

_ Y _

تداعى الأشعة من كل صوب وصاحت: تعلَّر في الغرب نورٌ وضاحت الشَّرق قلبٌ بصيرٌ ولكن أنوارَ العوالم الانهجُرينا

إلى الشمس تبغي لديها قرارا دُخانُ المصانع يكسوهُ قارا كعالَم غيب بصمت توارى إلى نور صدركِ آوى الحَيارى(٣)

_ ٣_

شُعاعٌ جسريءٌ لسه نظرةٌ ولا يستقرُ علسى حسالة يقول: أضيءُ على الشرق حتى

كنظرة حرراء تغزو الضمير ترى زئبقاً في ضياء يمور أرى ذرّة كشمروس تنير

⁽۱) لعلَّ الشاعر يعني نفسه بشعاع الأمل . الشمس يثست من إضاءة في الشرق أو الغرب ، فدعت أشعتها إليها ، فجاءت الأشعة إلى صدر أمها معترفة بيأسها إلا شعاعاً جريئاً يقول للشمس : ذريني أضيء الشرق ، ولا تيأسي ، فكل ليل إلى صباح . الشاعر يرى في أمله ودعوته في الشرق هذا الشعاع .

⁽٢) النشر: المنتشر المتفرق.

⁽٣) الخطاب للشمس .

وأجلو عن الهند هذا الظلام ففيها من الشّرق آماليه تفييء بها أعين النيّرين وكم عاش في أرضها غائص في أرضها عائص فاعوز أعوادها عازف ينام البَرَهْمَنُ في سُدّة ومسلمها نجسدُنُ محرابه فلا يحزُننكِ من الشرق نوم قضت فطرة الله أن تُبدلي

ف أوق ظُ نُ وَامها النَّسُورُ وَإِقْبِ اللَّهُ وَإِقْبِ اللها اللَّهُ مِ اللَّهُ مُوعِ مَطير حصاها يَلوح كدرُ منير يرى كالضَّحاضِح لجَّ البحور وكانت تهيجُ الجَوى في الصدورُ للدى مَوْثَنِ والزَّمانُ يسيرُ للدى مَوْثَنِ والزَّمانُ يسيرُ ينسوحُ ومن قَدر يستجير ينسوحُ ومن قَدر يستجير وفي الغرب لا ترهبنَّ الشُرور (١) بليل الظرب لا ترهبنَّ الشُرور (١) بليل الظرام صباحَ السُّفور

**

أمل(٢)

لستُ من أجنادِ حربِ
بيد أني في صروف الدَّهُ
عُلدَّتي ذكر وفكر وفكر عُلدِ الدِي أهرو العلام المحلوب المحلوب المحلوب المحلوب الكفر المحلوب المح

لا ولا ربُّ لــــــواءُ
ــــر ثَبَـــتُ فــــي اللقـــاءُ
وهُيـــامٌ وغنـــاءُ
أم ســــواه ذا العطـــاءُ
فــــي محيَّــاه ضيـــاءُ
الكـــون منــه فـــي امتـــلاء
يــــكُ كفــــراً ذا البـــلاء
هـــود للحـــر سِبــاءُ
عـــود للحـــر سِبــاءُ

⁽١) الخطاب للشمس.

⁽٢) كتب في بهوبال رياض منزل (دار السيد راس مسعود) .

⁽٣) هو يدري أنَّه وهبه الذكر، والفكر، والهيام، والغناء، ولا يدري أهذا شعر أم شيء آخر.

⁽٤) ليس أقل من الكفر أن يأسر الحرُّ ما يراه ويشهده ، فيقيد به فكره وعمله . فالحرُّ =

______ أدوارٌ وضـــــاءُ لا تــذب غمّــاً فكــم فــى الــدهـ كسم نجسوم حسادثسات سيوف تجلوها السماء

البصيرة

لم تُخفِ هذى الكائنات ضميرَها إنْ صاحبَ النظراتِ شوقُ بصيرةِ من ذي البصيرة في الليالي قد غدا مِنْ ذي البصيرة لي جنون ثائر هـذى البصيرةُ لا تيسًر لامرى؛

شــوقُ الظُّهــور يَشــورُ فــي ذرَّاتهــا أنياء من خضعوا لها ساداتها عَرفت به الذَّراتُ طيَّ فلاتها(٢) تَخْدِرَى القلوبُ بنفسه وسماتها

إلى أهل الفنِّ (٣)

رأيت الكواكب لَمْحاتِ نور وذاتُك بالعِشْق رَهن خلود

لا يقيده ما يسمى (الأمر الواقع) .

يعني أنَّ نظرة البصيرة تنفذ إلى حقائق الأشياء فترى الدُّنيا على غير صورتها الظاهرة .

الجنون : هو الحماس والإقدام . ويعني الشاعر أنَّ بهذه البصيرة ثار هذا الجنون في نفسه ، فهذه الذرات التي تطوي الفلاة تعلمت من جنونه طي الفلاة . والشاعر يقرن الجنون بالفلاة إشارة إلى قصة مجنون ليلي (تراجع المقدمة في معنى الجنون) .

مذهب الشاعر أنَّ الفنَّ ينبغي أن يحرر من محاكاة الطبيعة ، وينبغي أن يصور « ذات » صاحب الفن . فالكواكب لمحات من نور لا ثبات لها ، و﴿ الذَّاتِ ﴾ العاشقة خالدة . وضمير الإنسان لا تحده الألوان . والذات تخلو للذكر والفكر ، وتظهر للشعر والإنشاد غير خاضعة لهذا العالم . والرُّوح المستعبدة فيها عبد ، والروح المقدرة نفسها تسيطر على كل شيء .

تعالى ضميرك عن كل لون وغيبة ذاتك ذكر وفكر إذا أضنَست السروح آلام رقً وإنْ عرفت قدرها كنت حقاً

فعفت من اللَّونِ كلَّ القُيودُ ومحضرُها شعرُها والنَّشيدُ ففنُّك عبددٌ رهين سجودُ على الجنَّ والإنس ربَّ الجنودُ

* * *

قطعة

ثائِرَ الموج كم لدى البحر درُّ في شَراري سنا البروقِ ولكنْ ولكَ الوقتُ والتصرُّف فيه قد رأينا عجيبةً من جنونٍ إنَّما الكامل الخلاعةِ شهمٌ وإلى اليوم حانةُ الشَّرق فيها يئسس المبصرون من أمم الغ

وعلى السَّاحل الصَّموت غُثاءُ (۱)
رَطبة العُسود هـذه القَصباءُ (۲)
ليس يا غِرُ ! للنُّجوم غَناءُ
فيه رَفِّو لما يشقُ القضاء (۳)
دون مَنَ الكروم فيه إنشاء (٤)
خمرة للشُّعور منها جَلاء (٥)
حررة للشُّعور منها جَلاء (٥)

⁽١) الدرُّ في ثورة الموج ، وليس في سكون السواحل إلا الغثاء ، فالحياة جدٌّ وكدٌّ ، لا سكون .

⁽٢) شراري يحرق كالبرق ، ولكن هذه النفوس كالقصب الرَّطب لا تشتعل .

 ⁽٣) بعض الجنون يغير ما يظنه الناس قضاء ، فهو يرفو ما يمزقه القضاء ، أي يصلح في هذا
 العالم مذللاً الطبيعة ، وما يحسبه الناس قضاء وقدراً في هذا الكون .

 ⁽٤) رجل نشوان بفكره وعمله مقدم بنفسه في غنى عمن يؤثر فيه سكران بغير خمر

⁽٥) الخمر المؤثرة تحجب الشعور ولكن خمرة الشرق لا تؤثر فهي تزيد الشعور جلاء .

الوجود

أنتَ تحت الشَّمس تَمضي كشرارٍ ليسس في فنَّك للنذات بناءً ليسس في المكتب والحانة إلا ليت شعري هل تعلمت وجوداً

لستَ تدري ما مقاماتُ الوجودُ ويلُ الوجودُ ويلُ تصوير وشدوٍ وقصيدُ درسُ إفناءِ به الدات تبيدُ لحيال وخلال و خلال وخلال و خلال و

* * *

الغناء

صاح من أين لناي نشوة ؟ صاح ما القلب ؟ ومن أين له ولماذا نظرة منه سرت ولماذا ذلك السرو له : ولماذا ذلك السرو له ... ولماذا كل حين مبدل ولماذا صاحب القلب ازدرى إنْ وعي للقلب رمزاً مطرب أ

صَوتُ عودِ ذاك أم من قلب حيّ ؟ قـوةٌ سكرى تحددتْ كلّ شيّ مثلَ ربحٍ صرصرٍ في تَخت كي (١) من حياةٍ فيه يحيا كلُّ حيّ (٢) وارداتٍ زُمرراً تهفرو إلى ملك روم ومُنَدى شامٍ و ريّ طيق الفرق الفرق له أسرعَ طيّ (٣)

* * *

 ⁽١) كي : كيكاوس أحد ملوك الفرس القدماء ، وفي الأساطير أنه كان له تخت يطير به .

⁽٢) لماذا خص القلب بهذا السر: أنَّ بحياته تحيا الأمم.

⁽٣) إن عرف المطرب رمز القلب ، فأرسل في نغماته خفقات القلوب ، طوى مراحل الفن ، فبلغ غايته دون عناء .

النسيم والنَّدى

النسيم:

فسى شسقٌ أثسواب الأزاهسر أعمــلُ في مسمعي شدؤ البلابل يثقلُ المرجُ أم فلكُ الكواكب أجملُ(١)

لم أرقَ في فلك النُّجوم وإنَّني وأسيئر عنن وطنى غبريبياً مجبَواً قل لى ، فقد أعطيتَ سرَّ كليهما ، النَّدي:

لو لم تكن في المرج رهنَ هشيمه لرأيته سرَّ الكواكب يحمـلُ^(٢)

أهرام مِصر (٣)

فى سُكونٍ من يَباب قـد وقَـد شادت الفطرة كُثباناً لها روّع الأفـــلاك فيـــه هــرمٌ أيُّ كفُّ صوّرت هذا الأبد! صائلًا ذو الفن أم صيداً يعد (٤) مِنْ إسار الكون حررُّزُ صنعةً

و(٢) يسأل النسيم الندى وقد هبط من السماء إلى المرج ، أيهما أجمل . فيقول الندى (1) لو لم تتعلق بالهشيم ، وتقف عند المظاهر لرأيت في المرج سرَّ الكواكب ، وما وجدت فرقاً بين السماء والمرج.

في هذه الأبيات يشيد إقبال بالإنسان وقدرته على الإبداع ، ويشير إلى ما قال في أبياتٍ (٣) أخرى من أنَّ صاحب الفن لا يحاكى الطبيعة ، بل يسيطر عليها ، ويؤثر فيها .

لم يحاك باني الهرم كثبان الرمال ، بل شاد هذا الأثر الخالد ، فحرر الصنعة من أسر (1) الخليقة ، فإن صاحب الفن صائد لا صيد ، يأسر الخليقة ولا تأسره .

مخلوقات الفن

وجلا الفن لعين جَنَاتِ (1) فهو من جهد حياة في نجاة (٢) من حُطام لمناة واللات (٣) في ظلام اللَّحد يرنو للحياة (٤)

قد رأى ذو بصر سرّ اللّات ما به اللّات ولا الكون يُسرى تعسسَ الكافرُ مَن أصنامه مالكُ صلّت عليه فنُه مالكُ صلّت عليه فنُه

**

إقبال

لا يـزالُ الشـرق بـالتقليـد يُـؤسَـر أن سـرً الــذات أفشـاه قلنـدرُ

قال للروميِّ (٥) في الخلدِ سنائي : قالَ منصور : ولكن قد سمعنا

* * *

الفنونُ الجميلة

نظ راتُ الآفاق مُتعة عين سرّحوا العينَ يا أولي الأبصارِ

⁽١) ذات الإنسان أو مركز وجوده (خودي) في فلسفة إقبال .

⁽٢) ليس في هذا الفن الذات ، ولا فيه عالم الصباح والمساء ، فهو فرار من جهاد الحياة .

 ⁽٣) المقلد في الفن يتخذ أصناماً من بقايا أصنام محطمة كانت في الأعصر الخالية .

⁽٤) في الأصل: أنت ميت وفنك أمام جنازتك .

⁽٥) جلالُ الدين الرومي أكبرُ شعراء الصُّوفية ، ومجدُ الدين السَّنائي طليعةُ شعراء الصُّوفية الكبار ، ومنصورُ في لغة صوفية الفرس والهند هو الحسينُ بن منصور الحلاَّج الصُّوفي المعروف . والشاعر يتخيل : أنَّ السنائي قال في الجنة للرُّومي : لا يزال الشرق في أسر القديم . فقال الحلاج : قد ظهر مجذوب أفشى للناس سرَّ الذات فهو حري أن يبدل الحياة في الشرق .

لا تجلُّبي كــوامــنَ الأســرارِ(١) غَيْرَ أنِّسَى أقسول: مسا نظسراتُ أبديٌ فما وَميضُ الشَّرادِ ؟(٢) مقصد الفن في الحياة لهيب المحياة تتـــلاطـــم بهــا قلــوبُ البحــارِ (٣) قطر نيسانَ ! ما اللاليءُ إنْ لم ما نسيمُ الصَّباح في الشُّعر واللَّحن إذا ما أذوَى سنا الأزهارِ (١) ليس ضرب الكليم فيه ، عواري(٥) ليس إلا الأعجازُ يحيى ففن الله

صُبْحُ المرج(٦)

الزَّهرة :

وافـدَ الأفـلاكَ! هـل خِلْـتَ بعيـداً مــوطنــي؟ لا إنَّــه غيــرُ بعيـــد

النَّدي:

من يَطِر منا بين أرضِ وسمناء للتبين أنَّسه غيرُ بعيد

إن لم تنفذ نظرات صاحب الفنِّ إلى حقائق الأشياء ؛ فما هي بمجدية . (1)

الفنُّ يصوِّر لهيب الحياة الأبدي ، فلا قيمة للفنِّ الذي يخرج شراراً لا يلبث أن يُطفأ . (٢)

قطر المطر في نيسان يُخلق منه الدرُّ في الصَّدف. يقول الشاعر: يا قطر نيسان! **(T)** ما قيمة الدرّ الذي لا يضطرب له قلبُ البحر . يعني : أن بدائع الفن ينبغي أن يجيش لها قلب العالم .

إنَّ كان نسيمُ الصبح المتمثِّل في إنشاد الشاعر ولحن المغني يذبلُ الزَّهرَ في الرَّوضة ولا (3) ينضِّره فأيُّ نسيم هو ؟!.

حياة الأمم بالإعباز ، فالفنُّ الذي لا إعجاز فيه عاريةٌ لا دوام لها . (0)

خلاصة ما يؤخذ من هذه الأبيات أنَّ الإنسان ينبغي أن يعمل في هذه الأرض غير غافل عن عالم الغيب، كضوء الصُّبح يُغشى السهول والجبال ولكنَّه موصول بالفلك، وعالم الغيب والشهادة ليسا متباعدين كما قال النَّدى : إنَّ الطيران يُعلِّم أنَّ الأرض ليست بعيدةً من السماء .

الصُّبح:

أقبلـنْ فـي الـرَّوض كـالصُّبـح رفيقـاً واحضِــنِ الأجيــالَ والبيــدَ ولكــنْ

ليس يــؤذي وطــؤه قطــرَ النَّــدى مــن عُــرا الأفــلاك لا تحلــلْ يــدا

* * *

الخَاقَانِي (١)

ذا صاحب تحفة العراقيس تنشيق لفكرره الستسور يجتاز بعاله المعاني فاسأله بذلك التسراب ذا محرر عالهم التسواب

ذو القلب يراه قرّة العَين الحُجْد بُ جميعُها تُنيسر الحُجْد بُ جميعُها تُنيسر لا يسمعُ قول : ﴿ لَن تَرَسِى ﴾(٢) والدَّهرُ يجيشُ في عُباب(٢) كم دلَّ بموجَز الخطاب(٤) :

(١) شاعرٌ فارسيٌ كبيرٌ ، توفي في تبريز سنة ٥٨٢هـ . وله من الكتب « تحفة العراقين » .
 سجل فيها ما رأى في العراقين العربي والعجمي حينما مرَّ بهما في طريق الحجِّ ، وله ديوانٌ ، ومنظومةٌ اسمها « هفت إقليم » (الأقاليم السبعة) .

وهذه الأبيات جاءت في الأصل في القافية المزدوجة وعلى وزن = مفعول مفاعلن فعولن . وهو ضربٌ شائع في الشعر الإسلامي الشَّرقي وهو مشتقٌ من الأوزان العربيَّة ، ولم أجده في الشعر العربي إلا في أبيات لبهاء الدين زهير أوَّلها :

ياً من لعبات بنه شمسول منا الطنف هنده الشمائسل وقد ترجمتها على قافيتها ووزنها لأزيد في شعرنا مثالًا في هذا الوزن إلى أبيات زهير .

- (٢) ينكشف له عالم المعاني ، فلا يسمع منه ﴿ لَن تَرَائِنِي ﴾ [الأعراف : ١٤٣] وهذا رمز إلى الآية في قصة موسى : ﴿ قَالَ لَن تَرَائِنِي ﴾ .
- (٣) اسأله عن هذا العالم الأرضيّ وعن حوادث الدّهر . وفي الفرآن الكريم ﴿ فَسَكُلْ بِهِـ خَيْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٩] أي اسأل عنه .
- (٤) المحرم: المطلع على السرّ . واستعملها شعراء الفرس وغيرهم فأقررتها في العربية وليست بعيدة من المعنى الأصلي .

« ناهيك بشر هذا العالم إبليس ثوى ومات آدم »(١)

الرُّومي (۲)

ما زال طَرفُك في خَلْطٍ وفي سِنَةٍ وعنكَ ذاتُك في الأسرارِ لم تَزَلِ ولي مِنةِ وعنكَ ذاتُك في الأسرارِ لم تَزَلِ وليم تـزلُ في صلاةٍ لا قيامَ لها وبالضَّراعة عزَّ الرُّوح لم تَصِلُ (٣) ومِزهـرُ (إلـذَّات) أوتـارُ مقطّعـةٌ ما زلتَ عن نغمةِ الرُّوميِّ في شُغُل

* * *

الجدَّة (٤)

إنْ صدقَتْ نفسُك في الدَّهر النظرُ وتستضيء الشَّمسُ منك بالشَّرر والبحرُ يلقى منك موجاً ذا دُرر

تُنوَّر الأفلاكُ منكَ في البُكَرْ وينجلي قدرُك في سيما القمر وتستحي إعجازَ صُنعك الفِطر(٥)

(١) حسبُك تعريفاً بهذا العالم أنَّ آدم مات ، وبقي إبليس أي : بقيت نزعاتُ الشرَّ في هذا العالم . فهو عالمُ محنةِ وجهاد . وهذا البيت مضمَّن من شعرِ الخاقاني .

(٢) هو مولانا جلال الدين الرُّومي صاحب المثنوي ، والشاعر يتَّخذه إماماً ، ويشيد بذكره في شعره .

(٣) الصلاة قيامٌ وسجودٌ ، يقول الشاعر : إنهما رمزُ الدلال والضَّراعة (ناز ونياز) أي : الخضوع والسَّيادة ، ولكنَّ بعضَ الناس صلاتهم سجودٌ بغير قيام . . . إلخ .

(٤) يرى الشاعر أنَّ الإنسان لا ينفذ ببصره إلى حقائق الأشياء . يقُول : إنك إن صدقت النظر فيما حولك ؛ رأيت دنيا أخرى جديدةً غير التي تراها ، وتغيَّر إدراكك هذا العالم ، وتبيَّن أنه مسخرٌ لك .

(٥) تستحي الخليقة من صنعك المعجز ، تراه أحسن منها .

تخذت أفكار الورى مسرآتك فكيف لا تبلغ حتَّى ذاتَك المعالمة الله الله المعالمة المعالم

مِرزا بَیْدَل (۲)

ذي سماءً وجبالٌ وفِجاجُ فروق الآراءَ إثباتٌ ونفريً عقدةٌ قد حلَّها يبدلُ حقاً « ما بدا ذا المراجُ لو في القلب وُسعٌ

ذاك حقَّ أم عيونٌ في اعوجاجُ ؟ أهيَ دنيا أم خداعٌ في الحِجاج ؟ أعجزتُ منْ قبله كلَّ علاج : بان لونُ الخمر منْ ضيق الرُّجاج »

* * *

الجلال والجمال(٣)

حسب ي كمالًا قوةً من حَيدر وكفاك من أفسلاطُ الإدراكُ

(١) إنَّك استعرت أفكار الناس فلم تبلغ في هذه الحياة حتى ذاتك ، فقد أضعتها بالتقليد .

(۲) من شعراء إيران ، ذهب إلى الهند أيام السلطان شاه جهان ، فأكرم السلطان وفادته ، وهو شاعرٌ صوفيٌ له ديوانٌ كبيرٌ يغلب فيه التعمُّق وتكثر الدَّقائق .
 وقد أعجب إقبال بفكرةٍ في بيتٍ لبيدل ، فبنى عليه هذه الأبيات ، وهي : أنَّ هذا العالم

وقد أعجب إقبال بفكرةٍ في بيت لبيدل ، فبنى عليه هذه الأبيات ، وهي : أنَّ هذا العالم الحسِّي لا خطر له ، بل لا وجود له إلا عند من ضاق عن إدراك الحقائق الكبرى التي يختفي معها هذا العالم . كالخمر يُظهر لونها كأس الزجاج لضيقها . وترجمة البيت في النثر :

لو اتَّسع القلبُ ما ظهر هذا المرج ، خرج لون الخمر من شدَّة ضيق الرُّجاج » .

(٣) الشّاعر من المعجبين بالقوّة ، الدَّاعين إليها ، وهو يدَّعي هنا الإجمال بغير جلالٍ ، يرى الكمالَ في شجاعة عليٍّ لا في خيال أفلاطون ، ويرى سجود السماء للقوة جمالاً ... وقد تخيَّل الشعراءُ أنَّ انحناء السماء في رأي العين سجودٌ ـ والنغمةُ التي لا قوَّة فيها نفخةٌ ضائعةٌ ، بل لا يحبُّ أن يجازى إلا بنارٍ شديدةِ الالتهاب .

وأرى جمالًا في بهاء أن تُرى ولَنغمة مسن دون نسارٍ نفخه للا أرتضى ناراً لجزء ولم تكن

في سجدة للقوة الأفلكُ ما الحسنُ إلا بالجلال يُحاكُ وهِ الجسة ولهيبُها درّاكُ

* * *

المصوِّر(١)

قلّد الغرب فن عُجْم وهند شقّني الغم أن بهزاد عصري يا خبيراً بفنّه فيه تمّت كم تَرى من خليقة وتُريها

عمَّ هـذي البلادَ مـوتُ الخيـال يُفقــد الشــرقَ بهجــةَ الآزال^(٢) صنعةُ العصر والعصورِ الخوالي أرِنـا الـذَّاتَ فـوق هـذي المجـالـي

الغناء الحلال(٣)

تفتح القلبَ نغْمةٌ من غناء أيَّ فتح والقلبُ رهنُ هُمودِ؟ في صُدور الأفلاك لحنٌ خفيٌ صاهرٌ حرُّه نجومَ الـوجـودِ

(١) يرى الشاعر أنَّ المصوِّر وكلَّ ذي فنَّ ينبغي أن يُظْهِرَ ذاته فيما يصوَّر لا أن يحاكي الطبيعة ، وأنَّ المحاكاة موت .

(٢) بهزاد : مصورٌ فارسيٌّ مشهور نبغ أيام الدُّولة الصفوية ، والشاعر يغتمُ لأنَّ بهزاد عصره يقلد الغرب ، فيفقد الشرق البهجة القديمة .

(٣) يرى الشاعر أنَّ الغناء وكلَّ لحن يحلُّ إنْ كان فيه قوةُ الذات وحرقة الحياة ، ويَحْرُمُ إن أضعف الذات ، ولم يقبس من الحياة ناراً . الغناء يفتح القلب فكيف يفتحه إن أماته ؟! وفي الأفلاك ألحان طبيعية تذيب النَّجوم ، وتبرىء الإنسان من الخوف والغم ، وترفع النفس من العبودية إلى السيادة . . إلخ . والنغمة الحيَّةُ التي يُحلُّها فقهاءُ الذات لا تزال تنظر مطرباً يعلنها .

إيسازٌ يسمسو إلسى محمسودِ^(۱) أنست تبقسى ونغْمسة التَّسوحيسدِ^(۲) لم ينزل في انتظار شادٍ مُجيدِ^(۳) يهجرُ الناسَ منه خبوفٌ وغممُّ تيهُ همذي النُّجوم يفنَى ولكن قد أحلَّت شريعةُ اللَّات لحناً

* * *

الغناء الحرام

أو بسرأيسي نسوابُهم والعدابُ عُسرِفت عنه سُنَّةٌ وكتسابُ: حَرُم النايُ عندنا والرَّبابُ (٤) ما بـذكـرى مـن التصـوُّف وَجـدٌ قــرَّب الله مــذهبـي مــنْ فقيــهِ «إنْ سَرَت في اللحون دعوةُ موتٍ

* * *

النَّافُورة

لا يُطَيِّبني مسيئ النَّهرِ مطَّرداً مُسايراً تُربَه جنباً إلى جنب دع ذاك، وانظر إلى نافورة بَسَقتْ تُصَعِّدُ الماء منها قوةُ القَلْبِ(٥)

* * *

⁽١) السُّلطان محمود بن سبكتكين وخادمه إياز .

⁽٢) يشبه عالم الكواكب بالتيه ، ويقول : إنه يفنى ، ويبقى الإنسان ونغمته الموحدة .

⁽٣) اللحن الذي أحلَّته شريعةُ الذَّاتِ ، وهو الذي يحيي النفوس ويقويها ، لم يظفر به أحدٌ ، فلا يزال ينتظر مطرباً .

⁽٤) هذا مذهبه: الألحان التي تميت النفوس حرام.

 ⁽٥) لا يُعجب الشَّاعر بالنهر يساير الأرض ، بل يُعجب بنافورة قوية تقذف الماء عالياً في الهواء .

الشاعر(١)

في غابة الشرق نايٌ يبتغي نَفَسَاً من كانَ في ذاته من رقّة خَورٌ إناؤها من زجاج كان أو خزفو لم تبصر الشمسُ من دُنيا يُخال بها طُورٌ جديدٌ، وبسرقٌ كلَّ آونة

يا شاعرَ الشَّرق هل في صدرك النَّفَسُ؟ فقلْ له من لُحونِ العُجْم يَحترِسُ العجل بخمرك سيفاً لمعُه قَبَسُ مجددٌ بغير الجلاد المرَّ يُلتمَسُ لا قرَّب اللهُ للعشاقِ ما التمسوا

شعر العجم

كم بشعر العُجْم من سِخر ولكنْ صَمتُ طيرِ الصُّبح أولى من غِناء ليس ضرباً ما يشتُّ الطَّودَ لكنْ يَنْحِتُ العصرُ أيا إقبالُ! صخراً

منه سیف الذَّات ذو حدَّ کلیلْ إن سری باللَّحن في الرَّوض ذبولْ لیس منه عرشُ بَروینز یمیلُ^(۲) فاحذَرنْ من کلِّ ما يُبُدي الوَذيل^(۳)

^{* * *}

⁽١) ينفرُ إقبالُ من شعر الرَّخاوة والذلَّة ، ويقول هنا : من ضعفت « ذاتهم » فليحترسوا من ألحان العجم ، فهي تدعو إلى الرقَّة والترف .

ولا بدَّ للشعر أن يكون في حدَّة السيف ، ملاثماً لمعركة الحياة مهما تكن صورته ، كالخمر في زجاجةٍ أو صراحيةٍ ، ينبغي أن تكون محرقةً . وليس لشوق الشاعر غاية ففي كل حين طورٌ جديدٌ ، وبرقٌ للتجلِّي جديد .

⁽٢) ليس ضرباً ما لا يزلزل عرش برويز وإن شقَّ الجبل . والإشارة إلى قصة فرهاد الذي شقَّ طريقاً في الجبل ، ولم يظفر بشيرين ، كما وعده برويز .

 ⁽٣) الوذيل : جمع وذيلة ، وهي المرآة . والشّطر فارسيٌّ من شعر العراقي ومعناه :
 احذر من كلِّ ما يبين في المرآة (أي هذا عصر حقائق لا خيالات . ينحت الصخور ،
 ويحطم كلَّ ضعيفٍ ، فكلُّ ما بدا في الزجاج فلا تركن إليه) .

أصحابُ الفنِّ في الهند

تخيُّلهُ م جَنازةُ كلِّ عِشْق ومَــوثَنُهــم بــه نقــشُ المنــايــا يُنيامُ الروع في إيقاظ جسم يُسخِّسر لـــلأنــوثــة كــلَّ شـــيء

وظُلمــةُ فكــرهــم للحــيُّ قَبــرُ وليـس لفنّهــم بــالعيــش خُبْــرُ(١) ودون المجد يُسكل منه سترر لهم قَصص وتصويرٌ وشِعرُ(٢)

الرَّجل العظيم

هـــو فــي الحــب عميــة قهره فروقُ عباد الله نشًاته ظلمة التقليد غير أنَّ الطَّبع بالإب هــو فـي المَجْمَـع خـالٍ مشلُ شمس الصُّبع ؛ فِكرُ لفظـــه حــــرُّ يسيـــرُ

وهسو فسى البُغْسض عميسقُ بـــالنَّــاس تَحيـــــــق ومــــن الحَشــــدِ طليـــــق فبسه نُسورٌ وبَسريستَ لكــــن المعنـــى دقيـــن عــن بنــى العصــر سحيــت

الموثن : معبد الأوثان . (1)

الفن الهندي بالشهواتِ الجسمية ، ويُفتن في تصويرها ، فهو يوقظ الجسم ، وينيم **(Y)** الرُّوح ، ويسخُّر كل شيءِ للأنوثة .

يكون في جمع من الناس وكأنه وحده ، له فكره ، ونظره . مثل الشمعة في الحفل رفيقة الحاضرين ، ووحيدةٌ بحرقتها ونورها .

ليسس يسدري أيُّ حسالٍ فيسه أشيساخُ الطسريسق

عالَم جديد(١)

مَنْ كَانَ حيَّ القلب في الدُّنيا فما تجلو له رؤياهُ كوناً مُحدثاً في الذان منامَه في الدُّنيا الجديدةِ طينهُ ولهَيكلُ الدُّنيا الجديدةِ طينهُ

يخفي عليه من القضاء ضميرُهُ بِدعَ المثالِ يَروقُه تصويرُهُ شادَ الذي في حُلمه تعبيرهُ هذا الضئيلُ ، وروحها تكبيرهُ

خلقُ المعاني

خلقُ المعاني مِن الخلاق مَوهبةٌ مِن خُرْقَةٍ في دَمِ الباني، مشيَّدةٌ ما جـوهـرٌ يتجلَّـى دون مَجهـدة

لكنَّ للفنِّ في الفنَّان إجهادا حاناتُ حافظِ أو زُونات بهزادا (٢) منْ ومضةِ الفأس نارت دارُ فرهادا

* * *

⁽۱) الرَّجل العظيم يرى في منامه أو خياله عالماً جديداً ، فيعمل عزمه ، فلا يستعصي عليه أن يحقق في عالم الحقائق ما رأى في الرؤيا أو الخيال .

وهذا العالمُ الجديد الذي يخلقه ناشي من نفسه ، فهيكله : جسمه الصغير ، وروحه : تكبيره ، وإيمانه ، وعزمه .

 ⁽٢) حافظ الشيرازي الشاعر الفارسي الكبير ، وحاناته : شعره . وبهزاد مصور فارسي مشهور عاش في أيام الدولة الصفوية . والزونات : جمع زونة وهي معرض الأصنام ، أو الدَّمى ، يضرب بها المثل في الجمال والزينة .

المُوسِيقا

دلَّ على بردِ دَمِ المُغنَّى لحن له الوجوه لا تُنيرُ (۱) الفساسُ زامرٍ سُمومُ لَحرنِ إِنْ كان لم يَطْهُرُ به ضميرُ (۲) بالشَّرق والمغرب في رياضٍ من الشقيقِ شاقني المسيرُ فما مررتُ بينها بمرج شقَّت به جُيوبها الرُّهورُ (۳)

* * *

لذَّةُ النَّظر

أيُّ ذاتٍ حَوَى فتى الصينِ مَن قا

منظـــرٌ رائـــتٌ ، تمهّــلْ ، تمهّــلْ

لَ لجــــلاده أمــــام الحِمـــام : لأرى لحظــةً وميــضَ الحُســام (٤)

* * *

الشّعر

لـــم أدرِ ســـرً الشُّعـــر إلا نكنــة سِيَــرُ الشُّعــوب تُبينُهــا تفصيـــلا

 ⁽١) اللَّحن الذي لا تنير له وجوه السَّامعين دليلٌ على برود نفس المغني ، وخمود عاطفته .

⁽٢) لا بدَّ للمطرب من طهارة الضَّمير لتكون ألحانه صدى الضمير الطاهر ، وإلا فأنفاسه في اللحن سمُّ للسامعين .

⁽٣) زهور الشرق والغرب لم يهج بها الطرب فتمزق جيوبها كما يفعل من يغلبه الطرب من حزنٍ أو فرح _يعني : لم يظهر المطربون أسرار النفس ، ويبدو مكنون الضمير الإنساني ، ولا تزال الذات المحجوبة .

⁽٤) رجلٌ صينيٌّ قام أمام الجلاد والسيف مصلت فلم يشغله هذا المقام عن الإعجاب بوميض السَّيف ، فقال للجلاد : أمهلني لأمتَّع النفس بهذا المنظر . فهذا يعجب به إقبال أيَّ إعجاب ، ويرى فيه ذاتاً كاملة .

أبدية لا تقبَلُ التبديلا

الشِّعبرُ فيه من الحياة رسالةً إنْ كانَ من جبريلَ فيه نغمةً أو كانَ فيه نفح إسرافيلا(١)

الرَّقص والمُوسيقا

إنَّ للشعر بهجةٌ ضاء منها ومــن المــوسيقــا ابتهــاجٌ شــوقٌ قد سمعنا في الصِّين قولُ حكيم إنَّ للموسيقًا من الشعر رُوحياً

روحُ جبريل والرَّجيمُ اللعين وكذا الرّقص نشوةٌ وفُتون فيه أفشى مخبّات الفنون: ومن الرَّقص جسمُها في العيون

ضبط النفس

ليس للحرر آهـةٌ في طِعـانِ من شيوخ القلوب والعِرفانِ : ومــن النَّــوح شيمــةُ الثُّعْلبــانِ

دأبُ أهل الزمان شكوى الزمانِ قـــد أســـرَّ النجـــوى إلــــيّ عليـــمٌّ إنَّ كَظـــم النُّـــواح شيمـــةُ ليْـــثٍ

الرَّقص

دغ لأهـل الغـرب رقصـاً بجسـوم إنَّ رقصَ الرُّوح من ضَرْبِ الكليمُ فبهذا الرَّقص سُلطانٌ وفقرٌ وبذاك الرَّقص هممٌ لا يَسريم

⁽١) الشعر يحمل رسالة من الحياة أبديةً إن كان جميلًا هادياً ، كنغمات جبريل (وجبريل رسول الوحي) أو كان فيه صعقٌ وبعثٌ ، كصوت إسرافيل .





القسم الخامس

سياسيًاتُ المشرقِ والمشرب





انقلاب

أبمشرق أو مغرب نارُ الحياة ونورُها فهنا تموتُ ذواتُها وهناكَ ماتَ ضميرُها وأرى القلوبَ لشورة مِلءُ البلادِ زفيرُها فلعلَّ دنياكَ القديمة للمماتِ مَسيرُها

* * *

تملُّق(۱)

جهلتُ أمورَ الناس غيرَ مجرّب ولكنّ ربّ القلب للغيب يَشْهَدُ فقلُ لوزيرٍ ما بدا لك مادحاً فذانك دُستورٌ وعهد مجلدًدُ إذا قال: صقرُ الليلِ للبوم مادحٌ فهل ذاك حتّ أو دِهانٌ يردّد(٢)

* * *

المناصب(٣)

سِحرُ الفرنجة قد أحاط بمؤمنٍ يا ويحَ عيني قد هَمتْ عَبَراتُها

⁽۱) العنوانُ في الأصل (خوش آمد) وهي عبارة فارسيَّة بمعنى مرحباً أو أهلاً وسهلاً . ومعناها بالأردوية التملُّق . وقد كتب إقبال هذه الأبيات حينما وضع الإنكليز نظام الاستقلال الدَّاخلي لولايات الهند ، وكثرت مناصب الوزراء فيها .

⁽٢) إذا قال أحد المادحين للبومة وهي لا تطير إلا ليلاً إنها صقراً لليل فهل هذا حتَّ أو ملق؟

 ⁽٣) هذه الأبيات قيلت في الأحوال التي أنشئت فيها الأبيات السَّابقة .

فلعلَّ منصِبكَ الرفيع مباركُّ هذي القضيةُ معضِلٌ إخفاؤها « لا شِركَ في حكم لعبدٍ إنَّما

فَ النَّاتُ مِنْ جَرَّاه حَانَ مَمَاتُهَا وضَحَـتُ لكـلِّ مفكِّـرِ آيـاتُهـا: شُريَتْ عقولُهُمُ وخابَ شُراتُها ((1)

أوربَّة واليهود^(۲)

نظامٌ ومالٌ وعيشٌ رغيدٌ دخانُ المصانع في الغرب داج رأيتُ حضارتَه في احتضار فليس غريباً تولّي اليهود

وظُلمة صدر لها القلب يَقْلي فسواديه ليس باهل التَّجلِي تموت اعتباطاً ، وما الموت يُملي (٣) كنائسه بعد هذا التولي

* * *

عبوديةُ الأنفس(٤)

ليس يخلو زمانُ شعب ذليل من عليم وشاعر وحكيم فرَّقتهم مذاهبُ القَوْلِ لكنْ جَمَعَ الآراءَ مقصدٌ في الصَّميم:

⁽١) الأممُ المحكومة لا يمكن أن تشارك حاكميها في الحكم مهما وضعوا لها من نظم . شُريت : بيعت ، والشراة : البائعون .

 ⁽۲) إقبال توفي سنة ۱۹۳۸م فهو لم يشهد حرب فلسطين ولم ير تسلُّطُ اليهود على أوربة وأمريكا ، كما رأينا . ولكنَّه نظر إلى الحوادث نظرة عارفٍ خبير .

⁽٣) تموت في شبابها ، والموت يمهل .

⁽٤) لا تخلو الأمم الذليلة من شعراء وحكماء وعلماء يسلكون مسالك شتَّى إلى غايةٍ واحدةٍ ، هي أن يروِّضوا الأمة على الخضوع ، ويمحوا من سجاياها الإقدام حتى ترضى بالرقَّ ، هذا مقصدُهم ، كلُّ تأويلٍ في القول تحيُّلٌ لهذا المقصد .

قصصَ الأُسُد في الحديثِ القديمِ (١) كلُّ تلويلهم خِلداعُ عليم

« علَّموا الليث جفلة الظَّبي وامحوا همُّهـم غبطـة الـرّقيـق بـرق

* * *

الرُّوسُ الشُّيوعيون

أيُّ سرَّ حوى ضميرُ الرَّمانِ كان يرجو النجاة بالصُّلبانِ ما أقام القُسُوسُ من أوثانِ ؟

إِنَّ سَيَرَ القضاء جِلَّ عجيبِ لِيسَّ سَرًا قَبِيلٌ لِيسَ يَالُو الصليبَ سَرًا قَبِيلٌ أَمْرَ الوحيُ مُلحدي الرُّوس « هُدُّوا

* * *

اليَوم والغَد

نورُ نفس وشُعلةٌ في الكبودِ يستسِرًان في الغدد الموعودِ سيره (اليومُ) ليسَ بالمعدودِ

مَن عداه ليومِه في جهاد مالَه الحقُّ في مَتاع وهمً ليس أهلاً لمعرَك الغدِ مَن في

* * *

المشرق

جَيبُ الشَّقائق من شَدوي غدا مِزَقاً ونسمةُ الصُّبْحِ رَوضاً تطلبُ الآنا^(٢)

 ⁽١) في هذا البيت مقصد القائلين المذكورين في البيتين السابقين .

⁽٢) أنا شدوت حتى مزَّقتْ شقائقُ النعمان جيوبها وجداً ، ونسيمُ الصبح لا يزال يطلب روضاً ينضر أزهارَه .

فالروحُ في الشرق جسماً تطلب الآنا(١) ذا العصرُ جِدْعاً وحبْلاً يطلب الآنا^(٢)

ما (مصطفى) أو (رضا) جلَّى حقيقتها وحـــقُ ذاتــى عِقَـــابٌ غيــرَ أنَّ لهـــا

سياسة الإفرنج

يا ربِّ نِـدُّك في غرب سياستُه وما تعبَّد إلا الهام والرُّوسا(٣) خلقتَ إبليس فرداً من لظى لهب ومن تُسرابِ أقامت ألفَ إبليسا

العبيد

أراها لأهل الرقِّ أجدى الفوائدِ : يؤسّس إلا فوق صخر العقائد فأفعال رعديد وأقوال هامد تعلُّمتُ بين الغرب والشَّرق حكمةً فىلا مُلْكَ أو فقرأ وديناً وحكمةً فإمّا خيلا منها ضميه جماعية

إلى أهل مِصر

من أبي الهول أتتنبي نكتة وأبو الهول طَوى السرَّ القديم (٤)

لا مصطفى كمال ولا رضا بهلوي كان مظهراً لروح الشرق ، فهي تطلب الآن بدناً تظهر

وذاتي تستحقُّ العقاب بما دعت الناس إلى اليقظة والحرية ، ولكن العصر لا يزال **(Y)** يطلب حبلاً وجذعاً ليصلبني ليس قادراً على صلبي .

الروسُ : أي : الرؤساء ، أي : لا يعبد هذه السياسة إلا رؤساء أوربة وحكامها . **(**T)

أبو الهول: رمز العقل والقوة، رأسُ إنسان على جسم أسد. (٤)

لمنة قوّة لم يجْفُها العقلُ الحكيم على يُبدِلُ الشكلَ ويَبقى في الصَّميم لفى وهي طَوراً في عصا موسى الكليم

بــــدَّلـــتْ سَيـــرَ شعـــوب جملـــةَ طبعُهـــا فـــي كـــلِّ عصـــرِ مـــائـــلُّ فهــي طَــوراً فــي حُســام المصطفــی

* * *

الحبشة

(۱۸ آب سنة ۱۹۳۵)

عِقبِ أَنْ أُوربَّتَ بغير علم في جيفة الأحباش أيُّ سمّ الله المَيتةِ أَنْ تَجيفا

حضارةٌ تكمـــلُ بـــالمَخـــزاة وعيــشُ أقــوام علــى الغــارات وكلُّ ذئبِ طاردٌ خروفا

وجــهُ الكنيســة اكتســـى شَنـــارا رومـــا أراقـــت مـــاءَه نهـــارا يا بابُ قد أضحى الورى أسيفا^(١)

أوامرُ إبليس إلى أبنائه السَّاسة (٢)

عليكم بالبَرَهْمَن فربكوه بأشراكِ السياسة والحبالِ

⁽۱) يعنى: الباب رئيس الكاثوليك.

⁽٢) يصور الشَّاعر في هذه الأبيات عملَ السَّاسة بأوامر أبيهم إبليس. وإنما يأمرهم بإبعاد أهل الأديان كلَّها من الدِّين ، ولاسيما المسلمون ، هؤلاء الصابرون المستميتون . وقد خصَّ العربَ الذين نشأ الدين في حضانتهم ، والأفغان الذين تسيطر عليهم حمية الدِّين . . إلخ .

ثمَّ أوصاهم بإخراج إقبال من الرَّوض لأنَّ نَفَسهُ يشعل الحقائق ؛ أي : يثير النار في الشباب ، فيبعدهم عن سياسة إبليس .

وأصحاب الزّنانير اطردوهم وذلكم الصّبورُ على الرزايا فسروحَ محميدِ منه اسلبوه في العَرَب اقذفوا في كل فكر بأرض العُرْب للإسلام كيدوا وفي الأفغان بالدّين اعتصامٌ عليكم بالفقيه فأخرجوه وقُواماً على الحرم اسلبوهم غنزال المسك من ختن أثيروا وإقبال للمسك من ختن أثيروا وإقبال للمدة شندٌ مثير

من الدّير القديم بالاحتيالِ ومَن هو بالمنايا لا يبالي (۱) لتعمل فيه أحيداث الليالي مسن الإفرنج ألوان الخيالِ ليسرع في الحجاز إلى الزّوالِ وليس علاجُ هذا بالمحالِ مين الأرض المنعية والجبالِ لهم سُننا تحيدُ عن الضّلالِ (۲) لهم من هذي الغوالي (۳) به زَهر الشقائق في اشتعال لتحموا الناس عن هذا المقال

جماعة الأمم الشرقية(٤)

سُخِّر الماء والهواءُ مسخَّر جبروتُ الفرنج غَرَّت رؤيا إنْ جنيوا للشرق طهرانُ صارت

ليس بِدعاً إن القضاءُ تغيّر علّه علّها عليه علم عليها عير ما رآه تُعبّر فلعل التبديل لللأرض يُقدر

⁽١) ذلكم الصبور . . إلخ . يعني : المسلم .

 ⁽٢) يريد بقوًا م الحرم من تولى هداية المسلمين إلى دينهم في الحرم وغيره .

⁽٣) بلاد ختن في تركستان كانت معروفةً بمسكها ، وغزالُ تنِ مشهور في الشعر الفارسي وما يتَّصل به .

ويريد السَّاعر : أخلوا الأرض من المعاني الجميلة التي تعطرها . أي : أخلوا بلاد المسلمين من السنن القويمة ، والآمال العالية .

⁽٤) كتبت في شيش محل (دار أمير بهوبال) .

المُلْكُ الخالد

لكنَّنسى بَحررَ السِّياسةِ أحدرُ ولو أنَّ فيه من الرُّؤي ما يسحَرُ لم يَبِينَ مِن برويز مُلكٌ يُوثَر

إنسى لغسواص المعانسي فطرة ما إن يُحتُ الدُّهرُ مُلكاً خالداً فَرهادُ أَبقى الدَّهرُ نحتَ صخوره

الجمهورية

بدا السرُّ في قولة من أريب وما كان من قَبله يُعلنُ (١):

نظامُ الجماهير حُكمٌ بـ تُعـدُ العِبـادُ ولا تـوزَنُ

أوربة وسورية

أهدت الشَّام إلى الغرب نبيًّا هدو عَدفٌّ ومُدواس وصَبدور

ومن الغرب إلى الشام هدايا من قمنار ونساء وخمسور

من مُوسولِيني (إلى أنداده في المشرق والمغرب)

أرى العصرَ يأبي من مُسولينَ جُرمَه وأخيارُ أوربة على غِضابُ

⁽١) سظهر.

كسلانسا بسآلات التمسدُّنِ آخسدُ وقد نقَمُسوا منَّسي غسرامَ تَملُّكِ لِمَنْ شعبَذاتُ الحكمِ تُبقي ممالكاً أينفُخُ في الأعسواد أبناءُ قيصر نهبتم خيامَ البدو والزَّرعَ والقُرى قصدنا من التمدين قتلاً وغارةً

أتنقِهم أفعال الشيوف حسرابُ أما ثار منهم بالضّعاف ضِرابُ ولا مُلك أو ملكٌ بهن يُصابُ ويُجبَى إليكم عامرٌ ويبابُ(١) وكم كانَ منكم للعُروشِ نِهابُ المسُكم فخرٌ ويومي عابُ ؟

يا ويحها ، درَّةً في النَّاج تُرتَهنُ (٢)

ولم يزل مِزَقاً تحت الثرى الكفَنُ

لم يَبِق في أرضها دارٌ ولا سَكَنُ

فمنكَ شكواي لا منها ، وبي حَزَنُ

شكوى

مستقبلَ الهندِ منْ يدري ؟ وما بَرِحَتْ دِهِ اللَّهدِ مطّرح دِهِ اللَّهدِ مطّرح اللَّهدِ مطّرح الجسمُ والرُّوح للباغين قد رُهنا رضيتَ رقَّاً لأوربَّة بالا أنَافِ

انتداب

مَلَكُ الحضارةِ أين يُحتَم سَيرهُ؟ في حيثُ لا خمرٌ ولا قَمْرٌ ولا والرُّوحُ في بَدَنِ قويٍّ خافقٌ حيثُ المدارسُ غائضٌ ينبوعُها

في عصرنا هذا السؤالُ يسيرُ: ضيتُ الثياب على النساء يجورُ لكن على سنن الجدودِ يسيئ وابنُ البداوة في الذَّكاء جَسورُ

⁽۱) يشغل أبناء الرومان بالزهر والموسيقا وغيرهم يملكون الأرض ، ويضربون الخراج حتى على الصّحاري .

 ⁽٢) كان الإنكليز يقولون: إن الهند أثمنُ درَّةٍ في تاج الإمبراطورية.

يُفتي جهابنة الفِرنجة أنَّما هذي البقاعُ من التمدُّنِ بُـور(١)

السِّياسةُ اللاَّدينيَّة

ما الحق مخف عن فؤادي سِرَّه فسياسة اللادين عندي خِسَّة اللادين عندي خِسَّة لمّا قلَى حكم الفرنج كنيسة شرهَت لأموال العباد كنيسة

فلقد حباني الله قلباً مُبصراً مُات الضميرُ بها وإبليسُ افتری^(۲) ساسوا كشيطانِ بلا قيدِ جرى فإذا الخَميس سفيرُها بين الوری^(۳)

* * *

شبكة التمدين

أمانتُها علَتْ عن كلِّ ريبٍ فاوربة نصيرة كلِّ شعبٍ كراماتُ القساوسِ أنْ أضاؤوا ولكن مِن فلسطينَ بقلبي وتلكم عُقدة ليست لحلُّ من الترك الجُفاة نَجوا فلاقوا

وإقبالٌ مُقِارُ دون نُكررِ تشكِّي الدهرَ من ظلمٍ وضُرِّ تشكِّي الدهرَ من ظلمٍ وضُرِّ سراجَ الكهرُباء بكلُ فِكرِ وللشَّام الكسيرةِ حَرُّ جَمرِ تُلاقي كلَّ تدبيرٍ بِعُسرِ بعُسرِ باشراكِ التمدُن شَرَّ أسرِ أسرِ أسرِ

* * *

⁽١) حيثما وُجدَ الناس على الأخلاق القويمة والفطرة السليمة قال الفرنج هذه الأرض في حاجةٍ إلى التمدُّن ، فأرسلوا إليها ملك التمدُّن باسم الانتداب .

⁽٢) إبليس افتراها .

⁽٣) الخميس: الجيش.

 ⁽٤) في هذا استهزاء : يقول : إن أوربة ادّعت أنها أنقذت الشام وفلسطين من قسوة الترك ،
 ولكنها أوقعتهم في شرّ أسر .

نصيحة

قال لُرُدٌ من الفرنج لنَجلٍ الْفُلَم الظُّلَم الظُّلم المساكين إعلامُ إِنَّ للملك سِرَّهُ فاكْتُمَنْه : وبحمض التَّعليم فاغمِس نفوساً أينَ منه الإكسيرُ ؟ هذا محيلٌ

ابغ مَرأَى يدومُ فيه المراد(۱) خِرَافِ شهرائ يدومُ فيه المراد(۱) خِرَافِ شهريعة الآساد(۲) لا تَرُم بالشيوفِ قهر العباد شمّ صُغ طينها وفاق المُراد جَبلَ التّبيرِ كومة مِنْ رماد

قرصان وإسكندر

إسكندر:

جزاؤك في سَلاسك ارتهان أو التصميم من سيفي العتيق (٣) فقد صيرت وسع البحر ضيفا بما أمعنت في قطع الطّريق

القرصان:

أيجمُلُ بالفتى فَضحُ الرَّفيةِ؟ كذاك القتلُ دأبُك يا صديقي تصولُ ، وَصُلتُ في بحرٍ عميق

سِكندرُ! للفتوة لم توفّيقْ فإنَّ القتل دَأبي لا أماري كلانا اليوم قرصانٌ: ببرً

⁽١) أطلب المنظر الذي لا تنتهى منه العين ، أي : المطمع الذي لا يحدُّ .

 ⁽٢) أَظْلُمُ الظُّلم أَنْ تعلَّمَ الغَنَّمُ سيرةَ الأسد : أي : تعلم الآمم الذليلة طريق الحرية والقوة .

⁽٣) صمم السَّيف: أصاب المفصل ، فقطعه .

عصبة الأمم (١)

لا فياة مِقبولي بسيِّى، الخَبرُ^(٢) يدعو القُسُوسُ أن يزولَ ذا الخطر على رُقَى إبليس أيباماً أُخَرِ^(٣) مِسكينةٌ منذ زمان تُحتضرُ ومسوتُها محتَّم لكنَّما عجوزُ أوربةُ يجوز عَيشُها

* * *

الشَّامُ وفِلسطين

ملأت بهن زجاجَها حَلبُ فلياخذن إسبانيا العَربُ ما إن يُراد الشَّهدُ والرَّطُب⁽³⁾ مَرحَى لحانات الفرنج فقد إنْ في فلسطين اليهودُ رَجَتْ للإنكليز مقاصدٌ خفيت

أئمة السياسة

وإلى الأرضِ أخلىدوا إدراكا فهمُ العنكبوتُ ملدَّتْ شِباكا ذُو مسرام تُجاوز الأفسلاكَا ما رجائي بساسة قد أسفُوا نظرات إلى ذُبابٍ ونملٍ حبَّذا الركبُ قد هداه أميرٌ

⁽١) العنوان في الأصل: جمعية أقوام.

⁽٢) يعنى لا أودُّ أن أخبرَ بموتها .

 ⁽٣) الظاهر أنَّ الشاعر نظم هذه الأبيات حينما كانت عصبة الأمم في آخر سنواتها .

⁽٤) بلاد العرب كلُّها معروفةٌ في الهند بالنخل ، ويقول الشاعر ليس قصد السياسة الإنكليزية ما تعلن من عمران البلاد بل لها مقاصدٌ خفيَّةٌ .

نزعات العبودية

بأسباب سُقم الشُّعوب خَفاءً بشرع الأسود إمامُ العبيد كليم الإله يُسرَى لعنه أذا كان في السرّ هذا الكليم

يقصَّر في شرْجِهِنَّ البيانُ : يرى دائماً حِكمة الثُّعلبانُ(١) على قومه في خُطوب الزَّمانُ لقُوةِ فرعونَ طوع البنانُ

صلاة العبيد(٢)

قالَ بعدَ الصَّلاة حِلفُ جهادِ: ما درى ذاكمُ المجاهدُ المؤمنُ الغِرُ كم لدى الحُرَّ في الحياةِ كفَاحٌ حُرم العبدُ حرفة الكدَّ عجزاً لا تعجَّب إذا أطال سجوداً رَبُ وَفَاقٌ أنمة الهندِ يسوماً

كم يطيلُ الصَّلاةَ فيكم إمامُ صلاةُ العبيد كيف تُقامُ غَيرةُ الحررُ للشعوب قِوامُ فعلى وقتِه المُضيُّ حَرامُ ما لديه سوى الشُجود مَرامُ لسجود تحيا به الأقوامُ

* * *

⁽۱) أسباب مرض الأمم أثمةً أذلَّة ، يرون في شريعة الأسود فلسفة الثعالب ، كالذين حادوا بالمسلمين عن شريعة الحياة والقوة إلى مذهب الخنوع والاستكانة . والحكمة هنا الفلسفة ، والتُّعلبان : الثعلب الذكر .

⁽٢) جاء إلى لاهور وفد من الهلال الأحمر التركي فصحبهم إقبال في صلاة بالمسجد الكبير ، فأطال الإمامُ الصّلاة ، فسأل أحدُ رجال الوفد : لماذا يطيل الصلاة إمامُكم هذه الإطالة ؟ فكتب إقبال هذه الأبيات .

إلى عرب فلسطين

لم تزل في حَشاكَ دونَ خمودِ (١) بوريــ الفــرنــج كــفُ اليهــودِ (٢) قــوة الــذَاتِ وازدهــارُ الــوجــودِ

لا يـزالُ الـزَّمـانُ يَصلَـى بنـادِ لا دواءٌ بلنـــدن أو جنيــوا ومـن الـرقُ للشعـوبِ نجـاةٌ

الشَّرق والغربُ

ونظامُ الجمهور في الغرب داءُ ما بشرب شفاء

علَّــة الشَّـــرق ذِلـــةٌ واقتــــداءُ مَــرضُ القلــب والبصيـــرةِ فــاشٍ

* * *

نزعات التسلُّط (إصلاحات)

أرى رحمة الصّياد سِتراً لقهره ولم يُجدِ فينا ذا الصفيرُ المجدَّدُ (٣) وقد زيَّن الأقفاصَ بالزَّهر ذابلاً لعلل أسيراً للإسار يُغَرِّدُ

⁽١) يعني: أن النار التي سرت في الزمان من تاريخ المسلمين لا تزال في نفس المسلم لم تخمد .

⁽٢) يعني : يقبض اليهود على وريد أوربة .

⁽٣) يقصد الشاعر ما دعاه الإنكليز إصلاحاً ، حين جعلوا للهند نوعاً من الحكم الدَّاخلي ، يقول :

ير ما يزال الصيّاد قاسياً ، وإن تظاهر بالشفقة ، ولا يرققه أن تجدد له غناء . وإنما همُّه أن يرضى الأسير فهو يزيّنُ الأقفاص بزهورٍ لا نضرة فيها ، لعلَّ الطائر يرضى بقفصه .





القسم السَّاكس

أَفْكار وحراب على الأفغاني

للشاعر إعجابٌ بالأفغان لقوتهم وبسالتهم، واعتزازهم بجبالهم، وحميتهم الإسلاميَّة، وقد تخيَّل الشاعر أنَّ شاعراً (محراب غل) أنشأً هذا الشعر الَّذي في الصَّفحات التَّالية، بَيَّنَ عمًّا في نفوس هؤلاء النَّاس وما في معيشتهم كما يُريد الشاعر (إقبال).







يا جبالي أيانَ عنكِ المسيرُ لا زهورٌ ولا صَدى عندليب جنتي فيك مَخدرمٌ وشعابٌ لين يكونَ الشّاهينُ عبد بُغاثِ خلعةُ الإنكليز أم سُحقُ ثَوْبٍ

وترابُ الآباء هذي الصَّخورُ فيكِ منذُ الآزال تأوي الصُّقورُ ماؤك النُّور ، والتُّرابُ العبيرُ الحفظِ الأبدانِ روحي أبيرُ إيهِ فقري الغيور! ماذا تشير؟

_ ۲ _

تنافرُ النَّاس دائسمُ أبداً لستُ ولا أنتَ القضاءَ فصَّلَهُ في الذاتِ غُصْ، للزَّمان ذا أمَلِ دواؤُه في الجروح أرسله تبقى على الدهر واحداً بطلاً إنْ كان في القلب « لا شريك له »

_ ٣_

يجوز أن تُبدَل أنت ، لا تَخَدلُ إذا سرى في ذاتك انقلابُها يبغي الشرابُ والفِناءُ إذ ترى تدعو بتحقيق الرجاء جاهداً

بدعسوة أنَّ القضاءَ يُبددَّلُ فجائسزٌ أنَّ الفضاءَ يُبُددُلُ رسمَ « السُّقاةِ » والإناءَ يُبُددُلُ ودعسوتسي أنَّ السرَّجاء يُبُددُلُ

_ ٤ _

وما فَلَكُ جائرٌ في السِّيَر وماذا ذكاءٌ وماذا القَمَر؟ أرى رَكْبَها جاهداً في المسير وأَفْعَدَها طولُ هذا السَّفَر سِكندرُ زَمْجَرَ كالرَّعد حيناً وعندك يا موتُ صِدْقُ الخبر وعائت بسدهلي يسدا نادر بضربةِ سيفي حكى فاختَصَر(١)

⁽۱) نادر شاه : ملك إيران وأفغانستان ، فتح دهلي ، وتوفي سنة ۱۱۹هـ .

وتبقى الجبالُ وأفغانُها تُذلُّ الحوائجُ صيدَ الرَّجال إِنِ السَّذَاتُ أَيَّدها فَقْرُها قِوامُ الشُّعوب بحُرَّ فقيرٍ

لك الملك والحكم ربَّ القُدر ! تسرى الليث كالتَّعلب المحتقر فعندي وعندك مُلك البَّشر إلى سُدة المُلك ما إنْ نظر

_ 0 _

مدارسُ ثم ضوضاءٌ ولهوٌ ولهوً وسم الحرر هذا ليس علماً ومسا أدبٌ وفلسفة غنساءٌ تحكّم في الطبيعة ربُّ فن فربُ الفن مِن بركاتِ فن وذلك إن يشأ قطررتُ عليه

وغمة دام في العيس الموفير إذا كان الجَدا كف الشعير (١) قوام الفن في جَهدِ المسير (٢) يضيء الليل كالصبح المنير يطوع لحكمة كالطب العسيسر أياة الشمس كالطل النضير (٣)

_ 7 _

عالَمُ التَّجديدِ إن يظفر بحرً لا تَدعُ ذاتك بالتَّقليدِ لَغواً باركَ التَّجديدُ قوماً ليس فيهم خشيتي أنَّ وغى التَّجديد في الشَّرق

موجد من حوله طاف الزمان جسوهسر فسرد فحطه بصسوان غير حفل الأمس ، ذكرى وعيان (٤) علسى التَّقليدِ للغسربِ دِهسان

_ V _

تبــــدَّل الأقــــوامُ فــــي البُلــــدانِ فــي الــروم والشـــام وهنــدُسُتـــان

⁽١) العلم الذي جدواه كفُّ من شعير ؛ أي : متاعٌ قليل ، ليس علماً ولكن سُمَّا للأحرار .

⁽٢) الفنُّ بالجهد المستمر لا بالأدب والفلسفة .

 ⁽٣) ربُّ الفنّ إن شاء قطرت عليه أياةُ الشمس (أي شعاعها) كالنّدى ، فجعلها مادة فنه .

⁽٤) التجديد بركةٌ لقوم لا يذكرون ، ولا يرون إلا صورَ الماضي .

يابن الجبالِ هُبَّ للزَّمان وأَدْرِكَنْ ذاتَك بالعسرفانِ ذاتك بالعزفانِ

يا غافل الأفغانِ

ذا مــوســم ومـاؤه عُبـاب وعَسجــداً يُنبــتُ ذا التــرابُ مــن لــم يـروِّ زرعَـه احتسـابُ فكيـف يُـدعَـى الغِـرُّ بـالـدهقـان ذاتك بالعِرْفان

يا غافلَ الأفغان

ما لم يَهِم في مَوْجِهِ النِحَارِ فَايُ بحر ذاك في البحار؟ ما ليسسَ فيه ثورةُ الإعصارِ فكيفَ يُدعى عاصفَ الأكوان ذاتك بالعِرفان

يا غافلَ الأفغان

من اهتدى ونفسَه أصابا مقلِّباً في طينه التسرابا فحرثُ ذا العبدِ الذي قد طابا يُفدَى بكلِّ الجاه والسُّلطان ذاتك بالعِرفان

يا غافلَ الأفغان

جهلُك هذا ما ب مِنْ عارِ قد صيَّر الجهلَ من الفَخار كم عالم فاضل مماري متاجر بالدِّين والإيمان ذاتك بالعِرفان

يا غافلَ الأفغان

_ ^ _

يدًعي الناغُ أنَّ ريشَكَ قُبِ ويقول الخفَّاش: أعمى جهول ما رُذال البُغاث يا صقرُ! تدري في عَنانِ السَّماءِ كيفَ تصول كيف تدري بحالِ طائرِ عزم كلُه في المطارعينُ تجول

لا يسُف العشقُ دأب الهسوسِ ربَّ روضٍ حسال حتى ليَسرىٰ مُنزمعُ الأسفار لا يبغي صدى اتُسرى قسافلة المسوج لها خدع العيسنَ فتى مسدرسة وهو مَيْتُ ومن الغرب اجتذى إنْ تُسرِد تسريسة القلبِ فَمِسن

بدنباب بازياً لا تَقِسِ عندليبٌ عشَّه كالمحبِس من أذان برحيل الغلَسس في مسير حاجة بالجَرس فبَدت فيه حياة الأنسس ما سرَىٰ في صدره من نَفَس نظر المؤمن شَرْراً فاقبِس

- 1 • -

سوادُ عيون عِنْسرت فَتي أَسي يُسرى في السلم ظبياً ذا جمالٍ به نارٌ تُحررَّقُ كللَّ شيء حباه الله أبَّه في أَلكَ الله الله أبَّه في ألكنا التَّاج حسرُ الرأس عنه سبيلُ التَّاج حسرُ الرأس عنه

حليف طهارة وفتسى ضراب وفي يوم الكريهة ليث غاب وحسب الغاب من شرر الثقاب بفقر حيدري واحتساب فلا تنظر إليه بارتياب (١)

_ 11_

في بارحاتك لألأتُ أنوارُه يَس يشكو الضَّعيفُ من الزمانِ صُروفَه وا مِنْ صوتِ طير الصُّبح يدهشُ ذا الفتى أتـ

يَسطيعُ نُوراً ذا السَّراجُ الخابي (٢) والحــرُ فيــه بــاســمُّ لِحــرابِ أتــراهُ أهــلَ تطـاعــنِ وضِــرابِ

 ⁽١) وهو حاسر الرأس ولكنَّه طموحٌ إلى التاج ، أو هو في همته وعزَّته كصاحب التاج ، فلا
 تحقره بأنَّه حاسر .

 ⁽٢) هذا السراج الخابي هو الذي أضاء لك البارحة ، فهو أهلٌ لأن يضيء مرَّةً أخرى ،
 يعني : الإسلام .

حـذري لأنَّـكَ فـي طِبـاع طفـولـة والغـربُ تـاجـرُ سُكَّـرٍ وجُـلابِ(١)

- 17 -

هــوَتُ فــي الفــخِ رجــلاه(٢) دواءُ العـــاجــز المغلــوب رَجَــتْ فــى الغَــرب عينـاه وصيَّادُ المعـانـي مـا غرالُ المسك خَلَّهُ (٣) فضاء مرونيت لكن على الأمرواهِ تلقاهُ ـــــح والألــــوانِ معنــــاهُ(٥) وديـــــرُ الكــــون ، زُونُ الــــرّيــ على الكُف الكُف وَلِي المُستولِ وذو الإيمـــان مـــولاه أم_____أ حي___ن يغش___اهُ إمام المسجاد المنعاة ولـــــم تُعجِبْــــهُ تقـــــواه(٦) زوى المحرابُ حراجبَه

- 14 -

دنياك في عيني شَيءٌ آخر أنَّى لعينكَ ليت شعري - تَظْهُر

⁽١) يخاف على المسلم أو الشرقي لأن فيه طبع الطفل يحبُّ السكر والجلاب . وأوربة تحسن التجارة بهما ، فهو يتهافتُ على تجارتها .

⁽٢) يشير إلى مصطفى كمال واتَّباعه سياسةً لا دينيةً ، واتَّخاذه الحروف اللاتينية للغة التُّركية .

⁽٣) لا يجد صياد المعاني في أوربة غزالًا مسكياً يصيده فإنما هي فضاءً لا صيد فيه . أي لا يجد المعانى الجميلة التي يحبُّها .

⁽٤) الأواه: المتعبِّد، الرقيق، كثيرُ الدعاء.

⁽٥) هذا العالم الذي هو معرض لأصنام من الألوان والروائح ، يستعبد الكفرَ ، ولكنَّه مسخرٌ للمؤمن .

 ⁽٦) تخيل زاوية المحراب تقطيباً لصلاة أمير ليس فيها معنى الصلاة .

ماذا التقلّبُ في عقول شبابنا شيخ المساجدِ اما دُعاوُك سُخرةً ما (الذَّات) يُرجى في رِباطٍ خَلقُها

في كلِّ صدر قد تبدَّى مَحشرُ أب الحياة بالاجهادِ تَظفَرُ (١) هل للشَّرار من الرَّماد تَسعُر (٢)

-18-

كَــلُّ عشــنِ دون إقــدام هــوى ويلتــا مِــنُ تــرف الأبــن فتــى خلـوة الأطــواد ليســت وَحشــة

- 10 -

عِلمُ فقر لسالكِ غيرُ صَعْبِ لا يكون الفولاذُ جوهرَ سَيفٍ إنَّ قَهر الإلْه فقرٌ ذليكٌ قد سباك الفرنجُ نفساً ولكنْ

حدَّثَ الناسَ عن هُداه الضميرُ إنْ يكن في الطباع منه حريرُ وسبيلُ السُّلطانِ فقرٌ غَيورُ أنت يا مؤمنُ البشيرُ النذيرُ^(٣)

-17-

مَـوتُ الشَّعـوب بُعـدُهـا عـن جَـذَبـاتِ المـركـزِ والـــذَّاتُ إمَّــا رُكـزت فللمعـالــي تُــركَــزِ فقــرُ تــراه شــاكيــا جَـورُ الــرَّمـان اللحــزِ بــاقِ عليــه مسحــة مــن اجتــداء الكــزِز بــاقِ عليــه مسحــة مــن اجتــداء الكــزِز ولــم يــزل مُيسَّــرا للبــر فعــل المعجِــزِ أن يجعــل الصَّخــورَ كــالــذرّات غَيــر مُعجَــزِ (1)

⁽١) في الأصل شيخ الحرم ، والمراديه المساجد عامّة .

 ⁽٢) الرَّباط : مقام الصُّوفية ، وفي الأصل خانقاه .

⁽٣) جاء هذ المصراع في الأصل بالفارسية .

 ⁽٤) لا يحول دون همة الحرّ شيء من عالم المادّة فهو يحيل الصخور ذراتٍ ، فلا تكون في =

فأين يا مؤمنُ أنتَ ما مومنُ أنتَ من أنتَ من أنتَ من أنتَ من أنتَ المشار المنابق المشار واكسي حُلَّةً

اليـــومَ لـــم تُبَــرَز جَمْــرُكَ فيــهِ مُعــوزي^(۱) ــرقِ هيَّـا فـابـرُزي تُـزهــئ بلـون القُـرمُـنِ

_ 17 _

إنْ يكن في الألوف ربُّ يقين ربَّ يقين ربَّ يقيراً ربما تنسىء الصَّحارى فقيراً بيسراع لك حظّا أذا الفضاء الذي يُسمَّى سماء هو فوق الرؤوس يُذعى سماءً

نفَخَ النارَ في شَبابِ وشِيب نفَخَ النارَ في شَبابِ وشِيب يخلقُ الدرَّ من حصى في الجيوب^(۲) لم يَخُطَّ الجبينَ ربُّ الغيوب^(۳) ليس شيشاً لدى العُقاب النجيب وهو أرض تحت الجناح الهَبوب

- ۱۸ -

أيَّ قسولِ لشيسرشاه رشيسدِ خلعسوا ثسوبَ أمَّة جَمعتهسم خلعسوا ثسوبَ أمَّة جَمعتهسم ذهبَ الدِّينُ في الجبال شعاعاً حَرمة اللَّات ترعى

في اختلاف القبيل ذلّ العبيد (3) وازدهو المحسود (٥) كل حزب للبده في سجود (٦) فحباك المولى بضرب سديد (٧)

طريقه عقبات .

⁽١) ليس في الجهاد لذة ما لم تكن فيه حرارة الإيمان . وجمرُ المؤمن يفتقد اليوم في الجهاد .

 ⁽۲) الجيوب وجه الأرض ، وهو يشير إلى الرسول صلوات الله عليه وسلامه .

 ⁽٣) اكتب حظك بقلمك ، فالله تعالى لم يكتب على جبينك مستقبلك ، كما تزعم .

⁽٤) شيرشاه: أحد أمراء الأفغان.

⁽٥) الوزير ، والمحسود من قبائل الأفغان في إقليم الحدود من باكستان .

⁽٦) اللبد: الصَّنَم.

⁽٧) هذا حرمٌ ولكن فيه أصنام . فالله يوفقك لضرب تكسرُ فيه الأصنام ، كما كسر الرَّسولُ=

ليس الذي يُدركُ الألوانَ بالبَصرِ يا مؤمناً قد شأى الإفرنج منزلةً وحانة الغَربِ للصَّادي مفتَحة للك المماتُ بهذا الشُّكْرِ مُستترً هل يَسَمَعن بنو الخانات موعظتي

بل مُغْتَنِ عن ضياءِ الشَّمسِ والقَمَرِ (1) تَقدَّمَنْ . ليس هذا مُنتهَى السَّفرِ ما الشُّكرِ فيها بعلم العصر بالنُّكرِ إنْ لم يكن فيك للتَّوحيدِ مِنْ شَرَرِ (٢) في شملةٍ لستُ ذا تاجِ ولا سُرُرِ ؟(٣)

- 4• -

مقاصدُ الفِطْرةِ العلياء يحفظها يراقبُ السَّحرَ في التمدين يُبطله للحُسْنِ واللُّطفِ صاغَ الروضُ بلبلَه يا شيخُ كم تُعجِبُ الأبصارَ مدرسةٌ على يعرفُ الدَّهر للإسلام منْ شبَهِ

مَن عاش في البيد أو في الطّود إنسانا في فقره أودَعَ الخلاّقُ سُلطانا وتُنشىءُ البيدُ للإقدام عِقبانا لكنَّ في البيد فاروقاً وسَلُمانا(٤) في نشوةٍ تتحدَّى السَّيفَ غضبانا

اصنام الكعبة ،

⁽۱) ليس بمبصر الذي يرى الألوان ، بل ما أدرك الحقائق والأسرار التي لا يحتاج في رؤيتها إلى الشمس والقمر .

 ⁽٢) لا ضير في أن تأخذ علوم العصر وتنتشي بها ، ولكن الهلاك فيها أن تغفل بها عن الإيمان والتوحيد .

 ⁽٣) الخانات : جمع خان ، ومعناه : الأمير . يعني يسمع هؤلاء الأمراء قولي وأنا في ثيابٍ
 خشنة ، لست ملكاً ولا أميراً .

⁽٤) يعنى : الأصحاب الكرام ، مثل : عمر الفاروق ، وسلمان الفارسي .





ٱلدِّيْوَانُ ٱلسَّابِعُ

رِسَالَةُ أَنْخُلُوْدِ حَاوِيدِنَامَه

نَقَلَدُ إِلَىٰ لَعَرَبَّةِ شِعْرًا الدُنورسين مجيب المصري



يعتبرُ هذا الدِّيوانُ التُّحفةَ الأدبيةَ لمحمد إقبال ، وهو عبارةٌ عن شعرِ (مثنوي) للفلسفة الدِّينية ، ويحتوي على نحو ألفي مقطع شعريًّ مزدوج ، طبع عام ١٩٣٢م ، وإنَّه يُبرزُ قُوى الشاعرالفكريَّة وذراها الرفيعة ، وفيه توريةٌ إلى جاويد ابن الشاعر ، ويشتمل هذا الدِّيوان على ثمانية أقسام ، وفيها يحكي الشاعر قصَّةَ سفرٍ في الأفلاك كقصة دانتي الشاعر الإيطالي ، تبدأ القصَّة بمقدمةٍ فيها مناجاةٌ وفصولٌ أخرى ، إلى أنْ تظهر روحُ جلال الدِّين الرُّوميِّ ، فيشرحُ أسرارَ المعراج ، وهو دليلُ الشاعر في هذه الرحلة ، ثمّ يأتي زورابه وهو روح الرَّمان والمكان ، فيحملُ الشاعر ودليلَه جلالَ الدين الرُّومي إلى العالم العلويِّ .

وفي القسم الأول يزورُ الشَّاعر « القمر » وهنا قدَّمه الروميُّ إلى الحكيم الهندي المعروف باسم « جهان دوست » (محبُّ الدنيا) يجلسُ تحت شجرة يأكلُ ويشربُ في تأمُّلِ وتفكُّرِ على طريقة اليوجا الهندية ، وحديثُه مع الرُّوميُّ واضحٌ ، وهو يبيِّن للإنسان أنَّ الطريق إلى التقدُّم يمكنُ خلالَ المزج بين الثقافة الشَّرقية والغربيَّة ، فالشرقُ قد ركز على الرُّوحانيات مهملاً المادِّيات ، بينما الغرب قد ركز على الرُّوحانيات .

ويوافقُ الحكيمُ الهنديُّ على ملاحظاتِ الرُّوميِّ ، لكنَّه ينقلُ إلى الشاعر أخباراً مشجعةً ، وهي أنَّ الشَّرقَ النائم الكسلان هو مع هذا كله في طريقه إلى اليقظة من النَّوم والانشغال .

ويذهبُ الشَّاعر إلى وادي جرغميد ، حيث يرى الشاعرُ كتب البوذه وزردشت والمسيح ومحمد ﷺ ، والشَّاعر لا يقابلُ الرُّسل شخصياً بل من خلال كتبهم ، وهو يشرحُ تعاليمَ كلِّ رسولِ على لسانِ أربعِ شخصياتٍ ، فتعاليمُ بوذه تُشْرحُ على لسانِ أهرمن ، وتعاليم المسيح تُشْرحُ على لسانِ فتاةٍ راقصةٍ ، بينما زردشت على لسانِ أهرمن ، وتعاليم المسيح

على لسان تولستي ، وتعاليم محمد ﷺ على لسان أبي جهل .

وفي القسم الثاني ينتقل الشّاعرُ بعد ذلك إلى «عطارد» حيث يقابل جمالَ الدّين الأفغانيّ (۱) وسعيدَ حليم باشا ، وهنا يقدِّم الرُّوميُّ الشاعرَ على أنَّه « زنده رود » أو « النهر الحي » وهو الاسم الّذي يستخدمه الشاعر من هنا فصاعداً خلال الكتاب . وفي إجاباته عن أسئلة الأفغانيِّ ، فإنَّ الشاعر يصفُ الأخطاءَ الّتي ترتكبها أممُ الشَّرقِ خاصَّة الترك ، والفرس ، والعرب ، في تغريبهم لأنفسهم ، ويقارنُ سعيدُ حليم باشا بين الشَّرق والغرب ، ويبيِّن أنَّ إنقاذ وخلاصَ الجنس البشريِّ يَكُمُنُ في المزج والتأليف بين كلتا الثقافتين ، أو كما يعبر الشاعر في تزاوج العقل بالعشق .

ويحكي سعيدُ حليم باشا بعد ذلك للنَّهر الحيِّ (زنده رود) أنَّ دين الله قد أصابه الفسادُ من جرًّاء تعصُّب ﴿ المُلاَّ ﴾ فقد اقتصرت وظيفتُه على خَلْقِ المتاعب .

وينتقلُ الشَّاعر في القسم الثالث إلى « فلك الزحل » ، حيث يزورُ مسكنَ الآلهة القديمة ، ويأخذُ الرُّوميُّ الشاعرَ إلى إقليم يقعُ مباشرةً تحت نهرٍ ، حيث يقيم فرعون وكتشز ، ويقدِّم فرعونُ الاعتذاراتِ ؛ لأنَّه لم يعترف بالولاء والإخلاص لموسى ، ويحذُرُ الآخرين كي يكونوا أكثر حذراً في مثل هذه الحالات ، ويقارنُ الرُّوميُّ بين « الأثوقراطية »(٢) والاستعمارية في الشرق .

وفي القسم الرابع يتَّجه الشاعرُ إلى « المرِّيخ » حيث يقابل فلكياً ، ويناقشُ الشاعرُ مع حكيم المريخ مشكلة القضاءِ والقَدَر ، وفي رأي الحكيم أنه من

⁽۱) فيلسوف الإسلام في عصره ، نشأ في كابل ، جال في الشرق والغرب ، دعا إلى الوحدة الإسلامية ، له مؤلفات معروفة ، منها : « إبطال مذهب الدهريّين » أصدر والشيخ محمد عبده مجلة « العروة الوثقى » في باريس عام ١٨٨٤م ، توفي عام ١٨٩٧م .

⁽٢) الحكم الفردي .

الممكن بالنسبة للإنسان أنْ يغيِّر قدره ، والإنسانُ يجب أن يحاول أن يحرص على السيطرة التامَّة على القدرة .

وفي القسم الخامس ينتقلُ الشَّاعر إلى كوكبِ " المشتري " حيثُ يتقابلُ مع الشَّاعر غالب (١) والصُّوفيُ منصور الحلاج (٢) وغيرِهم ، ويناقش معهم فلسفة الحياة والموت ، بينما تستمرُ هذه المحادثة يظهر الشيطانُ على مسرح الأحداث ، ووصفُ الشيطان هنا راثع ، ويحتاجُ إلى دراسةِ مفصلة .

وفي القسم السادس يصلُ الشاعر إلى كوكب « زحل » ، حيثُ يقابلُ أرواحَ المتَّهمين بالخيانة العظمى ضدَّ أوطانهم : مير جعفر من البنغال ، ومير صادق من الدكن ، والاثنان في قارب يكافحان دونما أملٍ ضدَّ عاصفةٍ مثيرةٍ في بحر من الدّماء ، وفي تلك اللحظة .

وفي القسم السابع يصل الشاعر إلى « ما وراء الأفلاك » ، وأول من يقابل ، يقابل نيتشه ، الذي ظلَّ طوالَ حياته يحاول البحث عن الله ، لكنَّه فشلَ ، لأنَّه اعتمد أساساً على العقلِ الَّذي لا يؤدِّي إلى شيء . وبعد نيتشه يطيرُ الشَّاعر إلى قصر عبد الصَّمد حاكم بنجاب ، ثم يقابلُ أخيراً الشَّاعر الشيخ سيد علي همداني ، والشَّاعرُ غنيٌّ من كشمير ، ويشيرُ بعد ذلك إلى بيعِ البريطانيين لكشمير .

⁽۱) هو ميرزا أسد الله غالب (۱۷۹۷م _ ۱۸٦٩م) كان من أعظم شعراء الأردوية ، قد سبقت ترجمته في الديوان الثالث (رسالة الخلود) .

⁽٢) هو الحسين بن منصور أبو مُغيث ، كان من عظام فلاسفة الإسلام ، وكبار الصوفيين الزمّاد ، أصله من البيضاء بفارس ، عاش في خلوات الصُّوفية لاسيّما مع الجنيد وسهل التستري ، اتُّهم بالزندقة والقولِ بالحلول ، فحكم عليه ، وسجن ثماني سنوات ثم عُذّب وصُلِبَ عام ٩٠٩هـ/ ٩٢٢م له كتبٌ كثيرة ، لم يبق منها إلّا ﴿ كتاب الطواسين ﴾ في شرح مذهبه الذي أنشأ في التصوّف ، وأثارَ حوله الجدل ، فقدّمه البعضُ وكفّره آخرون .

ويقابلُ الشَّاعر كذَٰلك نادر شاه ، وأحمد شاه ، والشاعرالهندي بهر تري هري ، وبينما هو يستعدُّ لمغادرة إقليم ما وراء الأفلاك يسمعُ الصَّوْتَ الإلهيَّ المقدَّس يوضحُ له أن السرَّ الحقيقيَّ للتقدُّم والتطوُّر يَكُمُنُ في نموِّ ، وتطوُّر الفرديات ، والمجتمعات ، وهنا تنتهي الرحلة .

وفي القسم الثامن الذي هو الأخير يخاطب فيه الشَّاعرُ الشَّبابَ عن طريق ابنه جاويد فينصحُهم بتجنُّب الرفقةِ الشرِّيرة ، وأن ينمُّوا شخصياتهم وذاتياتهم عن طريق الجهاد والكفاح المستمر .

وقد نَقَلَ هذا الديوانَ من الفارسيَّة إلى العربيَّة شعراً الأستاذُ الدكتور حسين مجيب المصري بعنوان * في السماء * ، ويُقدَّم الآن إلى القراء هذا الدِّيوان في عنوانه الأصل الَّذي سمَّاه الشاعر بـ * جاويد نامه * (رسالةُ الخلود) توريةً إلى ابنه * جاويد ، وهو الآن بين أيديكم * .

**

مُناجاة

إنّما الإنسانُ في دنيا السّراب شيوقًه لِلْخِلِّ نيارٌ تَضْطَرِم عاليه وطين عاليمٌ يحويه من ماء وطين تضمُتُ السدّامياءُ والبيدا معا وفدُكاءٌ وسمياءٌ حسولها النّجومُ في السّمياء عِلَّةٌ مثلُنا المسكينُ أمسى كلُ نجم مثلُنا المسكينُ أمسى كلُ نجم ميا أعد الرّخيل ميا أعد السرّخيل ونحنُ الصائدون ميا نحتُ في الشّكوى وما منْ مستجيب شياهدت عيناي يوما أشرقا من جفولِ النّجمِ في الدُّنيا ظَهَر ميا لَدُنيا مثلُ هذا المُغجبِ ميا أشرقا إنْ أنارَ الرُّوحَ ومضٌ منْ سَناه المُؤحَ ومضٌ منْ سَناه أنارَ الرُّوحَ ومضٌ منْ سَناه المُؤالِيةِ ومضيّ منْ سَنَاه المُؤالِيةِ ومضيّ منْ سَناه المُؤالِيةِ ومضيّ منْ سَنْ سَناه المُؤالِيةِ ومضيّ منْ سَناه المُؤالِيةِ ومضيّ منْ سَناه المُؤالِيةِ ومضيّ منْ سَناه المُؤالِيةِ ومناه المُؤالِيةِ ومناه المُؤالِيةِ ومناه المُؤالِيةِ ومناه منْ سَناه المُؤالِيةِ ومناه المؤلِيةِ ومناه المؤلِيةِ ومناه المُؤلِيةِ ومناه المؤلِيةِ ومناهِ المؤلِيةِ ومناه ا

لا يني عن نوجه شبه الرّباب (۱)
رقّب الشّكوى ومنها كم علم علم واله في الصّدْرِ خفّاق الوتين ؟ (۲)
وكلها في الوقر تشكُو سَمْعَها (۱)
كلّها في الوقر تشكُو سَمْعَها (۱)
كلّها في الوقر تشكُو سَمْعَها (۱)
كلل نَجم أوْحَشَتُهُ وَحُدهُ ! (۵)
ضلَّ في الزّرقاء مغشياً بهم (۱)
أو من تيه ومن ليل طويل أو أسارى منا تراهم يَذُكُرون أو أين للإنسانِ خِلُّ أو حبيب أين للإنسانِ خِلُّ أو حبيب في ضياء كل شيء أغرقا أو حبيب في ضياء كل شيء أغرقا منا استقر (۷)
برهة يبدو ولكن منا استقر (۷)
ماله ظهرٌ ولا من مَغْرِب (۸)

⁽١) لا يني : لا يضعف ، ولا يفتر .

⁽٢) الوتين : عرقٌ في القلب والمراد هنا القلب .

⁽٣) الدأماء : البحر . والبيداء : الصحراء . والطود : الجبل . ولعلع : لمع وتلألأ .

⁽٤) ذكاء : الشمس . والوفر : ثقلُ السمع أو ذهابه .

⁽٥) العدة: الجماعة.

⁽٢) الزرقاء: السماء.

⁽٧) جفل : ند وشرد .

⁽A) المعجب: الذي يثير العجب.

وعلى الدّهر سيبقى سَرْمَدا (١) إنَّ يرمي مُرزمَهِ وَ فَلْتُغِنْني (٢) هـذه الأفلاكُ فِيْمَنْ حَيَّرت (٣) أسكرتُ مِنْ خمرِها أو مِنْ سقاه (٤) فساليه بُحْتُ بالسرِّ الخَفي (٥) خرفُ ﴿ادعوني﴾، لمن هذا الكلام؟ (٥) ما رأتُ في الشَّمسِ نقصاً عيننا ما رأتُ في الشَّمسِ نقصاً عيننا كي نرى روحاً وما فيها خُمود لم تنلُ ما كنتَ تبغي مِنْ رغيبة (٨) قلمتُ إنسانٍ فسذا كنرُ ثمين ظلمة السرُّوحِ تسامًلها معي

ب لدًد الغيب بنسور قد بسدا يما إلهي مشل هذا اليوم هبني آيسة التسخيسر فيمَسن أنسزلت (علّم الأسماء) سرّ من دراه مِسن جميع الخَلْقِ منذا تَصْطَفي مِسن جميع الخَلْقِ منذا تَصْطَفي قَدْ رَشَقْتَ الصَّدْر منّا بالسّهام لسكَ وجه هو قسرآنسي ودينسي لسكَ وجه هو قسرآنسي ودينسي قيد من نهمنا ويمر القصر قيد من عمر الوجود ويمر الدّهر من عمر الوجود أنت ما لم تَقْلَع الأرض الجديبة إنْ نَمَا من ذَلكَ الطّينِ المَهِين أنتَ بدرٌ مرّ بي في مخدعي

⁽١) السَّرمد: الدائم.

⁽٢) ازمهر اليوم: اشتد برده.

 ⁽٣) إشارة إلى ٰقوله تعالى في سورة لقمان : ﴿ أَلم تروا أَن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ [لقمان : ٢٠] أي سخر الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والثمار ، والأنهار ، والدواب للإنسان لينتفع بها .

⁽٤) إشارةُ إلى قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ وَعَلَمَ ءَادَمَ الْأَسَاءَ كُلُهَا ﴾ [البقرة : ٣١] أي أسماء المسميات ، فأراه الأجناس التي خلقها ، وعلَّمه أنَّ هذا اسم فرس ، وهذا اسم بعير ، وهلم جرا .

⁽٥) اصطفى : اختار .

⁽٦) إشارة إلى قوله تعالى في سورة غافر : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱنْعُوفِىٓ أَسْتَجِبُ لَكُو ﴾ [غافر : ٢٠] ؛ أي : اعبدوني أثبكم .

⁽٧) النُّهي : العقل . وتناهى : بلغ النهاية .

⁽A) فلح الأرض: شقها ليزرعها. والرغيبة: الأمر المطلوب.

أيخـــافُ البـــرقُ ليـــلاً زلـــةً ا اهدني ربّاه منزرق الروواق(١) والجُعَـل الطَّيـن نَجِيّـاً للمـلائـك(٢) وَدَع العُـــوْدَ وأضــــرِمْ خَطَبــــا وعلمي الكمونِ دُخمانسي بمدِّدَنْ وبغـــضًّ الطَّـــرفِ هبنـــي نظـــرةً إنَّما كانَ عمانا ذنبُنا أرسل المعول أو ريح السَّحر(٤) واهدِ هذا القلبَ للجذبِ الدَّفين عُـشُّ ذاك العِشْـقِ قلـبٌ لا يَنَـام مسرحاً أضحى لأفكار تُعَد علمُنا من غيرِ وحي ساحرُ (٥) ما رماهُ الوهمُ في جوفِ الرَّدى عقلُنـــا مَـــسٌ وجَبْــــرٌ دينُنــــا نحنُ نرنو وهي منْ يروي الخبر

لے نُنوء عن هشیم شعلة عِشْتُ ما قد عِشْتُ لكنْ في الفراق افْتَحَانُ كِلَّ بِسَابِ لِنِي هُسَالِكَ هاك صدري فيه أشعِلْ لهبا نــحٌ تلــكَ النَّــار عــودي أوقــدَنْ أجُرج النار بكأسي خمرة قَـــدُ طلبنـــاكَ ومـــا تبـــدو لنـــا وعــنِ الســرُ أمِــطْ ستــراً خفــاه دوحُ فكري لا يُرجّى من ثمر قَدْ وُهِبْتُ العقلَ فامنحني الجنون إنَّما للعلم في الفِكْرِ المَقَام وإذا العلم عن العِشْقِ انفردْ فيه سِخرُ السَّامريُّ ظاهرُ بالتَّجلُّ عالمُ القوم اهتدى عيشنا لولا التَّجلِّي سقمُنا هـــذه الــــدُنيــا بهــا بحــرٌ وبــر

⁽١) مزرق الرواق: السماء.

 ⁽٢) يريد بالطين نفسه ؛ لأنه إنسانٌ خلق من طين . والنّجي : صاحب السر . والملائك :
 الملائكة .

⁽٣) خفاه : أخفاه .

 ⁽٤) الدوح : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة .

⁽٥) بعد أن ذهب موسى لميقات ربه ، تحيَّن رجلٌ يسمى السَّامري غيبته ، وأخذ من بني إسرائيل حلي نسائهم ، وألقاها في النار ؛ ليسبك منها عجلًا ، وجعله بحيث يكون له صوتٌ كالخوار ، وخدع بني إسرائيل بقوله : هذا إلهكم وإله موسى .

فِلْقَاةُ البَادْرِ إليه فلتَعُددا) وكسلامُ الهجر يخلو من خِتام من بعيدٍ فلتقللُ إنِّي قسريب فكــــلُّ صـــوبِ وشمـــالٍ وجنـــوبُ ووراءً كـــلُّ نجـــم استبـــق^(۲) ولنا الأنفاس عمر مستعار أي عبيد غيار من صُنع الإله(٣) لـم يسـر بغيـاب أو خُضـور(٤) وأنا الأرضُ أسكنِّي السَّماء كــل خير ، ومسيري لــلأمــام لا ولا تِلْكَ السَّما هذا الكتاب أينَ منْ غاصَ على قاعي العميق(٥) وتسرى فى البحر موجات تفر ولديَّ عن غدي قبولٌ مبين ولیکن کلُّ عمیـق کــالضّحـول^(٦) فسإلسى السدّار فسؤاداً ضلل رُد من ترابى ما نما إلَّا الكلام إنَّني في الكون ذيَّاكَ الغريب ريثما كالشَّمس يُطوى بالغروب مِنْ غَدي والأمس إنَّى مُنْطلق أنتَ نسورُ خسالسدِ نحسنُ الشَّسرار قل لمن ما ماز موتاً من حياه جاب آفاقاً وليس بالصبور إنَّني الفاني فهب أنت البقاء يا إلهى هَب فعالى والكلام ليس من دنياي هذاك الخطاب إنّني بحيرٌ سكوني لا يليق وعلمى الشماحمل دُنيما تستقمر قد يشت من شيوخ الأقدمين وعلى الفتيان يشر ما أقول

⁽١) فلقة البدر بكسر الفاء: القطعة منه.

⁽٢) استبق: تسابق.

⁽٣) ماز الشيء : فرزه عن غيره .

⁽٤) جاب البلاد: قطعها.

⁽٥) غاص على اللؤلؤ: غطس يستخرجه.

⁽٦) الضحول : جمع ضحل ، وهو الماء لا عمق له .

تمهيدٌ سَماويٌ

في اليوم الأولِ لِلْخَلْقِ، تنثني السَّماءُ على الأرض بالملام وبها قدْ خُلِقَ الكونُ العُجاب بَنَتِ الحيرةُ صرحاً ما انْصَدَع^(١) بَغْدَ شوقٍ: لَسْتَ مثلي يا فُلا^(٢) مَنَحُوها في السَّماءِ نُـُورَها (٣) زانَهِ التُّبْدُ رسوماً جمَّةً ورأى الكــونَ وليــداً فــاغْتَنَــقُ لا تمر في ثراها قافِلَة والفيافي تَحْـتَ غيـم مـا انْهَمَـرْ لا ولا في المَرْج سِربٌ منْ ظِباء ولها الشوبُ دخانٌ وانتَّصُر وانْطُـوَتْ تحـتَ الشَّـري فـي غبـرةِ « ما رأتْ عينٌ كهذا هَيْتَ لك! »(٤) لىك نىورٌ مىنْ سِرَاجِي أيَّ بُدور لا يضـــاهـــي فَلَكـــاً أو أنْجُمـــا(٥) أوْ فموتي من شَنَادِ للذَّليل(٢) بَعْدَ حزنِ وضَياع لِلْمُسل

لِلْخُضِورِ لَـذَةُ أَو لِلْغيـاب كانَ لـالأنفاسِ خيـطٌ فـانْقَطَـع حيثما تمض تشاهد قاللا علَّمُوا الأنجرَمَ طُورًا سَيْرَهِا هذه الشَّمسُ أقامتُ خيسةً أوَّلُ الإصباحِ في الأفق انْبَشَقْ كانَ للإنسانِ أرضٌ فاحلة الجبالُ ليس فيها من نَهَارُ ما شَدَتْ في الغُضن طيرٌ بالغِناء التَّجَلِّــي غـــابَ عـــنْ بحـــرِ وبـــرّ في ربيع ما بَدَتْ من خُضْرَةٍ لامَ تِلْكَ الأرضَ مسزرقُ الفَلَكُ وفضائي ليس فيه من ضرير قد يطولُ التُّرْبُ طوداً في السما فَلْتعيشي مثلما عاش الجميل فاعترىٰ الأرضَ منَ اللَّومِ الخَجَـلُ

الصرح: كلُّ بناء عال . (1)

يا فلا : ترخيم يا فلان . (٢)

طُوًّا : جميعاً . (٣)

هيت لك : هَلُمَّ وتعالَ . (1)

الترب : التراب . والطُّود : الجبل . (0)

الشَّنار : العيب والعار ، (7)

ونداءٌ جاء من فوق القِمَم (١) أيّ بأس؟ ذاتك امْنَحْها النَّظَر ليس من نور أتانا من فلك (٢) من صروف الدهر أنوارٌ لروح يسبق الشَّمْسَ شُعاعاً والقَمَر وهي تبدي منْ ثراكَ ذا السَّنا !(٣) ولهذا العِشْق غزؤ الللامكان عينُه يقظى وفاقت جبرئيل! وله يَبْدُو رباطاً ذا الفَلَكُ (٤) إبرةً قد خَرَقَتْ ثوبَ الحرير فَضَّلَـهُ فـى عينهـا نــورُ البَصــر^(٥) وهو كالمِهمازِ في جَنْبِ القضاء (٦) لترى الذَّاتَ تَجَلَّتْ في الصَّفات سيداً أضحى لِكُلِّ الكاثِنات(٧) ومن الظُّلْمةِ أضواها الألسم المنا أميناً لَسْتَ تدري ما الخبر النَّها أر نسورُه من مُعْتسرك نورُ هذا الصُّبْح من شَمْسِ جريح نورُ تِلْكَ الرُّوحِ ماضٍ في سَفَر من كتابِ الرُّوحِ أَسْقَطْتَ و المنى المنكُ العَقْلُ من اللهُنيا العَنان يملكُ العَقْلُ من اللهُنيا العَنان يهتدي الفِكرُ ومِن غيرِ اللهُليل يهتدي الفِكرُ ومِن غيرِ اللهُليل يبا لَهُ تسرباً يطيرُ كالملكُ يخرُ الزَّرقاءَ جسمٌ في المسير يَخرُ الزَّرقاءَ جسمٌ في المسير ورقيتُ اللهُينِ سفَّاكُ الدَّماء ورقيتُ اللهُينِ سفَّاكُ الدَّماء من تُسْن ذات تستنيرُ عينُه بالكائنات من تُسْن ذات من تَلَظَى عِشْقُه من حُسْن ذات

* * *

⁽١) أضواها: أضعفها.

⁽٢) المعترك : موضع العراك والقتال . والمراد به معترك الحياة .

⁽٣) السنا: النور.

⁽٤) الرباط: مبنى لنزول المسافرين كما أنه لإقامة المتعبدين.

⁽٥) الوضر: الوسخ.

⁽٦) رقيق الدين : الملحد .

⁽٧) تلظت النار: تلهبت.

أغنية الملائكة (١)

ويسوماً تبهسر الصلصال نسورياً بسأنسوار ويسوماً تُضبحُ الأرضُ سما من نجم أقدار خيالُ المسرء ظمانٌ ، سيسولُ السدِّهسرِ تسرويه ويسوماً خارجَ الأفسلاكِ في أمن سَتُلقيه وفي معنى لإنسانِ تامَّلُ أنْت ثمَّ اسأل ويسوماً بَعْدَ تطويع سَيُمْسي ذلكَ الأخمل ويعلو منهُ شانٌ لم يكن في أمسهِ شيًا ويسوماً أنْت لا تلقاهُ عِنْدَ الله مَسرُضِيّا

* * *

تمهيدٌ أرضيٌ

تلوحُ روحُ جلال الدِّين الرومي ، وتتناولُ بالشَّرْحِ سرَّ المعراج

ضجةً لِلْقَوْم تَطُويها دَفينة أو على السَّاحلِ مِنْ بحرٍ خِضَم (٢) فَقَصَدْتُ البَحْرَ أُلقي نظرةً زرقة فيها يواقيتُ تَدُوب للمساء مكسبُ لونَ السَّحر وطَلَبْتُ في خيالي مُنْيتي (٣)

شعُلةٌ لِلْعِشْقِ شَبَّتْ في المدينة تَنْشُدُ الخلوةَ في طَودٍ أَشَم ما وَجَدْتُ لي حميماً مسرَّةً ورأيتُ البَحْرَ في وقتِ الغُروب للضَّرِيسِ واهبٌ نورَ البَصَرِ شم ناجيتُ طويلًا مُهْجَتي

⁽١) هذه المنظومة من بحر الهزج ، وهو في العربية سداسيٌّ أصلاً ، ولا يستعملُ إلا رباعياً ، غيرَ أنَّ الفرس يستعملونه ثمانياً . وقد أوردناه ثمانياً كما ورد في هذا الشعر الفارسيِّ .

 ⁽٢) الطودُ الأشم : الجبلُ المرتفع . البحرُ الخِضَمُّ : العظيمُ الواسع .

٣) المُهْجةُ : دَمُ القلب . والمرآدُ به هنا القلب .

إنَّني الفاني ومالي من خلود ظامئ والنَّبع عن ثغري بعيد

وأنا حيٌّ ومثلي في اللُّحود في اللُّحود فيإذا بي منشـدٌ هـذا النَّشيـد

غزل

افتَحِ الثَّغُرَ لذَة الشَّهْدِ اطْلُبُ هَدْه الكاسُ في يدي وباخرى في دلالٍ تقولُ قُمْ انْتَ عنَّا أَنْتَ يا عقلُ فانصرِف عنْ هُذاءِ إِنَّ تلكَ الحياةِ كالسَّيْلِ تمضي ذاكَ فرعونُ أَرْمَضَ النَّفسَ جَوْراً طافَ في الليلِ شيخُنا بسراج ورفاقٍ كَرِهْتُ مِنْهُمْ خِصالاً

أظهرِ الخدَّ روضةَ الوَرْدِ أَطْلُبُ (۱) شَعرُه ، إِنَّ رقصةَ الوَجْدِ أَطْلُبُ (۱) قَلْ وَكَرُّ ، فقولةَ القَنْدِ أَطْلُبُ (۱) قَلْ وَكَرُّ ، فقولةَ القَنْدِ أَطْلُبُ (۱) أَنْتَ يا عِشْقُ صحوةَ الجدِّ أَطْلُبُ (۱) وأنا الحوتُ لُجَّةَ المدِّ أَطْلُبُ (۱) نورَ موسى بليلةِ البَرْدِ أَطْلُبُ (۱) نورَ موسى بليلةِ البَرْدِ أَطْلُبُ (۱) قال إنَّي مؤجَّلَ العَوْدِ اطْلُبُ (۱) قال إنَّي مؤجَّلَ العَوْدِ اطْلُبُ (۱) رُستماً لي وسيِّدَ الأَسْدِ أَطْلُبُ (۱)

ر١) يريد برقصة الوجد رقص المولوية ، وهم أتباعُ جلال الدِّين الرومي المعروف بمولوي ، وكانوا يرقصون ، على أنَّ الرَّقص والسماع مما يثير في القلوب لوعة العِشْق الإلهي . وسنصفُ رقصهم تفصيلاً في الصفحاتِ الأخيرة من الكتاب .

⁽٢) القَنْدُ: السكر.

 ⁽٣) الهذاء: الاسم من هذي بمعنى تكلم بغير المعقول لمرض أو غيره -

 ⁽٤) اللجة : معظم الماء . والمدُّ : ارتفاع ماء البحر .

⁽٥) ذكرنا ليلة البرد هنا لأنَّ موسى عليه السلام كان يرعى غنمه ومعه امرأته في ليلة باردة وأراد أن يقدح بزَنْدِه فما أخرج الزّندُ ناراً غير أنَّه شاهد ناراً من بعيد ﴿ فَقَالَ لِأَمْلِهِ ٱمْكُنُّواً إِنِّ ءَانَسَتُ نَازَالْعَلِقِ ءَالِيكُرُ مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِهُدُى ﴾ [طه: ١٠].

 ⁽٦) العود : العودة وجعلناها مؤجلةً للمبالغة .

⁽٧) رستم : بطلُّ الأساطير الفارسية المشتهرُ بشجاعته وشهامته في الملاحم ، وأردنا بسيد الأسد أسد الله وهو عليٌّ كرم الله وجهه .

كـــم بحثنــا ، وأيَّ شـــي، وجــدنــا قلــتُ إنَّــي بــرغــم ذا الفَقَــدِ أطْلُــبُ

غابتِ الشَّمسُ وفي الأفقِ الظَّلامِ يَشْهدُ الكوكبُ بِالنُّور اثتلق ولها منْ خَلْفِ أطوادٍ ظُهور (۱) وشبابُ شيبه ، في مَيْعَتِه (۱) وشبابُ شيبه ، في مَيْعَتِه (۱) منْ حُبُورِ الخُلْدِ غطَّاه الرُّداء (۱) فيكًا للقيود فيكًا للقيود فيه نازٌ قد تجلَّت فيدُ محمودٍ ومحمودٌ ؟ أجبني فيالوجودُ يقتضي هذا الظُهور فيانَ لنا (١) رغبةٌ في الذَّاتِ برهانُ لنا (١) وأينَ مَنْ يشهد ؟ » قالوها معا (١) أو تَجُدُ بالرُّوحِ سلْ عن ذا الأمين (١) أو عيونِ ميا لها إلاكَ نور أو عيونِ ميا لها إلاكَ نور أو عيونِ ميا لها إلاكَ نور

⁽١) روميٌ : هو جلال الدين الرومي . والأطواد : الجبال .

⁽٢) مَيْعةُ الشباب : أوَّلُه .

⁽٣) السَّرمديُّ : الخالد . والحُبورُ : السُّرور .

⁽٤) أنا هنا بمعنى الذَّات أو الفرد. وفي رأي إقبال أنَّ حياة الإنسان لن تكون إلا فردية ، ولا وجود لحياة كلِّية في واقع الأمر ، وتجلِّي الحياة في الفرد ليس إلًّا . فالأنا أو الإنسان يسمو ويخلد بالعمل ، وإلى تلك الحقيقة كانت إشارةُ الإسلام .

⁽٥) يُكْثُرُ شعراءُ التصوُّف من الفرس ذكرَ يوم ﴿ أَلستُ ﴾ مشيرين بذلك إلى قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَإِذَ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِم ذُرِيَّتُهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسَتُ مِرَدِّكُمْ قَالُواْ بَلْنَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

⁽٦) المراد بهذا الأمين: الشَّاهد.

واجعل الشاني شعورَ الآخرين ولتكن ذاتُ الإله خيرَ شاهد أنتَ إنْ واجهت ذيّاكَ الضّياء الحياةُ هي للندّات الوصول لم تلائم مؤمناً قط الصّفات ما هو المعراجُ ؟ مرجاةٌ لشاهد شاهد عدلٌ وممّا قال شاهد ما لإنسانِ ثباتٌ في الحضُور ذرة لا تلق من هذا اللّهيب أنْ تزيدَ النّورَ فيك ذاك أخلَتُ جسمَك الباليَ جدّدُ بالصّقال

شاهد الذّاتِ بعينِ الآخرين ولها نورٌ به ذاتاً فشاهد نِلْتَ طولًا سرمديّاً للبقاء وهي ذات ليس يُخفيها سُدول(١) ما اختيارُ المصطفى إلا لِذَات واختيارُ المصطفى إلا لِذَات واختيارُ المصطفى إلا لِذَات عيشُنا البستانُ أزهارٌ له ويشُنا البستانُ أزهارٌ له أو هو الكاملُ لا يشكُو القُصور(٢) شم صُنْهُ مِشْلَ تِذْكارِ الحبيب أن تضاهيه بشمس ذاكَ أليّاتُ واختيرُ ذاتك عِشْ فالعمرُ طال

ليسس بالمحمود إلا ذو الوجود عيشنا لولاه ما يعلو الوقود (٣)

قلت كيفَ نحنُ نمضي قصدُنا الحقُّ لجبالٍ ومياهٍ كيفَ ذا الشقُّ (٤) وبعيد لا آمر عدن أمرنا والزَّمانُ شَصَّه في حلقنا (٥) قلت والسُّلطان إمَّا كانَ لك لاستطعتَ اليومَ تحطيمَ الفَلك (٢) انتظر يوماً تعرَّى الكائنات والغبارُ طالَ منْ ذيل الجهات

⁽١) السُّدول : جمع سدل ، وهو الستر . واللام في للذات بمعنى إلى .

⁽٢) الحضور عند المتصوفة هو حضور القلب بدلالة اليقين حتى يصبح الحكم الغيبيُّ عنده كالحكم العينيُّ . ونقيضُه الغيبة ، وهي غيبة القلب من دون الله حتى يغيبَ عن نفسه ، ويستطيع مشاهدتها .

 ⁽٣) الوقود : النار واتّقادها . والدُّخان هو المراد بما يعلوها ، وهو متفرّقٌ متبدد .

⁽٤) الحق : هو الله جل وعلا .

⁽٥) الشص: حديدة عقفاء يصاد بها السمك.

⁽٦) إما : مركبة من إن الشرطية وما الزائدة .

الأقسل لا تسرى والأكثسرا قسولُ في إلا بسلطان ﴾ تَاذَكُر بسلطان ﴾ تَاذَكُر بسلطان ﴾ تَاذَكُر بسلطان ﴾ تَاذَكُر بسولادٍ أيُهسله الألمعسي بعيدا ليس مِنْ ماء وطين ذا الولاذ ليس مِنْ ماء وطين ذا الولاذ بالاختيار بالبكا ذاك وذا بالابتسام ذا سكون ، سيره في الكائنات ذا لليسل ولصبح حاجتُه ذا لليسل ولصبح حاجتُه مولدٌ للطّفل بطناً قد فطر ودليل العالمين في الأذان

أنت منه وهو منك ما ترى أو فَمُتْ في الوَحُل والذرِّ المبعثر(۱) كنت في دنيا الجهات الأربع(۲) وتفك عنك هاتيك القيودا مسا دراهُ قسطُ إلا ذو فسؤاذ ظاهرٌ هذا وذا خَلْفَ السِّنار باحثٌ هذا وللشَّاني المرام ذاكَ قطُ لا يسيرُ في الجهات ما هما إلا لسذاك دأبته للرُّجالِ المولد الدُّنيا فَطَر للسَّادُوح وهذا باللَّسان (۱)

مسولسدٌ للسرُّوح حلَّست جسمَنا زَلْرَلَ السدُّنيا فماجَستْ حولَسا

قلت لمسولي معنى لا أراه إنَّما دنياكَ غيب أو حضور ولنذات ذوبُها فسي جلوة جلوة للذَّات في نور الصَّفات عقلُها الدَّافع نحو الجلوة وإلى العالم هذا العقل جاء

قال شانً من شوون للحياه ثابت هذا وللشاني المُرور ورور وتراها جَمَعت في خلوة لكن الكن الخلوة من نور لِذَات عِشْقُها الماضي بها لِلْخَلُوةِ كَى يَحُلَّ اللَّغْزَ من طين وماء كي يَحُلَّ اللَّغْزَ من طين وماء

 ⁽١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الرحمن : ﴿ يَنَمَقَثَرَ لَلِمِنَ وَالْإِنِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِن أَنقُدُوا مِن اللّهِ عَلَمُ وَلَا إِلّهِ مِسْلَطُنِ ﴾ [الرحمن : ٣٣] والشاعر يصف قدرة الإنسان بطاعة الرحمن . والذر : صغار النمل .

⁽٢) الولاد: الولادة . والألمعيُّ : الذكي الحصيف .

⁽٣) جرت العادة بالأذان في أذن الوليد .

ثم أمسى البَرقُ والغَيْمُ الخطيب لا كعربيل جريء في الغَرر(١)! نملة أنت تراه إذ يسرر أمَّ مَـنْ يهـوىٰ وئيــدَ الخُطْـوَة (٢) فمتسى أمسرٌ لسه يسومساً يَتسمُ لا ولا حتَّى قريباً من شَطُون (٣) أو حــواليــه يطــوف فــي مهــل وقلوبٌ كالشُّموكِ إذْ تعُوم (٤) والمماتُ دونَ قبرٍ لِلْعِيَانُ (٥) لا ولا من قُوَّةٍ لللقوياء(١) شــــق ذلــك البــدر المنيــر جيشَ فرعونَ بلا حربِ هزم^(۷) كاملنُّ فيها وها منها انتشر يفضلُ الدِّينَ ومن علم أهم ولم قد عفَّر الكونُ الجبين ما دنا أو شط وهو اللامكان ولمه الكونُ جوادٌ يُسرُكبُ

كــلُ جلمـود لــه أضحــى أديبــا عنب تسألف ذوقاً للنظر يَرْهَبُ السَّيْسِ فيمضى كالضرير حيث كانَ العقلُ فوقَ القوَّة أمرره شيئا فشيئا ينتظم ما درى العِشْقُ شهوراً من سنين وَيَشُونُ العقلُ شقًا في الجبل ومِن العِشْق جبالٌ كالهشيم إنَّما العشقُ بَياتُ اللَّامكان ليس يقوى العِشْقُ من ريح وماء خيبراً نمال بخبرٍ من شعير رأسَ نمسرودِ بـــلا ضـــربِ حَطَـــمُ إنَّه في الرُّوح ، في العَيْنِ البصر والــرَّمــادُ العِشْـــقُ والعِشـــقُ الضَّــرم وهـو سلطـانٌ وبـرهـانٌ مبيـن أمسنا والغد وهبو البلازمان من إله الكون ذاتاً يطلب

⁽١) العربيد: من يؤذي نديمه في سكره، والمراد به هنا الصُّوفي. والغرر: التعرُّض للهلاك.

⁽٢) أمَّ : قصد . والوئيد : البطيء .

⁽٣) الشَّطون : البعيد .

⁽٤) السُّموك: الأسماك.

 ⁽٥) البيات : الهجوم ليلاً . والعيان : المعاينة والمشاهدة .

 ⁽٦) الربح والماء والتراب والنار هي العناصر الأربعة .

⁽٧) حطم بمعنى حطم .

منه يبدو ما لقلب من مقام يَهِبُ العشَّاقُ ربَّا نَفْسَهُم عاشقٌ أنت ؟ على اللاصَوْب أقدِمْ أنتَ يا منْ أنتَ ميتٌ في الحفير لك لحن مُطربٌ في المَسْمَع المكان والزَّمان ارْكَبَان « منْ بسمع منْهُ صوتُ النَّملِ مرًّا تَخْرِقُ النَّظُرةُ لي كلَّ الستور

يبطلُ الفتنة في دنيا الحطام باذلين العقبل قربانا لهم وعلى ذاتِك موتاً فلتُحَرِّم(١) القيامُ ممكنٌ مِنْ غير صور(٢) فإلام منك صوت الضّفدع ذلكَ الدُّنَّارَ عنْكَ اطْرَحَنْ^(٣) ما تراهُ عَنْهُ فاسألُ عَقْلَكا فَمِن الدَّهر وعَىٰ للدَّهرِ سرَّا »^(٤) في عيدونٍ ما لها ذُلُّ الأسيد

إنَّما الإنسانُ هاذاكَ النَّظر فبــهِ مَــنْ كــانَ يَهــوىٰ قَــدْ غَمَــر كلُّ هذا الجسم فاصهر في النَّظر

مِنْ سمواتٍ تَخمافُ! لا تَخَفْ وُشعةَ الدُّنيا تخاف! لا تَخَفُ (٢) الــزمــــانُ والمكــــانُ فلتشـــاهــــدْ نظر من جلسوة إمّا سبق حبــةٌ فـــى جـــوف طيـــن مظلـــم وهمي لا تمدري قسريباً أنَّهما

فيهما حالًا لروح أنت وَاجِدُ فساختسلاف الغسد والأمس انبشق لا تسرى عُلسو الفضاء الأعظسم قد تمدلً في السماء غصنها

الصُّوب : الجهة . (1)

الحفير: القبر: (1)

الزنار : حزام يتمنطق به أهل الذمة . (٣)

هذا البيتُ للشاعر الفارسي جلال الدِّين الرُّومي . (1)

هذان البيتان من شعره كذلك. (0)

الوسعة : الاتُّساع . (7)

ولها الجوهر نعرقُ للنماء ومقامٌ ، وهما أيضاً سواء^(١)

أبصرِ الرُّوح وعن جسمٍ فَمِل^(۲) قسولُك المحملُ زوراً ومحال وهي ذوقُ الغزو للأفتِ الرَّحيب^(۳) والمَقَامُ في الجهات بالعدد⁽³⁾ إنما المعراجُ تغييرُ الشُّعور خلُّصنَّ النَّات من تحتٍ وفوق

قلت إنَّ الجسم لللارواح مَحْمِل إنَّما الجسم تعلىك الرُّوح حال ما هي الرُّوح؟ احتراق بالوجيب واعتياد اللون والريح والجسد القسريب والبعيد في الشُعور ذاك من جذب وشوق

ليسسَ هــذا الجســمُ للــؤوح النَّظيــرا والتُّــرابُ مــانعــاً مــن أنْ نطيــرا^(ه)

« زروان » وهو روح الزَّمان والمكان

يمضي بالمسافر في سفرته إلى العالم العلوي(٦)

زئبتٌ ذرًاتُ جسمي من أمامه(٧)

دبَّ في روحي فتورٌ منْ كـــلامــه

⁽١) النماء : النمو ، يقول : إنَّ الحبة هي جوهرها .

 ⁽٢) المحمل: شقّان على البعير يُحمل فيهما العدلان.

⁽٣) الوجيب : خفقان القلب .

 ⁽٤) المقصود بتلك الجهات الجهات الأربع أو الاتجاهات الأربعة .

 ⁽٥) التراب هنا هو مادة جسم الإنسان .

⁽٦) زروان في المجوسية أو الزرادشتية هو الزمانُ المطلق . وعند بعض المجوس : الذين يقولون بوجود إلهين أهورامزدا إله الخير وأهريمن إله الشر ، وأنَّ هذين الإلهين ظهرا من زروان ، ويُعرفون بالزروانيَّة ، كما يذهبون إلى التوحيد ، ويرفضون الثنوية .

⁽٧) يعنى بقوله: إنَّ ذرات جسمه كالزئبق: أن جسمه يرتعد. ومن: بمعنى في ٠

يَغْتِهُ شاهدتُ بين الخافقين مَلَـكٌ يَهْبِطُ من هـذا الغمام هـــذه كـــاللَّيـــلِ والأخـــرى مُنيـــره فـــي الجنـــاح حمـــرةٌ أو صفـــرةٌ في طباع منه سَوْبٌ للخَيَال فتراه كرل يروم في سماء قسال زروان أنسا السَّدُّنيسا قَهَــرْتُ كــلَّ تــدبيــرِ بتقــديــرِ رأيتُــه إنَّ بي للزَّهر في الغُصن النَّماء تُصْبِحُ الحبَّـةُ إِنْ طِـرْتُ الغُصـونــا وأنــا مــنُ لــي العتــابُ والخِطــاب الحيـــاةُ والممـــاتُ والنُّشـــور في يدي الإنسانُ بل كلُّ الملائك ما قَطَفْتُ من ورودٍ فهو لي إنَّما الدُّنيا أسيرٌ في طلسمي « لي مع الله » حديثٌ من وعاه إنْ أردتَ لي رحيـلاً مـنْ هنـالـك

السَّماءَ في غمام كاللُّجين (١) طلعتماهُ فسي البيماضِ والقَتَمام(٢) هاهما يقظىٰ ووسنىٰ كالضَّريره (٣) ولُجَيْنِ أَزْهَ رَبِّهِ خُضْرَةً ﴿ بيــنَ أرضٍ ونجــوم فــي انتقــال^(ه) لجناحَيْـهِ جــديـــدٌ مــن فضاء وأنسا مسنْ قَــدُ ظَهَــرْتُ واختفيــت كلَّ حيٍّ في شباكي قد حملته وَلِتلْكَ الطَّيـرِ في الـوَكْـرِ الغَنَـاء وبفيضي الوَصْلُ نالَ العاشقونا أظمىء الظّامى وآتى بالشّراب وأنسا النَّسارُ وجنَّساتٌ وحُسور وبنيَّ عالمٌ من فيه هالك(٦) أمُّ ما لِنَاظرَيْك يَنْجَلسى وتشيخُ فـــي زفيـــرٍ مـــنْ فَمـــي سىرى المغمورُ في لَبْسِ وَعـاه^(٧) (لي مع الله) اذكرن في فُؤادك

⁽١) الخافقان: المشرق والمغرب . اللجين: الفضة .

 ⁽۲) يقول: إن له طلعتين أو وجهين ، أحدهما : أبيض ، والثاني : أسود . والقتام :
 السَّواد ، والظلام .

⁽٣) وسنى : نائمة .

⁽٤) أزهر المصباح: أضاءه.

⁽٥) مرب سرباً: مضى في الأرض على وجهه .

⁽٢) الملاتك : الملاتكة .

⁽V) يشير إلى قوله ﷺ: 1 ولى مع الله وقت ١ .

أيُّ شيء كان لي من رؤيته عالماً آخر أبدي يا ترى بياترى بين ألوان وريح قد قَضَيْتُ وأنا عن عالمي هذا انقطعتُ لِضَياعِ عالمي إنَّي حَزِنْتُ لِضَياعِ عالمي ، ذاك روحي ما استقر والخفايا ما عليها مِنْ حِجَاب

قد نسبت عالمي من قُدرته أو كان عالمي من قُدرته أو كان عالمي قد غبسرا! وإلى دُنيا الكونِ قَدْ مَضَيْتُ () عالما آخر إنّي قد مَلَكْتُ من تُرابي غيره ها قدْ وَجَدْتُ وبقلبيي زادَ نيورٌ للبصير والنّجومُ لحنها لحن عُجاب

**

زَمْزَمةُ (٢) النُّجوم

عقلُكَ الحاصلَ كانَ للحياة فتعالَ ، أنت يا هذا التُراب وعليكَ المشتري والرُّهْرةُ الحس رغبةٌ في نظرةٍ منْكَ أثارتْ وطريقٌ للحبيب ، كم جديد إنَّما هذا الحنينُ للوحيد الحياةُ إنَّها هذا الصفاء

لك عشق هو سر الكائنات مرحباً ولتمض في دنيا الجهات سناء كانا في شديد من نزاع ما أثارت من تجلّي المعجزات (٣) وجديد فيه يبدو للتّجلّي في قلوب العاشقين الشّيقات (٤) الحياء أنّها هذا النّماء

⁽١) الريح : الرائحة . وقضى : مات .

⁽٢) الزمزمة : الترنُّم ، أو التكلُّم بصوت خفي . وقد آثرنا أن نترجم هذه المنظومة على نسقها في أصلها .

 ⁽٣) الرُّهرةُ: كوكبٌ معروفٌ وقد سكنت الهاء فيها لضرورة الشعر . يقول الشَّاعر : إنَّ رغبةَ
 المشتري والزهرة في نظرةٍ منك إليهما وهما المتنافسان عليك ، مما أثار هذا التجلّي .

⁽٤) الشيق: المشتاق.

ـخطو سريعاً ولُتَسِرْ حتَّى الفناء^(١) ماً فله رَجْعَ الصِّياح ، امْتَحَنْ ميرا بحانٍ ، جرَّةَ الرَّاحِ امْنَحَنْ (٢) ـد ثم فرس ، يألفون الطَّعْمَ حلوا ماً ، طعم هذا العِشْقِ مرًّا ، امنْحَنْ راً وهو طام في عُرام واحتدام(٣) ـر منْ حَدُورِ السَّهل نهراً ، الْمُنَحَنُّ (٤) لِي ليس إلا من غُثاء، فاعْلَمنُ منْ مُعْدَم رَفَعَ النَّداء، فاعْلَمن (٥) عـزًّا ، وهـذا المُلْكُ لـلإسكنـدر م الله ، لكنَّ ذاكَ سِحْرُ السَّامري كَنَّ الملوكَ بالجيوش قَتْلُهم يبغون بالهيجاءِ حُكْمَ الجائر(٦) لكن لذاك كان عنف القاهر(٧)

الحياة مُلك ربى ، باعب ال غـزلٌ إنْ شـاقَ منـك النفسس يـو شخنــة السُّلطـان يبــدو ثــم خـ فيى العسراقِ والشام بل وهنه هــــــــــــــــونَ الحُلْــــــوَ دوْ كي يمور البحر بالأمواج مؤ متعــة للسينل يجري بالهدي الفقيارُ كان ناراً كال مُل الملوك حَسْبُهُ م في بطشهم إنَّ للصُّوفِيِّ عِنْ أيساله إنَّ للصُّوفِيِّ جِلْهِاً مِن كليه يُقْتِ لُ الصُّوفِ عُي بِالعينين لـ ذاكَ يبغى السَّلْمَ والصُّلْح وهمم ذا وذاك يـــا لعمــري يفتحــا

 ⁽١) النماء : النُّمؤ . ولتسر حتى الفناء : أي إلى الأبد .

⁽٢) الشَّحنة : من يقوم للسلطان بضبط اليد . والخمير : من يُدمن شرب الخمر . والرَّاح : الخمر .

⁽٣) يمور : يضطرب . الطامي : الممتلىء الجائش . العارم : العنف والشدَّة . والاحتدام بهذا المعنى .

⁽٤) الهدير : صوت أمواج البحر . والحَدُور : المكان ينحدر منه .

 ⁽٥) الغثاء : ما يحمله السيل من القش واليابس من أوراق الشجر . يقول : إنَّ للفقير ناراً
 تحرق الملك قشاً وصوت الفقراء إذا ارتفع بالشكوى قوَّض ملك الملوك .

⁽٦) الهيجاء: الحرب.

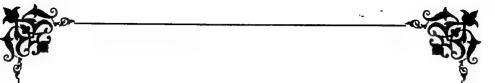
 ⁽٧) أي أنَّ الصوفي والملك كل منهما له عالم يفتحه ، وإنِّ اختلف هذان العالمان ، وكيفية =

فتعسالَ وتقسدًم ، قبضة الصَّسوفي قسدًم ، سَسدَّ ذي القسرنين حَطِّم (١) أحي ما كان لموسى من رسو م، ليس هذا السُّحْرُ غَيْرَ الميْنِ، حَطَّم (١)

* * *

فتحهما ، كما تختلف رغبة الصوفي عن رغبة الملك في الدوام .

⁽۱) المين: الكذب. والكلام في الشّطر الأول من هذا البيت منصرف إلى ذي القرنين الذي قيل عنه إنه الإسكندر الذي ملك الدنيا، كما قيل: إنَّه كان نبياً. وسمي ذا القرنين لأنَّه طاف قرني الدنيا، يعني شرقها وغربها. وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان، أو انقرض في وقته قرنان من الناس، كما ذهب بعضهم إلى أنه سمِّي ذا القرنين لقرنين على تاجه، وهو من الروم، وإقبال يلمح إلى ما جاء في القرآن عنه، وهو قوله عز من قائل: ﴿ قَالُوا لِهَذَا الْقَرَيْنِ إِنَّ يَا لَمُحَ وَمَلَّ مُحْتَ مُنْ الْأَرْضِ فَهَلَ بَحَمَّلُ لَكَ خَرَمًا عَلَى أَن بَعْمَلُ بَيْنَا وَيَنْكُمُ مَنْ اللهُ إِلَى اللهِ عنه عنه عنه عنه عنه المَّدَا فَي اللهُ إِلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ ال



القسم الأول

فْلَكُ الشَّمَ لِي







فلكُ القمر

إنّما الأرضُ لربسي والسّماءُ كلُ ما للنّاظريْنِ قدْ بدا لا تَسِرْ مِثْلَ الغريب في ديارك لا تَسِرْ مِثْلَ الغريب في ديارك إنَّ منْكَ القسولَ كَلْلٌ يَمْتشل عالم لِلْعَيْنِ والأذنِ الصّنام الشبِه المجنونَ في وادي الطّلب أنْ طَوَيْتَ الأرضَ طيّاً والسماء غيرها سبعاً من الله اطلبن غيرها سبعاً من الله اطلبن خيارجَ النّاتِ بشط الكويس لو بكف الذّاتِ عن بحثِ أمان لو بكف الذّاتِ عن بحثِ أمان

شط الكوثر لا ترى خيراً وشرًا ينبري (3) عن بحث أمان كانَ هذا القَبْرُ خيراً من جِنان وتموتُ الرُّوحُ منْ طُولِ المَقَام أَيُها الرَّاحالُ ، فامض للأمام

حبَّــذاً مــنُ غيــرِ وقــفٍ رحلتُــك مــا عَـــلا ألقيــتُ تَخــتَ نَظُــرَتــى

الشريَّا ما ورثنا والضَّياء

بعيرون لصفي فساقصدا

لا تَخَفْ منْ غُرْبةٍ مَرَّتْ ببالك

وبـــامــــر أو بنهــــي قــــد عَمِـــل

والرَّدى ما كانَ في الدُّنيا اخترم^(١)

كُنْ كإبراهيم في قوم وَكَبْ(٢)

عالميك اطو على حدّ سواء

كـــم زمـــانٍ ومكــانٍ تَسْــالَــنُ (٣)

ومَع النَّجْمِ تطيبُ سفرتُك حين كانَتْ في الفَضَاءِ وطأتي

⁽١) اخترمه الموت : أخذه .

⁽٢) المجنون هنا هو قيس بن الملوح المعروف بمجنون ليلى . وقد ولهه العشق حتى اختلط عقله ، وهام على وجهه في القفار . وشعراء التصوف يرمزون به إلى العاشق الإلهي ووكب بمعنى قام . والإشارة إلى إبراهيم عليه السلام الذي قام في قومه وحطم أصنامهم .

 ⁽٣) يريد سبع سموات يطلبها وما لا يحصى كثرةً من الأزمنة والأمكنة .

⁽٤) انبرى: تعرض.

هـذه الغبراء قنديل اللّبالي واقتربت واقتربت في صُعودي واقتربت قَوْلة (الرُّومي): بدد كلّ شك يَبْعُـدُ البَـدُرُ ولكـنْ تـالفُـه

وعلى رأسيَ ظِلَي قد بدا لي وعلى البَدر جِبَالا قد رَأَيْت وعلى البَدر جِبَالا قد رَأَيْت وتسرسًم ما تسراه لِلْفَلَكُ(١) منزلا في نهجنا ذا نعرفُه (٢)

ليك والصُّب عُ في ما يُسرى في في السورى (٣) في غِيْسرَانٌ لإعجابِ السورى (٣)

ظهره الأحدودُ والجوفُ اشتعلْ والسَّخان فوقَ نارٍ تَضْطرمُ (٤) لا ولا طيرٌ جناحاً قد بَسَطْ ناشبتْ حرباً لها تِلْك الموات (٥) لا حياةً فيه أوْ آشارَ مَسوْت لا ولا في الصَّلْب سَيْرُ الحادثاتِ لانقلابِ قطُ ما كانَ الولودُ (٢) وعلى ما يَلْتَ شَدُدُ قَبْضَتَكُ وعلى ما يَلْتَ شدُدُ قَبْضَتَكُ وليسمعيكَ اخْتَجِنْهُ والمُقَالِ (٧) فيسمعيكَ اخْتَجِنْهُ والمُقَالِ (٧) فيسمعيكَ اخْتَجِنْهُ والمُقَالِ (٧) فيسمعينا الميسزانُ وهي النَّاظرة

يا لصمت ولرعب في الجبل فتامًل «خافطين» و« يلدرم» ما زكا عشب بِتِلْكَ الأرضِ قط البجهام، والرياحُ العاصفات عالم ما فيه من لونٍ وصوت عالم ما فيه من لونٍ وصوت ليس في بطن له أصلُ الحياة وسليلٌ للذكاء ذا الوجودُ قولة: «الروميُّ»: تابعُ خَطُوتَكُ ما اختفى يَفْضلُ فيه ما ظَهَرْ يا ذكيُّ اللَّبُ كلُّ ما حَصَلْ ما تَطْهرُ اللَّبُ كلُّ ما حَصَلْ ما تَطْهرُ اللَّيْ اللَّبُ كلُّ ما حَصَلْ ما تَطْهرُ اللَّيْ اللَّبُ كلُّ ما حَصَلْ ما تعسن باصرة

⁽١) الرومي : جلال الدين الرومي . وترسَّم الدار : نظر إلى آثارها وتأمُّلها .

⁽٢) المنزل: مكان النزول. والنَّهج: الطريق.

⁽٣) الغيران : جمع غار وهو الكهف . والورى : الناس .

 ⁽٤) خافطين ويلدرم: اسم جبلين يتخيلهما الشاعر في القمر.

⁽٥) الجهام: السحاب لا مطرفيه. والموات: الأرض الخربة.

⁽٦) ذُكاء : الشمس . والسليل : الابن . والولود : الوالدة .

⁽٧) اللب : العقل . السمع : الأذن . احتجن الشيء : جذبه إليه .

أينما يَحْملُكُ مُولانِا انْطَلَقْ لا تَفكُر في سواه واصطَفِقُ اللهُ الل ثم شُدً الكفّ مني في مَهَلْ والسي غار حثيثاً قد وَصَالُ

الحكيم الهنديُّ الذي آثر الخلوة في غارٍ منْ غيرانِ القمر ويسميه أهل الهند « صديق النَّاس كافة »

ودخلتُ ذلكَ الكهـفَ العميــق تحملُ المصباحَ شمسٌ للدُّخول! وكـــأنَّ العَقــلَ منَّــى مـــاتَ عنَّــي ما بقلبى الصّدقُ أو بَرْدُ اليقين ظَهَرَ الصُّبْحُ ولم تَبْزُغ ذُكاء (٢) أرضُ جنَّ نخلُها مِثْلُ الأكم (٣) أو خيالى يتهادى فى المنام(٤) والظُّــــلالُ ومـــضَ نـــورِ تُظْهــــرُ لا ولا في الأفق من ألوانِ وردِ (٥) وامَّحى صُبْحٌ وليلٌ من قَتَام(١)

كضرير قادني هذا الرونيق من ظلام فيه ذا بدرٌ ملول وعــذابــى طــال فــي وهمــي وظنّـي ومَضَيْتُ واللُّصوصُ في الكَميـن جلوةً لاحت لعينسي في جلاء هــذه الأحجارُ عبَّادَ الصَّنــم كانَ من ماء وطين ذا المَقَام النّسيم مشل خمر تُسْكسرُ ما رأيت تُبَّة من لازَورْدِ مسا أقسامَ النُّسود فسي أسسِ الظُّسلام

مولانا هو جلال الدين الرومي . اصطفق : تحرك ، واضطرب . (1)

بزغت الشمس: أشرقت . وذُكاء: الشمس . (٢)

الأكم : جمع أكمة : وهي الهضبة . **(T)**

يتهادى : يتمايل في مشيته . (1)

اللَّازُورُد : حجر تشبه زرقته زرقة السماء . (0)

القَتام : السواد والظلام . (7)

وحكيمُ الهِنْدِ في ظلَّ جلس جِسْمَهُ السوهنانَ عرَّى كلَّه وعلى الإنسانِ من طينٍ مفضَّل لا يَعُدُّ السوَقْتَ أياماً تمرُّ قال للروميِّ منْ هذا الرَّفيق ؟

عينُه في الكُخلِ نورٌ لِلْغَلَس('') حية بيضاء تسعى حَولَه صورة تلك الدُّنى ممَّا تخيَّل('') والسرَّمان لا يفيد أو يضُرُ منية الدُّنيا بعينيه البريق!

الرُّوميُّ (٣)

إنّه الجوّالُ في وادي الطّلب غِرَةٌ منها له دأيٌ سديد كأسُه قد أصبحت قوسَ السّماء كالعقابِ صَيْدُه للنَّيْرَيْسِن كالحمّ الأرضَ كمَنْ نشّى بدن كلّم الأرضَ كمَنْ نشّى بدن للندّان مِنْهُ نارٌ في صعود ناح كالنّاي لِفَرْطِ الاستياق

يُشْبهُ السيَّارِ في السَّيْرِ اضطرب وعلى عيب له إنِّي شَهيد⁽³⁾ فِكُرهُ يبغي إلى الوحي انتماء في السَّماءِ طوفُه بالخافِقَيْن⁽⁰⁾ والجنانُ عِنْدَهُ بيتُ الوَثَن⁽¹⁾ ورأيتُ الكبرياءَ في سجود وقتيلٌ في السوصالِ والفِراق

لست أدري السرَّ في صَلْصاله والمَقَامَ ، والسنري في منزله

^{* * *}

⁽١) الغلس: ظلمة آخر الليل.

⁽٢) الدُّني : جمع دنيا .

 ⁽٣) هو جلال الدين الرومي أكبر وأشهرُ شعراء التصوف عند الفرس . وقد سبقت ترجمته
 في الديوان الثاني (القسم الأول) .

⁽٤) الغرّة : الغفلةُ وعدم التجربة .

 ⁽٥) النيّران : الشمسُ ، والقمر . والخافقان : المشرق والمغرب .

 ⁽٦) نشّى: سكر. والدّن: جرّة الخمر. والفرس يشبهون الحسناء بالوثن أي الصنم في الحسن.

جهان دوست

مَا لِرَبِّ الكُونِ لُونٌ ، وهُوَ لُونَ أَيُّ رَبِّ أَيُّ إِنسَانِ وكَسَوْن ؟

الرومي

إنَّما الإنسانُ سَيْفٌ لِللهِ ذلكَ الكَوْنُ مسنٌ قد تراه شاهد الشَّرقُ الإله وَحْدهُ وأشاحَ الغَربُ عَنْهُ خَدَهُ أنْ تسرى الله بعينيك التُّقاة أنْ ترى الذَّاتَ ولا سِتْرَ الحياة (٢) وإن العبدُ من الدُّنيا انعتق رحمةَ الرَّحمن بالعبدِ اسْتَحَق إنْ غَفَلْتَ ذاتَ يومٍ عنْ قَدَر فسارق الصَّلْصَالَ روحٌ ذو شَرر

جهان دوست

في طِلسم للوجود والعدم ما لنا أهل السّما إلا النّظور ساهدت عيني على رأس الجبل كان من عينيه ذوق للنّظر تكن قلت سرّاً عن صفي لا تكن حسن نجم لاح في أفتو عشقتا

ذلك الشَّرْقُ بسرِ ما ألم في غد للشَّرقِ تحقيقُ الوَطَرُ مَلَكاً منْ قُبَّةِ الزَّرقا نَرَلُ وهو بالعينين دنيانا غَمَرُ أرضُنا كيف تراها اذْكُرَنْ في قليب السِّحر قلباً قَدْ رميتا(٣)

⁽١) أشاح عنه وجهه : أعرض متكرهاً .

⁽٢) التقاة : التقوى .

⁽٣) القليب : البئر . والإشارة إلى البئر التي نكس فيها هاروت وماروت . وهما شيطانان كانا يُعلِّمان الناس السحر في بابل . ويقال : إنَّهما ملكان عشقا النساء وعلقا منكسين في بئر . كما قيل : إنَّهما مثالٌ لرجل اتقى ربَّه ، واقترب منه ، ثم أضلَّه الشيطان .

قسال يَبْسدُو الآنَ هسذا المَشْسرِقُ يَظْهرُ الياقوتُ منْ صَخرِ الطَّريق ويسولُسي عسن ديسارٍ مسنْ كَفَسرْ حبَّـذا شعسَبٌ بسروحٍ قسد خَفَسقْ حسامسلُ العَسرُشِ

شَمْسُهُ الأخرى عليهِ تُشرقُ يوسفُ يخرجُ منْ جُبٌ عميق^(۱) ليرى عن ذلك الكُفْرِ المَفَرُ^(۱) ذاتُه من طينه هذا خُلِقَ

حامل العَرش باعياد فرخ (") إنْ رأى للشَّغب عينا تَنْفَتح

غاصَ شيخُ الهندِ في صمتِ قليلا

قال : موتُ العقلِ ؟ قلتُ : تركُ فِكْرٍ

قال : جسم ؟ قلت : تُرْبُّ قد تراه

قال: والإنسانُ ؟ أبدى سرَّه

قال : علم؟ قلتُ : قشرٌ لا يَطيب

قالَ: ما دينُ العوام؟: ما سمعنا

فرآني تِهْتُ في فهمي مَلولا قال: موت القلب؟ قلتُ: تركُ ذكر قال: روح؟ قلت: رمزٌ للإله قلت: كونٌ؟ قال: وَجَّهَ شَطْرَه (1) والـدَّليـلُ؟ قلتُ: وجهٌ للحبيب

قالَ : دينُ العارفين؟ : ما رأينا

طابَ نفساً قرَّ عيناً من مقالي صفوةً من حكمةٍ القي ببالي (٥)

48 48 48

⁽۱) الجبُّ : البتر العميقة . والإشارة إلى قصة يوسف عليه السلام مع إخوته الذين غاظهم أن يؤثره أبوه عليهم ، فذهبوا به وجعلوه في الجب ، ثم تركوه وجاؤوا أباهم يبكون مدَّعين أنَّ الذئب أكله . وجاءت قافلةٌ ، فلما أدلوا الدلو في الجبُّ تعلَّق بها يوسف ، وأنجاء الله من الهلكة .

 ⁽٢) في الأصل إشارة إلى إبراهيم عليه السلام وما جاء عنه في سورة الأنعام وهو ﴿ ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ لِأَبِيهِ عَازَرَ ٱنتَّخِذُ أَصْنَامًا وَالْهَةُ إِنِّ آرَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالِ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : ٧٤] .

⁽٣) حامل العرش: أحد الملائكة الذين يحملون العرش.

 ⁽٤) الشطر: الجهة والناحية . وشطره منصوب على الظرفية .

⁽٥) صفوة الشيء : خلاصته وخياره . والبال : القلب .

تسعُ كلماتٍ للعارفِ الهنديِّ

ليسس يُخْفَسِي عسالهم ذاتَ الإلسه غسائصاً ما رَدَّ رَسُم في المياه

أنتَ إِنْ في غير ذي الدُّنيا وُلِدْتُ بشبابِ غير هيذا قيد نَعِمْتُ

بعد موت ربّنا ، وهو الحياة لا يُحسنُ العَبْدُ شيئًا بالوفاة نحسنُ طير بجناح لا تطير نحساح التطير علمُنا بالموت مقطوعُ النّظير

إنَّما الوقتُ سمَامٌ في الشَّهادُ(۱) رحمه في الشَّهادُ(۱) رحمه في قهر قهر قهر العبادُ ويلروعُ قهر في كسلُ صوب وب رحمه فيه مَضَتْ من غير أوب وب

إنَّمــــا المـــوتُ كفـــورٌ يــــا حكيــــم

⁽١) السَّمام والشُّهاد : جمع سُمٌّ وشَهْد .

أنت إنْ جاهدت أمواتاً مُليم (١) ومسع النَّفسس التقسى فسي قِتَسالُ يسا له الليث الهَصُورُ والغَرالُ (٢)

كافرٌ صاحي الفوادِ ذو صَنَمُ عَلَيْ المَرْمُ في الحَرَمُ

* * *

عَمِيَتُ عينٌ رأَتْ غَيْسِرَ السَّداد لا ترى الشَّمْسَ الليالي في سواد صحبة للحببِ والطيسن النَّمَاء صحبة الإنسانِ والطيسن النَّمَاء صحبة الإنسانِ والطيسن الشقاء يسرتضي الحبُ من الطين العذاب ليسرى النُّور كتبيرِ في انسكاب ليسرى النُّور كتبيرِ في انسكاب أيُ حسن ليك من طيسنِ وريح ؟ قد سألتُ الوردَ ذا الصَّدرِ الجريح أيُ حسن ليك من طيسنِ وريح ؟ في أجاب: يا حكيماً ما شعَرْ الجريع بخُمودِ البَرْقِ هل ياحكيماً ما شعَرْ! بروحُنا في الجسم جنبُ وانجناب روحُنا في الجسم جنبُ وانجناب منك ما يخفى لدينا كالسَّراب (٢) منك ما يخفى لدينا كالسَّراب (٢)

⁽١) جاهد العدو: قاتله . والمليم: الملوم .

⁽٢) الهصور: الذي يهصر فريسته.

⁽٣) يقول : إنَّ الرَّوح في جسمنا مما يقع بين الروح والجسم من تجاذب . وجذبك خفي أما جذبنا فظاهر .

تَجَلِّي سُروش (١)

أوصد العارفُ باباً للكلام بالشّوق والسَدَّوق انْجَذَبُ بسالحضور مِنْهُ ذراتٌ كطور في أساطير الليالي غانيَه شعرُها المعطارُ حتَّى خَصْرِها وهي في سُكْرِ التّجلّي أغرقت ولسديها دارُ مصباح الخيال فيه تبدو كل ألوانِ الشُّكُول فيه تبدو كل ألوانِ الشُّكُول قلتُ للرُّوميُّ بالسرِّ العليم قال : " ذا الجسمُ لُجَيْنٌ يَلْمعُ ومن الغُربةِ كان ذا نَصِيب

أَسْكَرَتْه الذَّاتُ لا تِلْكَ المُدام في وجودٍ من شهودٍ قد وَقَبْ (٢) أَوْ فَلا نَورٍ ولا حَتَّى ظُهُور (٣) كوكبُ منه الظَّلامُ حَالِيَه (٤) والسُّهوبُ نورُها مِنْ نُورِها (٥) والسُّهوبُ نورُها مِنْ نُورِها (٥) وتَغَنَّتُ ما بكاسٍ أَسْكَرَتْ فلكا كمْ ذَارَ في الدَّهر الطُوال (٢) في الدَّهر الطُوال (٢) نَمِرٌ يَفُرِسُ أو صقرٌ يَجُول (٧) اكشفِ الأسرار ، لي فهمٌ سقيم اكشفِ الأسرار ، لي فهمٌ سقيم وهو في فكر الإله يَنْبُعُ المُنيا خَلَتْ منْ كلِّ نُور كلنا يا صاح في الدُّنيا غَرِيْب (٨) كلنا يا صاح في الدُّنيا غَرِيْب (٨)

⁽١) سروش : اسمُ ملك في الديانة الزرادشتية ، واسمه مشتق منْ : سراوشا ، بمعنى السماع في الفارسية القديمة ، وهو رمزٌ للطاعة ، ومرشدُ الأرواح في الآخرة .

⁽٢) وقب : دخل .

⁽٣) الطور: الجبل.

⁽٤) الغانية : المرأة التي يغنيها حسنها عن أن تتحلَّى . والحالية : هي التي تلبس الحلي .

 ⁽٥) المعطار : من تعود أن يتعهّد نفسه بالعطر . والشّهوب : جمع سَهْب ، وهو السّهلُ
 المنبسط .

 ⁽٦) مصباح الخيال : مصباح ما يعرف بخيال الظل ، وهو مصباح يُدار حوله ستار فيه نقوش وصور . والطوال : الطويل .

⁽٧) الشُّكول : جمع شكل . وفرس النمر : افترس .

⁽٨) يا صاح: بمعنى يا صاحبي .

عبرفوه بشروش ، كالملائك فتے البُرعوم منّا بالنّدی وبانفاس رماداً أوقدا(١) منه الحان لأوتارِ القريض وشقوقُ السُّتُو بالبيتِ الأريض (٢)

أبعيد الحس وقيد أدنى كنذلك

ث_م غَنِّى فَشَهِدُتُ عالما أسمَعُ الألحانَ جمراً مُضرَما

لحنُ سُروش

أخشى عليك ركوب بحر من سراب وكمـا وُلِـدْتَ العُمْـرَ تطـوي فـى الحجـاب^(٣) لِلْفَخْرِ كحرلٌ عن جفوني أغْسِلُه فأرى مصير الشُّعْبِ في هذا الكتاب(٤) في كسل صَوب انطواء لاح لسي للْبَرْق كانَ الموتُ في جوفِ السَّحاب في الغَرْب كُنْتُ وقلَّما عيني رأت من كَانَ ذا لحن تجافئ عن حساب دُنْياكَ فاملِكُ إِنْ أَرَدتَ القُرْبَ لك الــروضَ خُـــذُ يــا عطــره فــي المــاءِ ذاب(٥)

⁽١) البرعوم : الزهرة قبل أن تتفتح .

الستر هنا كسوة الكعبة . والأريض : المعجب للعين . (٢)

يريد ذلك الغشاء الذي يكون على الوليد حين يولد ويعدُّه عجاباً كذلك الحجاب الذي **(T)** يحجب المعرفة.

الفخر هو الرازي صاحب تفسير القرآن . (٤)

في هذا تلميح إلى شطر من بيت من مأثورات الصوفية وترجمته (إنه في وأنا فيه كالعطر= (0)

مسا أنست إلا للفنسا يسا زاهسداً أنسينت طوفاناً توارى في الحَبَاب(١) اللحن تَسمع ما تسرى مِن مُطْرِب حورية قد غُرُبت تُبكي الرَباب

الرحيل إلى وادي يرغميد المسمَّى عند الملائكة وادي الطواسين^(٢)

إنّما الرومي لِلْعِشْقِ السَّدُلِسِلُ قَالَ: ﴿ إِنَّ النَّارَ إِنْ كَانَتْ بَشْعِرِ نَعْمَةٌ منها الهشيم روضةٌ نعمي الحق العلي شاهد وعلى الحق العلي شاهد وبها دَفْقُ الدِّماء في الوتين ناظم الأشعار بالسِّخرِ اشتهر ناظم الأشعار بالسِّخرِ اشتهر شاعد الهند الإله أيده علموا الشَّغرَ أفانين الغِناء

قولُ اللهُ هو الحباها حرَّ جَمْر (٣) قولُ اللهُ هو الحباها حرَّ جَمْر (٣) كانَ لللهُ هو الحباها حرَّ جَمْر (٣) كانَ لللهُ المُللكُ الفقيدُ واجدٌ ثم يصحو القَلْبُ كالرُّوحِ الأمين (٤) سارقُ القلبَ وإبليسَ النَّظُر روحُه منْ سِحْرِ قسولِ جسرَّده وضروبَ الكُفْر حتَّى الأتقياء (٥) وضروبَ الكُفْر حتَّى الأتقياء (٥)

في ماء الورد).

⁽١) الحَبابُ : الفقاقيع التي تعلو الماء والشَّراب .

⁽٢) الطواسين : جمع ط . س ، وهما حرفان في أواثل سورٍ قرآنية ، وهي : النَّمل ، والشعراء ، والقصص . وللحلَّاج كتابُ الطواسين . وقد جَعَلَ إقبالُ هذا الاسم اسماً للمكان الذي تتجلَّى فيه صفات الأنبياء .

⁽٣) حياه : حيا فلاناً كذا وبكذا : أعطاه .

 ⁽٤) الوتين : عرق في القلب . والروح الأمين : جبريل .

 ⁽٥) الأفانين : الأساليب والأجناس . والضُّروب : الأنواعُ والأشكال .

لفظُهم ما فيه شيءٌ من ألم إنَّ خيراً من لحونِ أفسَدتْ يَبْحثُ الشَّاعرُ طوعاً بالسَّليقة ليُسَ إلَّا القلبُ في صدرِ الشُّعوب نَقَصْ الشُّكرُ ونارٌ عالما

ما تسراهم في حياة بل عَدَمُ قَولَةٌ كانتُ برؤيا أَضْغَثَتُ (١) يجعلُ الآمالَ في النَّفْسِ الحقيقة إنَّها لولاه كالوادي الحطيب (٢) بهما لم يكُ شِعْرٌ مأتما!

في الأنام يُخلَفُ السُّورُ السَّويَا ورثَ الشاعسر من ثسمَّ النَّبيَّا)

قلتُ: هاتِ القولَ في تلك النَّبوَّة سرَّها لا تطوِ عن مِثْلي بِقُوَّة والعصورُ كلُّها ميزاتُها قال: ﴿ أَقَاوَامٌ لَهَا آياتُها كلُّنا فى حقلنا زرعٌ لها الصخرر أنطقت أتقاسها بجناح الــرُّوح فكــراً علَّقــت^(٣) أصلنا فسى العُمْن منا طهرت تقـــــــراً النُّور وَتَتْلُو النَّازعات(٤) إنَّها صوتُ دويٌّ في الكاثنات منُكِرُوها قد تجافَوْا عن كمال^(۵) مــا لشمــس أطلعتهــا مــن زوال غضب بُ الله نسراها صولةً رحمية الله نسراها قسولية فبها شيئاً رأيت ما رأيته إِنَّ عَفْلَ الكِلِّ حتَّى إِنْ مَلَكْتُ لترى ما ليس بد أن ترى(١) يرغميدُ امض وأسْرِعُ في السَّرى

في جدارٍ من صخورٍ بالقمر الطَّـواسينِ أطلَ منْكَ النَّظـر »

ويَطِيْــــرُ بجنــــاح جِبْــــرئيــــل

يعرفُ الشَّوْقُ الطريقَ لا الدَّليل

⁽١) أضغث الرؤيا: أتى بها ملتبسة .

⁽٢) الحطيب: الكثير الحطب.

⁽٣) الرُّوحُ : جبريل .

⁽٤) فِي الْأَصَلِ : أن سورةَ النَّجم ، والنُّور ، والنَّازعات من شفة النبوة .

⁽٥) تجافي عن الشيء: مال عنه .

⁽٦) يرغميد: اسم جبل في القمر.

البَعيدُ عِنْدهُ كالخُطْوَتَيْسن مشلُ نشوانِ قَصَدْتُ ذا الجبل أيُّ قصدتُ ذا الجبل أيُّ قدولٍ لي ؟ وما وَضفي لَـهُ ؟ عِنْدَ أَهْلِ الفرش ضاءَ في الضَّمير عيننا والقَلْبَ ربُّ قـدْ حَبانا

في المَقامِ يشتكي منْ فَرْطِ أين (1) ورأيت ما رأيت من قُلَل (٢) هـنه الأنجم طافت حوله عند أهل العَرْشِ في الجَفْنِ البَصير لاكْتِناهِ السِّرِّ في الدُّنيا هَدَانا

سرَّ دنيانا سأبدي مَنْ سُدِلْ (٣) وحديثي عن طواسينِ الرُّسُلُ

* * *

طاسين جوتاما بودا^(٤) توبة الراقصة اللَّعوب

جوتاما

الشَّمُ ولُ والحبيبُ ، ليسس شيئا (٥) بيلُ وحورٌ في الجنانِ ، ليس شيئا كيلُ ميا أنست تسراه سيوفَ يَفْني

⁽١) فرط الأين : شدَّةُ التعب .

⁽٢) القلل : جمع قلة ، وهي القمة .

⁽٣) السَّدْلُ : السَّنْرُ .

⁽٤) التزمنا في هذه المنظومة ما يعرف في الشعر الفارسي بالرديف ، وهو كلمة أو عبارة تردُ في نهاية كل البيت على أن تسبقها قافيةٌ موحدة ، وجعلنا القافية في الترجمة نفس القافية في الأصل (المترجم) .

⁽٥) الشَّمول: الخمر.

الفَــــلا والشــــاطِئـــانِ ، ليـــس شيئــــا(١) علِّهِ غربٌ حكمه للمَشْرِقِ مَغْبِــدٌ والطــاثفــانِ ، ليــس شيئـــا(٢) أنتَ هذا ، العالمان ، ليس شيئا هُــدْبَ عينــي لــي طـريقـاً شُقّهـا كلُّ ما فيها عراني ، ليس شيئا دَعْكَ مِنْ غيبِ فما وهم بشيء لا تكـــونُ أو تكــونُ ، ذاكَ شـــيء (٣) لا تك ونُ جنة كالجنَّة لـــوى أهـــل الجِنــان ، ذاكَ شـــىء(٤) راحــة الـــؤوح طلبــت ، مــا تســاوي ! فـــي حبيـــبِ دمعتـــان ، ذاك شـــىء نظــــــرةٌ والعيـــــنُ سَكْـــــرَىٰ والتَّغَنِّــــي يا لهذا من حُسان ، منه شيء (٥) كسان خيسراً فسى المعسانسي ، ذاك شسيء

* * *

⁽١) الفلا: جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة .

⁽٢) ذكرنا الطائف بالمعبد في المثنى مع إرادة الجمع (المترجم) .

⁽٣) كان هنا تامة .

⁽٤) يريد الشاعر ليقول: إنَّ الجنة لا تكون إلا مأوى للمتَّقين جزاءً لهم على عمل الصالحات.

⁽٥) الحُسان : الحسن .

الرَّاقصة

لا تَزِدُ أحزانَ قلبي ما لقلبي من قرار وَدُ جمالَ الشّعر ثِنْيا ، يا له ليلُ السّرار (۱) في صميم القلب مني ، منك أنوارُ التّجلي في صميم القلب مني ، منك أنوارُ التّجلي فأذقت الشّمُس والبَدْرَ مريسرَ الانتظار إنَّ ذواق الحضورِ يعبدُ الأصنامَ عِشْقا يخدعُ العِشْقُ فؤاداً من مُنَاهُ في الخُمار (۲) في صفاء إنْ تَرَنَّمْتُ بلحنٍ لي جديد عادَ طيرٌ للرياض عودَ مشتاقِ الدِّيار طبعيَ السَّامي وُهِبْتَ حُلَّ عنْ ساقي قيودي خِرقة هبني لتحظي بقشيبٍ من إزارِ (۲) خِرقة هبني لتحظي بقشيبٍ من إزارِ (۲) أيُ معنى للكلام ؟ والصُّخورُ تَحْتَ فأس يَحْملُ العِشْقُ الجبالَ ثم يمضي في انحدار (٤)

طاسین زرادشت (ه) أهرمن یختبر زرادشت

ما خلقتُ منسكَ ناياتِ البُكاء وربيعي مشلُ شَهْرٍ في الشتاء(٦)

⁽١) الثني : كلُّ شيء بعضه على بعض . وليلةُ السِّرار : آخر ليلة في الشهر .

⁽٢) الخمار: الصُّداع منْ شدَّة السُّكُر.

⁽٣) الخرقة : ثوب الزاهد . والقشيبُ : الجديد . والإزارُ : الملحفة وكل ما يستر .

⁽٤) يمضي في انحدار: أن يمضي في سرعة وخفّة.

⁽٥) زرادشت : هو نبئ الفرس القديم الذي اعتقد وجود إله للخير هو أهورا مزدا وآخر للشر يسمَّى أهرمن . وجاء قومَه بكتاب يسمَّى : الأبستاق .

⁽٦) النايات : جمع ناي .

أنا في الدُّنيا أعاني صَوْلَتَكُ بدمائي قد رَسَمْتَ صُوْرَتكُ الله المياة إنَّ مِنْ البيضاءُ للحسقُ الله المعات (١)

آخذ بالعَهد من رب خيسل ومراج الراح في الكاسات سم ومراج الراح في الكاسات سم إن نوحا لم يجد غير الدُعاء اعترل في الغار واذخل عن ديار وبعين اجعل التُرب الذَّهب كالكليم في الجبال كُنْ شَريدا وتناس شِيْمَة لسلانبياء بين من هانوا تهون الفِطرة السولي إن شاى يوما نبيًا

ضلً منْ وَفْقَ هوى نفس عَمِلْ (۲) وله المِنْشَارُ والهُودُ النَّعَمْ (۳) والهُودُ النَّعَمْ (۳) والهُودُ النَّعاءُ (۱) نحو أهلِ النُّور عَنْ مَحْضِ اختيار وَبِنَجْواكَ السَّماءَ ممن لَهَمِنْ الهَمِنْ (۵) واحْتَرِقْ ممَّا رَأَتْ عين بعيدا (۱) دَعْكَ مِنْ فَرْطِ الدَّكَاءِ والدَّهاءُ والدَّهُ والدَّهاءُ والد

قُـمْ وفـي عُـشِّ انفـرادِ عُــزُلَتِـك وَلُتَــدَعُ هـــذا التَّجلِّـي خلــوتُــك

* * *

 ⁽١) يلمّحُ إلى طور سيناء ، وإلى قوله تعالى في سورة طه : ﴿ وَأَضْمُمْ يَدَّكَ إِنَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ
 بَيْضَآة مِنْ غَيْرِسُوٓه ﴾ [طه : ٢٢] .

⁽٢) الخيل: المخبول الذي اختلط عقله.

⁽٣) الإشارة إلى تعذيب زكريا بالمنشار ، وأيوب بالدُّود .

⁽٤) الغَناء: الكفاية.

 ⁽٥) التُّرب: التراب، والنَّجوى: المسارّة.

 ⁽٦) يريد قوله تعالى في سورة طه : ﴿ وَهَلَ أَتَنْكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۚ إِذْرَءَا نَازَا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُواْ إِنِّ مَانَسَتُ نَازَالْعَلِيّ ءَالِيكُمْ مِتْهَا بِقَبَسِ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدَى ﴾ [طه : ٩ و١٠] .

⁽٧) شأى : سبق وكان أفضل . والدَّاء العصى : هو الذي لا شفاء له .

زرادشت

ما حَوَث سيلاً كمثلي وارْتَطَمْ (١) إنَّما السَّيْلُ على شط يَغِيْس (٢) وإلىهُ الشَّرِ رسَّامُ السَّدِماء (٣)

الضِّياءُ البَحْرُ والشَّطُ الظُّلم في فوادي الموجُ دُفَّاعٌ يمور صورةٌ ما كان فيها مِنْ طِلاء

أظهرِ اللهِ السَّاتَ ، فهاتيكَ الحياه واختبارُ المروء ما أدَّت يسداه

يُنْضَجُ النَّاتَ التردِّي في البلاء رَجُكِ للهِ رأى بكاللهِ ذاتَك باللهِ في البلاء بالدَّماء العِشْتُ يَسْمُو وَيَسُود

عن قضاء الله قد تمحو الخَفَاء في دماه خرَّ كي يُنْهي حياته وله العِيدانُ منشارٌ وَعُود(٤)

في سبيل الله ما يجسري يَطيب مرحباً بالصَّدّ إنْ صَدّ الحَبِيب

تَـرْمُـ قُ الحُسْنَ عيـونٌ حَـولَهـا(٥) إنَّهـا البحثُ ، وجَمْعٌ قـدْ يُـرى إنْ تجلَّى كانَ كالملْك العظيم(١) ومَقَـامٌ أو همـا حـالٌ وَوَجْـدُ(٧) بـدأ الأولى وذي الأخـرىٰ نهـايـهٔ

لا تسرى عينسي التَّجلَّسي وَحْدَها خلسوةُ الإنسانِ ؟ وجددٌ سُعِّرا خلوةٌ في العِشْق منْ شأنِ الكَليم خلوةٌ أو جَلُوةٌ في القَلْبِ وَقددُ ويلسوحُ فيهما السرَّحمانُ آيمهُ

⁽١) ارتطم: ازدحم، وتراكم.

⁽٢) الدُّفاع : معظم السيل والموج . ويمور : يضطرب .

⁽٣) يقول: إنَّ ﴿ أهرمن ﴾ إلهُ الشر رسمها بالدِّماء .

⁽٤) يقصد تعذيب المسيح عليه السلام بصلبه ، كما يعتقد المسيحيون ، وتعذيب زكريا عليه السلام بالمنشار .

⁽٥) لا يريد أن يرى الحسن وحده ، بل في جماعة .

⁽٦) الكليم: موسى عليه السلام.

⁽٧) الوَقْدُ : النار .

النُّبَوَّاتُ ، كما قُلْتَ ، المِلَلْ يخلق الإنسانَ عِشْقٌ إِنْ كَمُلْ النُّبِوَّاتُ ، كما قُلْتَ ، المِلَلْ يخلق الإنسانَ عِشْقٌ إِنْ كَمُلْ حَبَّدا رَكُسَبٌ ولله المسير(١) وبسدنيسانا كارواح نَطِير

* * *

طاسين المسيح (رؤيا تولستوي الحكيم)

فيه واد ما به رفّ النّبات(٢) شامخ قد ضم أنواع المَمَات بسماه الشَّمسُ ظمأىٰ فوقَ نار فيمه نسورُ البَــدْرِ قسارٌ مــنْ غُبَــار والغديدرُ زِنْبِينٌ قدد فَارَ فورَه وهمو يجري دافقاً مثل المجرَّه (٣) زاخــرٌ طـــام وذو مـــوج حَنِيْـــق(٤) لا ارتفاع لا انخفاض في الطريق جــــازعـــــــأ وهــــــوَ يكـــــَـادُ يَغْــــرقُ صاح شابٌ قد حواهُ الزُّئبة ظامى ، من زنبق هل يَشْرِبُ ! منه ذاك الغيه مسا إن يقرب لحظُهَا يأسِرُ ألفَ سَاريَهُ(٥) وعلى الشَّـطُ رأيـتُ غـانِيَــهُ عَلَّمَتْ مِنْ سِحْرِهِا العبَّادَ كُفْرا شــرُّهــا الخيــر وكــانَ الخيــرُ شــرًّا يا تسرى من أنستِ قُلْتُ فلتجيبي ما بُكاكِ بل وموصولُ النَّحيب ﴿ إِنَّ فِي عِينِيَّ سِحْرُ السَّامِينِ واسمى افرنگين واسمُ السَّاحر^(٦)

⁽١) الرَّكب: ركبان الخيل ، أو الإبل.

⁽٢) الشامخ: المرادبه الجبل. ورفَّ النبات: اهترَّ نضارةً.

⁽٣) الغدير : النهر . والمجرّة : مجموعة من النجوم تشبه النّهر .

⁽٤) الطَّامي : الممتلىء . والحنيق : الشَّديد الغضب .

⁽٥) الغانية : الحسناء . والسَّارية : الجماعة .

⁽٦) افرنكين: من فرنكي في الفارسية بمعنى الإفرنجي في العربية. وإقبال يجسّد التفرنج على أنه أفسد المسيحية الأولى. أما الإنسان المغمور في ماء النهر فهو رمز إلى الخائن=

الجليدُ فَجْاةً كانَ الغَدير رَدَّدَ الشَّكُويٰ ومنْ قلب وَجِعْ قالت افرنگين ﴿ فَكُورُ فِكُرةً إنَّما عيسى سراجُ الكائنات اذْكُرتَ بيلاطوسَ الممتقِع لذَّة الإيمانِ في رُوْحِ حُومْت

وبأعضاء الفتى العَظْمُ الكَسِيْر (1) فَلَهُ الشَّكوى وما مِنْ مُسْتَمِعْ (٢) ما عَمِلْتَ فيهِ فانْظُرْ نَظْرةً نظرةً نورُه اللمَّاح في كلِّ الجِهات (٣) ما صنعتَ ؟ أيَّ شيء قد صَنَع (٤) إنَّ أصنامَ اللَّجينِ قدْ عَبَدْت (٥)

ما عَرَفْتَ الوحي والجسمَ اشتريْتَ ولسذا فسالسرُوحُ أمسوالٌ فَقَدْتَ »

كانَ في قلب الفتى حزَّ الحُسام وَمِنَ الحسناءِ تجريحُ الملام باع شيخ أشة أو بَرْهَمي قال : « منْ خدعك ، فالزُّور الجليّ هانَ حتَّى العشقُ منْ سَوْم بسُوقِك (٦) ذلُّ عقــلِ ذلُّ ديــنِ مــنْ فُســوقِــك مِنْكَ هذا الحِقْدُ مروتُ بغتة الــودادُ منكُ ضُرَّ خِفْيَـة صلة ، والعَبْدُ مِنْ رَبِّ سَلَبْتَ أنت بالماء وبالطّين عَقَدْتَ حكمة الإنسان حلّت مشكلات وبها چنگيسزُ صِــرْتَ فــي غــزاة ما لدى المُنْصِفِ قطُّ أيُّ رَيْبِ فى ذنوب لك فَاقَتْ كلَّ ذنب أنتَ منْ أَذْرَجْتَ ميتاً في الكَفَنْ (٧) المسيئ أَسْكَن الرُّوحَ البَدَنُ

= الذي خانَ المسيح عليه السلام.

⁽١) الكَسِيْرُ: المحطّم.

⁽٢) وجع : بمعنى تألَّم ، ومَرِض .

⁽٣) اللَّمَاح : المتلألىء . يقول : إنَّ نوره يغمرُ العالمين .

⁽٤) بيلاطوس : هو من يعتقد المسيحيون أنه القائل إني بريء من دم المسيح .

⁽٥) اللجين: الفضة.

 ⁽٦) الفسوق: ترك أمر الله وعصيانه. السّوم: من سام السلعة، أي: عرضها وذكر ثمنها، فكأن المنافقين يتّخذون الدين سلعةً لتجارتهم.

⁽٧) يريد ليقول: إنَّ المسيح عليه السلام أحيا الموتى.

* * *

طاسِن محمَّد (ﷺ) (نياحةُ أبي جهل في حرم الكعبة)

زارت روح عمرو بن هشام _ زعيم الجاهلية والنخوة العربية _ مكّة ، وقد أصبحت بلد الإسلام والتّوحيد ، وطُهِّرَ بيتُ الله للطائفين والقائمين والركع السجود ، وحُرِّمت عبادة الأصنام والأوثان الجاهلية ، فلا اللات ، ولا مناة ، ولا هبل ، ولا العزى ، ولا أساف ، ولا نائلة (٢) ، وقام المؤذن على شرفات الحرم ينادي بأعلى صوته خمس مرات : «أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله » .

وذهبت نخوةُ الجاهلية ، وتعظُّمها بالآباء ، وأصبحَ الناس يعتقدون أنَّهم من آدم ، وآدمُ من تراب ، فلا فضلَ لعربيُّ على عجميُّ ، ولا لعجميُّ على عربيُّ إلا بالتقوى ، وسمعَ الناسَ يتلون : ﴿ يُكَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِن دَّكْرِ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَكُمُ اللَّهُ وَمَا إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِن دَّكْرِ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَكُمُ اللَّهُ وَمَا إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِن دَّكْرِ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَكُمُ اللهُ وَمَا إِلَا لِتَعَارَقُوا اللهُ إِنَّا أَكْمَ عُورِي اللهُ وَمَا اللهُ وَمَا إِلَا اللهُ ا

وأصغى إلى الناس في غدوِّهم ورواحهم ، فلم يسمعهم يفتخرون ببلدِ أو نسب ، ووطنِ أو شعبٍ ، وطاف في الناس ، فلم ير أحداً يعيِّر أحداً بأمِّه ، أو سواده ، أو حرفته ، أو حبشيته ، أو عجميته ، ويتطاول بعربيته ، أو قرشيته ،

⁽١) قاطبة : جميعاً .

⁽٢) كان أكثرها أصنام قريش ، والتي كانت لغيرها كانت قريش تعظمها ، راجع ابن هشام وابن الكلبي .

وغشي مجالس الناس ، فلم يسمع مفاضلة بين عدنان وقحطان ، وبين ربيعة ومضر ، وبين بني عبد مناف وبين عبد الدار ، وبين بني هاشم وبني عبد شمس، ولا مساجلة في مآثر الجاهلية ، وأيام العرب ، ورأى الناس بالعكس يرجعون إلى عبد أسود ، قد فاق الناس في علمه وفقهه ، ويلتفُون حوله ، ويَصْدُرون عَن رأيه .

ودقَّق في حديث الناس ، وآدابهم ، وعاداتهم ، وأخلاقهم ، وسلوكهم ، وعقيدتهم ، فلم ير عرفاً جاهلياً ، أو نزعةً عربيةً ، أو نعرةً قومية ، يتعلَّق بها سيد بني مخزوم ، ويقرُّ عيناً ، ورأى أنَّ الحياة القديمة قد نُسِخت وأُبطلت ، وولد مجتمع جديدٌ قام على أساسٍ من العقيدة ، والخلق ، والفضيلة ، والتقوى ، وتغيَّرت الموازين والقيم ، وتغيَّرت عقولُ الناس ونفوسُهم ، وسُمِعَ يُنشدُ في حزنٍ واستعجاب :

فما النَّاسُ بالنَّاس الذي عهدتُهم ولا الدَّارُ بالدَّار التي كُنْتُ أغْرِف

لقد أشكلت الأمورُ على سيد بني مخزوم ، وأبهمت مكة عليه ، وهو ابنُ البلد ، وسيِّدٌ من ساداتها ، فلولا البيت ، ولولا الحطيم ، ولولا الحجر ، ولولا زمزم ، ولولا المكان ، الذي كان يجلس فيه مع سادة قريش ، ويمتحنُ فيه ضعفاء المسلمين : لأنكر مكَّة ، وأنكر الوادي ، ورأى أنَّه قد ضلَّ الطريق .

لقد كان يرى في الدِّين « الجديد » الذي جاء به محمد على الخطر والضَّررَ على الدين الذي قام على تقديس القومية الضيقة ، والعصبية القرشية ، والنظام الجاهليِّ الذي يقوم على النسب والوطن ، وتفضيل الدَّم والعرق ، ويرى العالمَ كلَّه في حدود « المملكة القرشية » التي قامت في مكَّة ، ولا يُعنى بخارج هذه الحدود .

ويرى الفضل كلَّه في العرب ، فغيرُهم عجمٌ وعلوج ، لا يستحقُّون مدحاً ،

ولا يستحقُّون رحمةً ، ولا يستحقون عدلًا ، لقد كان يرى كلَّ ذلك ويتوقعه ، وكان من أشد الناس حماسةً في الدفاع عن الجاهلية ، وأصدقِ الناسِ فِراسةً في معرفة غايات الإسلام ، ولكنَّه على بعد نظره وذكائه ، لم يكن يعرف أنَّ الأمر يبلغُ بالناس هذا المبلغ ، وأنَّ الإسلامَ يؤثِّر في الناس هذا التأثير ، وأنَّ الجاهلية تُطرد من عاصمتها ومهدها هذا الطَّردَ الشنيع .

هاجتِ النَّخوةُ الجاهلية في أبي جهل ، وثارت روحُه ، ورثيَ متعلقاً بأستار الكعبة ، يستغيث على محمد على وينوحُ ، ويقول : ﴿ إِنَّ قلوبنا _ معشر الجاهليين _ قروحٌ وجروح ، تسيل دماً مما صنع محمد ، فقد أطفأ نورَ الكعبة ، وحطَّ من مكانتها وقدرها ، لقد نعى قيصرَ وكسرى ، وتنبأ بزوال الملوك والسلاطين ، ونادى بأعلى صوته : ﴿ إِنِ ٱلْمُكُمُ إِلَّا بِلَّهِ ﴾ [يوسف : ٤٠] والسلاطين ، ونادى بأعلى صوته : ﴿ إِنِ ٱلمُكُمُ إِلَّا بِلَّهٍ ﴾ [يوسف : ٤٠] واغتصب شبابنا ، و إَنَّ ٱلأَرْضُ بِلَهِ يُورِثُهَا مَن يَشَالُهُ ﴾ [الأعراف : ١٢٨] واغتصب شبابنا ، وثنوا به وبدينه الجديد ، ساحرٌ يسحر بكلامه قلوبَ الناس وعقولَهم ، وهل كفر أعظم من قوله : ﴿ لا إِله إِلا الله) ، وإنكارُ جميع الآلهة التي الناس ، وعبدوها في جميع الأعصار والأمصار ، إنَّه طوى بساط دين آمن بها الناس ، وعبدوها في جميع الأعصار والأمصار ، إنَّه طوى بساط دين الآباء ، وفعل بآلهتها الأفاعيل ، لقد جعل اللَّات ، ومناة جذاذاً بضرباته الموجِعة ، فليت العالم ينتقم منه ، ويأخذَ ثأر الآلهة ، يا عجباً القد جرَّد القلوب عن معبود مشهور يُرى ويُلمس ، وربطها بمعبود غير مشهود لا يُرى ولا يُلمس ، عن معبود مشهود الموجود ، هل حتى كان هذا الإيمان بالغيب أقوى وأعمق من الإيمان بالمشهود الموجود ، هل لهذا الإيمان أساس ؟ وهل لما لا يُرى وجود ؟

أليس من الجهل والضَّلالة ، والعَمى والبلاهة سجودٌ لغائب ؟ هل يجدُ الإنسان لذَّة وحلاوةً في ركوع وسجود أمام غائب ؟!.

إنَّ دينه حتفٌ للوطنية والقومية ، إنَّه من قريش ، ولكنه لا يفضَّل حرّاً على عبد ، وغنياً على فقير ، وعربياً على عجمي ، يجلس مع مولاه على مائدة واحدة ، ويأكل معه ، أسفاً إنَّه لم يعرف قدر العرب الأحرار ، وأكرمَ العلوجَ

والعبيدَ الشُّود ، لقد اختلط الأحرار البيض بالعبيدِ السود ، واختلط الكريمُ باللَّيْم ، والجميلُ بالدَّميم ، وذلَّ العرب ، وذلَّ بنو قصي .

إننا لا نشك في أنَّ هذه المؤاخاة ، التي يحثُّ عليها محمد كثيراً ، مبدأً عجمي ، وقد تحقَّق لدينا أنَّ سلمان مزدكيُّ ، وأنَّ ابن عبد الله خُدِع به ، وجرَّ البلاء والشقاء على الأمة العربية ، لقد جهل هذا الفتى الهاشميُّ قيمته وشرفه ، لقد أعمته هذه الصلاة التي يصليها ، هل لعجميُّ أصلٌ عدنانيٌّ ، وهل لأعجميُّ نطقٌ عربيُّ ولهجةٌ مضرية ؟ عجباً لعقلاء العرب! هبوا من نومكم ، اغلبوا هذا الكلام الذي يسميه محمدٌ وحياً ، بكلامكم البليغ السَّاحر .

ولماذ لا تنطق أيها الحجر الأسود! ولا تشهد بصدق ما نقول! ولماذا لا تقوم يا هبل! يا إلهنا الأكبر! ولا تنتزع بيتك من هؤلاء الصباة ، أغِر عليهم ، وعكّر عليهم الحياة ، أرسل عليهم ريحاً صرصراً عاتية ، تجعلهم أعجاز نخل خاوية ، يا مناة! ويا أيها اللات! فبالله! لا ترحلا من ديارنا ، وإن رأيتما الرحيل فبالله! لا ترحلا من قلوبنا ، وإن كان لا بدّ من الرحيل ، فلا تعجّلا ، وأمهلانا أياماً نتمتع بكما »(١).

وإليك هذه الأبيات المترجمة بالعربية شعراً ، يقول فيها إقبال :

صدرُنا نارٌ تلظّت مِنْ مُحمَّد وَبِهُلْكِ الرُّوم أو كسرى تغنَّى ساحرٌ والقولُ منه ساحرٌ وبساء طَروى وبساء طَروى حطَّمَ اللَّاتَ فكانَتْ كالفُتَات

فسراجَ الكعبةِ الوضاءِ أَخْمَد سَلَبَ الفتيانَ طُرّاً من يَدَيْنَا وبقولِ « لا إله » كافر ! وأذاق ما عبدناه التَّوى (٢) مِنْهُ فلتقتص كل الكائنات (٣)

⁽١) من ﴿ رُواتُم إِقْبَالَ ﴾ للعلامة أبي الحسن على الندوي ، صفحة ١٦٩ ـ ١٧٤ .

⁽٢) التَّوى: الهلاك.

⁽٣) الفتات: كسارة الشيء بعد أن يتفتت.

ناطَ مِنْهُ القلب بالغيبِ الكنين ويعيسبُ المسرءُ للغيسبِ النَّظَسر الضَّسريسرُ مَسنُ لغيسبٍ يَسْجُسدُ مسا السُّجسودُ

بب يَسْجُدُ يا لهذا الدَّين أعمى يُبْعد ما السُّجودُ ولربُّ لا يُحَد الصَّلاةُ ما ارتضاها قطُّ عَبْد!

في قريش بت أصلاً للنسب السوضيع عندده السوضيع عندده ما درى فضلاً لأحسرار العسرب ولحمر القرم بالشود اجتماع المساواة أراها أعجميه ابسن عبد الله مَخدوع به وبني هاشِم جافى قومهم أين مِن عدنان أصل الأعجمي لخواص العسرب عين لا تُسرى

يالدين منكرٌ فَضْلَ العرب(٣) لِلْخِوانِ فَهْوَ يدعو عَبْدَهُ (٤) لِلْخِوانِ فَهُو يدعو عَبْدَهُ (٤) وِدَّ أحباشٍ غلاظٍ قَدْ خَطَبُ (٥) يبالعمري عرزُنا هذا مُضَاغُ دانَ سلمانُ بدين المزدكيّه (٢) فاذاق العُرْبَ مِنْ تخريبه فاذاق العُرْبَ مِنْ تخريبه بالطّلاة في ظلامٍ عَيْنُهم ! بالطّلاة في ظلامٍ عَيْنُهم ! أينَ مِنْ سَخبَانَ صَمْتُ الأَبْكَم (٧) قيمُ رُهيرٌ شُقَ مركومَ الشَّرى (٨) قيمُ رُهيرٌ شُقَ مركومَ الشَّرى (٨)

ومحا الحاضرَ بالسِّحْرِ المُبين(١)

أين شيءٌ ليس يبدو لِلْبَصَر(٢)

⁽١) الكنين: المستور.

⁽٢) يقول: إن الشيء الكائن وحده هو الذي يشاهد.

⁽٣) بت: قطع.

⁽٤) الخِوان : ما يوضع عليه الطعام .

⁽٥) خطب الودَّ : طلبه .

⁽٦) لم يكن الصَّحابيُّ الجليل سلمان الفارسي على الدِّيانة المزدكية قبل إسلامه بل على الزرادشتية . والمزدكية تدعو إلى المشاع في الأموال والنساء . ولكن الشاعر هنا يبالغ في التهكم بأبي جهل وجهالته ، فيقول إنَّه توهم أنَّ النبيُّ عَلَيْ عرف المساواة عن سلمان ، وهو يُجري على لسان أبي جهل من الكلام ما يؤيد أنَّ أبا جهل من الكافرين .

⁽٧) سحبان مضرب المثال في الفصاحة عن العرب.

 ⁽٨) هو الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى من أصحاب المعلقات ، وجاء في سيرته أنه
 رأى قبل موته بعام كأنه رفع إلى السماء ثم انقطعت به الحبال . وفسر رؤياه لبنيه =

أنت في صحرائنا خيرُ الدَّليل قُمْ وحَطُّم سِحْرَ لَحْنِ جِبْرَئيل

قابل الأعدار أنت يا هبل عَنْكَ ذُد من ديننا ما إنْ عَقَلْ رأسَهُم ألتِ لـذـــب أو هَصُــور ولْيَكُنْ في نخلهم مُـوُّ التُّمور^(١) صَـرْصَـراً واجعـلْ هـواءَ البـادِيـة إنَّهــم أعجـازُ نخــل خَــاوِيَــهُ لاتُ دومي ، لا تَريمي يا مناة أنتما فينا قلوبٌ خَافِقَاتُ (٢)

قُلْ وَحدَّثنا طويلاً يا حَجَر ! ما رأينا منه ؟ واصدُّقنا الخَبَر

تَسْكُنان سنَ جَفْنَنَا الحدَاقا مهلةٌ إنْ كنتِ أزْمَعْتِ الفِراقا(٣)

بقوله : سيكون بعدي أمرٌ يعلو من اتبعه فخذوا بحظُّكم منه . وما حال الحول حتَّى بُعِثَ النبي ﷺ . والمركوم : الذي بعضه فوق بعض .

الهصور : الأسد . والتُّمور : جمع تمر .

اللَّات ومناة : من الأصنام التي كانت العرب تعبدها في جاهليتها . لا يريم : لا يفارق مكانه .

الحِداق : جمع حَدَقة ، وهي معظم سواد العين . والشَّطر الثاني من البيت مما اقتبسه إقبال عن شاعر عربي .





القسم الثاني فلك عُطارِد





ساعةٌ مع السَّيِّد جمال الدِّين الأفغانيِّ (١)

خرج الدكتور محمد إقبال مع شيخه ومربّيه الروحي والفكري ـ الشيخ جلال الدّين الرومي ـ في سياحة روحيّة فكريّة ، ومرّ في جولته ـ الخيالية ـ بمنازل كثيرة ، التقى فيها بشخصيات ماضية ، من أصحاب الدِّيانات والفلسفات ، وقادة الفكر والرِّجالات ، وتحدَّث معهم في مسائل كثيرة .

ومرَّ في رحلته بمنزلِ بكرٍ ، لم يطأه آدميٌّ بقدمه ، وظهرت فيه الطبيعة بجمالها ، وتمثلت فيه الدُّنيا بسهولها ، وجبالها ، وميادينها ، وأزهارها ، وعاش منذ آلاف السنين في عزلةٍ من المدنية والصناعة الإنسانيَّة ، وأعْجَبَ الشاعرَ جمالُ الطبيعة ، ورقةُ الهواء ، وخريرُ الماء في هدوء الصَّحراء .

وأقبل إلى شيخه الرُّوميِّ ، فقال وقد قَرَعَ أذنهُ صوتٌ عذبٌ رقيق : ما لي أسمع الأذان ، ولا أرى أثر إنسان ؟ فهل أنا واهمٌ ، أم حالمٌ ؟

قال الرُّوميُّ : إنه منزلُ الصُّلحاء والأولياء ، وبيننا وبينه نسبٌ قريب ، فقد قضى فيه أبونا آدمُ يوماً أو يومين ، لمَّا هبط من الجنة ، قد شَهِدَ هذا المكانُ زفراتِه وأنَّاتِه في السَّحر ، وبلَّتْ دموعُه التراب ، يزورُه أصحاب المَقامات الرفيعة ، كفضيل ، وأبي سعيد ، والعارفون الكبار ، كجنيدٍ ، وأبي يزيد ،

⁽۱) هو جمال الدين الأفغانيُّ ، ذلك المصلح الدَّينيُّ ، والسياسيُّ ، والاجتماعيُّ ، ورجل الفكر الحرِّ والأدب العالي ، ومن له الرَّيادة في دعوته إلى الحقِّ ومكافحته للباطل . وكان الدَّاعي إلى التجديد في الإسلام ، راغباً في إصلاح العالم الإسلاميِّ بالرجوع إلى القرآن . بعد أن فترت عنه همم المسلمين ولم يأخذوا بتعاليمه الدَّاعية إلى شحذ الهمم وتحرير العقول ، كان الأفغاني عظيمَ الأثر ، واسع النفوذ ، دائبَ العمل في مصر على الخصوص ، توفي عام ١٨٩٨م .

فلنقُم ولنُشرِع لندركَ الصَّلاة في هذه البقعةِ المباركة ، وننالَ لذَّةَ الروح ، ونعمةَ الخشوع التي حُرِمناها في العالم المادِّي .

ونهضا من مكانهما مسرعين فوجدا رجلين يُصلِّبان ، أحدُهما أفغانيُّ ، والآخر من الأتراك ، ونظر فيهما ، فإذا إمام الصلاة جمالُ الدين الأفغانيُّ ، يصلِّ خلفه الأمير سعيد حليم باشا ، فقال الروميُّ : إنَّ الشرق لم ينجب في العصر الأخير أفضلَ منهما ، وقد حلاً كثيراً من عقدي وألغازي ، أما الإمام السيد جمال الدين ؛ فقد نفخ في الشرق الناعسِ روح النَّشاط ، ودبَّت بدعوته الثائرةِ الحياةُ في الأموات والجمادات ، وأمَّا الزَّعيم سعيد حليم فقد جمع بين القلب الجريح الدَّامي ، والفكر المحلِّق السَّامي ، والرُّوح القلقة ، والعقلِ الكبير المستنير ، إنَّ ركعتين مع مثل هذين الرجلين من أفضلِ العباداتِ ، وأعظم القربات .

وقرأ السيد جمالُ الدين سورة (والنجم) فأنشأ هدوءُ المكان والزَّمان ، وشخصيةُ الإمام ، وجمالُ القرآن جوا خاشعاً رهيباً ، رقَّ فيه القلب ، وفاضت فيه العين ، وكانت قراءةً لو سمعها إبراهيمُ الخليل لأغجِبَ بها ، ولو سمعها جِبْرئيل لأثنى عليها ، وكانت قراءةً تقلق النفوسَ ، وتذيب القلوبَ ، وتعلو بها صيحةُ التكبير ، والتهليل في القبور ، وكانت قراءةً ترفع الحجاب ، وتتضح بها معاني أمَّ الكتاب .

وندعُ محمد إقبال يحكي قصَّته ، قال : • قمتُ بعد الصلاة ، وقبَّلتُ يده في أدبِ ومحبةٍ وقد قدَّمني أسناذنا الرُّوميُّ إلى السيد ، وقال : إنَّه جوَّالٌ جوَّابٌ في الأفاق ، لا يستقرُّ في مكان ، ويَحْمل في قلبه عالماً من الآمال والآلام ، لم يعرف غيرَ نفسه ، ولم يخضع لأحدٍ ، فيعيش حراً طليقاً » .

وأقبلَ عليَّ السيدُ جمال الدين ، فقال : حدّثني يا عزيزي ! عن العالم الذي عشت فيه زمناً ، وعن المسلمين الذين أصلُهم تراب ، وينظرون بُنورِ الله .

قلتُ : يا سيدي ! لقد رأيتُ في ضمير الأمَّة التي خلقت لتسخير العالم

معركة حامية ، وصراعاً دامياً بين الدِّين والوطن ، لقد ضعُف الإيمانُ في قلب هذه الأمة ، ففقدت روحَها ، وقطعتِ الأملَ من سيطرة الدِّين وسيادته ، فلجأتُ إلى الوطنية والقومية ، أصبح الأتراكُ والإيرانيُّون سُكارى بصهباء أوربة ونشوتها ، وأصبحوا فريسة كيدها ودهائها ، أصبح الشَّرقُ خراباً بحكم الغرب وسيادته ، وذهبتِ الشُّيوعيَّةُ ببهجة الدِّين وبهاء الملة .

سمع الأفغانيُ كل ذلك في صبر وأناة ، وفي تألّم وحزن ، ثم انفجر قائلاً : إنّ الباقعة الأوربيّ هو الذي علّم أهل الدين الوطنية والقومية ، أما هو فلا يزالُ يبحثُ عن مركزٍ لجميع الشعوب والأوطان ، ولكنّه بذر في الشرق بذورَ الخلاف والانشقاق ، وشغل شعوبه بمصرَ والشامَ والعراقِ ، فتحرَّرُ أيّها المسلمُ الشرقيُ ! من قيود الوطنية والقومية ، وكنْ « عالميا آفاقياً » يعتبرُ كلَّ بلدٍ وطنه ، وكلَّ أرضٍ من قيود الوطنية والقومية ، وكنْ « عالميا آفاقياً » يعتبرُ كلَّ بلدٍ وطنه ، وكلَّ أرضٍ والحجارةِ والقرميد ، إنّ الدين هو أن ينهض الإنسانُ من الحضيض ، ويعرف قيمة نفسه ، إنّ الذي عرف « الله » وآمن به ، لم يسعه هذا العالم ، ولم ينحصرُ في الجهات ، إنّ الحشيش ينبتُ على التراب ، ويفنى في التراب ، ولكنَّ النفس الإنسانية أسمى من أن يكون مصيرها هذا التراب ، ويفنى في التراب ، ولكنَّ النفس فقد يأبى أن يدور حول هذا الماء والطين . إنَّ جسمه يميل به إلى الأرض ، وروحه تطير به في الأجواء الفسيحة ، إنَّ الروح لا تنحصر في الجهات ، وإنَّ الصقور لا تستريحُ ولا تهداً في الأوكار .

إِنَّ هذه الحَفْنَةَ من التُّراب ، التي نسمِّيها «الوطن » ونطلقُ عليها أسماء «مصر » و « إيران » و « اليمن » ، بينها وبين أهلها نسبُّ ؛ لأنَّ هذه الشعوب قد نهضت من أرضها ، ولمعت من أنقها ، ولكن لا ينبغي أن تنطوي على نفسها ،

 ⁽۱) یعنی به ۱ الوطن ۱ .

وتنحصرُ في حدود أرضها ، أما ترى إلى الشمس تطلع بسنائها ونورها من الشرق ، ولكنّها لا تلبث أن تتحرَّر من حدود الشرق والغرب ، وتسيطرَ على العالم وتحتضِنه . إنَّ فطرتها بريئةٌ من الشرق والغرب ، وإن كان مولدُها وظهورُها في الشرق .

أما الشيوعية يا عزيزي! فإنَّ مصدرها ذلك الإسرائيليُّ ، الذي خلط الحقَّ بالباطل ، وآمن قلبهُ وكفر عقلهُ ، إنَّ الغربيين فقدوا القيم الرُّوحية ، والحقائق الغيبيَّة ، وذهبوا يبحثون عن الرُّوح في « المعدة » إنَّ الروح ليست قوَّتها وحياتُها من الجسم ، ولكنَّ الشيوعية لا شأن لها إلا « بالمعدة والبطن » ، وديانةُ « ماركس » مؤسسة على مساواة البطون . إنَّ الأخوة الإنسانية لا تقوم على وَحُدة الأجسام والبطون ، إنَّما يقوم على محبَّة القلوب ، وألفة النُّفوس

إنَّ المُلوكيَّة سمنٌ يطرأ على الجسم ، صدرُها مظلمٌ خاوٍ ، ليس فيها قلبٌ خفَّاق ، إنَّها كالنحلة تجلس على كلِّ زهرة ، وتتشربُ منها الرُّضاب ، وتغادرها إلى زهرةٍ أخرى ، وتبقى هذه الزَّهرات بلونها وشكلها وراتحتها ، ولكنَّها أوراقٌ بالية ، وحشائش ذاوية ، كذلك المُلوكية تستحوذُ على الشعوب والأفراد ، وتمتصُّ منها دماءها ، وتتركُها أجساداً هامدة .

إنَّ "الملوكيَّة " و "الشيوعية " تلتقيان على الشَّره والنَّهامة ، والقلق والساّمة ، والجهل بالله ، والخداع للإنسانية ، الحياة عند الشيوعية "خروج "(۱) ، وعند الملوكية "خراج " ، والإنسانُ البائسُ بين هذين الحجرين قارورةُ الزُّجاج ، إنَّ الشيوعية تقضي على العلم ، والدين ، والفنِّ ، والمُلوكية تنزع الروح من أجسام الأحياء ، وتسلُبُ القوت من أيدي العاملين والفقراء ، لقد رأيت كلتيهما غارقتين في المادَّة ، وجسمُهما قويٌّ ناضر ، وقلبُهما مظلمٌ فاجر .

⁽١) يعنى : تجرُّد من العقائد ، والعواطف ، والآداب ، والحضارات .

ألا! منْ يبلغُ « روسيا » أنَّ القرآن وتعاليمه في وادٍ والمسلمين في وادٍ ، لقد انطفأت شرارةُ الحياة في صدورِ المسلمين ، وانقطعتْ صلتُهم عن النَّبيُّ عَلَيْ إنَّ المسلم اليوم لا يؤسِّسُ حياته ، ولا ينظِّمُ مجتمعه على مبادىء القرآن ، وقد أفلس لذلك في الدِّين والدنيا ، لقد ثَلَّ عَرْش قيصر وكسرى ، ونعى على ملوكيتهم ، ونصب لنفسه عرشاً ملوكياً ، وتربَّع عليه ، واقتبس من العجم الملوكية وأساليبها ، وبذلك تغيَّر نظرُه إلى الحياة ، وتغيَّر منهج تفكيره .

لقد حطّمت «القيصرية والكسروية » مُثُلَ المسلمين في العصر القديم ، فاعتبري أيتها الأمة الرُّوسية ! من تاريخنا ، عليك بالثبات والاستقامة في معركة الحياة ، فإذا كنت قد كسرت هذه الأصنام «الملوكية والوطنية » فلا تعودي إليها ، ولا تطوفي حولها مرَّة ثانية . إنَّ العالم اليوم يطلب أمة تجمع بين التبشير والإنذار ، وبين الرَّحمة والشدَّة ، فاقتبسي من الشرق ديانته وروحانيته ، لقد أصبحت دياناتُ الإفرنج ودساتيرُهم عتيقةً باليةً ، فلا تعودي إليها مرَّة ثانيةً ، لقد أحسنت إذ ألغيت الآلهة القديمة ، وقطعت مرحلة النفي « لا إله » فعليك أن تبدئي مرحلة الإثبات « إلا الله » ، وهكذا تكمّلين مهمّتك ، وتُتمين رحلتك العظيمة ، وألك تبحثين عن نظام للعالم ، فعليك أن تبحثي له عن أساس مُحْكم ، وليس هو إلا الدينُ والعقيدة .

لقد محوت يا روسيا! أساطيرَ الأولين أسطورة أسطورة ، فعليك أن تدرسي الآن القرآن سورة سورة ، وما أدراكِ ما القرآن؟ إنّه نعيٌ للملوكية والشّخرة ، وحتف للاكتناز والأثرة ، وحياة للصعلوك ، وبشرى للملوكِ ، إنّه يذمُ الذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها في سبيل الله ، ويحثُ على إنفاق كلِّ ما فضل عن حاجة الإنسان ، ويقول في صراحة : ﴿ لَن نَنَالُوا اللّهِ حَتَى تُنفِقُوا مِمَا يَجْبُونَ ﴾ [آل عمران : ٩٢] إنه يحرِّم الربا ، ويحلُّ البيع ، ويحثُ على القرض الحسن ، وهل يتولَّد من الربا إلا الشرورُ والفتن ، والقساوة والضَّراوة؟ إنَّ اكتساب الرزق من الأرض جائز ، فكلُ ما في الدنيا ملكُ لله تعالى ، ومتاعٌ اكتساب الرزق من الأرض جائز ، فكلُ ما في الدنيا ملكُ لله تعالى ، ومتاعٌ

للعبد ، والإنسانُ أمينٌ في مال الله ، ووصيٌّ على أرضه ، وخلقه ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَمَلَكُمُ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد: ٧] ، قد انتكست رايةُ الحقّ بطغيان الملوك ، وخربت القرى والمدنُ بظلمهم ، وعبثهم . إنَّ المبدأ الذي يقرَّره القرآن : أنَّ قوت بني آدم من مائدة واحدة ، وأنَّ الأسرة الإنسانية كلَّها كنفسٍ واحدة (١) .

إنَّه لما قامت دولةُ القرآن ، اختفى الرُّهبان والكهَّان ، أقول لك ما أَوْمنُ به وأدين : إنه ليس بكتاب فحسب ، إنَّه أكثر من ذلك ، إذا دخل في القلب تغيَّر الإنسان ، وإذا تغيَّر الإنسان تغيَّر العالم . إنَّه ظاهر ومستترٌ ، كتابٌ حيُّ خالدٌ ناطقٌ ، إنَّه يحتوي على جدود الشعوب والأمم ، ومصير الإنسانية .

لقد ابتكرتِ تشريعاً جديداً ودستوراً جديداً ، فجديرٌ بك أنْ تنظري إلى العالم بنورِ القرآن نظراً جديداً الماكم .

* * *

والآن إليك هذه الأبيات المترجمة بالعربية شعراً :

يقول إقبال :

التسرابُ كللُ مخلوقِ شاى أبكسانَ أم يكسونُ سقطتسي أنا في الزرقاء لي شقاً شققتُ أفوادي في حنوً عانقت

وتجلّيه جلياً قد رأى (٣) والوجودُ قَنَصتْ أحبولتي (٤) إنّسي منها وإيّاها مَلَكُتُ (٥) أم أراها منه في الصّدرِ ارتمت

 ⁽١) قال الله تعالى : ﴿ مَّاخَلْقُكُمْ وَلَا بَمْثُكُمْ إِلَّا كَنْفِسٍ وَحِدَةً ﴾ [لقمان : ٢٨] .

⁽٢) مأخوذ عن « روائع إقبال » لسماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني النَّدوي ص ١٨٥ -

⁽٣) شأى : تفوّق على غيره .

⁽٤) السَّقطة : المرَّة من الوقوع والتردِّي . وَقَنص : اصطاد . والأحبولة : المصيدة .

⁽٥) الزرقاء: السماء.

لستُ أدري كُنْهَ ما تَحْتَ البَصَر فيرأيتُ عالماً ما إن رأيتُ من شرانا إنَّه خيرٌ وأقْدَمُ (۱) ليس للإنسانِ فيه مِنْ أَشُو (۱) ليس للإنسانِ فيه مِنْ أَشُو (۱) ليس للفِطْرَة من نقد حَديد (۱) في الجبال حبذا هَدْرُ العُبَابُ (۱) والأذانُ فاضَ مِنْه سَمْعُنا ! (۵) أرضُنا والأرضُ في فيء الإخاء (۱) ذلك العالم يوماً فيه حَلْ ذلك العالم يوماً فيه حَلْ وبفجرٍ وهو يشكو ، رنَّتُهُ (۷) كلُهم في قيوميه هذا العَلي كلُهم في قيوميه هذا العَلي باينزيد والجُنيد عُنْدَهم (۸)

ما الذي يخفى وما شي خطّهر في سماء غيرها طيراً خفقت عالم بالبر والدّأماء مُفعم عالم من بعض أرماء ظهر عالم من بعض أرماء ظهر ما عَلَيه صورة لوح الوجود قلت للرومي يا حسن اليباب أيسن آشار الحياة هاهنا ؟ قسال لي «هذا مقام الأولياء آدم عسن نحله ورأى هذا الفضاء زفسرتَ فورأى ها الفضاء والفضيا الكمّال بينهم والفضيا بينهم المناه بينهم والفضيا بينهم

⁽١) الدأماء: البحر.

⁽٢) الأرماء : جمع رمي ، هو السَّحابةُ الصَّغيرة .

⁽٣) النقد الحديد : النقد الشديد الحاد .

⁽٤) اليباب: الخراب. والعباب: الموج.

 ⁽٥) يعجب الشاعر لوجوده في أرض خراب ، ومع ذلك يسمع صوت المؤذن .

⁽٦) الفيء: الظلُّ .

⁽٧) الرَّنةُ : الصُّوت ، أو صوتُ القوس .

⁽A) أبو سعيد بن أبي الخير من مشاهير المتصوفة في أوائل القرن الخامس الهجري . وممن أذاعوا بين الناس في خراسان نظرية وَحُدة الوجود . وله رباعيًّات يعبَّر فيها عن مذهبه الصُّوفي وهو رقيقُ المعاني أصيلُ الشاعرية . والفضيل شيخ الحرم المكي كان في الحديث ثقة ، أخذ عنه خلق كثير منهم الشافعيُّ . وهو في عداد زهاد المسلمين كانت وفاته عام ١٨٧هـ وبايزيد أو أبو يزيد البسطامي أوَّلُ صوفي نسبت إليه الشطحات ، وأراد ابن تيمية أن يدفع عنه غلوه في شطحاته ، وتوفي عام ٢٦١هـ. أما الجنيد فصوفي بغداديٌّ مرموقُ المنزلة من أهل الصَّحو لا أهل السُّكُر ، أي أنَّه لم يكن من غلاة =

قُم معي كيما نصلي ركعتين ونذابُ برهية أو برهتين »

إنَّما الروميُّ دوماً في الحضور قال : « إنَّ الشرق قطُّ ما وَلَـدُ سيِّــدُ السَّادات مولانا جمال ورثيسُ التُّرك منْ يُـدْعى حليما

مشرقُ الطَّلعةِ ذوقاً في السُّرور مشلَ هذيسن فقد حلاً العُقَدْ منه يحيى الطِّين والصَّخرُ المقال كانَ في فكسرِ وفي جاهِ عظيما

مَعَ هـذيـن الصّـلاةُ طاعـةٌ وجــزاءُ مــن يُصلّــي جَنَّـةٌ

 سورةُ النَّجم تلاها شيخُنا ويثيرُ اللَّحنُ وَجُداً في الخليل ويذودُ الصَّبرُ عن قلبِ صَبُور يَهَبُ النَّارِ دخانَ السَّرُّفُسرَة وبسذا اللَّحنِ الظُّهورُ للغياب والصَّلاةُ بَعْدَ أَنْ تَمَّتْ نَهَضْتُ قال الهيذي ذرةٌ تَطُوي الفَلَكُ داتُها منها تَلَقَّستْ نظسرةً وحثيثٌ في الوجودِ سيرُها

* * 4

المتصوَّفة ، ويعدُّ أولَ المتكلمين في التوحيد ببغداد ، وكانت وفاته عام ٢٩٧هـ .

⁽١) اعترك: اختلج واضطرب.

⁽٢) زنده رود في الفارسية بمعنى النّهر الحي ، وهو اسمُ نهرٍ عظيم يجري بمدينة أصفهان في إيران . ولكن الشاعر آخذ عن الشاعر الألماني كوته في منظومةٍ له بعنوان « نشيد محمد » وقد عرفها إقبال وترجمها ، وفيه يشبّه الشاعر الألماني روح النّبوّة بالنّهر المتدفق المزبد ، كما قال المستشرق الإيطالي باوزاني .

الأفغاني

أرضَنا صِفْ أو سمانا أنْتَ أعْلَمْ

زنــده رود ، تِلْـكُ دنيــانــا تكلُّــمْ يا تُرابيًا سماوي البَصر أمَّةُ الإسلام عنها ما الخبر؟

زنده رود

فيها فكرُ الدِّين والأوطانِ عمم بأسها من قوة الدين المبين وبشَـصَّ فـي الحُلــوق جــرَّروا(١) والشُّيوعُ لانحطاط الـدِّيـن بـاب

أمة قد دونخت كل الأمه وتموتُ الرُّوح مِنْ ضَعْفِ اليَقينُ الفِرِرَنْ المسلمين أشكروا منْ نُفُوذِ الغَرْبِ في الشَّرق الخراب

الأفغاني الدِّين والوطن

مَكْرٌ لوردِ الغَرْبِ كُمْ أُعِيا الفطَنْ مركزاً يبغي وأنت في النَّفاق أنبتَ إِنْ أَذْرَكُتَ مِنَا خِينَ وَشَيْرُ ما هو الدّين؟ القيامُ من شرى « الله هُــ » من قالها قولًا يجود

فطَّـنَ القـومَ بمعنـىً لِلْـوَطــن^(٢) انسَ حتَّى الشَّام، دَعْ أَمْرَ العراق فَلْتَفُكَ عنك قيداً من حجر (٣) ذاتَـه القلـبُ الطُّهُـورُ كـي يـرى لم تَعُدُ تحويهِ هاتيْكَ الحدُودُ (٤)

الشصُّ: حديدةٌ معقوفةٌ يُصادبها السَّمكُ حين يتعلَّق من فمه. يقول إقبال: إنَّ الأوربيين خدعوا العرب ، والفرس ، والترك ، وجذبوهم إليهم كما يجذبُ الصيَّادُ السمك .

فطن: فهم . **(Y)**

يريد بالحجر المنازل التي تتألف منها المدن. (٣)

يجود: يحسن. (1)

قشّةٌ في الأرضِ قامت منْ تُراب ويلُ روحٍ في التُّراب منْ تَبَابُ^(۱) يُخْلَقُ الإنسانُ مِنْ ماء وطِيْن لونه كالورْدِ منْ ماء مَعِيْن (۲) بُخْلَقُ الإنسانِ في الطِّينِ الدَّوام إنْ بِهِ لَمْ يَعْلُ ذَيَّاكَ المَقَامُ يا حكيمُ ، الرُّوحُ تسمو عن جهاتْ ضاقَ حَلَّ بقيودٍ مُثْقَلِدت

من ظلام الأرض حرِّ قـد يَثُوْزُ مـا كفـأرٍ فَعَلَـتْ تِلْكَ الصُّفُـوزُ!

> قَبْضَةُ الطّينِ تسمّيها الوطن بين أوطنانٍ وقدوم نسبةٌ أنْتَ إِنْ أَمْعَنْتَ في هذا النَّظَرُ فَمنَ الشَّرْقِ ذُكاءً تَطلُعُ في عذابٍ واصبٍ من نارِ قَلْبِ بالتَّجَلِّي أَسْكِرَتْ في شَرْقها

دَعْكَ مِنْ مِصْرَ وفُرْسٍ واليَمنْ (٣) إنَّهـم في الأرض منها نَبْتَةٌ دقة أَذْرَكُتَ دَقَّتْ كالشَّعَرْ باجتراء وتجل تَسُطع (٤) عِنْدَ فَكَ القَيْدِ منْ شَرْقٍ وَغَرْبِ (٥) أفقاً ما أفْلَتتْ منْ غَرْوها

مِنْهُما قد قطَّعت أصلَ السَّبَبْ إِنَّهَا للشَّرِق لَكنْ في النَّسَبُ (٦)!

* * *

الشيوعيّة والرأسماليّة

صاحبُ ﴿ المالِ ﴾ سليلٌ لِلْخَلِيلُ وبلا جِبْريلَ أضحى كالرَّسول(٧)

⁽١) التباب : الهلاك والخراب .

⁽٢) المعين : الجاري .

⁽٣) الفرس هنا بمعنى بلاد الفرس .

⁽٤) ذُكاء: الشمس.

⁽٥) الواصب : الدائم .

 ⁽٦) يقول : إنَّ الشمس قطعت كلَّ صلةٍ بينها وبين المشرق والمغرب .

⁽v) يريد كارل ماركس صاحب كتاب رأس المال .

مبطلٌ ، في الزَّيْغِ حقَّا يُضْمرُ مومنُ القَلْبِ بعقبلِ كافِرُ الْأَوْمِ بَبطنِ حينَ جاعوا! إنَّ أهلَ الغربِ أف لاكا أضاعوا طلبوا الرُّوح ببطنِ حينَ جاعوا! ما استمدَّ الروحُ حسناً منْ جَسَدُ وعلى الجِسْمِ الشُّيوعيُّ اعْتَمَدْ قولُه في مُساواة البُطون في مساواة البُطون في صميم القَلْبِ ذيَّاكَ الإخاءُ

ما احتوى أصلاً له طين ومَاءُ (۱)
الجسومُ بِالشَّراءِ سُمُنَتْ والصُّدورُ مِن قلوبٍ جُردَتْ (۲)
يا لَهُ السرُّ نُبُورُ يسرعى وردَهُ ثم يمضي ، نالَ مِنْهُ شَهْدَهُ إِنَّ عُصْنَ السورُ دِ هِذَا حُسْنُهُ ولسهُ البُلْبُ لُ هِذَا لَحَنُهُ (۲)
عَنْ جمالٍ رَاقَ فَلْتَطْوِ النَّظَرِ الْعَنى وَدَعْ عَنْكَ الصَّورُ

أَنْ تسرى لِلْقَلْبِ مسوتاً يَضْعُبُ الْأَلْسِ مسوتاً يَضْعُبُ الْأَلْسِ الطَّيسَن وَرْدَاً يَكُسرُبُ (٤)

تَخْدَعُ النَّاسَ وَيَبْدُو كُفْرُها (٥) حَجَران ، والورى هذا الرُّجَاجُ (١) تِلْكَ روحاً ورغيفاً حَرَّمَتْ أَظْلَمَ القَلْبُ وذو الجِسْمِ الْتَلَقْ سراقُ والعَمَسلُ

هـــذه دينـــاً وعلمـــاً حَطَّمَـــتُ تِلْــكَ روحــاً ور لهمـا فــي المــاء والطِّيــنِ الغَــرَقُ أَظْلَــمَ القَلْـبُ وه والحيــــاةُ الاحتــــراقُ والعَمَــــلْ

يَمْلِكَانِ السرُّوْحَ نسدًّ صَبْرُها

لهمما العيمشُ الخمروجُ والخَمرَاجُ

 ⁽١) يقول : إنَّ الإخاء في الروح لا في الجسد .

⁽٢) يراد بالثراء الرأسمالية .

 ⁽٣) درج شعراء الفرس على قولهم: إنَّ البلبل يَعْشقُ الوردة ، ويغني لها ، وهم يشبهون بالبلبل عاشق الذَّات الإلهية .

⁽٤) كل في الفارسية بفتح الأول بمعنى الوردة وبكسره بمعنى الطين ، ولبلغاء الفرس ولوع بذكر هذين الاسمين على أنهما رمز للنقيضين . ويكرب : يثير الحزن .

 ⁽٥) يتحدَّث الشاعر عن الشُّيوعية والرأسمالية . ونَدَّ : بعد .

⁽٦) يريد بالخروج والخراج: الإنتاج ودفع الضريبة.

والسُّويْداءُ لِتُلْقَىٰ في الــوَحَــلُ(١)

* * *

سعيد حليم باشا^(٢) الشَّرقُ والغربُ

إنَّ في الغَرْبِ الذَّكَا أصلُ الحياة وبعشق يَعْرفُ اللهَ السَدَّكَاء وبعشق يَعْرفُ اللهَ السَدَّكَاء صادقاً الْهَضَنَ العالَم الشانسي اصْنَعَنْ العالَم الشانسي اصْنَعَنْ لِلْهِرَنْجِ شعلةٌ قَدْ بُلِّلَتْ بُلِلْسَتْ جُرِّحُوا لكن بحدٍ سَيْفِهِمْ لا تَطْلُبَنْ نصوةً من كرمِهِمْ لا تَطْلُبَنْ

والهوى في الشَّرْقِ سُرُّ الكائنات ولعشت بالنَّكاء ذا العَلاء عالماً آخَر قَطْعَاً حقَّقا بالذَّكاء ذلكَ العِشْقَ امْرُجَن قلْبُهم مات وعين فتُحت يالَهُمْ صَرْعَىٰ كَمِثْلِ صَيْدِهُم (٣) جِدَّةً مِنْ عَصْرِهِمْ لا تَأْمُلَنْ (٤)

> للحياةِ النَّارُ فلتُشْعَالُ بنارِكُ اصْنَع العالمَ وارْفَعْ منْ مَنَارِكُ

قَالَ : إِنَّ المَحْوَ لِلْعَهْدِ العهيدُ (٥) إِنْ أَتِى الكعبةَ غربيٌّ بِلاتُ ! بِلْ قديمُ الغَرْبِ سَمَّوْهُ الجديدا

و (كمالُ) حِيْنَ نادى بالجديدُ لَيْسَسَ لِلْكَعْبَةِ تَجْديدُ الحياة ما تَعَنَّى التُّركُ ما قالوا نشيدا

⁽١) السُّويداءُ : حبَّة القلب .

⁽٢) هو سعيدُ حليمُ باشا الصَّدر الأعظم الذي قتل عام ١٩٢١ في روما . ولقد فَرَضَ إجلاله حتى على خصومه لِسَدادِ رأيه ، ورجاحة عقله . والجامعُ بينه وبين الأفغاني أنَّ كلَّا منهما صاحب نزعةِ إسلاميَّةِ إصلاحيَّة .

⁽٣) الصَّيد: ما يصاد.

⁽٤) الكرم: شجر العنب.

⁽ه) كمال هو مصطفى كمال أو كمال أتاتورك رائد تركية الحديثة . والعهيد : القديم .

نَفَسِ آخِرُ فيهِم ما خَفَسَقُ عالمٌ في القله وافقوا العالم هذا لا جَرَمُ فيه ذابوا شمعا في القسميم طُرْفةٌ للكائنات لم تكن تقييد إنَّ حيَّ القلبِ خلاق الدُّهور ومن التقليد مسلماً إنْ كُنْتَ ذا عقل منير في الكتابِ انظر وكم دُنى تَظهرُ فيه منْ سُتُورُ والعصورُ مَرُه إنَّ دنيا مِنْهُ تكفي عَصْرَبا إنْ عَقَلْتَ أنتَ اليومنُ الإنسانُ من آيات ربُّه كلُّ دُنيا يَرْتا وإذا دنياهُ رثَّستْ ثسوبها قلم القرآنُ د

عالمٌ في القلب منهم ما انْبَفَق فيه ذابوا شمعة تَحْتَ الضَّرَمُ (۱) فيه ذابوا شمعة تَحْتَ الضَّرَمُ (۱) لم تكن تقييد تقويم الحياة (۲) ومن التقليد كان ذا النُّفورُ في الكتابِ انظرُ وفي هذا الضَّمير (۳) والعصورُ مَرُها تلو العُصور العُصور أن عَقَلْتَ أنتَ فاجْعلها لنا كلُّ دُنيا يَرْتديها مِثْلُ ثوبه قلم القرآنُ دنيا غَيْرها (۱) قلما قلما القرائ دنيا غَيْرها (۱)

* * *

زنده رود

زورقٌ نَحْــنُ بـــلا هـــدي جـــرىٰ عـــالـــمُ القـــرآنِ أيـــنَ ؟ مـــن درىٰ

الأفغاني

في انتظارِ «قُمْ » لإنسانِ غفا ما لغربِ ما لَدَيْهِ من بَهاء

عالمٌ في صدرنا هذا اختفى ليسسَ فيسه أيُّ لسونٍ أو دِمساء

⁽١) الضّرم: الحطب المشتعل والمراد به هنا النار.

⁽٢) الطّرفة: الشيء العجيبُ النادر.

⁽٣) الكتاب : القرآن .

 ⁽٤) رث الرجل ثوبه: جعله رثا أي غير صالح.

ليسس فيسه مِسنْ ملسوكِ أو عبيسد عالمُ الحُسْنِ ، ومنْ فَيْضِ النَّظر بِنْدُه أَلْقِي بِقَلْبِ مِنْ عُمَـزُ (٢) سرمديٌّ فيه أحداثٌ تَدُومْ محكماتٌ فيه تهدي من يَرُومُ (٣) لا يهابُ باطن فيه التَّغَيُّز وله الظَّاهرُ دوماً في التطوُّرُ

مثلُ قلبِ في خلوً منْ حُدُود(١)

بين جنبيك ، عليك بالنَّظر محكماتٌ ، ألق سمعاً للخبر(٤)

مُحْكماتُ العالَمِ القُرآنيِّ خلافةُ الإنسان

أثر العِشْق بدا في العالَمِيْن ليسَ سرُّ العِشْق من دنيا الرَّحم كوكبٌ ، ما منْ شروق أو غروبُ قسول ﴿ إنسى جاعسل ﴾ تقديسرُه

ويسرى فسي المسرءِ منَّا رأي عَيْسن ما إلى سام وحام يَخْتَكُمُ (٥) لا ولا يَــدْري شمــالًا مِــنْ جَنُــوْب بَيْـــنَ أرضِ وسمـــا تفسيــــرُه(٦)

يشبه هذا العالم بقلب المؤمن الذي يخلو من الحدود. (1)

يذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي أسلم بعد أن ألقى نظرة على آيةٍ قرآنية ، وهو (٢) يهمُّ بقتل أخته التي كانت قد أسلمت سراً .

السَّرمديُّ : الدائم الخالد . والمحكمات : الآيات التي أحكمت فلا تمس حاجة (٣) سامعها إلى تأويلها لبيانها كقصص الأنبياء . ويقابلها المتشابهات .

أي أن هذا العالم في داخلك وبين جنبيك . فانظر في نفسك واستمع إلى الآيات (3) المحكمات.

الرَّحم : القرابة . وسام أحد أبناء نوح ؛ وينسب إليه الجنس السَّامي ، وكذلك حام (0) وهو أبو الشُّودان .

قال تغالى في سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَتِهِكَةِ إِنِّ جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا (1) أَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ وَغَنْ نُسَيِّحُ جِمَدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكُ قَالَ إِنَّ أَعَلَمُ مَا لَا=

الحياة منه كانت والردى الإمـــامُ والصّــــلاةُ والحَـــرَمْ غيبًه يُمسى رُويداً ذا الحضور منه كان اعتبارُ الكائسات ياله بحراً بلا شط يفور إنَّما الإنسانُ دُنيا قد وسع وتجلَّسي فـاذا نـورُ السَّمـاء

نور دُنيانا وناراً أؤجدا مُلْكُــهُ مــا فيــهِ حَــدٌ أو ثُغُــوزُ واعتدالٌ فيه قساسَ المُمْكِنات قلبُه قد أُغرقت فيه الـدُّهـور هـذه الـدُنيا لَـهُ لـم تَتَّسِعْ واختلىٰ يـومـاً فجبـرائيـلُ نـائـى(

وعـــن الأفـــلاكِ أعلـــى قَـــذرَهُ والحميدُ من تغنَّى شُكْرَهُ

ما الحياةُ يا بصيرٌ هل فَهمتنا يَرْبِطُ الجنسين موصولُ الصّلات تُشعيلُ المراةُ نيرانَ الحياة أضْرَمَتْ في الرُّوح منها نارَنا ممكنـاتُ العَيْشِ مِنْهَـا فـي الضَّميـر إِنْ يَغِسبُ عسن هسذه النَّسار الشَّسرَرُ ما لنا من قيمة ، منها لنا إنْ حباكَ اللهُ عقالًا لِلتَّفَكُّ إِنْ حباكَ اللهُ عقالًا لِلتَّفَكُّ إِنْ

أَنْ تُسرى اثنيـن ، وَفَـرَّدْ مـنُ عَشِقْتَـا يَرْسُمانِ شوقَ تِلْكَ الكائنات(٢) طبعُها لوح الأسرار الحياة (٣) جــوهـــرٌ فيهـــا أتـــمَّ خَلْقَنَــا وثباتُ العيشِ في وَهْجِ الشُّعور (٤) الم يَلُـخ جسم وروح للنَّظَـز رَسَمتُنَا وأجادتْ رَسْمَنا

طهِّر النَفْسسَ بتقديسسِ لها انْظُرْ

يَكْشَـفُ السِّـرَّ الخفــيَّ قــولُنــا أفسد الإيمان فيك عَصْرَنا

لْعَلّْمُونَ ﴾ [البقرة : ٣٠] ومعنى استخلاف الله آدم في الأرض أنه سيكون له سلطانٌ عليها ، وسيتصرَّف في موادها ليجعلها ملائمةً لحاجاته .

يقول: إنَّ جبريل لم يقتحم عليه عزلته. (1)

الجنسان : المراد بهما الرجل والمرأة . **(**Y)

اللوح: ما يكتب فيه. (٣)

الوهج : اشتعال النار . (1)

في البحسوم الخلقُ نارٌ تَتَقِدُ من عن هذه النّارِ النّصيبا إنّه ذو الرأي فيما قد عَمِلُ مُدَّةً في الغارَ ظلَّ المصطفى مُدَّةً في الغارَ ظلَّ المصطفى رَسْمَنا قد أغرقوا في مُهْجَتِه وعلى إنكار ربّ إنْ قَدَرُنا لو أنارتْ فيك روحٌ كالكليم

أيُّ فرد حولَها لم يَسْتَفد ؟ يَجْعَلِ النَّفسَ على الفِعْلِ الرَّقيبا لا يرى الغَيْر وَلٰكنْ يَعْتملُ (١) غَيْرَ آثادٍ لذاتٍ ما اقتفى وأقاموا أمة من خَلُوتِه كلُّ فضلِ المُضطفى حتماً عَرَفْنَا لَشَقِيْتَ أنتَ بالفِكْرِ العَقِيْم

> ف الخيالُ فيك تحيي عزلةٌ ثم تأتي بعد بحثٍ ضالَّةٌ(٢)

> > من مقامات لنا علم وشوق بهجة لِلْعِلْم تحقيق دقيق مصاحب التَّحقيق رامَ المُنْجلي عين موسى رؤية الدُّنيا أرادت ولن تراني وانها المعنى الدَّقيق إنْ تَلُمخ للعين آئسارُ الحياة هذه الأفاق بالعين ازمُقَن

لهما فيما جرى لِلْقَوْمِ حَنَّ متعة لِلْعِشْتِ خَلْتٌ قَدْ يَلِيتْ متعة لِلْعِشْتِ خَلْتٌ قَدْ يَلِيتْ صاحب الخَلْقِ بذاتِ يَخْتَلي وإليها رغبة التَّحقيق سَاقَتْ ولَيُضِعْ فيهِ فذا البحر العَمِيق (٣) تستمد النبع جوف الكائنات وتجلّب ربها لا تَطْلُبَسن

⁽١) اغْتَمَلَ : عَمِلَ عملًا يتعلَّق به دون سواه . والمبتكر : المجدِّد لا يقلُّد غيره .

 ⁽٢) الضَّالة : الناقة الضائعة التي لا يعوف لها صاحب . والمراد هنا ما يراد معرفته .

⁽٣) الشاعر يريد قوله تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَائِنَا وَكُلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّهُ الْمَالِمَ الْفَارِ إِلَى الْمُجَلِ فَإِنِ السّتَعَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَافِي فَلَمَّا جَمَلَ رَبُّهُ الْمَا الْمُومِنِينَ فَلَمّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوْلُ لِلْمَجَبِلِ جَعَلَهُ دَكَّ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَوِقًا فَلَمّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوْلُ اللّهَ عَلَيْهِ وَلَيْنَ مُوسَىٰ صَوِقًا فَلَمّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوْلُ اللّهَ عَلَيْهُ اللّهُ وَمِنِينَ فِي معنى تلك الآية المُؤمِنِينَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] وقد تضاربت أقوال المفسرين في معنى تلك الآية الكريمة . وفي شعر لجلال الدين الرُّومي : أنَّ الله خالقُ الوجود من العدم ، والرؤية لا تكون إلا لما ظهر وخلق .

خلوة تحفظ كل مَن صَنَع جوهراً في خاتم كانت لَمَغُ(١)

الحكم الإلهي

إنَّ عبدَ اللهِ لا يبغي المقاما إنَّـــه حـــرٌّ وذو نَفــس زكيَّــة دينُه والعُرفُ من ربُّ كريهم جازَ عقلٌ في الغرور حدَّهُ خيـرُ كـلِّ النَّـاسِ يبغـي وحـيَ ربِّـي ويكونُ السَّلْمُ أو حتَّى المَصَاف وإذا الإنسانُ أضحيى آمسرا

ما له عبدٌ ولا كانَ الغُلاما مُلْكُه هذا من المولى عَطِيَّة (٢) حُلْوُهُ والمررُ من ربِّ عظيم ولمه النَّفْعُ تمنَّى وَخُمَدُهُ (٣) ويسرى الخَيْسرَ نداءً كمى يُلَبِّسى لا يـراعـي منصفٌ بـل لا يَخَـافُ(٤) كانَ لِلْمِسْكَيْنِ حَمْمًا قَاهِرا

> ومــنَ القَهْــرِ صُـــدُوْرُ أَيُّ أَمْـــر ولغيــــر الله ِ أمْــــرٌ مَحْـــضُ كُفْـــر

صعوةً في أمره قد يَسْتَشيرُ (٥) يضعُ الإثمدَ في العَيْنِ الضَّريرة (٦)

آمــرٌ بــالأمــر زكّــى عَقْلَــهُ مـن قـوانيـن بنــى حصنـاً لــه إنَّ صقـــراً فـــي ذُرىٰ جـــؤ يَطيْـــرِ قهـره القــانــون ، مفقــودُ البَصِيْــرَة

يقول: إنَّ الخلوة تحمى كلُّ من أوجد شيئاً ، وهي فصٌّ من الجوهر لخاتمه . (1)

الزكية: الطاهرة. **(Y)**

جاز : تجاوز . (٣)

المصاف : الموقف في القتال . (3)

الذَّرى : جمع ذروة وهي أعلى الشيء . والصَّعوة : أنثى الصَّع وهو عصفور صغير . (0)

الإثمد: الكحل. (7)

صاحبُ الأرض البدين ، كان شِرْعَه والنَّحيلُ زارعٌ ما اقتاتَ زَرْعَـه (١)

بالعداء بعضُهم للبعض كاشِحْ(٤) سلعسة نحسن وَهُمم تُجَارُنا كالُ أمُ آدَها يُفالُ الوَلَد(٥) يُخْرِجُون الماءَ منْ جِذْع الشَّجِرُ! في البطونِ قَتَلُوا حَتَّى الجنينا كلُّ ما حصَّلْتَ منهم عَبْرَةٌ

بئسَ ما في الغربِ حقّاً حُكْمُهُمْ ويزيدُ الميتَ موتاً صُوْرُهم (٢) يسحرونَ ، خَدْعُ دَهْر خَدْعُهُمْ من شعوبِ الأرض كان نَرْدُهُمْ (٣) يَسْــرقُــون ، ذا ثــريٌّ ذاكَ كَـــادِح يَكْشُفُ السَّرَّ جليَّاً قُولُنا جَفْنُهُمْ في المالِ حُبًّا قد جَمَدْ ويلهــمْ ! خــوفــاً علــى حُلْــو الثَّمَــرْ ولكَيْـــلا يبعــثُ العُـــودُ الـــرَّنينـــا عِنْدَهُمَمُ مِنْ كِلِّ فِنْ كَثِيرَةٌ

> يا أسيراً كانَ مِنْ تقليدِهم الكتبابَ اقرأ ، وَعُدْ مِنْ أَسْرِهِم (١)

الأرضُ ملكٌ للهِ

لامتلاكِ الأرضِ في حربٍ وَضَرْب سَحَرَثْنا ، قط ما نلنا الوصالا إنَّما الإنسانُ في شرقٍ وَغَـرْب كعروس ولها كُنَّا الرِّجالا

البدين : السَّمين . والشُّرْعَةُ : الشريعة . واقتات الشيء : اتخذه قوتاً . (1)

الصُّور : ما ينفخ فيه إسرافيل يوم القيامة ليبعث من في القبور . **(Y)**

النرد: شيءٌ معروفٌ يلعب به مع تحريك قطع من العاج على لوحٍ من الخشب. (٣)

كشح له بالعداوة : أضمرها له . (1)

جمدت العين : قل دمعها ، أو انقطع . وآده الحمل : أثقله . (0)

الكتاب: القرآن الكريم. (1)

ضمَّنتُ كل خداع دَلَّها فَيُ شَيء رُمْتَ منْ ذَاكَ الحَجَرُ وَعِنِ البِقظانِ منْ ذَاكَ الحَجَرَقُ هما المتعلق الأرضُ منحناها مَتَاعَا مالكَ الأرضِ إليكَ القولُ عَنها وإلامَ لَيُستَ شِعْدِي تَبْقَيان طُفُ بأف للإِ السَّماء كالعُقاب

في هواها إنّنا لسنا لها(1) إنّه الباقي وَأَنْتَ في سَفَرْ(1) ومع السّيّار ضدّ ما اتفت (1) من شراها منحة يوما وباعا(1) اتّخذ رِزْقا وقبراً ثُمَّ دَعْهَا(٥) قد تَظَلُ وَتَغِيْبُ عَنْ عِيَان(١) كنْ طهوراً واجْتَنِبْ رِجْسَ التّراب(٧)

إنَّما الأرضُ لسربِّي، ذاكَ ظاهر كالسرك كالمار كالمارك كالمار

لم أقل دَعْ عنكَ هاتيك الدِّيارا عالماً تملك من حسن أنارا ارفعن عن جوهر الأرض التُّرابا الْتَقطْ حَبَّ النُّجوم طِرْ عُقابا في الجبال اضْرِبْ بفأس صَخْرَها وبندور منك أوقد نارها وطرور منك ألويد نارها وطرور منك الدُّنيا أقِمْهَا (^) وطرور منا له الدُّنيا أقِمْهَا (^) بالجمال لا تَصِلْ قلباً سَقِيما أغطِها قلباً لها كانَ الحَريما (٥)

⁽١) الدُّل : الدلال . ويقول : إنها لا تقبل عشاقها .

⁽٢) الحجر هنا رمز إلى الدار والوطن . والإنسان سوف يرحل عن دنياه وما البقاء إلا لوطنه وداره من بعده .

⁽٣) السّيار هو الكوكب السيار ، وضدُّه الكوكب الثابت .

⁽٤) شرى الشيء : اشتراه . والمنحة لا تباع ولا تشترى .

 ⁽٥) يقول : حسبك أن تجني من الأرض رزَّقَك ، وتحفرُ فيها قبرك .

⁽٦) ليت شعري: ليتني أشعر أي ليتني أعلم.

⁽٧) العقاب : من جوارح الطير . والرِّجس : القذر .

 ⁽A) آزر: هو أبو إبراهيم عليه السلام. وجاء في سورة الأنعام قوله تعالى: ﴿ ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَهِيمُ لِأَبِيهِ مَازَرَ أَتَتَخِذُ أَصْنَامًا مَالِهَةً إِنَّ آرَتَكَ وَقُوْمَكَ فِيضَلَالِ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٧٤].

⁽٩) الحريم: كُل موضع تلزم حمايته . يقول : إنَّ القلب يحيُطُ بتُلك الأرض وتلزمُ حمايتها وحمايته .

أنموتُ ؟ ما لنا مالٌ وقَبْرُ أنضيعُ ؟ ولنا أهلٌ وَوَفْرُ(')

« لا إليه » ولها القلبُ اتَّسَعْ عالماً في النَّاتِ إنسانٌ جَمَعْ

كيف فَقْرُ الجوعِ أو فَقْرُ العُراة

حُكْمُ سلطانِ ، فَدَعُ ذِكْرَ العُفَاة ('')!

* * *

(١) الوفر: الكثير من المال.

 ⁽٢) يقول: إنَّ الفقر هو حكمُ الحاكم . والعُفاةُ : السائلون والفقراء . والمراد بهم هنا
 الرُّهَّادُ .





القسم الثالث







الحكمةُ خَيْرٌ كثير

إنْ تَجِدُهُ فَاغْتَنِمُهُ يَا بَصِيرُ (۱) للخَسِيْسِ رونقَ الغالي أتاحا (۲) نظرة من مُقْلَةِ الشَّمْسِ اقْتَلَغُ والمَصِيْسِ للسورَى تَقْدِيْسِرُ السورَى تَقْدِيْسِرُهُ (۲) للبِحارِ قال مُوجي بالسَّرَابُ (۱) أصلَ تِلْكَ الكائناتِ كي يَرَى أصلَ تِلْكَ الكائناتِ كي يَرَى وبقطعِ الفِكْرِ عن ربُّ كَفَرُ (۵) نورُه الظّلماءُ بحرٌ ضلَّ بَرًا والرَّبِيعُ فيه قَدْ أمسى الخَرِيفا (۱) والجبال هَدَّمَتُها الطَّائِراتُ للمَّالِواتُ والخَرْوِ اسْتَطَابُواتُ نَهَبُوا الأموال مِن أقوامِنا نَهَبُوا الأموال مِن أقوامِنا

⁽١) قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ يُؤْتِي ٱلْمِكْمَةَ مَن يَشَآهُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْمِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِي خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَكُرُ إِلَّا أَوْلُوا ٱلْأَلْبُكِ ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

⁽٢) أتاح : هيًّا .

 ⁽٣) أي أنّ ما يراه العلم ، ويحكم به ، هو وحده ما يفسّر الوجود .

⁽٤) الحَبَابُ : النفاخات على سطح الماء . والسَّراب : ما يشاهد نصف النهار كأنه ماء .

⁽٥) إمّا: تتألف من إن الشرطية وما الزائدة .

 ⁽٦) الكفيف : الأعمى . أي أنَّ المتصاعد من الدخان والغاز يعمي العيون .

⁽v) اللهاب : مصدر من لهبت النار أي اشتعلت .

واستمدُّوا بَطْسُ إبليسَ الرَّجيمُ قَتْلُهُ ما زالَ كالأمرِ الصَّعُوب كان أولى مومناً أَنْ تَجْعَلَهُ ما جلالٌ لَيْسَ فيهِ منْ جَمَالُ! عِلْمُنا بالعِشْقِ عِلْمُ المؤمنينا جشةٌ عِلْمٌ لنا ما لَمْ نُحِبْ

تُضبِح الأنوارُ ناراً بالجَحِيمُ (۱) المَّحِيمُ (۱) اللَّه قد ضاعَ في عُمْقِ القُلُوب (۲) وبسيف لِلْكتاب تَقْتُلُده (۳) أيُّ هجر ذاك يخلو مِنْ وِصَالْ! وبِغَيْرِ العِشْقِ عِلْمُ الكافِرِيْنا ولنا العَقْلُ كَسَهم لهم لم يُصِبْ

هب عُيُسؤنَ العُمْسي نسوراً تَشْهَسدُهُ واهمدِ لسلإيمان من تَبَستْ يَسدُهُ (٤)

زنده رود

محكماتٌ لي أبنتَ في الكتابُ النَّقَابُ النَّقَابُ عسن جبيسنٍ مسا رَفَعُ وَلَسَعُ وَلَسَعُ السَّدِيسِبُ وَلَسَعُ السَّدِيسِبُ في السَّدِيسِبُ في التَّتَارِ خَمَدتُ نارُ الغِلابُ

سعيد حليم باشا

إنَّ دينَ الحقُّ كالكُفرِ الصُّراح إنْ تردَّى الشَّيْخُ في الكُفْرِ المباح!! (٧)

 ⁽١) يقول إنهم عززوا قوتهم بقوة إبليس . ومعاشرة أهل الجحيم تجعل النور ناراً .

⁽٢) الصَّعوب : الصَّعب . ويصعب قتل إبليس لأنه اختفى في القلب .

⁽٣) الكتاب: القرآن.

⁽٤) يقول : هب عيون العميان بصراً لرؤية الله بقلوبهم : ومنْ تَبَّتْ يداه هو أبو لهب . قال تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَاۤ أَيِي لَهَبِ وَتَبُّ ﴾ [المسد : ١] .

⁽٥) الكتاب: القرآن.

⁽٦) غالبه غلاباً بمعنى قاهره .

⁽٧) الصُّراح : الخالص . وتردَّى في الشيء : سقط .

طَلُنا يَبْدُو كَبِحَدِ عندنا مِنْ أَعاجِيبِ لِمَنْ باعَ الكِتابا في السَّماء لَمْ تَشُفْهُ جولةٌ ما نصيباً نالَ من دِيْنِ النَّبِيُّ وضريرُ القَلْبِ يهذي في النَّفاق مكتبٌ ، شيخٌ ، وأسرارُ الكتاب

وَيُسرىٰ في البحرِ هذا طلّنا !(۱) كم تعالى صوتُ جِبْريْلَ انتحابا عِنْدَهُ أُمُّ الكِتسابِ قَسوْلَةٌ (٢) في ظلام لِضَيساعِ الكَوْكَبِ تَعْمهُ الأُمَّةُ منْهُ في الشّقاق (٣) أَكُمهُ والشّمْسُ كُمْها لا تحابي (٤)

دين من يَكْفُرُ تدبيرَ الجهاد في سبيلِ اللهِ شيخٌ في الفَسَاد

« رَجُلُ الله لِلدُنيا الرَّوْح كَانَا » أنْتَ يا منْ للحياةِ الفكرُ مِنْكا حفظُ قَوْلِ الله كان دَيْدَنُكُ ارْفَعِ الرأسَ تَكَلَّمُ يا كَلِيْم عن بياضِ الشَّغبِ حدَّثنا طويلا

قُلُ لمنْ في عزلةِ الرُّكْنِ استكانا! وثباتُ الشَّعْبِ قولٌ قِيْلَ عَنْكا نَشرُهُ في النَّاسِ كانَ مَذْهَبُكْ منْ يَدَيْكَ يَصْدُرُ الأمرُ العَظِيْم وَلْتَذَكَّرُ بالفلا ظبياً جميلا(٥)

أنْتَ حَقَّاً مستنيرٌ من مُحمَّدُ وَضُعُنا الحالي فصفه ، أينَ نُؤجدُ !

ما استمادً رجالُ اللهِ البَشَارُ واستمادً من إلهِ قَادُ غَفَار

⁽١) الطَّلُّ: النَّدى .

⁽٢) أم الكتاب : اللوح المحفوظ . وكلُّ العلوم منسوبة إليه ومتولدة منه . يقول : إن هذا الشيخ لا يبحث فيما وراء الطبيعة ، ولا يعرف القرآن حقَّ المعرفة .

 ⁽٣) يهذي : يتكلم بغير معقول . ويعمه : يتردّد في الضلال ، ويتحيّر في طريقه ، وكلامُ
 هذا الشيخ يوقعُ الناس في الحيرة والخلاف .

⁽٤) الكمه: جمع أكمه وهو من ولد أعمى .

⁽٥) قال تعالى في سورة طه : ﴿ وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَغْرُجُ بَيْضَآهُ مِنْ غَيْرِسُوَّهِ ﴾ [طه : ٢٢] وبيضاء ؛ أي : مشعة . ومن غير سوء : من غير عاهة . والفلا : جمع فلاة وهي الصحراء الواسعة .

كل يوم سَعِدَتْ روحٌ بِقُرْبِهُ كل يوم كانَ في شأنِ كَرْبِهُ مؤمناً أوْقِفْ على السرِّ الخفيِّ «كلَّ يومٍ» مُدَّ بالشَّرْحِ الجليِّ (۱) ما لسركب نسزلٌ إلا الحَررَمُ في قلوبٍ منهم اللهُ الحَكَم وطرريقاً آخراً ما إنْ ذَكرْت نظرةً أخرى لهم ما إنْ عَرَفْت

الأفغاني

منْ حديثِ المُصْطفىٰ نِلْتَ النصيبا ؟ إنّه قسولٌ مِسنَ الأقسوالِ بكر عنه عُنه مَشْغُسولٌ بِبَحْسثٍ حُقْبه قَلْه الله عَصْرٍ تَخْتَلف المنتحِ القرآنَ من فِحْرٍ مزيدا عَسنْ كتابِ الله من فِحْرٍ مزيدا عَسنْ كتابِ الله من ذاحَ السّتارا هدولاء الدوس شيئا أبد عوا

كانَ دينُ الحقِّ في الدُّنيا غَريبا^(۲)
ما عنى بالفقر قطُّ أهلُ ذِكرْ
ندرةُ الآياتِ كانتْ غُربة ^(۳)
افْهَمنَ ما أقولُ يا ثَقِفُ⁽²⁾
وكما شِئْتَ افْتَتِحْ عصراً جَدِيدا
فيه أهْلُ الشَّرقِ والغَرْبِ الحَيَارِيٰ⁽⁰⁾
أَوْجَدُوا الخُبْرَ وديناً ضيَّعُوا

 ⁽١) جاء في سورة الرحمن : ﴿ يَتَثَلَمُ مَن فِ النَّمَوْتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُو فِ شَأْنٍ ﴾ بمعنى يفتقر إليه
 كل من فيهن ويطلب منه الرزق والعون . وهو يغفر ذنباً ويشفي سقيماً ويسقم سليماً
 ويغفر غنياً ويغني فقيراً ويرفع قوماً ويضع آخرين .

⁽٢) التلميح إلى قوله ﷺ : (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ) أي : أن المؤمنين المُتَمسَّكين بإيمانهم سوف يجدون أنفسهم في مقبل الأيام بين قوم غرباء ، كما كان شأنهم في أول أمرهم . وهذا يذكرنا بحديث آخر ، وهو : (يأتي زمانٌ يكون فيه القابضُ على دينه كالقابضِ على الجمر) .

⁽٣) الحُقْبة : المدَّة من الدَّهر ، لا وقت لها .

⁽٤) الثَّقِفُ: الحاذق الفطن.

⁽٥) زاح: أزاح.

باللِّسانِ الحقُّ قُلْ وانظُرْ بعَيْس أَبْلِغَ نَ القَوْمَ منْ مِنْ لَفُظَتَيْ نَ الْعَلَيْ فَاللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّ

رسالةُ الأفغانيِّ إلى شَعْبِ رُوْسيا

إنَّ للقرآنِ قَصْداً آخرا قَلْبُــهُ مـا فيـه نـارٌ تَسْتَعِـرْ ثَمَـرَ القُـزْآن عَبْـدٌ مـا أكـلْ قیصــراً أفنــی وکِــــرَی حطّمــا دوحةُ السُّلطانِ طَالَتْ واسْتَوَتْ

صَـدرُه فيه النّبَيّ لهم يَسْتقر فى يَدِ كأساً دِهاقاً ما حَمَلُ (١) واعتلى عـرشــاً لــهُ كــى يَحْكُمــا صورةٌ للمُلْكِ في الدِّين انطوت

وَيرى في الشَّرْعِ هذا منْ يَرَىٰ

ومـنَ الملـكِ اختـلافُ النَّظُـرَةِ واختــــلافُ العُـــرْفِ بــــلُ والفِكْـــرَةِ

أنت أرْسَيْتَ الأساسَ المُخْتَلِفُ نحن في الماضي هَدَمْنَا الكِسْرَويَّةُ كسى تُنِيْسرَ اليَـوْمَ مصباحَ الضَّمِيْسر وَلُّتُنَّبُتُ قَدَمَيْكَ في المَصَافِ هـذه الـدُنيا العجـوزُ قـدُ أرادتْ ثُــةً ولُّ الــوَجْــة نَحْــوَ المَشْــرِقِ شعلة أخرى بروح تُروت

ومن الماضي قلوباً تَقْتَطِفْ أنْتَ قَوَّضْتَ بناءَ القَيْصَرِيَّه عِبْرَةً منَّا اتَّخِـذْ عَبْـرَ العُصـوز حولَ أصنام حذارِ منْ طَوَاف (٢) شَعْبَها شيخاً ومنْ شَيْخ أَفَادَتْ (٣) كَيْفَ تَنْسَىٰ يَـوْمَ مـاضٍ مُعْرِقِ (١) ولك العَصْرَ الجديدَ تُوجدُ

⁽١) الدِّهاق : الممتلئة .

⁽٢) المصاف: موقف القتال.

أفاد : استفاد . وكأنها تستفيد من شيخ يعظها وينصحها . (٣)

وَلِّ : وجُّه . المُعْرِق : العريق في الكرم . يريد ليقول : إنَّ بين الرُّوس والشرق (1) صلاتٌ تاريخيةٌ مجيدةٌ .

إنَّ دينَ الغرب قد أمسى رَمِيمَا وَتَلَلْست الحاكمينَ اليَسؤمَ تسلَّا إنَّ ﴿ لا ﴾ ضِمْنَ كلام كان نفيا وإذا شئيت نظَ

لا تشاهد ذلك الدَّيْرَ القَديما(١) الرُّكُنُ « لا » وَلُتُيَمِّمْ نحو « إلا »(٢) أنت بالإثباتِ خُذْ دوماً لتحيا(٣)

وإذا شِئْت نظام العسالسم فليكن فوق الأساس المُحْكم

ومن التّاريخ تَمْحُو كلّ بابُ من يقولُ ماتَ كِسْرَىٰ ماتَ قَيْصَرْ؟ دَعْكَ منْ هذا التَّجَلِّي لِلشِّياتُ وَبِمَكْرِ الغربِ إِنْ كَنْتَ الخبيرا أملُ الثَّغلَبِ في الدُّنيا طَعَامُ يُصْبِحُ الثعلبِ ذيّاكَ الأسد يُصْبِحُ الثعلبِ ذيّاكَ الأسد فقرهُ مُلْكُ وَذِكْرٌ ثم فِحْر كانَ تهذيباً لأشواقٍ وَذَوق في الصَّدورِ منه نارٌ تَلْتَهبْ

فاقبس الأنوارَ من أمّ الكتاب بين سودِ باليد البيضاءِ بشَر ؟ (٤) اتركِ الغَرْبِ وأَدْرِكْ كُنْهَ ذَاتْ (٥) لا تُقَلِّدُ ثعلباً بل كُنْ هَصُورا (٢) قولُ أُسْدِ الله ﴿ حُرِّ أو حِمام ﴾ (٧) دون قرآنِ ، ومُلْكِ ما اسْتَنَدْ واهب الفكرِ الكَمالَ كانَ ذِكْر وأجبحُ لن المُتَلَدُ وأجبحُ الله في الرُّوح ، لم يُوْجَدُ بِحَلْق وأجبحُ النَّارِ لمَّا تَسْتَطِبُ (٨)

يا شهيداً في هنوى الفِكْرِ الجميل ذا تجلّني الفكرِ فني قنولٍ طنويال

⁽١) الرميم: العظم البالي.

⁽٢) تل : صرع . ويمم : وجه . والإشارة في « لا » و« إلا » إلى « لا إله إلا الله » .

⁽٣) دوماً : دائماً .

⁽٤) الشود: العرب.

⁽٥) الشيات: الألوان.

⁽٦) الهصور: الأسد.

⁽٧) الحِمام: الموت. والمعنى نعيش أحراراً أو نموت.

أجيج النار: تلهبها. لما تستطب: لم تستحسن إلى الآن.

ما هو القرآنُ ؟ هُلْكُ الظالمينا أهسلُ حِسرُص أيَّ خيسرٍ حقَّقُسوا ليس من هذا الرِّبا إلا الفِتَنْ يَجْعَلُ الإنسانَ صَخْريً الفواذ يَجْعَلُ الإنسانَ صَخْريً الفواذ عن منالِ رِزْقُ أرضٍ ما امتناع! الأمينُ العَبْدُ والرَّحمنُ مالِك الملسوكُ نَكُسُسوا للهِ رَايَسه الملسوكُ نَكُسُسوا للهِ رَايَسه

والخلاص كان للمُسْتَغبدينا(۱) ﴿ لَنْ تَنالُوا البَرَّ حَتَّى تُنْفُقُوا ﴾ (۲) منْ دَرَىٰ ما لذه القَرْضِ الحَسَنْ؟ أو كليث أذرَدَ وَسُطَ المَصَادُ (۳) مُلْكُ ربِّ وهي لِلْعَبْدِ المتاع كُلُّ شيء غَيْرَ وَجْهِ الله هَالِك (٤) والقُرَىٰ منْ ظُلمهم في الذلِّ غَايَهُ (٥)

خبــزُنــا والمــاءُ تحــوي مــائــده إنّمــا النّــاسُ كنفــسِ واحــده (٢)

صورةُ القُرآن لما أظْهَرَتْ وأقسولُ ما بقلبي يُضمرُ وأقسولُ ما بقلبي يُضمرُ مشبهُ الرَّحمٰنِ يخفى وَهْوَ ظاهِرُ وشرقُ وَلِغَرْبِ فيهِ أقسدارٌ وشرقُ قال جُدْ بالرُّوح جُدْ لِلْمُسْلِم أَنْتَ يا منْ ذلكَ الشَّرْعَ اتَّخَذْتا

⁽١) الهلك: الهلاك.

⁽٢) قال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ لَن نَنَالُواْ ٱلْبِرَّحَقَىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا يُصِّبُونَ وَمَا نُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِثَ ٱللَّهَ بِهِ. عَلِيدٌ ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

⁽٣) الأدرد : من ذهبت أسنانه . والمصاد : مكان الصيد .

 ⁽٤) يذكر بقوله تعالى في سورة القصص : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكُ إِلَّا وَجَّهَامٌ ﴾ [القصص :
 ٨٨] .

 ⁽٥) الإيماء إلى قوله تعالى في سورة النَّمل : ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَحَالُواْ قَرْبَيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾
 [النمل : ٣٤] .

⁽٦) قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيَّ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسِ وَحِدَةٍ ﴾ [الأنعام : ٩٨] .

⁽٧) المنطيق : البليغ . ويجاهر : يرفع الصوت .

لَعَــ وَانْحَــ دَرُ في الحياة وَفَهمنت ما القَدر

ما مَعَ السَّاقِي حوانا المَحْفَل مِعْزِفُ القرآنِ دوماً يَهْدَلُ (١) لوْ خَلا عَزْفٌ لَدَيْنَا مِنْ أَثَرْ فِي السَّمَاءِ لاسْتَمَعْنَا لِلْوَتَرْ ذكر ربّي عن شعوب في غنى ليزمانٍ ومكانٍ ما انثني (٢) أين مِن ذِكْرِ لربِّي من ذَكَر ما لروم ما لشام من خَبَر (٣) لـــو أرادَ اللهُ عنَّــا حَمْلَـــهُ لاستطـاعٌ لِســوَانَــا نَقْلَــهُ (٤) ذُلُّكَ التَقليدُ فينَا قَدْ رأيتْ وَعْدَةً للرُّوحِ في جسمي وَجَدَثُ (٥)

> فى غىد قىد ئىخسرمسون ذِئىسرة وبقلب الغَيْب ريلقب نسارَهُ

جلال الدِّين الرُّوميُّ يرغب إلى زنده رود أن يقول شعراً

إنَّمـا الـرُّومـيُّ فـي جَــلْبِ تَفَجَّـر وَعَرَفْتُ القولَ فيهِ كَيْفَ أَثُّر صعَّد السزَّفْرة ناراً لِلْكُبود سَكَبَ الدَّمْعَ دماءً لِلشَّهيدُ(٢) بالسِّهام راشقٌ قَلْبَ الرِّجال سيِّدُ الأفغانِ خُصَّ بالمقال(٧)

المعْزَفُ : آلة الطرب . وَهَدَلَ الْحَمَامُ : صوَّت . (1)

يقول : إنَّ ذكرَ الله ليس خاصاً بشعب خاصٌّ ، ولا ينتسبُ إلى زمانٍ ولا مكان . **(Y)**

يريد ليقول: إن ذكر الله منفصلٌ عن ذاكره، ولا صلة له بالمكانية. (٣)

غرضُ الشاعر أنَّ الله لا يخصُّ بذكره قوماً بعينهم. (1)

⁽٥) يعيب التقليد عند المسلمين .

⁽٦) الكبود: جمع كبد.

المراد بسيد الأفغان السيد جمال الدين الأفغاني. (V)

«حمرة للأفق ضَعْها في الوتين بالمُنى الأرواحُ سيلٌ ذو زَبَدُ وأشار ثم قال « زنده رود ناقة من أينها ضاقت خُطاها امتحانُ الطَّاهسرينَ بالبلاء وَعَن النِّيلِ ابْتَعِدْ مِثْلَ الكَلِيْم

وسموط الحقّ أمْسِكْ باليمين (1) إنَّما الياسُ لها موتُ الأبَدُ ؟ فَلْيَكُنْ بالشَّعرِ ناراً ذا الوُجود آدَهَا الحِمْلُ وأنَّ منْ حَدَاها (٢) فَلْنَزِدُ في طولِ جُهْدِ للظَّماء (٣) كالخليل فَلْتَسرْ نَحْوَ الضَّريم (٤)

من حبيب نغمة ماجَت بطِيب المُمن داراً للْحَبِيب ا

* * *

غَزَلُ زنده رود

لَيْسَ زهرٌ في الرِّياضِ بالمقيم أبَدا أينَ معنى ما وَجَدْنا بَعْدَ بحثِ يا تُرَىٰ وَمِنَ الذَّاتِ تَعَلَّمْ أنْتَ حرفاً واحْتَرِقْ

إنَّه يمضي كأمواجِ النَّسيم أبدا مكتبٌ يبقى وحانٌ كالعَقيمِ أبدا تَعْدَمُ الخانقاه ناراً لِلْكَليم أبدا (٥)

⁽١) حمرة الأفق هي الشفق . والوتين : عرق في القلب . والشُّمُوط : حبالٌ تتدلى من السَّرج .

 ⁽٢) الأين : التّعب . آده الحمل : أثقله . وحدا الإبل : ساقها ، وغنَّى لها . يقول : إنَّ غناء من يسوق الناقة يبغى أن يصبح أنيناً بعد تعب ناقته .

⁽٣) الظُّماء : جمع ظامىء . وهذا البيت يتصل بما قبله وما بعده في وجوب الشعور بالجهد والعذاب لامتحان النفس .

⁽٤) الضَّريم : الحريق وهو هنا نارُ إبراهيم عليه السلام . والشاعرُ يذكر بما وقع لكليم الله موسى ، فقد أوحى الله إلى أمه أن تقذفه في النيل ليلقيّه بالسَّاحل .

⁽٥) الخانقاه : مبنى يقيمُ فيه المتصوّفة . والكليم : موسى عليه السلام . والشاعر يلمح إلى تلك النار التي آنسها موسى ، وهي عند الصوفية رمزٌ للمعرفة .

لا تحدَّثْ عَنْ صفاءِ منْ بخانقاه سَكَنْ كَمْ بيوتٍ شَيَّدوها وَسْطَ بيتٍ واحدٍ لَيْسَ خَطْباً أَنْ يَضيْقَ بالنَّداميٰ مجلسي

وَسِخَ الشَّعْرِ تراه والأديمِ أبدا^(۱) لا يثيرُ القَلْبُ ريباً للمُقيمِ أبدا^(۱) إنَّه ألَّا ترى كأسَ النَّديم أبدا!

* * *

⁽١) الأديم: الجلد المدبوغ، ووجه الأرض، وقد ترجمنا به كلمة سجادة في الأصل رغبة منا في الاحتفاظ بنفس القافية والوزن في الترجمة العربية. أما الرديف وهو الكلمة التي تكرر بعد كل بيت فهي في الأصل (كل) وترجمناها بـ (أبدأ) وهي ظرف زمان للتأكيد في المستقبل.

يريد الشاعر بالبيوت بيوت العبادة . ويقول : إنّ الموحّدين لهم جميعاً فكرةٌ واحدةٌ
 لا ريب فيها ، وهو يَعْجبُ لانقسام القَوْم فرقاً وطوائف .

فلكُ الزُّهَرَة

يَحْجُبُ النُّوْرَ بدا بَيْنَ السَّحَابُ
واجَهُونا بالسُّتور عُلِقت
كي تزيدَ النَّارُ في القلبِ اشتعالا
وبوقد منه في ورد دِمَاء
هكذا مِنْ تُرْبِها الأرواحُ قامَتُ
والطريقُ يحتوي موتاً وَحَشْرا
في الفضاء دارَ مُرْرَقُ الفَلَكُ
وهي إبراهيمُ أو ذاكَ الحَرِيم

من فضاء الطّفِيْتُ مِنْ حِجَابُ (۱)
للتَّجلِّسي كُسلُّ نسارِ أَخْمِسدَتْ
وترى غُصْناً وبالأثمارِ طَالا
زئبقاً بالرَّقص مِنْهُ كانَ ماءُ
وبما لا تَشْهَدُ العينانُ لاذَتْ (۲)
فيه لَكِنْ زوَّدوا بالنَّارِ سَفْرا (۳)
هابطُّ يعلو وما يَعْلُو انْسَبَكُ (٤)
كالذَّبيحِ ، في الفِدَاءِ لا يلُومُ ! (٥)
كالذَّبيحِ ، في الفِدَاءِ لا يلُومُ ! (٥)

⁽١) الصفيق: ضدَّ الرقيق.

⁽٢) التُّرْب: التراب.

⁽٣) السَّفْر : المسافرون . يقول : إنَّ النار كانت زاداً لهم .

 ⁽٤) انسبك الذَّهب : ذُوَّبَ وأُفْرغَ في قالب . وبذلك يشبُّه انخفاض واستواء ما ارتفع .

 ⁽٥) الذبيح: هو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام الذي أطاع واستسلم.

⁽٦) حيدر هو على بن أبي طالب كرم الله وجهه . وفي غزوة خيبر أرسل النبي على إلى على لفتح أحد الحصون وكان علي أرمد . فقال : ما أبصرُ سهلاً ولا جبلاً . فذهب إليه وقال : افتح عينيك ففتحهما فما رمد بعدها ، ثم دفع إليه اللواء ، ودعا بالنصر له ومن معه . وشد علي على الأعداء فانكشف المسلمون وثبت هو وقتل من بارزه . وانهزم اليهود إلى حصنهم وبارزه يهودي آخر وضربه ضربة شديدة حطمت تُرسه . فتناول كرم الله وجهه باباً عند الحصن لِيُترَّس به عن نفسه . ولم يزل معه حتى فتح الحصن . قيل وكان هذا الباب ثقيلاً فلم يحمله أربعون رجلاً .

طهَّــر الـــرُّوْحَ الصَّـــراءُ المُسْتمـــرْ وهــي فــي نـــورِ علـــى نـــورِ تَطيـــرْ ثمَّ ﴿ ما زاغ البصر

على نورٍ تَطيرُ وَلَديْها الصَّيْدُ جبريلٌ وَحُورُ (١) ثمَّ ﴿ ما زاغ البصر ﴾ يضحى النَّصيبا لمقام « عبده » تمسي الرَّقيبا(٢)

في مَقَامي لَسْتُ أدري أَيْنَ كُنْتُ تَعْدَمُ الحربُ بصدري عسكرا منْ دَرَىٰ ما الحربُ في كفر ودين أيُ معنى للطَّريسة والمَقَام ؟ أيُ معنى للطَّريسة والمَقَام ؟ أهلَكَ اليم الشيوخَ والشَّبابا قَدْ رَفَعْتُ السَّنْ والسَّنْ انطویٰ الموصالُ آخرُ الشَّوقِ ! الحذَرْ! الطَویٰ ساليكَ ما إنْ رأى مَتْنَ الطَّرية

إنني عن كل خُلاني نَايَتُ من له عين كل خُلاني قد يَرَىٰ من له عين كعيني قد يَرَىٰ وَخُدَها نفسي كزينِ العَابدين (٢) إنَّ شكوايَ السِّراجُ في الظَّلام (٤) هاكَ شَيْخاً واحداً جازَ العُبَابا (٥) أرهبُ الوصلَ وتبكيني النَّوى (٢) من فراغ إنْ يَكُنْ غَيْرَ المُفيق (١) من فراغ إنْ يَكُنْ غَيْرَ المُفيق (٧)

إنَّها تجري بسه أو تَسْتَقِرَ

⁽١) الصيد: ما يصاد.

 ⁽۲) يريد الشاعر قوله تعالى في سورة النجم : ﴿ مَازَاعَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَنَىٰ ﴾ [النجم : ۱۷] . أي ما مال بصر النبي ﷺ عما رآه وما تجاوزه بل أثبته أو ما عدا عن رؤية ما أمر برؤيته من العجائب . وقد رأى من آيات الله الكبرى ليلة المعراج .

أما قوله (عبده) فالمقصود به قوله تعالى في السورة نفسها ﴿ فَأَوْمَى إِلَى عَبْدِمِهِ مَا أَوْمَكَ ﴾ [النجم : ١٠] ؛ أي أوحى إلى عبده جبريل ما أوحى جبريلُ إلى النبيُّ ولم يذكر المُوحَىٰ تفخيماً لشأنه .

⁽٣) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب بزين العابدين رضي الله عنه ، رابعُ الأئمة الاثني عشر عند الإمامية . وقد عرف بصدقة السرّ ، والحلم ، والورع . وهو الوحيد الذي نجا من موقعة كربلاء . وكانتْ وفاتُه عام ٩٤هـ .

⁽٤) السّراج: المصباح.

⁽٥) اليّمُ : البحر . والعُباب : الموج .

⁽٦) النَّوى: البعاد.

 ⁽٧) الفَراغُ هنا هو: سكون النفس.

إِنَّ لَسِي قلبِاً ومَسَنْ ذَوْقِ النَّظَّرِ عالماً يَشْتاقُ ، بالشَّوْقِ اسْتَعَرُ (۱) إِنَّما الرُّومي بروحي تلك أعْلَمْ قالَ يا من عالماً تبغي تَسَلَّمْ في يمينِ العِشْقِ نَحْنُ وهوَ يَلْعبُ فتامَّلُ ، يحتوينا أيُّ كَوْكَب (۲) عالم والأسُّ من طينٍ ومَاء من سواد المِسْكِ يَبْدُو في كِسَاءُ (۳) وبعينٍ مَنَّ قَتْ كَلَّ الحُجُب انظرنَّ واختَسرِقْ كَلَّ السُّحُب وبعينٍ مَنَّ قَتْ كَلَّ السُّحُب وأنسا أغلَم حقَّا حالها وأنسا أغلَم حقَّا حالها (بعلُ ومردوخُ ويعوقُ ونَسْرُ وفسرُ رم خن ولاتُ ومناةُ وعسرُ وغسرُ)

إنَّها لِلْبَعثِ تأتي بالدَّليل فالزَّمانُ لَيْسَ فيهِ منْ خَلِيلْ (٤)

* * *

عودةُ الجاهلِيَّة

مرَّ شاعرُ الإسلام - في بعض زياراتِه الرُّوحيَّةِ وسياحاتِه الفكريَّة - بوادٍ ، اجتمعت فيه الآلهةِ القديمة التي عبدتها أممُ الجاهلية ، ونحتَتْ أصنامَها وتماثيلَها ، وبَنَتْ عليها هياكلَ ومعابد ، وعَكَفَ عليها السَّدنةُ والكُهَّان ، وتغنَّى بها الشعراءُ والأدباء ، وكان مَجْمعُ الآلهة القديمة من شعوب مختلفة ، وبلادٍ مختلفة ، فهذا إلهُ المصريين القدماء ، وهذا ربُّ التبابعة ، والأذواء من اليمن ، وهؤلاء آلهةُ عربِ الجاهلية ، وأولئك آلهةُ وادي الفرات ،

⁽١) استعرت النار: اشتعلت.

⁽۲) هذا الكوكب هو كوكب الزُهرَة .

 ⁽٣) الأس : الأساس . وهو يشبه هذا العالم بالكعبة وعليها الكسوة السوداء .

⁽٤) يقول إنَّ هذه الآلهة تقدّم الدليل على بعثها . فما في زماننا إبراهيمُ الخليل عليه السلام محطِّمُ الأصنام . وقد أوردنا أسماءها كما وردت في الأصل الفارسيِّ ، فلتنطق كُلُّ واوِ ضمَّةً ليستقيمَ الوزنُ كما هو الشأن في الفارسية .

وهذا إلهُ الوَصْلِ ، وذلكَ ربُّ الفراق ، هذا من سلالة الشَّمس ، وذلك خَتَنُ القَمَر ، وهذا زوجُ المُشتري .

ثم إنَّهم أشكالٌ وألوان ، فهذا قد سلَّ السيف بيده ، وهذا تقلَّد حيَّةً ولواها حول عنقه ، وكلُّهم وجلون مشفقون من الوحي المحمَّديِّ ، الذي أحدث التَّورة الكبرى عليهم ، وأفْسَدَ عليهم العيشَ ، وولد العالم الجديد القائم على نبذِ الأصنام ، والمُؤَسَّس على عقيدةِ التَّوحيد ، وكلُّهم ساخطون حانقون على ضَرْبَةِ إبراهيم .

لقد كانت هذه زيارةً مفاجئةً سُرَّ بها الآلهة ، وتفاءلوا بها ، وكان « مردوخ » أول من انتبه لهذه الزيارة ، ورحَّبَ بالإنسان القادم ، وأخبر زملاء ، به : أبشروا يا إخوتي ! فإنَّ إنساناً فرَّ من الله ، وثار على الأديان السَّماوية ومراكزها ، وأقبل إلى العهد الماضي ، ليتوسَّع في العلم والنظر ، وجاء يتمتَّع بالآثار العتيقة ، ويتحدَّث عن مجدنا ، إنَّها بارقةُ أملٍ لاحَتْ بعد مدَّة ، ونفحةٌ هبَّتْ من أرضٍ حكمناها طويلاً ، ونعِمْنا فيها كثيراً .

وكان بعل _ إله الفينيقيين والكنعانيين القديم _ أول من اهتز لهذه الزيارة ، فأنشأ يغني في طرب ومَرح ، ويقول : « إن الإنسان اخترق السموات العلى ، يبحث عن الله ، فلم يجده ، فليست هذه العقائد التي يدين بها الإنسان إلا خواطر تسنح له ثم تغيب ، كالأمواج ترتفع ثم تتوارى ، إنّه لا يرتاح إلا إلى المحسوس المشهود .

حيًّا الله الإفرنج الذين عرفوا طبيعة الشرقيين ، الذين أعادوا إلينا الحياة ، وبعثونا من مراقدنا ، فانتهزوا يا زملائي الكرام! هذه الفرصة الذَّهبيَّة ؛ التي أتاحها لنا الدهاة الغربيون ، ألا ترون كيف نسي آل إبراهيم عقيدة التَّوحيد ، ونسوا العَهْدَ والميثاق الذي أخذ عليهم ، ونسوا لذَّته .

إنهم صحبوا الغربيين مدَّةً من الزمان ، وعاشوا معهم ، ففقدوا ثروتهم ،

وضيَّعوا ذلك الدِّينَ الذي نزل به الروح الأمين ، والذي بَعَثَ فيهم الإيمانَ واليقين .

إنَّ الرجلَ المؤمنَ الحرَّ الذي لم يكن يعرف الحدودَ والجهات ، ولا يعبدُ غير الإله الواحد الذي خلق السمواتِ والأرضَ أصبحَ يؤمنُ بالوطن ، ويقدِّسه ، ويعبُده ، ويقاتلُ في سبيله ، ويكفرُ بالله ، ويهجرُه ويتناساه .

لقد خَضَعَ المسلمون لنفوذ الغربيين ومجدهم ، وأصبح شيوخُهم الكبار وعلماؤهم العظام يتقلّدون شعارَهم ، ويقتفون آثارَهم ، فلنستبشر ولننتهز هذه الفرصة .

لقد عاد إلينا الشبابُ ، وحُقَّ لنا أن نَطْرَب ، فقد انهزم الدِّين ، وانتصرت الوطنيةُ والجنسيةُ . إنَّ المصباحَ الذي أناره محمَّد ، تألَّبَ عليه مثةُ « أبي لهب » يطفئونه ، إنَّنا لا نزال نسمع صوت لا إله إلا الله ، ولكنَّه صوت يصدرُ عن الشفتين ، ولا يصدر عن القلب ، وكل ما غابَ عن القلب سيغيب عن الفم .

لقد أعاد سحرُ الغرب دولةَ إله الشرِّ والظلمة ، وشبابه ، وأصبح الدِّين الإلهي مهدَّداً ، فطوبى لنا ولإخوتنا الذين قطعوا الرجاء من الحياة ، واعتكفوا في الخلواتِ والمغاراتِ .

لقد كان عبادنا أحراراً ، لهم التصرُّفُ المُطْلَق ، والحريةُ الكاملة في حياتهم ، لم نثقلهم بعبادةٍ وطاعةٍ ، وإنَّما طلبنا منهم ركعةً لا سجود فيها ، وقد أثرنا فيهم العاطفة الدِّينيَّة بالأناشيد والأغاني ، فلم تكن صلائهم إلا مكاءً ، وتصدية ، ونغمةً ، وأغنية ، وأيُّ لذةٍ في صلاة لا غناء فيها ، ولا موسيقا ؟!

إِنَّ النَّاسَ لَابِدَّ يَفْضِّلُونَ عَبَادَةً طَاغُوتٍ مَشْهُودٍ عَلَى عَبَادَةً إِلَٰهٍ غَائب ، وربِّ لا يُرىٰ بالأبصار »(١) .

⁽١) من « روانع إقبال » للعلامة أبي الحسن على الندوي . صفحة ١٧٥ ـ ١٧٨ .

وإليك هذه الأبيات المترجمة للعربية شعراً ، يقول فيها إقبال :

في الظّلام تَفْقِدُ النُّورَ البُروقُ ! (۱)
شَقَّتِ القَّوْبَ بِعدُرُّ كَمْ تَالَّنُ
ما على صَرْعِ الرِّياحِ يَفْدِرُ (۲)
دُ حُلماً كنَّا بسوداءِ الفُوادُ (۳)
دُ وعلى هذا رآني غَيْرُ صَابِرُ (۱)
وعلى هذا رآني عَيْنُ مَا المَوْرِ وهي فَيْح (۱)
والنسيم يا له مِسْكا يَضُوعُ (۱)
والينابيع وعُشْبٌ ما استوى (۱)
وولينا البُوحِ في الجِسْمِ الجلاءُ وَلِعَيْنِ الرُّوحِ في الجِسْمِ الجلاءُ اللهُ إِنَّ ماءَ الخضرِ مشتاقٌ إليه ! (۱)

أظُلَم الغَيْم ولِلرِيح الخُفُوق السرياع البحر فيها قدد تعلَّق السرياع البحر فيها قدد تعلَّق لا يسرى شط ومسوج يهسدر السواد ومع الرومي في بحر السواد إنَّه المِسْفَارُ لَاكِنْ لهم أُسَافِرُ عاجزاً قُلْتُ كلاماً كُسررا وإذا للعيسنِ أطسواد تلسوخ وإذا للعيسنِ أطسواد تلسوخ وإذا في النَّج في والسَّه لِ الرَّبيع وإذا في النَّج في والسَّه لِ الرَّبيع ولنا الطَّيْر تَغَنَّت بالجَوَىٰ ولنا الطَّيْر تَغَنَّت بالجَوىٰ والسَّه للجسمِ البَقاء واستوى الوادي ومد بنائيه واستوى السوادي ومد جانبيه واستوى الوادي ومد جانبيه

⁽١) الخفوق : الخفق والخفقان .

⁽٢) هَدَرَ البحرُ : ارتفع خريره .

 ⁽٣) الرومي : هو جلال الدين الرومي ، وسوداء القلب وسويداؤه : حبته .

⁽٤) المشفارُ: الكثير الأسفار.

⁽٥) الأطواد: الجبال . والغدير : النَّهر . والفيح : الواسعة .

 ⁽٦) النَّجد : ما ارتفع من الأرض . وضاع المسك : انتشرت رائحته .

⁽٧) الجوى : الحزن . ما استوى : ما ارتفعت سوقه .

⁽A) رفّ النباتُ : تلألأ نضرةً .

⁽٩) استوى : أصبح مستوياً ، جاء في الروايات الفارسية أن الإسكندر رغب إلى الخضر عليه السلام أن يكون دليله في رحلة طويلة تكتنفها المصاعب والمعاطب إلى ماء الحياة وهو ينبوعٌ في أرض بعيدة تسمَّى دار الظلمات . ومنْ نَهَلَ نهلة منه ضَمِنَ أن يكون من الخالدين . ومضى الخضر مع الإسكندر ، وشاهد الخضر هذا الماء كأنَّه خيطٌ من =

ربُّ مِصْـــرَ ذا وذا ربُّ اليَمـــنُ كــلُّ ربُّ فيــه مــنُ ذاكَ الــرُّمَــنُ ذاكَ ربُّ الــوَصْــلِ ذا ربُّ الفِــرَاقُ ذاكَ مِنْ أرباب عُرْبِ أو عِرَاقُ مِنْ بـزوج المشتـري خـصَّ النَّظَـرْ وسليل الشَّمْس صِهْرٌ لِلْقَمَرِ آخر في لِيُتِهِ أفعى السَّمامُ (١) واحدة يختال بالسيف الحسام ويخافُ كلُّهم بَطْشَ الخَليْـلْ(٢) كلهم يسرتاعُ من ذِكْرِ الجميل والمصلَّى،، قال مردُخ ، وانْتَحَبْ(٣) « إنما المرء من المولى هَرَبْ وهـ و لا ينسـيل زمـانـاً قـدُ مَضَـى(٤) وكِانَّ العقــلَ منـــه أومضـــا فى تجلِّنا يرىٰ شيئاً عَظيما ظلَّ يستحسنُ ما كان القَـدِيما وتهبُّ الرِّيحُ ريحاً للأماني الأهاني الأهاني ويَجِـدُ الـوَهْـمُ في هـذا الـزَّمـانِ شم غنَّى بعدلُ من فَدرطِ الطَّدرب

ســـرّنــا أفشــاهُ عِنْــدَ كــلٌ رَبّ(٢)

أغنية بَعْل

ما استطاع ربُّه أن يَـرْمُقَـا(٧) م_زَّق المرءُ السِّتارَ الأزرقا

فضة . فشرب منه ، وتلفَّت حوله ، فما وجد الماء ولا الإسكندر . ولماء الحياة هذا ذكرٌ متردِّدٌ في الشُّعر الفارسي الصُّوفيُّ على أنَّه رمزٌ للحقيقة .

السيف الحسام: القاطع. والليت بكسر اللام: صفحة العنق. والسَّمام: السموم. (1)

الجميل: هو الله تعالى . والخليل: إبراهيم عليه السلام . **(Y)**

المولى: الله جل وعلا. المصلى: مكان الصلاة والمرادبه المعابد بجميع أنواعها. (٣) ومردوخ : أكبر آلهة البابليين .

أومض البرق : ومض ولمع . **(£)**

يجد: يصبح جديداً . (0)

بعل: اسم إله عند الساميين. (1)

رمقه : نظر إليه طويلًا . وهذه المنظومة مما يعرف عند الفرس : ترجيع بند . = **(V)**

مَـوْجـةٌ لِلْفِكُـرِ تغشى قَلْبَـهُ مَوْجـةٌ أخـرى لها أَنْ تَفْرَقا(١) روحُه بالحسِّ أَمْسَتْ في قَرَازُ منية الماضي عسى أَنْ تصدقا(٢) نحـنُ حـابـونَ بِعِلْـم فَلْيَعـشْ عـالـمٌ أحيا بعلـم مَشرِقا(٣) أَيُهـا الأربـابُ قــد آن الأوانُ

قِفْ تَامَّلُ وَخُدةً قَدْ شُتَتَتْ و ﴿ السَت ﴾ عِنْدَ قوم أَبْطِلَتْ (٤) خُطُمَتْ كَاسٌ بِالدِي ثُلَةِ خمرُ جبرائيل منها أَسْكِرَتْ (٥) كَلُّ حرَّ في قيودٍ من حدود وضلَةٌ بِالله مِنْهُ صُدِّعَتْ سؤددُ الأسلافِ بردٌ في دماء وزنانيرُ الشُّيوخِ شُوهدتُ (١) اتُها الأربابُ قدد آن الأوان

بَعْدَ دَهْدٍ عدادَ يدومٌ لِلطَّرَبِ أصبح الدِّين صريعاً لِلنَّسَبْ(V)

والترجيع: بند يحوي عدة أبيات تكون كلُّ مجموعة منها قسماً ، وتلك الأبيات متفقةً
 في الرَّوي ، ويتلو كلَّ قسم بيتٌ مستقلٌ يُكرَّرُ . وقد التزمنا في الترجمة رويً هذه الأبيات في الأصل .

⁽١) غشيه : غُطَّاه . وَيَفْرَقُ : يخاف .

⁽٢) المنية : الأمل .

⁽٣) الحابي: واجدُ الحياة . وكأنَّ هذا الإله يدعو بطولِ البقاء لذلك العالم المستشرق الذي أحيا الشرقَ بعلمه .

⁽٤) قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَإِذَّ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيَ ءَادَمَ مِن ظُهُودِهِمْ ذُرِّنَتُهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ الْفَسِيمِ السَّتُ مِرَيِّكُمْ قَالُوا بَكَنَ شَهِدَنَا أَلَت تَقُولُوا بَوْمَ الْقِيكَمَةِ إِنَّا كُنَا عَنْ هَلَا غَنِفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] وهذا من باب التمثيل ؛ أي أنه أقام الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت عقولهم بها ، فكانه أشهدهم على أنفسهم ، وكأنهم قالوا : بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا ، وأقررنا بوحدانيتك .

⁽٥) الثلَّة: الجماعة من الناس.

 ⁽٦) الزَّنانير : جمع زُنَّار . وهو ما يَشُدُّ به النصراني وسطه .

⁽٧) يقول: إنَّ العنصرية طغت على الدِّين.

لا تفكر في سراج المُضطفى لا لله المُضطفى لا إلىه الفي لسان نساطي إنَّ سِحْرَ الغَرْبِ أحيا أهْرَمنْ (٢)

أحيا أهْرَمنْ (٢) وَجْهُ يسوم الله ِمن لَيْسل شَحَبْ أَيُهِ الله ِمن لَيْسل شَحَبْ أَيُهِ الله وَانْ الأوانُ

دينُك القيدُ تحرَّرْ من قُيُود وعليهِ كسي نَشُقٌ في صلاة وعليهِ كسي نَشُقٌ في صلاة إنَّما النَّغْمة تُعلي جذبة إنَّ خيراً من إليهِ قد تواري

عبدُنا قد كانَ حُرَّاً في عبيد ركعتين نبتغي ، ما منْ سُجُود ما الصلاةُ وهي تخلو منْ نَشِيْد ذلكَ الشَّيطانُ يبدو في الشُّهود

أخمدَ الشُّعْلَةَ فيه ﴿ بِولِهِبِ ١٠)

عن فواد شُرِّدَتْ يا لِلْعَجَبْ!

* * *

الغوصُ في بَحْرِ الزُّهَرَة ومشاهدةُ روح كتشنر وفرعون

ضربُ يُشْبِهُ ضَرْبًا لِلْخَليل كَـل رب فـي خشـوع قــدْ سَجَــدْ مَيَّــزَ الـــرُّومــيَّ ذكــرٌ لِلْجَمِيْــلْ غـــزلا قـــالَ وَبـــالشُّكْــرِ اتَّقَـــدُ

غزل

انْهَضَنَّ خذ بأفكارٍ أُخَرْ ، ذاكَ أوْلى ارْحَلَنَّ في المساءِ والسَّحَرْ، ذاكَ أولى (٣)

الخص ما يمضي ويأتي بالنَّظر، ذاكَ أؤلَى
 العِشْقِ حُمَّلَتْ
 العِشْقِ حُمَّلَتْ

 ⁽١) السُّراج: المصباح. وبو لهب في الفارسية هو أبو لهب في العربية.

⁽٢) أهرمن : هو إله الشر أو الشيطان في دين المجوس .

 ⁽٣) الغزل نوع من المنظومات الفارسية ، وتلك المنظومة ذات روي واحد ولا تقلُّ أبياتها
 عن سَبْعَة عشر . وفي هذا الغزل ما يعرف بالرَّديف ، وهو كلمةٌ أو كلامٌ يُكرَّر بعدَ كلِّ =

ينبغى عمَّا بها قَطْعُ النَّظَرْ ، ذاكَ أولى قلْ وُجودي ليس عِنْدِي ذا خَطَرْ ذاكَ أولى(١) قال في المعبد حطِّمْ ذا الحَجَرْ، ذاك أولى ا بئ تَمسَّكُ لا تَدَعْني يا بُنيَّا بـالثُّلـوج مـنْ لُجَيْـن أَصْبَحَـتُ (٢) وانجلس بالجوف لا يالمظهر قـرً عيناً بسكـونٍ سَـرْمَـديُّ (٣) ووجودُ كلُّ ما قدْ غَابَ أَنْكُرْ مَعَ أَهْلِ الحقُّ في حربِ وَضَرْبِ (٤) والرفيقَ مديةُ الدَّرْويشِ غَالَتْ^(٥) ظ امث ان بَيْن أم واج تَشُورُ مَـوْتُ جبارِ كـآيـاتٍ بَـدَا^(١) هاك كفِّي فما قلبٌ وَجَفُ (٧) فيه يحريك فوادٌ خافق أَهْــوَاءٌ كــان يبــدو مِشْـلَ مــاءُ إنَّــه وادي الظــلام فــي الفــلا

قالَ شَيْخٌ ما لِلدُنيانا أساسٌ مُخكم أنت بالتّرك أتنساها ولَوْ حاولته قلتُ في قلبي مناةٌ وكثيـرٌ غَيْـرُهــا قال ﴿ فَانْهُضْ مُسْرِعًا وَاقْدَمْ إِلَيًّا الجبالُ وهي مِنْ موسى خَلَتْ خَلْفُهَا قَدْ لاحَ بحرُ الجَوْهَرِ أيُّ بسأس مسن عُبسابِ أو أتسيُّ إنَّ في هذا مَقَامُ من تَجَبَّرُ ذاك شرقسي وذا من أهل خَرْبِ وعصا موسى على هذا تَهَاوَتْ مِثْـلُ فِـرْعَـوْنَ الصَّغيــرِ والكبيــرُ يعرفان الطُّغم مررّاً للرّدى مِسر ورائسي يسا بنسيَّ لا تَخَسفُ وكموسى البَحْرَ إنَّى فالتَّقُ شق مِنْهُ البَحْرُ صدراً كالضّياء قياعُمه من كيلٌ ليونٍ قيدُ خيلا

بيت تُلْتَزَمُ قبله قافيةٌ موحَّدة . وقد احتفظنا في الترجمة بقافية الأصل . والأوساق : جمع وَسْق ، وهو حمْلُ البعير .

⁽١) الخطر: الأهمية وارتفاع القدر.

⁽٢) اللجين : الفضة .

⁽٣) الآتى : السَّيْل . والسَّرمدي : الدائم .

 ⁽٤) الحقّ هنا هو الله .

⁽٥) المدية : السكين . وغاله : أهلكه .

⁽٦) يقول: إنَّ هلاك الجبار منْ آياتِ الله .

⁽٧) وجف القلب: اضطرب.

ومن القُرآنِ طه الشيخ يتلو ونَضَتْ عنها الجبالُ ثَوْبَهَا لم تشاهد وجه شيخي مَرَّةً قال فرعونُ أَيُجرى البحر نُوْر!

فإذا القمراء جوف البحرِ يَجْلُو(١) رَجُ للانِ حسائسرانِ بينها بعضُها ألقى لبعض نَظْرَةً أصباحٌ مِلْء عيني أمْ ظُهُورْ!

الرومي

الخفي منسه وَضَّاحُ الجَلاء واليَّدُ البيضاءُ أصلٌ للضَّياء (٢)

فرعون

آهِ عقلي آهِ دِيني قَدْ فَقَدْت امنحوني نظرة يا منْ مَلَكُتُمْ بِشْ مِنْ حرص لهم أعمىٰ البَصائِرْ ذلكَ التَّمثالُ في دارِ العَجائِب جاءنا عَنْ غاصبينَ بالخَبَرْ ما يريدونَ لنا غَيْرَ الشَّقاق ولهذا دبّ في الحكم الخَورُ

ونظرتُ والضياءَ ما عَرَفْت وهبوني لَفْتة يا من ظَلَمْتُمْ (٣) يُخْرِجُوْنَ التَّبْرَ منْ جَوْفِ المقابِرْ (٤) صَمْتُه يروي لنا كلَّ الغَرائِبْ عين عميانِ أنارَ بالبَصَرُ والأساسُ أحكموهُ بالنَّفاق والفسادُ ، وتَفشَّى كلُّ شرْ (٥)

> لسو بدا موسى كليم الله لي لالتمست منه قَلْب العاقِل

⁽١) القمراء: نور القمر . ويجلو هنا بمعنى يخرج ، فكأن جوف البحر يُظُهرُ نور القمر .

⁽٢) يلمح إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاجِكَ مَثْرُجٌ بَيْضَاءً مِنْ غَيْرِ مُوَهِ مَايَةٌ أُخْرَىٰ ﴾ [طه : ٢٧] .

⁽٣) يوجه الخطاب إلى المستعمرين من أهل الغرب.

 ⁽٤) التبر: الذهب. وإقبال يتحدث عن علماء الغرب المنقبين عن آثار الفراعنة.

⁽٥) الخور : الضعف . وتفشى : انتشر .

الرُّوْميُّ

إِنَّ نُسؤرَ السرُّوْحِ لِلْحُكَمِ الفلاخِ حَاكَمُ يَقُوى بِضَعْفِ مِنْ حُكِمُ يَلْبَسُ التَّاجَ بجمع لِلْخَسراج المغيْسرُ مَسنْ لسه جيسشٌ وَقَيْسَدُ

واليدُ البيضا بها المُلْكُ المُبَاخُ وبحرمانِ لكسلِّ من حُرِمُ وبحرمانِ لكسلِّ من حُرِمُ ورجالَ الصَّخْرِ كانوا من زُجَاجُ حاكمٌ عن مِثْلِ هذا من يَصُدَ

اللورد كتشنر(١)

ولأجل التّبْر كم قبر حَفَرُ ما نراهُ اليوم في سِفْرِ قَدِيْم (٢) حكمةٌ والبَحْثُ ، أو شيءٌ حَقِيْر (٣)

إنَّ للغربيِّ قصداً قَدْ ظَهَرْ إِنَّ للغربيِّ قصداً قَدْ ظَهَرْ إِنَّ تساريخاً لِمصرر والكَليْسم إنَّما بالعلم للسرِّ الظُّهور

فرْعون

بالعُلسوم كشَّفوا عنَّا الحَجَرْ كان للمهديِّ قبرٌ ، ما الخبر ؟

الدلة عليهم ليدرك بثار القائد غوردون الذي الكسرت جيوشه قبله ، وقتل مدينة أم درمان عام المهدي في الضراوة والفظاظة حين عقد العزم الأكيد على استئصال شأفتهم وإذهاب ريحهم . ولما حقّق من ذلك بغيته ، أمعن في التشفي منهم ، وضرب الذلة عليهم ليدرك بثأر القائد غوردون الذي انكسرت جيوشه قبله ، وقتل شر قتله . وقد أمر كتشنر بنبش قبر المهدي ، وإلقاء عظامه في النيل ، وإرسال جمجمته إلى متحف في لندن . وشاء الله له أن يذوق كأساً كان يسقي بها . فقد مات غريقاً عام متحف أن هَوَتْ به السفينةُ إلى قاع اليم ً .

⁽٢) السفر: الكتاب.

⁽٣) يقول: إنَّ الحكمة بلا بحثٍ تُعَدُّ شيئاً حقيراً.

ظهورُ دَرُويشِ السُّودان

هـو ذا في الماءِ بـرقٌ يـأتَلـقُ وَمِـنَ الفِـرْدَوْسِ ضـاعَ نَفْــحُ عِطْـر إنَّ منها اللَّذُرُ في القياع اسْتَقَرْ قسال « كشنسر انْظُسرَنَّ يسا فَهسم ما حباكَ الله من قبر يَضُمُّكُ ثُمَّ ضاعَ في اللِّسانُ المَنطِقُ قال « هبِّی أنتِ یا روحَ العَرَبْ يا فوادُ ! ابنَ السُّعود ، فيصلُ أَوْقِدُوا فِي الصَّدْرِ نِـاراً أُخْمـدَتْ وادى البطحاء أنجت خالدا أمية الإيمان ، يا سود الجلود ف إلامَ تَجْهَلُ ونَ سَيْ رَكُ مَ

ثُمَّ يعلمو الموجُ حتَّى يَسْدَفِقُ لاح بالرووح لنا درويش مِضر(١) الحَجَز (٢)
 مَدْرِهِ ذَابَ الحَجَز (٢) إنَّما هذا ترابي يَنْتَقِمُ (٣) بل رُمِيْتَ بينَ أمواج تَطُمُكُ "(٤) والسزَّفيــرُ مــنْ حَشَّــاه يَحْــرِقُ قلدي الأسلاف في ماضى الْحُقَبُ^(٥) كلكم مِثْلَ الدُّخَانِ يَرْفُلُ (١) أرْجِعُــوا أيــامَ دُنيــا ضُيِّعَــتْ نشتهم التَّوْحيد فيكَ غَرَدا منكمُ أستافُ عِطْراً لِلْخُلُـود(٧) وتسوأسون سِسوَاكُسمْ أمْسرَكُسمْ ليت شعرى هَلْ تخافونَ البلاء

> ضاع العطر: انتشرت رائحته. نفح: فاح. (1)

كشنر هو اللورد كتشنر . وهكذا أورد الشاعر اسمه مراعاة لوزن الشعر . واستعر : **(Y)**

الفَّهمُ : السريع الفهم . (٣)

طم الماء: غمر. (٤)

الحُقَبُ : جمع حِقْبة : وهي السَّنةُ والمدَّة من الزَّمان لا وقْتَ لها . (0)

فؤاد الأول المترفى عام ١٩٣٦ كان ملكاً لمصر . وابن السعود المتوفى عام ١٩٥٣ كان (1) ملكاً للمملكة العربية السعودية: وكان فيصل ملكاً للعراق وتوفى عام ١٩٣٣.

الشُّود: هم العرب . واستاف: شمَّ . **(V)**

البلاء كانَ لِلْمسرِءِ الصَّفاء(١)

أين يا حادي حداة هزّ وَجُدَا(٢) فكسأنَّ الخَطَسواتِ أَثْقلَستْ (٣) امضِ في أرضِ بها عُشْبٌ قليل لكَ حبلٌ ، وَلِمَنْ أَهْوَىٰ قُلُوبُ(٤) في الجبال بَلَّلَ الماءُ النَّخيلا في الجبال بَلَّلَ الماءُ النَّخيلا فتاملُ ، كيف مِنْها تَهْبِطان تسرمُقانِ من بتلكَ الأرض مُسرًا عبانَ فيها كلَّ سيرٍ لِلْبَعيسر (٥) هانَ فيها كلَّ سيرٍ لِلْبَعيسر (٥) أرهب الغيثُ فَقَدْ شطَّ المَقَام (٢)

قد سَكنًا يشرباً والحِبُّ نَجْداً ديمة تهمي وأرضٌ خُضَّرتُ الفراقُ وهو يُضنيني طَويل الفراقُ وهو يُضنيني طَويل نشوةُ النَّاقةِ عشبٌ ، لي حبيب جعلوا للماء في الصَّحرا سبيلا وتتاليت في التَّلال ظبيتان ترشفان مِن مياءِ النبع قَطْرا وَمِنَ الماءِ الرَّمالُ كالحرير ومِن السَّمانَ الغَمامُ مشلُ رِيشاتِ السَّمانَاةِ الغَمامُ

قد سكنا يشرباً والحب نَجداً أين يما حادي حُداً الله هرز وَجداً الله

* * *

⁽١) يذكر الشاعر بحديث للنبيّ قال فيه : (أشدُّ الناس بلاءُ الأنبياء ثم الأمثلُ فالأمثلُ إلى أن قال : فما يبرح البلاءُ بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيثة) .

⁽٢) يثرب : المدينة المنورة . والحبُّ : الحبيب . والحادي : منْ يسوق الإبل . ويغني لما .

⁽٣) الديمة : المطر يدوم في سكون . ويهمي : ينهمر . وخضَّر الشيء : جعله أخضر اللون . يقول : إنَّ المطر يُنبتُ العشب في الأرض ، فيصبح سيرُ الإبل في الأرض المعشبة صعباً .

⁽٤) يوجه الكلام إلى الحادي قائلاً: إنَّ الناقه تجد في العشب لذَّتها ونشوتها . أما هو فنشوته بالحبيب . الحادي يملك الحبل الذي يعقل به ناقته ، أما الحبيب فيملك قلب من يهواه .

⁽٥) هان : سهل .

⁽٦) السماناة : مفرد السُّماني ، وهو نوعٌ معروفٌ من الطيور . وشطُّ : بَعُدَ .





القسم الرابع







أهْلُ المِرِّيخ

تَحْتَ هذا الماء عَيْني أُطبِقَتُ نَحْوَ دُنْيا طابَ لي أَنْ أَرْحَلا نَحْوَ دُنْيا طابَ لي أَنْ أَرْحَلا شَمْسُنا في الأَفْقِ منها أَشْرَقَتْ فاإذا بالجسم روحاً يَجْهَلُ روحُنا كَلْ لهيسب تُخمِدُ روحُنا كَلْ لهيسب تُخمِد للهيسب تُخمِد للهيسب تُخمِد للهيسب تُخمِد للهيسب تُخمِد الماليور

رمُ مرَّ كالطيور إنَّ لسلايامِ مِنْها ألفَ نُسؤر (١) هسذه الأيامُ مِنْها كسمْ تسوَالَستْ الله الله المنامُ مِنْها وَلَوْلاها لَزَالَتُ (١) السَّدُني منها وَلَوْلاها لَزَالَتُ (١)

ذلكَ المَرْصَدُ في مرجِ سَمَىٰ الْقِبَابُ الخضرُ لَاحَتْ اللهَدُ اللهَدُ اللهَدُ اللهَدُ لاحدًا طَلَبْت لاتساعٍ منا أرى حدداً طَلَبْت قالَ شَيْخُ الرُّومِ وَهُوَ مرشدي مشلُ دنيانا له لونٌ وَرِيْت وكاهل الغَرْبِ فيه منْ سَكَنْ وكاهل الغَرْبِ فيه منْ سَكَنْ

الشُّريا قَدْ يَصيْدُ بالوَهَ قَ^(٣)
عالمٌ هذا لَدينَا أسودُ
في فضاء لِلسَّماء كم نَظَرْت
«أنتَ في المريخ فاسمع واشهدِ
فيه بلدانٌ وبُنيانٌ وسُوحُ^(٤)
سبقونا كلَّنا في كللَّ فَنْ

ثم عنر الذَّاتُ منِّي أَبْعِدَتْ

والـــزَّمَــانُ والمكـــانُ بُـــدُلا

ولها ليلا وصبحا أؤجدت

عــــن زمـــــانِ ومكـــــانِ يُفصَـــــلُ

إنَّهـا فـي كـلُّ وقـتِ تُسْعــدُ

⁽١) شاخ: صارَ شيخاً.

⁽٢) الدُّني: جمع دنيا.

 ⁽٣) سَمَقَ : ارتفع . الوَهَقُ : حبلٌ في طرفه أنشوطة يطرح في عنقِ الدَّابة حتى تؤخذ .
 والشاعر يشبه المنظار الطويل الذي تشاهد به النجوم في المرصد بالوَهَق .

⁽٤) السُّوح : جمع ساحة . والرَّيح : الرائحة .

في علوم لِلفَضَا كلُّ شانا(۱)
الخفايا في الفَضَاء شاهدوا
وهناكَ الجِسْمُ بالقَلْبِ المُصَفَّد(۲)
كلَّ ما شاء بين يَفْعَلُ
تمنحُ الغيبَ لجسمِ والحُشُورا(۱)
جسمنا والرُّوحُ ما لاحَتْ لِعَينُ
ساكنُ المرُّيخ عنْ فِكْرَىٰ نكصَ (٤)
أصبحَ الإنسانُ حيَّا باحْتِراقُ
ويقالُ بَعْدَ يوم سوف تُقبر(٥)
ولهذا جِسْمُهم لم يالفُوه(١)
ومِنَ الدُّنيا فرارٌ وانطواءُ(٧)

قَهَرُوا حتَّى الرزمانَ والمكانا إنَّ وعراً في العقولِ مَهَدُوا قلبُ أهلِ الأرضِ بالطَّين المُقيَّدُ كانَ بالطَّينِ لقلبٍ مَنْولُ تَهَبُ الرُّوحُ الخُمارَ والسُّرورا الوجودُ عندنا في مَظْهرينُ جسمنا والرُّوحُ طَيْرٌ في قَفَصْ وإذا ما جاء يسومٌ لِلْفِراقُ بالمنونِ ذلكَ الإنسانُ يُخبَرُ روحُهم بالجسمِ ما إنْ رَبَّوه اندماج الجسمِ في النَّفسِ الفَنَاءُ وكاني قُلْتُ ما لا يُقْهمُ

برمة لا غَيْرَ تبقى هاهنا لله يُساهِدُ مشل هذا غَيْرُنا

**

⁽١) شأى : سبق .

⁽٢) صفد: قيد .

⁽٣) الخمار : صداع السكر والمراد هنا السكر .

⁽٤) الفكرى: إعمال الخاطر في الشيء.

⁽٥) المنون: الموت

⁽٦) ريبه: رياه .

 ⁽٧) يقول: إن الفرار من الدُّنيا ، والانطواء على النفس موتٌ كإدماج الجسم في النفس .

ظهور فلك المِرِّيخ منَ المَرْصَد

ذاك شَيْخُ العِلْمِ بِالثَّلْجِ التحيٰ كشيوخِ الغَرْبِ في الفِكْرِ السَّبُوْحِ وهدو هِمَّ بقدوام مِثْلَ سرو وعلى علم بمعنى لِلطَّريتُ وعلى علم بمعنى لِلطَّريتُ وكوردٍ كان قد ألقى الكِمَاما «قالبُ الطينِ أسيرُ الكيفِ والْكَمْ وأطارَ التَّرْبَ ، ريس ما نَبَتْ عَقْلُهُ والقول كالماء النَّميرُ عَقْلُهُ والقول كالماء النَّميرُ كان حلماً ما أرى أمْ كان سِخرا قال «في عهدِ النَّبِيُّ المصطفى

ممسياً كان بعله مصبحا(۱) كنصارى الغرب في لُبْس المُسُوخ (۱) مشرقُ الوَجُهِ كاتراكِ يمرو (۳) مشرقُ الوَجُهِ كاتراكِ يمرو (۳) لَمَعَتْ عيناهُ بالفِكْرِ العَمِيتُ قال كالخيَّام والطوسي كلاما(۱) وهو في « تحت » و « فوق » لم يُقَمْ جوهرَ السَّيارِ أعطى ما ثَبَتْ »(۱) منهما شاهَدْتُ عَرْضَ المُسْتَجِيرُ (۱) منهما شاهَدْتُ عَرْضَ المُسْتَجِيرُ (۱) ساكنُ المريخ هذا قال شِعْرا ! بيننا من كانَ مِن أهل الصَّفا بيننا من كانَ مِن أهل الصَّفا

⁽١) أمسى وأصبح: دخل في المساء والصباح.

⁽٢) الفرس السَّبوح: السريع. والمسوح: جمع مسح بالكسر وهو الكساء من شَعْرِ، كثوب الرُّهبان.

⁽٣) الهِمُّ : الشيخ الفاني . ومَرو : عاصمة خراسان بإيران . وَالْأَثْرَاكُ مَضْرَبُ المثل في الحسن عند شعراء الفرس .

⁽٤) الخيّام: هو العالم الفلكي المفكّر عمر الخيام صاحب الرّباعيات المشهورة من أهل القرن السادس الهجري . والطوسي هو نصيرُ الدين الطوسي من أهل هذا القرن . وله المؤلفات في المنطق والحكمة ، والأخلاق ، والعقائد . وله شهرةٌ مستفيضةٌ بحذقه في علم الفلك . وقد ارتقى هذا العلم بفضلٍ منه ، وأسّس هولاكو مرصداً في مدينة مراغة كان نصير الدين يرأس العمل فيه .

⁽٥) التُّرب: التراب. يقول: إنه أطار الترابَ وما للتراب ريش ولا جناح ليطير، ثم أشار إلى الكواكب السيارة والثابتة.

 ⁽٦) الماء النمير: الماء الكثير. والمستحير: الطريق المعترض لا يدرى أين منفذه.
 واعتراضه يثير الحيرة.

الجناحَ في سموات بسَطْ في الحجاز وسُطَ بيداء هَبَطُ (١) ما رأى في الخافقين قَدْ رُقِمْ في كتابٍ كان أبهى مِنْ إِرَمْ (٢) فارساً شاهَدْتُها والغَرْبَ زُرْت أرض مِصْرَ جَبْتُها في الهند كُنْت (٣) وعــن الأرضِ تَيَّقَنْــتُ الخَبَــرْ وَبِبَحْــرِ وَبِبَــرُّ لـــي سَفَـــرْ (٤)

ورأى الإنســانُ مـــاذا دبّـــرا

وعراك المرء في الدُّنيا رَعَيْنا وهو حقًّا لَيْسَ يدري ما لدينا(٥)

الرُّوميُّ

من سماء كنتُ من أرض رفيقي رجاً نجلدٌ يُسمَّنى زنده رودا أرضُكم هـذي إليها قـد وصلنا التَّجلِّي نَحْنُ عنه الباحثونا

ثملٌ ما ذقتُ طعماً للرَّحيق(٢) خرَّ سكراً إذ رأى هذا الوُجودا(٧) نحنُ في الـدُنيـا وَلٰكِنَّـا خـرجنـا والدَّليلُ أنتَ نرضىٰ أن تَكُونا

البيداء: الصحراء. (1)

الخافقان : المشرق والمغرب . ورقم : كتب . وإرم : تلميح من المؤلف إلى قوله **(Y)** تعالى : ﴿ إِرْمَ ذَاتِ ٱلْمِمَادِ ﴾ [الفجر : ٧] وقال بعض المفسرين : إنَّ إرم ذات العماد مدينةٌ عظيمةٌ قصورها من الذُّهب والفضَّة وأساطينُها من الياقوت والزَّبَرْجَد .

جاب البلاد: قطعها . (٣)

تيقن الأمر: علمه وتحققه. (1)

رعى: راقب. (0)

الرَّحيق : الخمر . يقول : إنه سكران ولم يذق خمراً . **(7)**

النجْدُ : الشُّجاع . خرَّ : سقط . **(V)**

حكيمُ المِرِّيْخ

مرغدين تلك أرضُ برخيا فرز مرز بالشرور الآمرُ فال: ﴿ أنت هاني * كالعادة عالم *، ما أنت فيه يَفْضُلُ وعلاحتَّى على تِلْكَ الجِنانُ أيراه الله ؟ إنسي ما دَرَيتُ! قَدْ خَلاحتَّى منَ الربُ الدَّخيلُ ليس فيه من طواف أو سُجُودِ قالَ فانهضْ دبرنَّ خدعتَكُ ما بهذا السَّحْرِ أُغوي جدُّنا

بسرخيا جدةً لأجداد ليا()
ولديه في الجنان الحاضر()
طالما ألزمت سير الجادّة ()
يجعل الجنّة زهراً يَذْبُل ()
إنّه فَوْقَ الرزّمان والمكان المثلَهُ حرّاً وحقي ما رأيت ! ()
ليس فيه من كتاب أو رَسُول !
لا ولا فيه السدُّعاء لِلْحَميدِ
اذهبنَّ فيه أفرغ صورتَكُ ()
اذهبنَّ فيه أفرغ صورتَكُ ()

إنَّـه مـن فَضَـلِ رَبِّ العـالمينـا المـض فيـه وتـأمَّـلُ مَـرْغَـدِينـا

* * *

⁽١) برخيا : اسم الجدِّ الذي يتخيله إقبال لسكان المريخ . ولم يُلْقِ سمعاً إلى وسوسة الشيطان .

⁽۲) فرز مرز : اسم يتخيّله الشاعر كمرغدين .

 ⁽٣) الجادة : وسط الطريق : وألزمه السير في الجادة كناية عن إلزامه عدم الانحراف إلى
 الشر .

⁽٤) يحدثه عن عالم آخر أحسن مما هو فيه ، وحسنُه ربيعٌ دائم ، وكأنَّ الجنَّة قياساً عليه ربيع لا يدوم ، أو زهرة سرعانَ ما تذبل .

⁽٥) يبالغ الشاعر في وصف هذه الشخصية الخيالية بالكفر . والمبالغة من مقوّمات الشعر وسماته .

⁽٦) هذا كلام برخيا .

التَّجُوالُ في مدينة مرغدين

البناء في السّماء كان طولا ساكِنُوها قولُهم مشلُ الشّهاد ما بتحصيل وكدً فِحُرُهُم من أراد المِلْحَ في نورٍ وَجَدْ من أراد المِلْحَ في نورٍ وَجَدْ العلومُ والفنونُ تَخْدُمُ العلام الله ينارُ كان كالصّنم إنّما الله ينارُ كان كالصّنم الله الشيطانِ لم تقهر طبيعه إنّ للفلاح مصباحاً أنارا أمنا يصروي نباتا يَمْلِكُهُ ما منا يسروي نباتا يَمْلِكُهُ ما هنا ما لاحَ جنديٌ لرائي مرغدينُ ليس فيها من قلم مرغدينُ ليس فيها من قلم ليس في السُّوقِ نِدَاءُ من تَبَطَلُ

في السُّمُو ما عَسَيْتُ أَنْ أَقُولاً وَانَهُم حُسنٌ وطِيْبٌ في الفُؤاذ (۱) سرُّ تلكَ الشَّمْسِ أفسى عِلْمَهُمْ مَسلُ ملح من بحار يُسْتَمدُ وازنوها بالنُّضَارِ من هُمُ ؟ (۲) أبعدوا الأصنام عن هذا الحَرَم ما الدخانُ في السموات الوسيعه (۳) ما لكاً لم يَخْشَ حتى إِنْ أغارا ما لكا في مِلْكِهِ من يُشْرِكُهُ ما لله ولا من عاش مِن مص الدُماء في ويرية للخادعين قَدْ رَقَمَ (۱) في الأذن نَوْحُ من تَسَوَّلُ (۱)

* * *

حكيمُ المِرِّيْخ

لا مكانَ هاهنا للسّائلينا والعبيادُ لا تُرى والمالكينا

⁽١) الشّهاد: جمع شَهْد.

⁽٢) النُّضار: الذَّهب.

 ⁽٣) يقول: إن الآلة شيطان لا تقهر الطبيعة ، ودخانُها لا يعكّر صفو السماء الواسعة .

 ⁽٤) الفرية : الكذب واختلاقه . ورَقَم : كتب .

⁽٥) تبطّل : تعطّل ، ولم يَعْملُ .

زنده رود

حكيمُ المريخ

القضاء إنْ عَدِمْتَ خَيْسَرَه بِسُوالِ اللهِ كُنْ أنتَ الجديسرا يسُوالِ اللهِ كُنْ أنتَ الجديسرا كُنُ مالِ النَّاتِ في قَوْم هَدَرُ رمسزُه حرفانِ ، هَملُ أَذْرَكْتَهُ كُنْ تراباً لِتَطِيْرَ في الهواء أنت طَلُّ ؟ فالسقوطُ فَوْقَ زَهْر قد صَنَعْتَ لكَ دوماً أنْتَ لاتنا أنتَ ما لم تَرْفُضِ الإيمانَ نَفْسُكُ قد ينالُ المالَ منْ يَلْقَى التَّعَبْ كنا قد ينالُ المالَ منْ يَلْقَى التَّعَبْ كنا كان هذا أصلَ دين يا غريس ؟!

مِنْ إِلهِ الكَوْنِ فاطلَبْ غَيْرَه (۱) يملكُ اللهُ الكثير والكثيرا(۲) إنَّهم لَمْ يُدْرِكوا معنى القَدَرُ (۳) ﴿ إِنْ تَغَيَّرُتَ فَقَدْ غَيَّرِتَ لَهُ الْأَنْ تَعَلَيْمُ الإناء ! حجراً كُنْ بكَ تحطيمُ الإناء! أنتَ بحرٌ ؟ فالخُلود كلَّ دَهْر (٤) ما ثبتُ ، فَلْتُعَلِّمْكَ النَّباتَ النَّباتَ عالمَ الأفكارِ فيهِ كانَ حَبْسُكُ عالمَ الأَيْنِ مَوفُورُ النَّشَبْ (٥) وعديمُ الأَيْنِ مَوفُورُ النَّشَبْ (٥) فليزد في فَقْرِه هذا الفَقِيْر (١) فليزد في فَقْرِه هذا الفَقِيْر (١)

⁽١) القضاء: ما يقدّره الله للإنسان.

⁽٢) يريد الشاعر ليقول: إن الإنسان يستطيع أن يسأل الله قدراً آخر ، وكأنَّه بذلك يستطيع اختيار قدر يوافقه .

 ⁽٣) هدر الدم : ذهب باطلاً ليس فيه قَورة . واستعير ذلك للمال إذا ضاع في غير نفع .

 ⁽٤) الطل : الندى أو أضعف المطر . وإقبال يلمح إلى قدر الضعيف وقدر القوي .

⁽٥) الأين: التَّعب. والنَّشب: المال.

 ⁽٦) الغرير: من لا تجربة له . وإقبال ينزه الدين عن الدعوة إلى الكسل ، لأنَّ الغنى والفقر
 ما قدر الله للمرء بقطع النظر عن كسله أو توفره على عمله .

أيُّ دينِ! وإلى نوم دعاكا فأطلت النَّوْمَ لا تبدي حَرَاكا أَيُّ دينِ! وإلى نوم دعاكا أَمْ دينِ لَكَسا لَعَالَي فَالْأَفِيونِ تمحو وَعْيَكَا؟

أَعَلِمْتَ أَنْتَ مِنْ أَيْسَ النَّهِى هَذَه الحوراءُ أَيِسَ طِيْنُهِا قَوةٌ فِي الفِكْرِ كَانَتُ لِلْكَلِيمِ طَاقةٌ بِالذِّكر كَانَتُ لِلْكَلِيمِ ذَلَكَ القَلْبُ عليه ما خَطَرْ وجميعُ المُعْجِزَات مِنْ فَطَرْ (۱) فَصيحٌ أَنْتَ ؟ ما هذا بِقَوْلِكُ تُنْجِزُ الأعمالَ ؟ لكن ما بحولِكُ (۲) كَلُ هذا كَانَ فيضاً للرَّبِيعُ أَوْ ربيع فطرةُ اللهِ البَديعُ كُلُ هذا كَانَ فيضاً للرَّبِيعُ أَوْ ربيع فطرةُ اللهِ البَديعُ مَا الحياةُ ؟ مَعْدنٌ للجَوْهُ الأمينُ أَنْتَ ، مُلْكُ الآخرِ (۳) يَشُرُفُ الإنسانُ بِالطَّبْعِ الجواد خدمةُ الخلو لَهُ كُلُ المُرَاد يَشُرُفُ الإنسانُ بِالطَّبْعِ الجواد خدمةُ الخلو لَهُ كُلُ المُرَاد

تِلْكَ كَانَتْ شيمةً للأنبياء تاجرٌ من نَالَ ربحاً كالجزاء(٤)!

هكذا تِلْكَ الرَّياعُ والمَطَرَ المَّدَا تِلْكَ السرَّياعُ والمَطَرِ المَّدَاعِ المَّدُوا المَّدُوا المَّدُوا الرَّضِ الرَّضُ رَبِّي فَاشْهَدُوا سلَّمَ المرءُ لإبليسسَ القِيَادَا

والبساتيسنُ وكلُّ ذي ثَمَرْ يملكُ الملكَ جميعاً رَبُّنَا في الكتابِ قولَهُ ﴿ لا تفسدوا ﴾(٥) إنَّما إبليسُ منْ يَسْعَىٰ فَسَادا

⁽١) فطر: أوجد.

⁽٢) الحول : القدرة . يقول : إنَّ الفصاحة ليست للفصيح ولكنَّها هبة من الله . وكذلك الشأن في القدرة على إنجاز العمل .

⁽٣) المعدن : المنجم . يقول : إن الإنسان أمين على هذا المنجم والله صاحبه .

⁽٤) لا ينبغي لمن يخدم الناس أن يتوقع منهم جزاء على خدمتهم ، وإلا كان كالتاجر الذي لا يتوقع إلا الربح .

⁽٥) يشير إقبال إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَا نُفَيِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعَدَ إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتُ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ ٱلمُتَحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] ، أي : لا تفسدوا فيها بالمعصية بعد الطاعة ، أو بالشرك بعد التوحيد ، أو بالظلم بعد العدل .

مَنْ أمين أمنجسرٌ أعمالَه ؟ قَدْ أَخَذْتَ أَنْتَ شيشاً غَيْرَ مِلْكِكْ المُلِكَسنَ الشيءَ فيه رَاغبا المُلِكَسنَ الشيءَ فيه رَاغبا إنَّ مُلْسكَ اللهِ هسذا فلتسردًه ولماذا اليوم نشكو فقرنا ؟ كسلُّ مسن طيناً وماء لازَمَا منزلٌ ذا أمْ طريق ؟ ما عَرَفُنا جوهر هذا لَكِنْ إنْ مَلَكْتَهُ

* * *

قصَّةُ فتاةِ المِرِّيخِ التي ادَّعت النُّبُوَّة

بِقُصُورٍ وَبِسُوحٍ قد مَرَزنا مِسْنُ رجالٍ ونساء فيه حَشْدُ وأنارَ وَجُهُها من غَيْدٍ رُوحُ لَفْظُها صلْدٌ وَعَيْنٌ ما جرت الشَّبابَ قلبُها ما إن سَعَرْ الشَّبابَ قلبُها ما الخَبَرُ !؟ وَعَنِ العِشْقِ أتدري ما الخَبَرُ !؟ هكذا قالَ الحكيمُ شَيْخُنا

جانب الأسوارِ مَيْدَاناً رأينا وفتاة ، ولها كالْبَانِ قَدَّ والكلامُ لَيْسَ فيهِ منْ وُضُوخ بَهْجَةَ الآمالِ قَطُ ما دَرَتْ ولها المرآةُ لا تُبدِي الصَّورْ(") صَعْوةٌ والعِشْقُ شَاهِيْنٌ كَسَرْ(أُ) (هذه الحسناءُ لَيْسَتْ منْ هُنَا)

⁽١) يقول: إذا لم تكن مالكاً لشيء من حقَّك أن تَمْلُكَه ؛ فعاتب نفسك على ذلك .

 ⁽۲) يقول: إذا ملكت الجوهر فأنت تنعم به ، وعليه فقد حقَّقْت متعتك بامتلاكه . أما إذا
 ملكه سواك فأي متعة وفائدة لك منه ، وكأنه لا يكون الجوهر حقاً إلا إذا كان لك .

⁽٣) سَعَر النَّار : أوقدها .

 ⁽٤) الصَّعوة : أنثى الصَّعو ، وهو عصفورٌ صغير . والشَّاهين : طائر من جنس الصقر .
 وكَسَرَ : ضمَّ جناحيه لينقضَّ على فريسته .

فَرْزُمَرْزُ في حديثٍ قَدْ صَدَقْ لَفَرْزُمَرْزُ في حديثٍ قَدْ صَدَقْ لَقَ النَّبُوةَ النَّبُورَ النَّبُورَ النَّبُورَ مَا تَقُدُ هَبَطْتُ اليَوْمَ قَالَتْ عن نساء ورجالٍ ما تَقُول

« مِنْ بلادِ الغَرْبِ إِيَّاها سَرَقُ
 ثُمَّ في العَالَمِ القَاها بِقُوّه!
 دعوتي في آخرِ الأيَّامِ كانَتْ
 وصريحُ القول ما عافَ الخَجُول!

سأقولُ ما المصير ما القدر ، بلسانٍ تَفْهَمُ ونَ يا بَشَر »

**

رسالةُ نَبِيَّةِ المِرِّيخ

قُلْنَ لِي حَتَّامَ عِيشِي كَالْحَلِيْلَةُ (١) إِنَّمَا الْحِرْمَانُ فِي السَّدُنِيا لَهَا فِي السَّدُنِيا لَهَا فِي السَّرْجَالِ قَدْ وَجَدْنَا صَيْدَنَا وَلاَجْلِ الصَّيْدِ داروا حَوْلَكُنْ (٢) وَبِشَوْقِ وشُجُونِ خادَعُونا ولِيَسَوْقِ وشُجُونِ خادَعُونا ولكسنَّ فيسِهِ السوالُ الألسمُ (٣) فالوصالُ الشَّمُ والشَهْدُ الفِرَاقُ (١) فالوصالُ الشَّمُ والشَهْدُ الفِرَاقُ (١) لا تُرِقْنَ فِي السَّمْ الشَّهُ الفِرَاقُ (١)

⁽۱) الحليلة: الزوجة. والشاعر يجري الكلام على لسان فتاة المريخ موجهاً إلى النساء، وإنما أراد بكلامها التلميح إلى تبرَّج فتاةِ الغرب وصراحةِ تعبيرها عن مبادىء المرأة المنحرفة التى تفضَّل الخليل على الخليل.

⁽٢) حذركن: احذَرْنَ .

⁽٣) الحَرّم هنا : بيت الزوجية .

⁽٤) الاتفاق على العيش: الاتفاق على الحياة الزوجية.

⁽٥) يشبِّه الرجال في نظر هذه المرأة بالأفاعى .

كَلُّ أَمُّ سُوفَ تَضْوَىٰ فَي ذُبُولُ طَابَ عَيْشٌ لِيسَ فِيهِ مِنْ حَلِيلُ (١)

إنَّ هذا الوحي يأتيني تِبَاعًا عصرُنا أبدى لنا إعجازَ فَن فَلَ دَيْكَ أَنْتَ مِنْ حَقْلِ الحياة فَلَ دَيْكُ أَنْتَ مِن حَقْلِ الحياة إنْ وَجَدْتَ غَيْرَ مرغوب لَدَيْكُ إِنَّ هِذَا العَصْرَ تتلوهُ العُصور إِنَّ هِذَا العَصْرَ تتلوهُ العُصور فيالجنينُ هيذه الدُّنيا قيدِم فليمُث ا يَبْدُو كَشَيْطانٍ مَرِيْد فليمُث ا يَبْدُو كَشَيْطانٍ مَرِيْد لِلْوُرُود الحُمْرِ منْ أَرْضٍ طُلُوعُ وَحَدَهُ سرُّ الحياةِ قدْ ظَهَرْ وَحَدَهُ سرُّ الحياةِ قدْ ظَهَرْ عَلَى منْ غَيْثِ الحياةِ قدْ ظَهَرْ عَلَى منْ غَيْثِ الرّبيع يا مَحَاز عَلَى من غَيْثِ الرّبيع يا مَحَاز غالبي ما النّاسُ قد سمَّوه فِطْرَهُ فَطَرَهُ فَاللّهِ مَا النّاسُ قد سمَّوه فِطْرَهُ فَاللّهِ عَلَى منْ غَيْثِ الرّبيع يا مَحَاز غالبي ما النّاسُ قد سمَّوه فِطْرَهُ

طاب لي الإيمان عُمْقاً واتساعا الجَنِيْنُ قد نَرَىٰ في طي بَطن ما أَرَدْتَ من بنينٍ أَوْ بنات كان دِيناً قتلُه من غَيْنٍ شَك كان دِيناً قتلُه من غَيْنٍ شَك ولاسسراد واسسراد ظهرو ما رأى قط ظلاماً في الوحم حيواناً كان في العهد العهيد (٢) للنَّدَىٰ ما همها قط الوقُوعُ ! للنَّدَىٰ ما همها قط الوقوعُ ! ما لَدَيْهِ مِضْرِبٌ هذا الوتَرْ (٣) ما لَدَيْهِ مِضْرِبٌ هذا الوتَرْ (٣) والفتاة فَلْتَكُنْ من بَعْدُ حُرَّه والفتاة فَلْتَكُنْ من بَعْدُ حُرَّه

بافتراقِ الجسدينِ وَحُدِي كي تُصاني ، عن رجالٍ فابْعُدِي (٥)

⁽١) ضوي : ضَعْفَ ونَحَلَ . يقول : إنَّ المرأة إذا ولدت اعتراها الضَّعْفُ واللَّبول . والحليل : الزوج .

 ⁽٢) المريد: الخبيث . وهذه المرأة تريد للرجال أن يموتوا ويصبحوا حيوانات منقرضة .
 والعهيد: القديم .

⁽٣) المضرب: ما يضرب به العود وغيره . وكأنَّ سرَّ الحياة وترُّ يرسل الأنغام من غير عازف .

⁽٤) المحار: صَدَفُ اللؤلؤ، وفي عقيدة القدماء أنَّ مَطَرَ الرَّبيع إذا سَقَطَ في المحارة تكوَّن اللؤلؤ بها .

⁽٥) يبالغ الشاعرُ في التهكمُّم فيقول: إنَّ افتراق المرأة عن الرجل في الحياة الزوجية دينُ التوحيد عندها! لأنَّ تلازمَ الجسدين أو الشخصين في الزواج يعدُّ ثنويةً لا توحيداً!!.

الرومئ

مَذْهبُ العَصْرِ الجديدِ! قِفْ لِتَنْظُرْ يالعمري كلُّهم بالله ِ يَكْفُرْ إِنَّ هَذَا العِشْتَ شَرِعٌ لِلْحَيَاهُ في الحياةِ ما لنا دين سِواهُ(١) وَهِي في الطَّاهِر نارٌ تَحْرُقُ وبنصورِ اللهِ قصاعٌ يُشْصرِقُ نارُهُ قد أَوْجَدَتْ كلَّ الفُنونُ كلُّ فنَّ كانَ مِنْ فَرْطِ الجُنُونُ!

إنَّ عِشْقًا بِوأ العلياءَ دِينا ذلك الدِّينُ فَخُددْ عِنْ عِاشِقِيْنا(٢)

⁽١) المرادُ بهذا العشق عشقُ الصُّوفية للذَّات الإلهية .

العلياء : المكان العالي وكلُّ ما علا من شيء . والمعنى : أنَّ العِشْقَ الإلهيّ يسمو بالدِّين . والعاشقون : عاشقو الذَّات الإلهية .





القسم الخامس







أرواحُ الحلاَّج (١) وغالب (٢) وَقُرَّةِ العَينِ الطَّاهِرَة (٣)

لم تجدُّ لها مستقراً في الجنة فَجَعَلَتْ تطوف على الدَّوام وإلى الأبد

قلبي المجنونَ إنّي قد فَدَيْتَ إنْ بلغت منزلًا لي قال قُم الله الله الكون آخر ما الكون آخر الكون آخر الحكيم من يرى شيئاً ويَخْبُو

كلَّ يوم منه صحراء وَجَدْت (٤) القري بحرة منه صحراء وَجَدْت (٥) القري بحرة كروب يَضَمَّ (٥) ما انتهى هذا الطريق يا مُسافر ؟ والعَلِيْمُ ما يَراهُ سوف يَرْبو (٢)

- (۱) الحلاَّج هو الحسين بن منصور ، ذلك الصَّوفي المعروف بشدَّة الغلو والتطرُّف في نزعاته الصُّوفية التي كان حريصاً على نشرها في الناس . فما ركن إلى الكتمان ، ولا كان منطوياً على نفسه . بل كان يصيحُ في الأسواق ، وهو في حالةٍ من الجذبةِ والطَّرَب . وقال بالاتحاد مع بقاء كلَّ عنصرٍ من عنصريه على ما هو عليه ، واتُهم بالحلول والكفر لقوله : (أنا الحق) فصُلِبَ عام ٣٠٩هـ .
- (۲) غالب : هو من أعظم شعراء القارة الهندية ، نظم بالفارسية والأوردية ، ويتسم شعره ببعد الخيال ، ودقة التصوير ، وهو مفكر عميق التفكير في تحليل النفوس ووصف الطباع . كانت وفاته عام ١٨٦٩م .
- (٣) الطاهرة: شاعرة إيرانية تُعْرَف كذلك بقرة العين . وقد شايعت من يسمَّى * الباب * في حركة دينية تُعَدُّ في الإسلام بدعة مذهبية ، فصدر الحكم بقتلها في إيران عام ١٨٥٢م . وشهرتُها بشدَّة الجرأة في التعبير عن الرأي ، كما كان من دعوتها إلى السُّفور .
- (٤) المجنون هنا هو العاشق المشبَّه بمجنون ليلى ؛ الذي دلهه الحبُّ ، فهام على وجهه في القفار .
 - (٥) المئزلُ هنا : مكانُ نزولِ المسافر .
- (٦) الحكيم هنا هو العالم . والعليم هو الصوفي . وتخبو النار : تخمد وتنطفىء . ويربو :
 يزيد .

الحكيمُ طِبْق فن ما اخْتَبَوْ الحكيم الطّين بالكفّين جسًا

لِلْعَليم كانَ ميزانَ النَّظَرِ(١) والعَلِيْمُ مس تِلْكَ الـروح مسًا التَّجَلِّ عِينَ رَآهُ غَيْـــرَ أَنَّ ذَاكَ فـــى ذَاتِ طَــوَاهُ

> عن جديدٍ مِنْ تَجَلُّ فَدْ بَحَثْتَ كلُّ هذا كانَ فيضاً مِنْ طَهُور وصلا مِنْ بَعْدِ أَنْ طِالَ الرَّحِيلُ ذلك العالَم للتَّرب المَقَرِد كسرُمسه مسا فيسهِ مسنُ كسأس لنسا كمان جوفُ اللَّيل بمالقمراء ظَهْرَا فى السَّماء تلك عيني تُنسَرِبُ دخلتنـــــي هيبــــــةٌ مِمَّــــــا أرى تسرتسدي ثسوبساً جميسلاً أحمسرا مِنْ ﴿ الست ﴾ هزَّها فَرْطُ اضطِرابْ « الْزَم الذَّات » بها الرُّومي حباني ما رأيتُ مِثْلَ هذا الشُّوقِ فأنظُرْ

طفتُ بِالأفلاكِ مِثْلَ الناي نُحْتُ ألهب الرووح بمس مِن سَعيْر^(٢) وبشطُّ المُشْتَـري كـانَ النُّـزُولُ(٣) حوله شاهَدُتُ أقماراً تَمُرُ (٤) أرضُه ما أخرَجَتْ قَطُ المُنَىٰ ما عَرفْنا جَوَّهُ بَرْداً وحرًا(٥) وأرى الكوكب منى يَقْتُسربُ ما أراهُ كال شيء غيَّارا قَلْبُها بالنَّارِ دنيا يَصْهَـرُ وجْهَها ، والقَلْبُ نارٌ ، نورا سَكِرَتْ، مِنْ لحنها رَشْفُ الشَّرابِ(٦) « عِشْ بأنفاسِ لِمَنْ غَنَّى الأغاني » وعلى تِلْكَ الحُمَيَّا أَيْنَ تَغَشُرْ

المراد بالفن أصول العلم. (1)

الطهور: الطاهر. والشاعر يشير إلى رجل طاهر النفس. والسعير: النار. (٢)

يريد بمن وصلا: العالم والصوفي . (٣)

التُّرب : التراب . ومن أسماء الدُّنيا في الفارسية (خاكدان) بمعنى مجمع التراب . (1)

القمراء: نورُ القمر. (0)

قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيَّ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّنَهُمْ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَى (r)أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَيِّكُمْ قَالُوا بَلْنُ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا بَوْمَ ٱلْتِينَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَن هَذَا غَيْلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] .

قُرَّهُ العَيْنِ ومَنْصُورٌ وغَالِبْ حَرَمُ الأرواحِ مِنْهُمْ شِبْهُ جَالِبْ(۱) لَحَدُهُ الْأَرواحِ مِنْهُمْ شِبْهُ جَالِبْ(۱) لَحَنُهُ الْحَالِثَبَاتُ لَحَنُهُ مِنْ جَوْفِ تِلْكَ الكَائِنَاتُ لَاكَائِنَاتُ

* * *

لحنُ الحلَّاج

مِنْ ترابي لي لهيبٌ ما رَأَيْتُه نَظْرَتي أمْعَنَتْ في ذاتي طويلاً ذاكَ شِعْرٌ أيسنَ مِنْهُ مِلْكُ جَمَّ عَلَيْنا إِنْ كان يَغْزو أيُّ باس؟ الطَّرية والمَقَامَ لَسْتَ تدري

مشلُ هذاك التَّجَلِّي ما طَلَبْتُهُ ا فِتَن الدُّنيا حبيبي ما شَهِدْتُهُ ا غيرُ مقتولٍ بعشقٍ ما نَسَبْتُه (٢) عِشْقُنا هذا وحيداً ما عَرَفْتُه أي لحن لِسُلَيْمئ ما سَمِغْتُهُ

ولكَـنْ لـديَّ المـوتُ فيـه صَبّـابـةٌ حيـاةٌ لمن أهـوى عليَّ بهـا فَضْلُ

 ⁽۱) قرَّة العين ومنصور اسمان للطاهرة والحلَّاج . وجلب : لغط وصاح وضج .
 والجالب : اسم الفاعل من جلب ولكن المراد هو ضجيج الأرواح لا ضجة الحَرَم .

⁽٢) جَمْ أو جَمْشِيْد مِنْ مُلوك الفرس في العهد الأسطوري ، وكان مشهوراً بعظمته ، واتساع ملكه . ويريد الشعر بالشطر الثاني من ذلك البيت وهو لشاعر يُسمَّى نظيري عاش في الهند ، وأصله من إيران ، وكانت وفاته عام ١٦١٢م .

وهذا الشاعر يقول : مَنْ لَمْ يَمُتْ عِشْقاً لَيْسَ منًا . وهو يذكّرنا بترديد شعراء الصُّوفية لهذا المعنى ، ومنهم الشاعرُ العربيُّ عمرُ بن الفارض القائل :

هو الحبُّ فاسلم بالحَشَا ما الهوى سَهْلٌ فما اخْتَارَهُ مُضْنَى به وله عَقْلُ وَعِيشْ خَالِياً فالحُبُّ راحتُه عَنَا وأولُه سُقْهِمٌ وآخِهُ قَتْسلُ وقيل في شرح هذا: إنَّ الموت في الحب عنده حياة تفضَّل الحبيب بها على العاشق. والوفاءُ للحبيب بالوفاة . والموت فيه حياة . والميت خارج عن دعوى قدرته ، وهذا ما يظهر أنَّ القُدْرَة لله . وبذلك يكون قد مات الموت الاختياريَّ قبلَ الموتِ الاضطراري . وعليه فموتُه حياةٌ لانكشاف الحياة الحقيقية الأزلية ، وفي هذا يقول شاع آخر :

صفْ لنا النُّونَ وبيِّن كَيْفَ صَيْدُه لا تَقُلُ لي زورقٌ ما إنْ رَكِبْتُهُ (۱) إِنَّ شيخي قال لي : لولا صِعَابٌ صادفتني في طريقي ما سَلَكْتُهُ ! أرشفُ الصَّهْباءَ في حَشْدِ النَّداميٰ قلْ لنا شيخَ النضالِ ما اجتنبتُه (۲)

* * *

لحن غالب

السَّماءُ مِثْلَمَا شِئْتَا نُدِيْد شِخنَةُ السُّلْطانِ نَحْنُ ما رَهِبْنَا الكليسمُ لسمْ يَنَسلْ جسواباً سارق البُستانِ ماذا أنْت تَبْغي نَحنُ في رِفْقٍ طيورَ الرَّوْضِ صبحاً

والقضاءُ الكأسَ أَزُوتُنا نُدِيْر (٣) للنَّوَال كُنَّا مِنَّا نُدِيْر (٤) للنَّوَال كَفَّنَا مِنَّا نُدِيْر (٥) لِلْخَلِيلِ وَجُهَنَا كُنَّا نُدِيْر (٥) سلَّةٌ قدْ أُفْرِغَتْ إِنَّا نُدِيْر (٢) نَحْوَ أعشاشِ لها كنَّا نُدِيْر (٧) نَحْوَ أعشاشِ لها كنَّا نُدِيْر (٧)

(١) النُّون : الحوت .

 (٢) الحشد: الجماعة من الناس. والشاعر يطرق المعاني الصُّوفيَّة دون سواها. وقد ترجمنا هذه المنظومة ملتزمين أسلوب إقبال في الأصل الفارسي.

(٣) أدار الكأس: قدَّمها بالتناوب إلى جماعة الشاربين . وكلمة ندير هي الرديف في الأصل
 الذي التزمنا تكراره مع القافية الموحدة التي تسبقه .

(٤) الشُّخْنَةُ: منْ يضبط البلد منْ قِبَلِ السُّلطان ، والنَّوال : العطاء ، وإدارة الكفُّ للنوال كنايةٌ عن رفضه .

(٥) الكليم: موسى ، والخليل: إبراهيم عليهما السلام. والشاعر يجنح إلى مبالغة الصُّوفية في معانيهم الرَّمزية. فهو يقول: إنَّه لا يردُّ على موسى إذا كلمه ، ولا يستقبل إبراهيم ضيفاً.

(٦) يقول : إنَّ السارق إذا أفعم سلَّته بثمارٍ سرقها من البستان أفرغنا تلك السَّلَةَ مما فيها ، فعاد بها فارغة .

(٧) المعنى في هذا البيت متعلق بالمعنى في البيت الأول ؛ لأنَّه يقول : إنَّه عنيفٌ مع العنيف ، رقيقٌ مع الرقيق .

حَيْدَدٌ جَدِّدٌ لنسا، لا تَعْجَبُوا نَحْوَ غَرْبِ شَمْسَنا إِنَّا نُدِيْرِ(١)

لحن الطَّاهِرة

« آه لـــ خـانَ اللَّقِاءُ سالعُــونُ لَكَشَفْ تُ لِكَ مكن وِنَ الشُّجُ وِنُ (1) ك إراك مِنْ لَ انْسَام الصَّبِ بالدِّيارِ طُفْتَ تواقَ الْحَنِيْنِ نُ (٣) مِــنْ نــواكَ فــي عيــونــي ذابَ قلبــي مَــنْ رأى بحــراً جــرى بَيْــنَ الجُفُــونْ(٤) بهــواكَ مِخْيــطُ القلــب الحَــزيْــن^(٥) طُفْتُ بالقلب طويلة ليم أجد غَيْسرَ مسن أهسوى ، ويخفسيٰ بسالكُمُسونُ (٦)

وجْـدُ مَـنْ يَعْشَـقُ بـالقَلْـبِ الصَّـدِيْـع تِلْكَ روحي مِنْهُ في الحُزْنِ الوَجِيعْ^(۷)

مشكلاتٌ لي تَسوارتْ قلد بَدَتْ كلَّ فِكْرِي كلَّ ظنْسَ أَطْبَقَتْ (٨)

حيدر هو أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرَّم الله وجهه . (1)

 ⁽٢) الشَّجون : الأحزان .

الأنْسَام : جمع نَسَم ، وهو نَفَسُ الرِّيح إذا كان ضعيفاً . والتواق : المشتاق . **(٣)**

النُّوي: البعاد. (٤)

الشُّفوف : جمعُ شِف ، وهو النَّوب الرَّقيق الذي يُسْتَشَفُّ ما تحته . والمِخْيطُ : (0) الإبرة .

⁽٦) كَمَنَ كُموناً: توارى .

⁽٧) الصَّديع : المصدوع ؛ أي المشقوق . الوَجِيْعُ : المؤلم .

أطبق الشيء: غطاه. (A)

شُطُّه منْ عَصْفِ هوجاء خرِبْ(١) بَحْرُ فكري فيه موج مُضْطرب لا تضيِّعْ مِنْ زمانِ مُنْ أَرَدْتَ أَنْ تَحُلَلُ عُقْدَانًا وَمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ ال وإلامَ أنـــت لِلْفِكْــــرِ الأسيــــر ومِن البَلْبَالِ فَلْيَخْلُ الضَّمِيْرِ (٣)

زنده رود يعرضُ مشكلاتِه على الأرواح

عَنْ مقام المومنينَ قَدْ بَعُدْتا؟ مِنْ جِنانِ َالخلدِ هَلْ طَوْعاً خَرَجْتا ؟

الحلّاج

ما استقرَّتْ منْهُ رُوحٌ بالجِنانْ^(٤)

مَن رأى خيراً وشراً بالجَنان جنَّــةُ الـــزَّاهِـــدِ حُـــوْرٌ أو غـــلامْ جَنَّــةُ الأحــرار فــى سَيْــرِ دَوَام (٥)

> الهوجاء : الريح التي تقلع البيوت . (1)

هذا البيت هو قول جلال الرومي للشاعر . (٢)

إلامَ : أيَّ وقت . والبلبال : الهمُّ وَوَسُوَاسُ الصَّدر . (٣)

> الجنان بالفتح : القلب وبالكسر : الجنَّات . (1)

يجري إقبال على مألوف شعراء الصُّوفية من الفرس الذين يتهكمون بالزاهد في شعرهم (0) الرَّمزي الذي يحتمل معنيين أحدهما قريبٌ غيرُ مقصودٍ والآخر بعيد هو المقصود . وإنما أرادوا بذلك أن يقولوا : إنَّ العاشق الإلهيَّ ، أو الصُّوفي يتلقى الحقيقة إلهاماً من ربه ، ونوراً يشرق به قلبه ، ولا حاجة به إلى ترديد النظر في العلم ؛ لأنَّ القلب عنده مصدرُ المعرفة . أما الزاهد أو غير الصوفي الذي يأخذ بظاهر النَّص ولا يتجاوزُ القشور إلى اللباب فهو يعتمد على العقل وحده مصدراً للمعرفة . ومن ثمَّ كان الخلاف بين الصُّوفيَّة وغيرهم . وهم يبالغون في التحسين والتقبيح محاولين البلاغة ، وكلامُهم غير محمولٍ على ظاهره . ويدعون إلى التحرُّر من قيود منْ يَعْجِز في نظرهم عن إدراك=

جَنّةُ العاشِقِ في الكَوْنِ التَّامُّلُ (۱) الله هذا العِشْقَ صُبْحُ للنَّشُوْر (۲) ما لِعُشَّاقِ على هذا اتكاءُ (۳) يُغرقُ العِشْقَ الرُّواءُ والجمالُ يُغرقُ العِشْقَ الرُّواءُ والجمالُ والسى الآتي من العِشْقِ النَّظر ما لدَيْهِ كلَّه جَبْرٌ وَصَبْر وصبرى الكونَ بِعَيْسِنِ لِلْجَسُودُ ومعه في نَشْوَةٍ لمَّا جَرىٰ. دمعُه في نَشْوَةٍ لمَّا جَوْرِ سَهْمُنا(٤) دمعُه في نَشْوةٍ لمَّا جَوْرِ سَهْمُنا(٤) ليَّسَ مِنْ أجفانِ حُوْرٍ سَهْمُنا(٤) ليَّسَ مِنْ أجفانِ حُوْرٍ سَهْمُنا(٤) وهو تعميرٌ لها ، سِرُ في حَيَاتِكُ وهو تعميرٌ لها ، سِرُ في حَيَاتِكُ صَدَّدُهُ السَّماءُ راقِدةً وهو تعميرٌ لها ، سِرُ في حَيَاتِكُ صَدَّدُهُ السَّماءُ راقِدةً وهو تعميرٌ لها ، سِرُ في حَيَاتِكُ صَدَّدُهُ السَّماءُ راقِدةً وهو تعميرٌ لها ، سِرُ في حَيَاتِكُ صَدَّدُهُ السَّماءُ راقِدةً والسَّماءُ راقِدةً والسَّماءُ راقِدةً والسَّماءُ والسَّماءِ والسَّماءُ والسَّماءُ

جَنَّةُ الرَّاهِدِ نومٌ في النَّبَطُلُ لَ حَشْرُ مِنْ يَرْهِدُ شَقٌ لِلْقُبورُ وَاساسُ العِلْمِ خَوفٌ أَوْ رَجَاء يُرهِبُ العلم من الكونِ الجلالُ ما مضى لِلْعِلْمِ أَوْ ما قَدْ حَضَرْ ما مضى لِلْعِلْمِ أَوْ ما قَدْ حَضَرْ ما مضى لِلْعِلْمِ كَانَ وَهو جَبْر من حُرَّ عَيُورُ من خُرَّ عَيُورُ يا لهذا العِشْقِ مِنْ حُرَّ عَيُورُ يا لهذا العِشْقِ مِنْ حُرَّ عَيُورُ عَيْورُ عَيْورُ عَلَيْ ما درى عضف الشَّكاةِ ما درى الفَدان مجبوراً وَحُرَّ وَعُرَا قَلْبُنا اللَّهُ كَانَ وَهِ وَحَرُّ كَيْفَ تحيا الفَداد وحَرْ تَوْسَلُ وَحَرْ كَيْفَ تحيا الحياةُ هكذا ، تقدير وَاللَّهُ والمَداد وقي شمسنٌ حاسدة والمَداد وقي شمسنٌ حاسدة والمَداد وقي شمسنٌ حاسدة

إنْ يكن لِلشَّوقِ في الدُّنيا الهُجُومُ يَمْنِكُ الخُلسَدَ لفسانِ لا يَسدُومُ

الحقيقة ، ولا يُدْرِكها إلا القلب العامر بعشق الذَّاتِ الإلهيَّة .

⁽۱) التبطل: التعطّل عن العمل، والشاعر يرمز إلى ضرورة التأمُّل في الكون لأنه مظهرٌ لِلْقُدُرَة الإلهية. وشعرُ الصوفية من الفرس خصوصاً زاخرٌ بِمثل تلك الرموز التي تجد مبالغاتُها مساغاً في ذوقهم.

⁽٢) نشر الله الموتى نشراً ونشوراً : أحياهم .

 ⁽٣) يشير إقبال إلى منْ يعبد الله رغبة في ثوابه ورهبة من عقابه ، ويقول إنَّ الصُّوفي يعبدُ الله
 ويحبُّه لمجرَّد العبادةِ والمحبَّة .

 ⁽٤) يقول : إنَّ قلبنا كان حُرًا مع خضوعه لقضاء الله وقدره ، ولا يريدُ أن يكون القضاء سهماً ، ولو كان من عيون الحُور العين .

بالرّدي والعيش تقديرٌ جري ذلك التَّقدديد منَّا من ذرَىٰ(١)

الحلّاج

مَنْ لِنه التَّقْدِيرُ سَهْمٌ سُدّدا كانَ جبراً دينُ أصحاب الهمَامُ الحَصِيْفُ زادَ في عقل بِجَبْسِ خاللًا بالجَبْسِ هلَّ عالما الرّضا من شأنِ ذبّاك البَطَلْ وهو ثوبٌ فيه فَسُلٌ ما رَفَل (١)

يَفْ زَعُ الشَّيْط انُ مِنْ لهُ والـرَّدىٰ (٢) والقُوى عِنْدَ رجالٍ في القِمَمُ (٣) والغيرييرُ مِنْه في أغماقٍ قَبْر (٤) أسَّنا جبرٌ لنا قد هدَّما (٥)

> ولمولانا عَرَفْتَ ما المَقَامُ فليشنِّفُ أَذُنيُكُ ذَا الكَلامَ

« المجـوسـيُّ زمـانَ بـايــزيــدُ مهتــدِ قــال لــه جِــدُّ سعيـــدُ يا أُخيَّ كُنْ كمثلي مُؤمِنا لِتكُونَ للنَّجاةِ ضامِنا إنَّما الإيمانُ هذا يا مُسريد وخو إيمانٌ يسراهُ بايسزيد

فأنا عَنْ حَمْلِ ذَاكَ أَضْعُكُ وبسروحسي وهسى تُعيسى يَعْنُسفُ

التقدر: قضاء الله. (1)

يريد بالسُّهم السُّلاحَ الذي يتسلُّح به ، وهو القَدَرُ الذي يغزع الشيطانَ والموت . **(Y)**

المرادُ برجال في القِمَمِ رجالٌ في أوج العظمة وعلوَّ القدر . (7)

⁽٤) الحصيف : العاقل . والغرير : من لا تجربة له .

⁽٥) الأس: الأساس.

الفسل : الضعيف الذي لا مروءة له . ورفل : جرَّ ذيله وتبختر . (7)

غَيْرُ خوفِ ورجاءِ ما لدينا وجميعاً سلَّموا ؟ لا ما رأينا أنت قُلْتَ : كلُّ شيءِ بالقَدَرُ وَهُوَ قَيْدٌ ، يا تُرى أينَ المفر قد أسأت الفهم يا هذا كثيرا ما رأيتَ الذَّاتَ واللهَ القَديرا(١) بالدُّعاء المرءُ كان مؤمنا (لكَ نَحْنُ يا إلهي كُنْ لنا)

وقضاء الله كان عَارَمَاهُ الله كان عَانَ سَهْمَهُ (٢) سَهْمَهُ في الحرب كان سَهْمَهُ (٢)

زنده رود

فتنــة هــا قَــد أثــارَ الغــافلــون هو ذا المصلوبُ يبدو لِلْعُيون (٣) المحود وُ وَهْــوَ سـرُ قــد عـرفتــا أيّ ذنبٍ قُلْ لنا كُنْتَ اجْتَرَحْتَا (٤)

الحلّاج

إذَّ في صدري لَصُوراً للنُّسورُ هوذا شَعْبٌ مضى نحو القُبُور (٥) مونون يُشبهُ ون الكافرينا مُسْلِمُ ون وَلِداتٍ مُنْكِرُونا قَدولهم : الرُّوح شيءٌ باطلُ قُيُدتُ بالطِّين وَهُو زائلُ

⁽١) رأيت هنا بمعنى رأيت بالقلب لا بالعين .

 ⁽٢) أي أنَّ عزمه كان قدراً ، وسهمُه سهمُ الله .

 ⁽٣) يشيرُ إقبال مِنْ طَرْف خفيٌ إلى صَلْبِ الحلائج .

⁽٤) اجترح الذنب: ارتكبه.

⁽٥) الصور : القرن ينفخ فيه يوم القيامة فيجعل الله ذلك سبباً لعود الصُّور والأرواح إلى أحسامها .

الحياة أشعِلَت مِن نارِ ذاتي عالَم مِن ذاتِهِم ما يصنعونا عالَم مِن ذاتِهِم ما يصنعونا أين تبدو النَّاتُ أو أيْن اخْتَفَتْ يَستُسرُ النِّيسرانَ ستراً نورُها قَلْبُنا بالنَّات كم كانَ الحفِيَّا مِنْ لظاها كلُّ معدوم النَّصيبُ نارُ فُرْسِ نارُ هِنْدِ هلْ عرفتا نارُها والنَّور إني قَدْ وَصَفتْ نارُها والنَّور إني قَدْ وَصَفتْ

ميّتاً بصّرتُ أسرارَ الحياةِ (۱)
رقة بالعُنف كانوا يَمْزِجُونا
العيونُ قط هندا ما رَأَتْ
بالتَّجَلِّي الكونَ يُبدي طَوْرَها
ما وني عَنْ ذِكْرِها ذكراً خَفِيًا (۱)
مات عَنْ نَفْسٍ له مثلَ الغَريب (۳)
أنتَ وصَّافاً لها ما إنْ رأيتا
يا أنيسَ القَلْبِ هذا ما اجْتَرحتْ

مَّا فَعَلْتَ قَدْ فَعَلْتَ فَاحُذَرِ وَدعَ وَنَ مَيُّتَ اللَمَحْشَوِ

* * *

الطَّاهرة

مِن ذُنُسوبِ وخطايا لِلْغُسلاة إِنَّ فَسِرْطَ الشَّسؤقِ ستسراً مسزَّقسا نـالَ مـنْ عُـوْدٍ ومـنْ حَبْـلٍ نَصِيْبَـه بـالتَّجلُــي بَيْنَنــا هــا قَــدْ ظَهَــرْ

قَدْ بَدا ما لم يَكُنْ ، منْ كائناتُ وعَسِنِ العَيْسِنِ القَسِدِيْسِمَ فَسِرَّقِا لَمْ يَعُدْ حَيَّا وَقَدْ وافي حَبيبه (٤) لا تَظُسِنَ أَنَّسِه السَّدُنيا هَجَسِرْ

عَصْرُه كانَ ضميراً وَهُـوَ فيـة عـزلـة مهما تكُـن لا تَحْتَـوبـة

⁽١) بَصَّرَهُ الأمرَ : عرَّفه إياه .

⁽٢) الحفيّ: البرُّ اللطيف.

⁽٣) اللظي : النار ، أو لهبها .

⁽٤) وافي : أتى .

أَنْتَ يَا مَنْ جَهْدَ بَحْثِ قَدَ أَلِفْتَهُ السَّرَحَنَّ لَيَ بِيتاً أَنْتَ قُلْتَهُ «مِنْ رَمَانُ بِيتاً أَنْتَ قُلْتَهُ «مِنْ رمادُ قَفَ صُ اللَّونِ الهازارُ الهازارُ على المُنارُ اللَّانِ اللَّانِينِ اللَّانِينِ الللَّانِينِ اللَّانِينِ الللْلَّانِينِ اللَّانِينِ اللَّانِينَ اللَّانِينَ اللَّانِينَ اللَّانِينِ الللَّانِينَ اللَّانِينَ اللَّلْمِينَ اللَّانِينَ اللْمُنْ اللَّلْمِينَ اللَّانِينَ اللَّانِينَ اللَّانِينَ اللَّانِينَ اللَّلْمِينَ اللَّلْمُنْفِينَ اللَّلْمِينَ اللَّلْمُنْ اللَّلْمُينَانِينَ اللَّلْمُنْفِينَ الْمُنْفِينَ الْمُنْفَالِينَانِينَالِينَالِينَانِينَ الْمُنْكِلِينَالِينَالِينَالِينَالِينَالِينِينَ اللَّلْمِينَال

غالب

يشتكي النيران في القلب الدَّنِف وشكاةٌ عن شكاةٍ تَخْتلِف (٢) أحرق القُمريُّ منها في اللهيب وبدا البلبلُ في الثَّوْبِ القشيب (٣) وتضمُّ الموتَ في حِضْنِ الحياة فحياةٌ ، أو لها شأنُ الممات (٤) يا للونِ كانَ منه سِفْرُ ماني أو زوالُ اللَّونِ مسلوبَ المعاني (٥) أفت دري ما للونٍ من مَقام ؟ ونصيبُ القَلْبِ مِقْدارُ الهِيَام (٢) أف فير رُلا)

أنتَ باللَّون تعالَ ، أوْ فسِرْ (٧) كسى تسرى آئسارَ قلب يَسْتَعِسرُ

⁽۱) يقول المستشرق الإيطالي باوزاني: إنَّ هذا البيت ترجمةٌ لإقبال عن بيت بالأوردية لغالب يكتنف الغموضُ معناه ، وهو «إذا كانت مظاهر الطبيعة كلها غير جديرةٍ بأن تكون رمزاً للقلب العاشق ، فأي شيء يمكن أن يعد له رمزاً حقيقياً » وفي رواية أخرى لهذا البيت : « قفص الصدأ » في موضع « قفص للألوان » .

⁽٢) الدَّنِف: من لازمه المرض.

⁽٣) القشيب: الجديد.

 ⁽٤) أى أنَّ الشكاة إمَّا حياةٌ أو موت .

⁽٥) السَّفْرُ: الكتاب. وماني من أنبياء الفرس قبل الإسلام، وكان عظيم المهارة في الرَّسم. وارثرنگ عنوان كتاب يحوي تصاويره التي خدع بها أتباعه ويعدُّها من معجزاته.

 ⁽٦) يقول: على قدر ما يجدُ القلب من لوعة الأسى والهيام يكون ما قدر الله له.

 ⁽٧) أي أقدِمُ باللون أو امضِ بدونه .

ألف دنيا في الفَضَاءِ الأزْرَقِ وبها كاللهُ نبيع متّقب

غالب

أَنْظُرَنَّ في الوجودِ والعَدَمْ كمْ دُنى تأتي لنا مُنذُ القِدَمُ (۱) نحن دنيا في الوجودِ إنْ رأينا وحمة للعالمين قَدْ رأينا

زنده رود

وضِّحِ القَـوْلَ فَالِّي مَا فَهِمُت غالب

أنــا إِنْ زِدْتُــكِ تــوضيحــاً غَلِطْــت

زنده رود

لا يفيدُ قدولُ أصحابِ الجَنَانُ (٢)

غالب

مشكلٌ قبولٌ دقيقٌ في اللَّسان (٣)

⁽١) الدُّني: جمع دنيا.

⁽٢) الجنان: القلب.

أي: يصعب على الإنسان أن يعبر عن قول دقيق عميق .

اشتَعَلْتَ أنتَ من نَار الطَّلَتُ لفظة ما قُلْتُها يا لِلْعَجَبْ

غالب

رحمـــة للعـــالميــن انتهـاء

زنده رود

المعانبي عاجزٌ عَنْ فَهْمِهَا لك نارٌ ؟ قُم وأخر قنا بها

غالب

أنْتَ يا منْ تُبْصرُ الأشْعَارَ مِثْلي وعليها لِلْكالم أيُّ فَضلل أمراء الشِّعر زانوا جَمْعَهُم واليَدُ البَيْضاء لَيْسَتْ عِنْدَهُم لَيْسَ مَا تَبَغَيهِ مَنِّى غَيْسَرَ كُفُسِ إِنَّهُ كُفْسِرٌ وَرَاءَ كَسِلَّ شِغْسِرُ

الحلّاج

وإذا أبْصَــرَتْ دُنيــا للشِّيَـات فالمُنَىٰ في أَرْضِها مِثْلُ النَّبات (٢)

- (١) يلمح الشاعر إلى قوله تعالى في سورة الأعلى : ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿ وَٱلَّذِي قَدَّرُ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ٢-٣].
 - (٢) الشَّيَات: الألوان.

إنَّ نُورَ المُصْطَفِي فيه البَهَاء أو رسولَ الله ، هذا ما تَشَاء

زنده رود

النبسيُّ المُصْطَفَى ما أمْرُهُ جوهرٌ ، أفْصَح أجِبْ ما سِرُهُ في الـوُجـودِ آدَمـي أَوْ جَـوْهَـرُ ؟ تـارةً يَخْفَــىٰ وأُخــرَىٰ يَظْهــرُ

الحلَّاج

عفّر العسالسم خسداً عِنسده الاعبده المفها لَسدَيْكَ تَبْهَرُ لَيْسَ منْ عُرْبِ وَلَيْسَ الأعجما المعبده القسد الأعبده القسد القسر الأرواح وهسي تفتُسلُ غيرُ اعبيد الأرواح وهسي تفتُسلُ عيدُ السدّه السدّه السدّه وكانَ السدّه منها ولها البَدهُ ومن غير انتهاء ولها البَدهُ ومن غير انتهاء ما درى الإنسانُ قسطُ سرّها لا إله السّيْسفُ وهسي حسدُه المناه عبدُه الكانات

نَفْسه سمّى النّبعيُ «عَبده» إنّه الإنسانُ وَهْوَ الجوْهَرُ (۱) إنّه الإنسانُ وَهْوَ الجوْهَرُ (۱) آدمٌ بللْ كان منه الأقدما (۲) بالفيافي الخصبُ مِنْها قدْ ظَهَرُ (۳) والرّجاجُ ، وهي صَخرٌ يَنْقُلُ والرّجاجُ ، وهي صَخرٌ يَنْقُلُ ولها طالَ انتظارُ المُنتَظِر (۱) كلّنا لونٌ ويناى اللونُ عنها ما لديها مثلُ صُبحٍ أوْ مَساء ما لديها مثلُ صُبحٍ أوْ مَساء ما لديها مثلُ صُبحٍ أوْ مَساء ولتُصرّح ولتقللُ «هو عَبده» ولتُصرّح ولتقللُ «هو عَبده» «عبده» فيها معانٍ مغلقات

⁽١) بهر:غلب.

⁽٢) في الأصل الأعجم وهو الذي في لسانه لُكْنَةٌ وعَدَمُ فصاحةٍ ، والمراد الأعجمي أي غير العربي .

⁽٣) الفياني : جمع فيفاء ، وهي الأرض لا ماء فيها .

⁽٤) اعتبر : نظر في الشيء واختبره .

ولهــذا الشُّغْـرِ معنــى مــا فَهِمـت قبلَ فَهُم قَوْلِ ربِّي ﴿ مَا رَمَيْتَ ﴾(١) دَعْكُ من هذا الكلام زِنده رود امسض وَلْيُغْسرفُكَ ذيَّاكَ السوُجسود

زنده رود

إنَّ هـذا العِشْـقَ شـيءٌ مـا عَـرَفْتُـهُ أهُــوَ للـرؤيــةِ ذوقٌ مـا عَهِــدْتُــهُ ؟

الحلّاج

ذاتَك انْظُرْ إنَّ هـذا رُؤيته سرُّه السرُّ العظيمُ سنَّته فاتَك انْظُرِ إنَّ هـذا رُؤيته

أنت في دنياكَ عِشْ مِثْلَ الرَّسول ومن الخَلْقِ ستحظي بالقَبُول

زنده رود

رؤيسةٌ لله ِأفسلاكساً نَثَسر ؟ وأدارَ الشَّمــس فيهــا والقَمَـــُو(٢)

⁽١) يريد قوله تعالى في سورة الأنفال : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِكِ ٱللَّهَ قَنَلَهُمَّ وَمَارَمَيْتَ إِذْرَمَيْتَ . وَلَكِحَرَ ۗ اللَّهَ رَمَّنَّ ﴾ [الأنفال : ١٧] ؛ أي لم تقتلوهم ببدر بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصره إيَّاكم . . . وما رميت يا محمد عين القوم إذ رميت بالحصا ، فإنَّ كفاً من الحصا لا يمكن أن تملأ عيون الجيش العظيم إنْ كان الرَّامي من البشر ، ولكنَّ الله رمى ، ليقهر الكافرين.

⁽Y) أي اللهُ الذي نثر الأفلاك في السماء .

الحلّاج

صورة الحق بروح المورخان وإذا كانت بروح مصورت مصورت وأن المانك إن جَرَت وهو والمانك ويا حظيظ مِنْ لِسَانِك ويا ويل درويس بفيه قد جَرت إنسه للمان المرويس بفيه قد جَرت والله المان المرويس عليه المانيا المانيا

شم في الدنيا إليه انظرن (۱) فلك لل العالميان رؤيته فلك العالميان رؤيته طافت الأفلاك طوفاً حول دَارِك (۲) شمت شفتيه أوْ صَمت ما الشعير ؟ حَيْدرٌ في حَرْبه ؟ (۳) راهبا أضحى ، مليك يا ترى ؟ ! (٤) والقضاء كالزمام في يديكا

القنالُ بُغْيَةُ العَصْرِ المَرِيْدِ المَرِيْدِ المَرِيْدِ المَرِيْدِ المَرِيْدِ المَرِيْدِ عَنِيدٌ

زنده رود

كان في الدُّنيا لَـدَيْنا رَمْيُها للستُ أدري كيف كان رَمْيُها!

⁽١) الحق : هو الله تعالى .

⁽٢) الحظيظ: السعيد الحظ.

 ⁽٣) أكلُ خبز الشعير رمزٌ إلى شدة التقشف والقناعة من الدُّنيا بأقلِّ قليلها . وحيدر هو أمير
 المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه المشتهر بالنجدة وشدة البأس في القتال .
 والشاعر يتهكم بالمسرف في الزهد ، ويفضل عليه المحارب المناضل .

⁽٤) يشير إلى ما يروى من عجائب الأخبار عن قوة عليٌّ وشجاعته في غزوة خيبر، وقد أسلفنا الإشارة إلى ذلك . ويتهكم ثانيةً بالزاهد الذي يتوهم نفسه بالزهد أعظم من ملوكِ الأرض .

الحلّاج

بِحُنَيْنِ كَانَ لِلْوَجْدِ الرَّهِيفَ أَمْ بَقَسْرِ كَانَ لِلْقَهْرِ العَنيفُ (۱) إِنَّ فِي مِنْ عُنْفِ شديدِ أَجْدَرُ

زنده رود

أنْتَ يَا مَنْ تَعْرِفُ الأسرارَ شَرْفًا بَيْنَ زُهْدٍ هُلُ تَرى والعِشْقَ فَرْقًا ؟

الحلاج

إنَّما الرَّاهدُ في الدُّنيا الغَرِيبُ ذلكَ العاشِقُ في العُقبى الغَرِيبُ

زنده رود

إنْ عَـرَفْـتَ فـانتهـاءٌ بـالفنـاءُ من سعيدٌ في الفَناءِ بـالبَقَاء؟

الحلّاج

تُسْكِرُ الكَأْسُ خَلَتْ بَعْدَ امتلاء وَعَنِ العِلْمِ اغترابٌ كَالفَنَاء في الفَنَاء في الفَنَاء في الفَدَم (٢)

زنده رود

مسن على آدم أعْلَى قَسِدْرَهُ لَمْ يَجِدُ فِي قِبَاعِ دَنَّ خَمْرَهُ (٣)

⁽١) الرّهيف : الرّقيق .

⁽٢) احتدم: اشتد. يقول: أنت في الفناء تطلب شيئاً . والعَدمُ لا يصادف الشيء الموجود .

⁽٣) الدُّنُّ : جرَّةُ الخمر . ويعلى قدره على قدر آدم : يدَّعي أنَّه خير من آدم ، وهذا ما ادعاه=

يعسرفُ الأفلاكَ حقًّا طينُنا أين نارٌ للمَريد هاهنا(١)

الحلَّاج

ذي الهُيَام والنَّجِيع في الدِّهاقُ (٢) ســـرَّهُ مــا لَيْــسَ يــدري آدمُ

أوجــنِ الأقــوالَ عَــنْ شَيــخ الفِــرَاقْ وجهلُنا ، كـلَّ شـي؛ قَـدْ دَرَىٰ وبِكُفْـرِ كـلَّ ســرُّ أَظْهَــرا السُّق وطُ بَعْدَهُ طابَ الصُّعود بَعْدَ نقص قرَّ عيناً منْ يَزيدْ إِن عَشِقْتَ فِي لهيبِ فِاخْتَرِقْ كَانَ مَنْهُ ، أَو فَلَسْتَ المُخترِقُ ! إنَّــهُ فــي العِشْــقِ منَّــا أقــدم

إنَّ للتقليب ي شوباً ، مَسزِّقنَّه

الحلاج

المقامُ لَيُسسَ في طوق لنا ونَطيرُ ، كانَ ذا ذَوْقاً لنا (٣)

نحن وفماً من رَأَيْنا أو خَفَقْنا ما لَـدَيْنا من جناح ، حَسْبُنا(١)

ظهورُ رأس أهل الفراقِ إبليس

وحديث الحكماء بُسرهتان السوجسودَ والفَنساءَ تَصْنَعسان

إبليس أو الشيطان .

المراد بالطِّين هنا هو الإنسان . والمَريد : الخبيث . (1)

الهُيام : الظمأ . والنَّجيع : الدم . والدُّهاق من الكؤوس : الممتلئة . **(Y)**

⁽٣) الطُّؤق : الطَّاقة والقُدْرة .

⁽٤) دوماً: دائماً . وحسبنا : كافينا .

أضرَمَ العِشْقَ علينا وانصَرَفُ أغمض العينين حتَّى أمْلكَه وظلام كُفَ منه النَّاظران شعلة لاحت بليل قد وَقَب وهو شيخ يرتدي سودَ الثياب

وَهَبَ الرؤيةَ عقلاً ، ما وَقَفْ في في فوادي طابَ لي أن أَسْلُكَهُ في المكانِ وإلى غيرِ المكان⁽¹⁾ وإذا منْ جَوْفها شيخٌ وَثَبْ⁽¹⁾ والسدُّخان لَفَّهُ مِثْلَ السَّحابُ

قال مولانا أرى شَيْخَ الفِراق يتلظَّى والنَّحية في الدِّهاق (٣)

ويرى الأرواح وهي في الجُسُومُ (٤) يُشْبِه الرُّهادَ وهو الجَاهِدُ (٥) يُشْبِه الرُّهادَ وهو الجَاهِدُ (٥) زُهْدُهُ تركُ الخلودِ في الجَمَالُ (١) وامتناع عن سجودٍ ما صَنَعْ ثابتاً في المُشْكلاتِ كي تراه (٧)

طالَ منهُ الصَّمْتُ في طولِ الوُجُومُ
ماجـنُ شيـخُ حكيـمٌ زاهِــدُ
ما درى طَبْعُ لـه ذَوْق الـوِصَـالُ
وهـوَ عـنُ هـذا الجمالِ مـا انْقَطَعْ قِـفُ تـأمَـلُ بُـرُهـةً مـا قَـدْ عـراه

وب الهيجاء ما زالت تَدُور كسم نبئ قد رأى وهمو الكَفُور

مِنْ لَظَاهُ الرُّوحُ فِي جُسمي ارْتَعَدْ وزفيـرُ الحُـزْنِ مـنْ فِيـهِ اصَّعَـدْ^(۸) فَتَـــحَ الْعَيْـــنَ وقــــالَ واعْتَـــدَلْ مثلُنــا مــنْ كــانَ ميمــونَ العَمَــلُ

⁽١) كُفَّ بصرُه: ذهب. النَّاظران: العينان.

⁽٢) وقب الظلام: دخل على الناس.

⁽٣) يتلظّى : يتلهب . النَّجيع : الدم . والدِّهاق من الكؤوس : الممتلئة .

⁽٤) الوجوم: الحزنُ مع الصَّمت.

⁽٥) الماجن : الذي لا يبالي ما صنع . والجاهد : المجد .

⁽٦) الذَّوق : الإدراك . وفي الأصلِّ أنَّ زهده قطع النظر عن الجمال الخالد .

⁽۷) عراه : اعتراه ، وغشیه .

⁽A) اللظى: النار . اصعد : صعد .

لِلصَّلاة قلَّما وَقْتاً وَجَادُت (١) إنَّ وَحيى لا يَمُنُ بِالنَّبُوَة (٢) والفَقِيْه منْ دَحَرْتُ في الغِلابْ(٣) جَعَلَ الكَعْبَةَ آثارَ الطَّلَلِ (٤) ما لإبليس انشقاقُ المَذْهَب أرغُني هذا عليه قَدْ عَزَفْت (٥) أبصر الساطن واتدك ظهاجرا كيفَ هذا ، إنَّ ربِّي قدْ شُهد(٦) ما سكتُ ، فأنا خيراً صَنَعُت ولسذاكَ عَنْهُ هـدَّأْتُ الحَبيبا(٧) بَعْدَ جبر قَدْ هَدَاهُ الاختياز ثُمَّ قلتُ : أنْتَ فلتختَرُ لِنَفْسِكُ عُقْدتى خُلَّ وَدَبِّرْ أَمْرَهِا أنست عصياناً لِشَيْطانٍ أبَحْت وَلْتَعِشْ يا مُسعدي عنِّي غريبا^(٨) لا تردني من سواد في كتابي

انْهَمَكْتُ في شُووني واجْتَهَـدْت ما لَدَيَّ مِنْ مَدَدُثُ مِنْهُ قُوَّهُ لَيْسَ عِنْدي منْ حَدِيْثِ أَوْ كِتَابْ كالفَقيهِ غَـزُلَ دين من غَـزَلُ ما عَرَفْنا مِثْلَ هذا المَطْلَب يـا جهـولُ ، إنَّنـي مـا إنْ سَجَــدْت لـــوجـــودِ الله ِلســـتُ مُنْكِـــرا اجَهِلتُ كي أقولَ ما وُجد و ﴿ نَعَمْ ﴾ في سِتْرِ ﴿ لا ﴾ ما قَدْ نَطَقْت آدمُ مِنْ هَمَّهِ نِلْتُ النَّصِيب مِـنُ مـروجـي نَبَتَـتُ نــارٌ ونــارُ إِنَّنِي أَظْهِرتُ قُبْحِي ، قُمْ بِشَانِكْ تلك ناري صَدَّ عنَّى حرَّها أنت يا إنسانُ في أسري وَقَعْت وهُماماً كُنْ ولا تَخْسُ الخُطوبا دَعْكَ منْ حُلوي ومُرِّي وانسَ ما بي

 ⁽١) في الأصل أنه ما وجد وقتاً لصلاة الجمعة .

⁽٢) مددت منه قوة : أخذتها منه . والمن : التعيير بالصنيعة .

⁽٣) دَحَرَ : طرد ، وهزم . الغلاب : من غالب .

 ⁽٤) يجري إقبال على مألوف الصوفية في تهكمهم الرمزي بالزهاد والفقهاء .

⁽٥) الأرغن: آلةٌ يعزف عليها.

⁽٦) شهد: رُئى،

⁽٧) الحبيبُ : هو اللهُ جلَّ وعلا .

 ⁽A) الهمام : العظيم الهمّة . المُسْعدُ : المواسي والمعين .

إنْ بدوتَ في مَصَادي نِلْتَ سَهْما(١)! يَرْضُدُ الصَّيَّادُ ما يَرْمِيهِ حَتْما ما هوى من طار في أوج السَّماء يَغْلَبُ الصَّيادَ صِيدٌ بِالذُّكَاء (٢)!

قلتُ : ﴿ فَاطْرَحْ لِلْفَراقِ مَذْهَبَا فَي الطلاق ليس لِي أَنْ أَرْغَبا ﴾ (٣)

« الفراقُ للحياةِ مِثْلَ شَطْر نشوةٌ في يَـوْمِهِ لَيْسَتْ لِخَمْر الـــوصَـــالُ بلســـانـــي مــا ذَكَــرْت فهو في الوَصْل امَّحى بي وامَّحَيْت ا(٤)! لفظُه عَنْ نَفْسِه كانَ الغريبا ثُمَّ زادَ القَلْبُ بالحُزْن اللَّهيبَا وتَلَــوَّى فــي الــدُّخــان واخْتَلَــجْ ثُمَّ ضلَّ وهــو منه فـي الْحَـرَجْ (٥)

> الشَّكاةُ للللُّخانِ في انْسِكابْ تَسْعِدُ السِرُّوحُ بِاللهِ العَدْابُ

شكوى إبليس

صحبة الإنسانِ لي كَانَتْ مُصاباً(١) أغْمَـضَ العَيْـنَ وذاتـاً لـم يُصـادِفُ لا ولا معني لنار الكِبْرياء

ربَّ مَنْ أَخْطًا وربَّ مَنْ أَصَابَا ذلكَ الإنسانُ حكمى لم يُخَالِفُ طيئه لم يَدر ذوقاً للإباء

المصّاد: موضعُ الصيد. (1)

الصَّند: ما يصاد. (٢)

التلميحُ هنا بحديث للنبئ ﷺ ، وهو قوله : ﴿ أَبغض الحلال عند الله الطلاق ؛ . وأورد (٣) الشاعر هذا الحديث بتمامه في الشطر الثاني من البيت.

يريد فناء الصُّوفي في الذَّات الإلهية . (1)

الحرج: مكان ضيق كثيرُ الشجر. (0)

المصاب: النازلة الشديدة. (7)

وخضوع العَبْدِ أمرٌ لم يَرُقْني (۱) بخضوعي لكَ بالأمسِ اذْكُرزَنِي ويح نفسي واشقائي وابلائي المويخوبُ إنْ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي مَنْ يُجيلُ الرأي في كلِّ الفِكَوْ (۳) مَنْ يُعْتُو عِتِيًا (٤) لَيْسَ كَالأطفالِ منْ يَعْتُو عِتِيًا (٤) خَسْبُهُ مَنِّي الشَّرارُ لِلفَناء (٥) كلُّ تلكَ النَّارِ عندي هَلْ تُفِيْد ؟ كلُّ تلكَ النَّارِ عندي هَلْ تُفِيْد ؟ أعظمُ الأعمالِ حقًا صَهْرُ صَخْر وإليكَ لِتَجازيني قَدِيمُ افْتَحُ واليكَ لِتَجازيني قَدِيمُ افْتَحُ وارتياعي منْهُ حين يَنْظُرُ (١) وارتياعي منْهُ حين يَنْظُرُ (١) لا أساوي عِنْدَهُ حَبُّ الشَّعِيْدِ

ويقولُ الصَّيْدُ للصَّيادِ خُدُني وَمِنَ الصَّيْد، إلهي ، خلَّصَنِّي مِنْ عُلائي ورماني من علائي وَضَعيفُ العَرْمِ فَسِحُ الفِطْرَةِ وَضَعيفُ العَرْمِ فَسِحُ الفِطْرَةِ وَضَعيفٌ ذو نَظَرْ وَجديرٌ بي حصيفٌ ذو نَظَرْ مُنيةَ الطِّينِ استردَّ من يَسدَيًا ما هو الإنسانُ ؟ ضِغْثُ من غُثاء للغُثَاءِ وَحُدهُ كانَ الوجودُ اليُّ شيء للرُّجاج كانَ الوجودُ أيُّ شيء للرُّجاج كانَ صهر أيُ شيء للرُّجاج كانَ صهر مَن فَتوحي ها أنا ذا قَدْ سَيْمُتُ مُن عُماء وُرُيدُ منكَ فامنحُ وأريدُ منكَ فامنحُ وأريدُ مُنكَ فامنحُ من يقول : ﴿ أُخْرُجَنَّ مِنْ حُضُورِي ﴾ وأريدُ مُن خُضُورِي ﴾ من يقول : ﴿ أُخْرُجَنَّ مِنْ حُضُورِي ﴾

يا إلهي فَلْتَهَبُ حُرَّاً أَبَيًا فِي الهِ الهِ مَعَةُ كَانَتْ لَـدَيَّا

* * *

⁽١) لم يرقني : لم يعجبني .

⁽٢) الفج : ما لم ينضج من الثمار . وخر : سقط .

⁽٣) الحصيف : العاقل الحكيم .

⁽٤) عتا الشيخ: طعن في السن.

⁽٥) الضغث: قيضة حشيش مختلطة اليابس بالرطب.

⁽٦) الطلية : العنق .

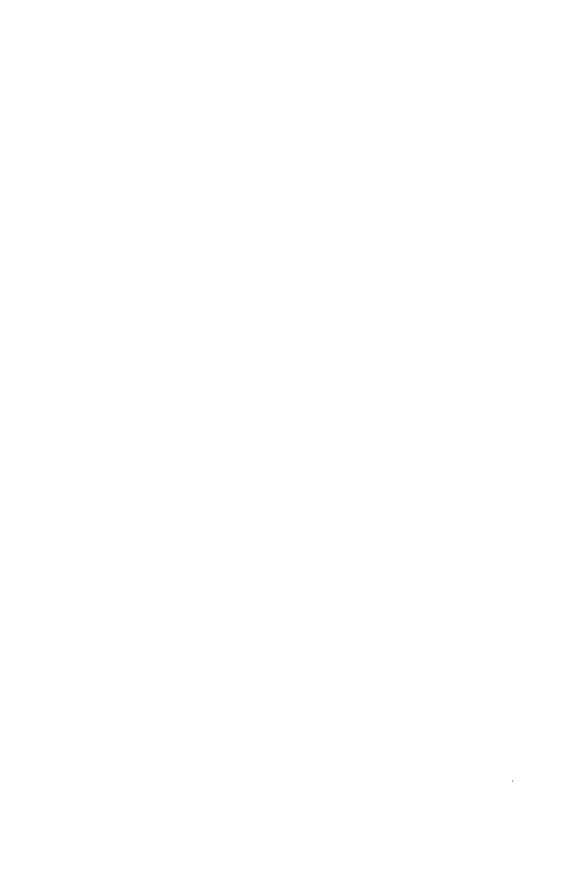




القسم السادس







الأرواحُ الخبيثةُ الَّتي غَدَرَتْ بالوَطن ولم تقبلُها جهنَّم

كان للأحرار مولانا الإماما السماء قال يا من قد طَويت السماء قال يا من قد طَويت وكما شاهدت انتطن انتطن وبطيء كالشكون عند سير جسمه ماء وطينا شكسلا تضعن النّار بايد لِلْمَلائك دِرَّةٌ قد أوجعت تِلْكَ النّجوما عالَم منه النّفور لِلْفَلَكُ منا لأرواح به يَسوم النّشور فيه يَسكنان فيه يَسكنان فيه يَسكنان فيه يَسكنان فيه النّك الدّكن الدّكن ذاك في البنغال هذا في الدّكن

كل محر بوا الشيخ المقاما(١) اعلى العالم زُنّاراً رأيت ؟(٢) بنديول لنجوم قد سرق !(٣) خيسره ما كان إلا كل شر خطوه في الأرض صغب أشكِلا(١) فَسَمَتْ شُخطاً لربي مِنْ هُنالِكْ(١) مَنَعَتُها في الممدّارِ أَنْ تَحُوما(١) وهو مِنْ بُخلِ الشّمُوسِ في الحلكُ(١) لم تُعَدّبُها الجحيم بالسّعير (٨) أزهَق السرّوح لقوم قاتلان وهما للدّين عار والوطن (١) وهما للدّين عار والوطن (١)

 ⁽١) مولانا هو الصوفي الفارسي جلال الدين الرومي .

⁽٢) الزُّنار: ما يشدُّ به النصاري وسطهم والإيماء إلى زحل.

⁽٣) انتطق : شد وسطه بالمنطقة .

⁽٤) أشكل الأمر: التبس.

⁽۵) الملائك : الملائكة ، والنَّار هنا : الصاعقة .

⁽٦) الدِّرّة : السوط .

⁽٧) الحلك : الظلام .

 ⁽A) يوم النشور يوم القيامة الذي تعود فيه الحياة إلى الموتى . والسَّعير : النار .

⁽٩) مير جعفر : هندي قبل أن يكون حاكماً للبنغال تحت نفوذ الإنجليز ؛ الذين توطدت=

أَبْغَضَا في الياس من نيلِ المُراد أمّـةٌ كـلَّ الصّـلاتِ قَطَّعـتْ وبـلادُ الهنـد هـلْ أنسيتها؟ فَتَجَلِّيها أنار العالما في ثراها مَنْ رَمىٰ بِذْرَ العبيد؟

الفسادَ قَدْ أشاعاً في البِلادُ مُلْكَها والدِّينَ حتماً ضَيَّعَتْ (١) مُلْكَها والدِّينَ حتماً ضَيَّعَتْ (١) ولها في كبلِّ قلبٍ ما لها (٢) ما تبزالُ أرضُها تجبري دَمَا ذاكَ فِعْلُ كانَ من رُوْحٍ مَرِيْد

بسرهة قِسف أنت في هذا الفضاء ما ينالُ المسرءُ شاهد من جزاء

* * *

بَحْرُ الدِّماء

ما رأيتُ ، وَضْفُهُ يُعْيِي اللسِن إنَّه بحرُ الدِّماء قَدْ جَرَىٰ يُطْيِرُ لَلْ يَطْيِرُ لَلْ يَطْيِرُ لَلْ يَطْيِرُ لَلْ يَطْيِرُ لَلْ يَطْيِرُ لَكُمْ اللَّهُ اللَّيْثُ الهصورُ ذو المَنَاصِلُ موجُهُ اللَّيْثُ الهصورُ ذو المَنَاصِلُ

يُرعبُ الرُّوحَ ويُنسيها البَدَنُ^(٣) فَوْقَهُ ريسحٌ وأخسرى أضْمَسرا بجناحيْ زئبت والكفُّ قِيرُ^(٤) ماتَ رُغباً منه تِمْسَاحٌ بِسَاحِلُ^(٥)

أقدامُهم ، واستقامتُ أمورُهم ، وسيطروا على الهند بعد أن هزموا سراج الدولة حاكم
 البنغال عام ١٧٥٧ . وصادق الدكني خائن خان السلطان تيبو الحاكم المسلم لميسور
 المتوفى عام ١٧٩٩ .

⁽١) يريد قطع الصلات بينها وبين غيرها من الأمم .

⁽٢) أي لها في كل قلبٍ ما لها من علو المنزلة .

⁽٣) اللسن: الفصاحة.

⁽٤) التنين : العظيم من الحيات . يقول إن التنانين في الجو كالحيتان في البحر وجناحاها في لون الزئبق ومخالبها سود في لون الليل . والقير : القار ، وهو مادة سوداء تُطلى بها السفن .

⁽٥) الهصور : المفترس . والمناصل : جمع منصل وهو السيف . وكأن أنياب الأسد سيوف .

لَمْ يَنَلْ مِنْهُ الأمانَ الشَّطُّ قَطْ في الدِّماء تِلْكَ أعلامٌ تُغَطُّ (١) هــذه الأمــواجُ دومــاً فــي نِــزَاعْ تُهْبِـطُ الـزُّورَق مِـنْ بَعْــد ارتفـاع فيــه يَبْــدو رَجُــلانِ شَــاحِبـانْ أَشْعَثَانِ مِنْ ثِيَابٍ عَارِيانُ

روحُ الهنْدِ تَظْهَر

ترفع البُرْقُعَ عَنْ وَجُهِ الضِّياء وسرورٌ أبديٌ في العُيون

تِلْكَ بنتُ الحورِ في شَقِّ السَّماء ولها نارٌ ونورٌ في الجَبينُ ترتدي ثوباً أرق من غَمَام نَسَجَتْهُ مِنْ وُرُودٍ في الكِمام (٢) مَعَ هذا الحُسْنِ ناءت بالقُيود تَصْدَعُ الشَّكُوي لها قلبُ الحَدِيدُ (٣)

قال: روحَ الهندِ مولانا اشْهَدا نوحُها في القَلْبِ ناراً أوقدا

روحُ الهندِ تَنُوْحُ وتَنْتَحِب

من وَعَلَى مجداً لها من أهْلِها الِلَخْونِ مِنْهُ مُشْهِ نَسْتَمِعْ يَحْرِقُ القلبَ بنارِ خامِدَهُ وشكاتي ليس يُجْدي قَـوْلُهـا

أيْنَ نورُ الرُّوحِ في مصباحها مَـنْ على سـرُ لهـا لـم يَطَّلـعُ ويسرى المساضي بعينين جسامِسدَهُ وقيسودي مِنْسة يُعيسي ثِقْلُها

الأعلام : جمع علم وهو الجبل العالى . وتغط : تغطس في الماء . (1)

الكِمَامُ : جمع كِمِّ ، وهو غلافُ البُرعم . (٢)

ناء بالحمل: نَهَضَ به مُثقلاً. (٣)

ومضى شوطاً بعيداً عن (أنا) مِنْ تقاليدٍ له سِجْنَا بَنَى عَيْشُهِ ٱلهِ مَا حَتَّى فَوْمَنَا طُهُره بالحُرْنِ أَضنى عَصْرَنا (١)

دَعْـكَ مِـنْ فَقْـرِ بــه عُــرْيٌ وجــب حبــذا الفَقْــرُ إذا مُلْكــاً وَهَــبُ^(٢) دَعْكَ مِنْ جبرٍ وصبرٍ ، الحَذْ فلأهل الجَبْر سُمُّ قَدْ بَدَرُ^(٣) ذاكَ مَسنُ يسرضسي ويهسوي جَبْسرَه يالفان الظُّلْم مُراً في التَّحسي لَيْتَ قَـومــى يعلمــون ، ويــحَ نَفْســي

جعفــرٌ أودى وتحيّــا مِنْــهُ رُوحُ (٤) ألِلَيْلِ الهندِ صبحٌ قَدْ يَلُوخُ إِنَّ قَيْدَ الجِسْمِ عَنْهُ قَدْ خَلَعْ وَبِجِسْمِ آخرٍ عشَّا وَضَعْ وهو منْ في الدير أحياناً يُجانِسُ (٥) عنتـــرٌ يَبْــــدُو كَمِثْــل حَيْـــدَرِ(١) طالَما كانَ لِـدُنيانا وُجُـودُ(٧) وطناً في عَصْرِنا ما قَدْ عَبَدْ وهـو فـي البـاطِـنِ مِثْـلُ المُلْحِـدِينــا مسلمـــاً والقَتْـــلُ كـــانَ مـــا فَعَـــلْ

تارةً كانَ اللهوف الكنايس دينُه ما كانَ غَيْرَ المتجرر إنَّــة عــن كــلِّ هــذا لا يَحِيــدُ وقديماً لِسوىٰ هذا سَجَادُ وعلى اللدِّين لنا يَبْلدُو حَرينا جَعْف رُ الأمّ ق من قتل

يقول: إن وجوده كان ألماً للبشرية كلُّها. ومما أحزن العصر الحديث أن يحار فيما (1) طَهُرَ وما لم يَطْهُرْ .

يقول الصوفية (الفقر فخري) والفقر عندهم خيرٌ منْ مُلْكِ الملوك . (٢)

الجَبْرُ والصَّبْرُ هنا هما القَدَرُ والاستسلام له . (٣)

أودى: هلك. (٤)

الألوف : الكثير الألفة . ويشير إلى ولائه للإنجليز . وجانسه : كان من جنسه . (0)

المتجر : الاتَّجار . (٢)

يحيد: يعدل وينحرف. **(V)**

باسم ، ما شاق يوماً خِلَّهُ يبسم النُّعبانُ لَكِن ما لَهُ ؟ (١) واللئيـــمُ شَغبُــه مـــنْ لُـــؤمِـــهِ صادقٌ أصلٌ له أو كانَ جَعْفرُ

الشِّقـــاقُ بثَّـــه فــــى قَــــؤمِـــهِ الفساد في بلادٍ حين يَظْهَرُ

جعفرٌ من رُوحِه رَبِّسي أغِثْنَا مــنْ مَثِيْــلِ جعفــرِ ربِّــي أجِــرْنــا

صيحةُ راكبِ في زورقِ بَحْرِ الدِّماء

حائرٌ بَيْنَ الوُجودِ والعَدَمْ نَحْنُ من شرقٍ إلى غربٍ عَبَرْنا ما رَمَتْ هَللين حتَّى بالشَّرَرُ

وَيْحَ نفسي منْ وُجودٍ كَمْ ظَلَمْ وإلى بابِ الجَحِيم قد وصَلْنَا(٢) ما لنا كفُّ رمادٍ في الشَّعَرُ (٣)

> ثُـمَّ قـالـتْ إنَّ ضِغْثاً أفْضَلُ فهـو أنقـى ، فيـه نـاري تَشْعـلُ

ورأينا بَغْتُهُ تِلْكَ المَنُونَا (٤) حفظُ روح هَـدُمُ جِسْمٍ في يديًّا امهض عنِّي! مها بموتِ تَظْفَرُ (٥)

فى السَّمواتِ مضينا مُصْعِدِينا قالت الأزواح : أسرارٌ لَدَيَّا إِنَّ رُوْحَ الشَّرِ شَّيِء يُخْفَّرُ

شاقَ : هيج الشوق . أي : أنه كان باسم الوجه إلا أنه لم يعجب خليلًا يصادقه وقد يبسم الثعبان ولكن عن نابين يمجَّان السُّمَّ .

يقول : إنهم لكثرة ما كابدوا من المشقة في سفرتهم وشدة ما لقوا من تعب كأنَّهم في **(Y)** نهاية المطاف وقفوا بباب جهنم .

أي لم تنثر حفنةٌ من الرَّماد على رؤوسهم . (٣)

أصعد : مضى في أرض أعلى من الأخرى . والمنون : الموت . (1)

يقول : إنَّ قبض الروح أمر يسير وروح الشر شيء حقير ، ومع ذلك لا يريد قبض (0) روحه .

راحمة الأرواح لَيْسَتْ في الحِمام لا يُسريحُ المسوتُ روحماً لِلْسُام

يا رياحُ ، يا محيطاً لِلدِّماءُ أنتِ يا غَبْرَاءُ ، يا لونَ السَّماءُ (۱) يا ذُكَاءُ ثُمَّ يا بَدْرُ الظُّلَمُ والكتابُ ومَعَ اللَّوْحِ القَلَمُ يا إلها أبيضاً يا لِوَرْدِ غَرْبِ أَنْ تَمْلُكَانِ عالماً مِنْ غَيْرِ حَرْبِ الآ)

ما لِدُنيانا ابتداءٌ وانتهاءُ ألِعَبْدِ حانَ بالمولى لِقَاءُ (٣)

ثُسمَّ دوَّى بَغْتـةً صَـوْتٌ رَهِيب شَقَّتِ الصَّدرَ البحارُ والسُّهوب(ئ) تِلْكَ أوصالُ الجسومِ فُكِّكَـتُ والصُّخُـورُ وهـي تهـوي فُتَّتـتْ والصُّخُـورُ وهـي تهـوي فُتَّتـتْ والجبال كالسَّحاب في المرور هذه الدُّنيا انتَهَتْ مِنْ غَيْرِ صُورُ والجبال كالسَّحاب في المرور هذه الدُّنيا انتَهَتْ مِنْ غَيْرِ صُورُ والبروقُ أَصْلُهـا نارُ الخَفَاءُ عُشَها تَطْلُبُ في بحرِ الدِّماء والبروقُ أَصْلُها نامُ الخَوِقُ في الدِّماء الطُّورُ كالسَّهلِ الغَرِقُ (٥) جاشَتِ الأمـواجُ وهـي تَسْتَبِقُ في الدِّماء الطُّورُ كالسَّهلِ الغَرِقُ (٥) للنَّجـومِ مـا بـدا أو غـابَ عَنْهـا للنُّجـومِ مـا بـدا أو غـابَ عَنْهـا للمُ يُشِـرُ أدنـي اهتمـام كـانَ منْهَـا

* * *

 ⁽١) الغبراء : الأرض . يا لون السَّماء : أي : أيَّتها السَّماء الزرقاء .

 ⁽٢) في الأصل أيتها الأصنام البيض ويالوردات الغرب . فذكرنا المفرد مع إرادة الجمع .
 ويقول : إنَّ هؤلاء يريدون أن يملكوا العالم بكلِّ يسرِ وهينة .

⁽٣) المولى: السّيّد.

⁽٤) الشهوب: السهول.

⁽٥) جاشت : ارتفعت ، واضطربت . تستبق : تتسابق .



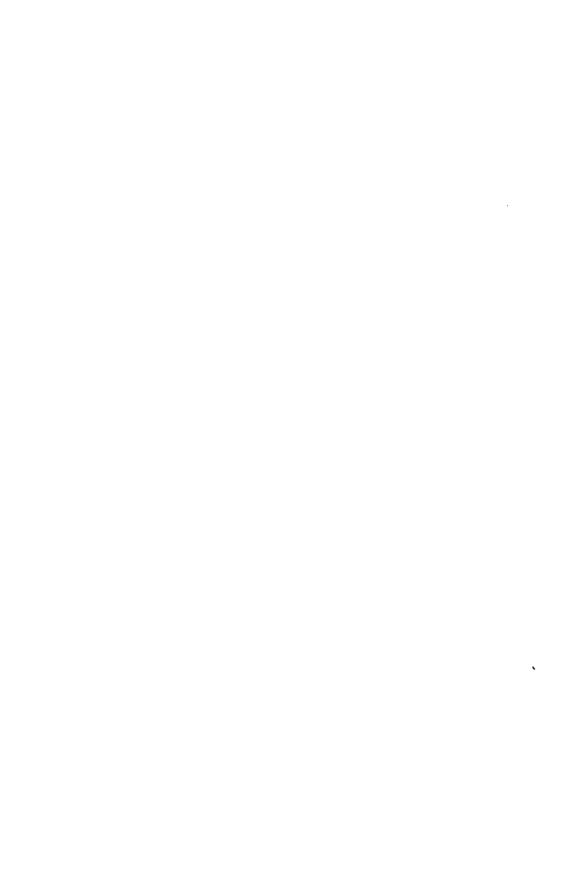


القسم السابح

وَا وَراءَ الْأَفْكِكُ







منزلة الفيلسوف الألماني نيتشه(١)

للفناء والبقاء مُغتَرك لَيْسَ يدري الم للحياة يَخملُ الموتُ الرِّسالة والسَّعيدُ منْ وَعَ الرياحَ أشْبَهَتْ هذي الحياة ما استقرَّت ، كلُّ كم دُنَّى لي ناظرانِ شاهَدَا ثمَّ حدُّ الك كل دُنيا كانَ فيها نورُها قطُ ما إنْ أشْبَ إنَّ فيها الوقْتَ يجري كالبِحَارُ فهي تجري أو عامُها شَهْرٌ وحتَّى بُرْها قَلَّمةٌ طَوْراً و

لَيْسَ يدري المرءُ سرّاً لِلْفَلَكُ (٢) والسَّعيدُ منْ وَعَىٰ لِلْمَوْتِ حاله ! ما استقرّت ، كلُّ ما تبغي الثَّبَاتُ! شمَّ حددُ الكائناتِ لي بدا قط ما إنْ أشبَهَتُهَا غيرُها (٣) فهي تجري أو لها بَعْضُ القَرَارُ قطَّ وَالْ وَطَوْراً كَثُوراً كَثُوراً كَثُوراً كُولاً وَطَوْراً كَثُوراً كَثُوراً كُولاً وَطَوْراً كَثُوراً كُولاً كُولاً كُولاً كُولاً كَثُوراً كُولاً كَثُوراً كُولاً كُول

عقلُنا في عالم كانَ الذِّكيّا في سِسواهُ لم يَكُنْ إلا الغبيّا

صوتُ المحزونُ بالحزنِ انْفَطَرْ كاسفَ الوَجْهِ لأهوالِ المُصَابُ (٥) بَيْتُ شِعْرِ ما طَوَاهُ عَنْ لِسَانُ (٢)

ثَغُرُه القاصي به منْ قَدْ ظَهَرْ ولي العُقابُ ولي العُقابُ والتَّباريعُ تريدُ في الجَنَانُ

⁽۱) نيتشه: فيلسوف ألماني مستفيض الشهرة ، يُعدُّ بحقَّ منْ أهمٍّ قادة الفكر الذين كان لتفكيرهم أثرٌ في العصر الحديث . وأكثر كتبه سيرورة كتاب بعنوان : « هكذا قال زرادشت ، وإن كان أشدً ما كتب غموضاً . وقد تناول المسيحية بالنقد ، واختلط عقله قبل وفاته عام ١٩٠٠م .

 ⁽٢) المعترك : موضع العراك والقتال . والمراد أنَّ الفناء والبقاء في حرب إلى الأبد .

^{. (}٣) في الأصل أنَّ كلُّ عالم له قَمَرُه وثريَّاه ، وهو مختلفٌ عنْ غيره .

⁽٤) أي أنَّ القلة في عالم كثَّرةٌ في غيره . وهذا مطَّردٌ في كلِّ تِلْكَ العوالم .

⁽٥) كاسفَ الوَجْه : عابسٌ منْ هول الشدائد .

⁽٦) تباريح الشوق : توهجه . والجنان : القلب . ولم يطو بيت شعر عن لسانه : لا يكف=

« أجبريلُ أم اللهُ وحورُ الخُلْدِ ؟ تَنْساقُ ! تراب أنت في نارِ لروح وهي تَشْتَاقُ »(١)

قال: في الألمانِ مَشْهورُ الزَّكَنْ (٢) وقد يسمُ اللَّحْنِ منْ فَ نَسْمَعُ فَ اللَّحْنِ منْ فَ نَسْمَعُ فَ قَدا اللَّحْنِ منْ فَ نَسْمَعُ فَ قَدا اللَّهِ وسواهُ لا يُعيدُ فُ (٣) قولُه السيفُ الفِرَنْجَ قَدْ شَطَرُ تَحْسبُ المجذوبَ جُنَّ نَظْرَتَ فَ نَظُرتَ فَ نَظْرَتَ فَ نَظْرَتَ فَ نَظْرَتَ فَ نَظْرَتَ فَ نَظْرَتَ فَ نَظْرَتَ فَ الطَّبيب (٤) نَظْم مجذوب الإفرنج وُلد (٥) ويل مجذوب الإفرنج وُلد (٥) أو بِحَبُ من شَكَا الأوجاعَ أرْقِدُ أو بِحَبُ من شَكَا الأوجاعَ أرْقِدُ

قلتُ للروميُ ذا المجنونُ مَن ؟ كانَ بَيْن العالمينَ مَوْضِعُهُ إِنَّه الحلاجُ لَكِن أَيْنَ عُودُه ؟ إِنَّه الحلاجُ لَكِن أَيْنَ عُودُه ؟ وجسريءُ القسولِ بسوّاقُ الفِكَسر الجليسُ لَيْسسَ يَلْري جَلْبَتَهُ مِن خُمارِ العِشْقِ معدومو النّصيب مِن خُمارِ العِشْقِ معدومو النّصيب عِنْدَ أَهْلِ الطبّ خَنْلٌ ما وُجد ابسنُ سينا في كلام قالَ أَفْصِد

كانَ حلاجاً بارض كالغَريب في في من قَتْلِ الفَقِيْهِ لا الطَّبيب!

الطَّريق في الفِرَنْجِ مَنْ عَرَفُ ؟ الطَّريتُ لَيْسَ فيه منْ دَلِيلْ كانَ مالًا لَمْ يَجِدْ منْ عَدَّهُ عاشقٌ لَكِنْ طَوَتْهُ زَفْرَتُهُ

فَعَلَى فَيْسَارة دوماً عَسَزَفُ (1) ضلَّ في سيرٍ وبينل (٧) يُنْجِرُ الأعمال لَكِنْ وَحُدَهُ سيالِكٌ قَدْ تَيَّهَنَهُ خُطُونَهُ (٨)

[·] عن ذكره و تر ديده .

⁽١) ترجمنا هذا البيت ببحره في الأصل ، وهو الهزج الذي يستخدمه الفرس ثمانياً .

⁽٢) الزَّكن : الفطنةُ والذَّكاء .

⁽٣) العود هو الذي صلب عليه الحلاج . وقال قولًا لا يعيده سواه : أي لا يشبهه فيه .

⁽٤) الخمار: الصُّداع من شدَّة السُّكُر.

⁽٥) الختل : الخداع . وما وجد : بمعنى الذي وجد .

⁽٦) دوماً : دائماً .

⁽٧) السّير الوبيل هنا هو السير الذي تخشى عاقبته .

⁽٨) تَيُّههُ : أَضَلُّه ، وضيَّعه .

حَطَّمَ الكاساتِ ذَيّاكَ النَّمِلُ ورأى لَكِسنُ بِعَيْسنِ الظَّاهِسرِ وانْطِلاقاً شاءَ مِنْ طِيْسنِ البَّدَنْ وانْطِلاقاً شاءَ مِنْ طِيْسنِ البَدنُ ومَقَامٌ للإله ما يسريل إنَّ يَلْكَ السَدَّاتِ شَسْرُحٌ لِلْحَياة ظلَّ في « لا » وَحْدَها هذا العَجِيب طلَّ في « لا » وَحْدَها هذا العَجِيب عن تجلُّ ما لديهِ منْ خَبَرْ طلْعةُ الإنسانِ راقَتْ مِنْهُ عَيْنا طَلْعةُ الإنسانِ راقَتْ مِنْهُ عَيْنا أَوْ عسنِ النَّاس تسراه رَاغِبا لَيْتَهُ منْ عَاشَ في عَصْرِ لأَحْمَدُ لَيْتَهُ منْ عَاشَ في عَصْرٍ لأَحْمَدُ عَقْلُهُ لِللَّذَاتِ قال : اسْتَمِسزِ عَقْلُهُ لِللَّذَاتِ قال : اسْتَمِسزِ عَقْلُهُ لِللَّذَاتِ قال : اسْتَمِسزِ

وَعَسِنِ اللهِ وِذَاتِ مُنْفُصِلُ السَّرِقِيقَ فِي العنيفِ القَاهِرِ وَحَروجُ الحَبُّ فِي قلبِ قَطَنْ وَحَروجُ الحَبُّ فِي قلبِ قَطَنْ وَعَسِنِ العَقْلِ البَعيدِ والبَعيد ! « لا » و « إلّا » مِنْ مقاماتِ لِذَاتْ عَنْ مَقَامِ « عبده » وَهُوَ الغَرِيبُ عَنْ مَقَامِ « عبده » وَهُوَ الغَرِيبُ كَمُارٍ أَبعدوها عنْ شَجَز! كَمُانٍ أَبعالُ أَبنا وَكُمُ وسَاحَ ذَلِكَ الإنسانُ أَينا وَكُمُ وسَاحَ ذَلِكَ الإنسانُ أَينا وَكُمُ وسَلِي لِلقَاءِ طَالِبَا لِلقَاءِ طَالِبَا لِلقَاءَ طَالِبَا لِلْعَاءِ وَهُوَ سَرْمَدُ (١) لِيَعِيشَ فِي الحُبُورِ وَهُوَ سَرْمَدُ (١) أَنْتَ فِي خيرٍ طريقٍ ، فَلْتَسِرْ

وَتَقَدَّمُ قَدُ دنا هذا المَقَامُ طَالَ فيه ، وبالا حرف ، كالامْ

* * *

الرَّحِيْلُ إلى جنَّة الفِرْدَوْس

انْطَلَقْتُ مِنْ حُدُوْدِ الكائِنَاتُ عالماً وافَيْتُ يَخْلُو مِنْ جِهَاتُ لَيْسَ فِيهِ مِنْ بِهَاتُ لَيْسَ فيه مِنْ يمينٍ أو يَسَازُ لا ولا ليسلٌ أتسى بَعْدَ النَّهاز عِنْدَهُ قِنْدِيْ مِنْهُ كلامي قَدْ جَمَدْ عِنْدَهُ قِنْدِيْ لَا وَلا ليسلٌ أَسَى بَعْدَ النَّهاز عِنْدَهُ قِنْدَهُ وَنْدَهُ مَدْ أَوْرَاكِي خَمَدْ هيبةً مِنْدَهُ كلامي قَدْ جَمَدْ عِنْدَهُ وَلِيسَانِ الطِّينِ لِلدُوحِ المَقَالُ !؟

بِلِسانِ الطِّينِ لِلدُوحِ المَقَالُ !؟

⁽۱) أحمد: هو الشيخ أحمد السَّرهندي المتوفى عام ١٥٦٤م ، ذلك الصُّوفي الهندي الذي عاصر أكبر ، وجهانكير من أباطرة المغول في الهند . وقد عرف بمجتهد الألف الثاني ، وكان ضدَّ غُلاة المتصوَّفة .

والحبور : السرور . والسَّرمد : الدائم .

طيرانُ الطّيرِ في السِّجْنِ المُحَالُ (١)

عالماً للروح خُص بالنَّظُرْ ما الفوادُ ؟ عالم لا لَوْنَ له ما الفوادُ ؟ عالم لا لَوْنَ له ساكن والسَّيْسُرُ منه في ازدياد حارَ هذا العقلُ في تِلْكَ الحقيقه والخيالُ عَيْسرهُ عَنْه أختلَه اختلَه من يقولُ إنَّ هذا في السَّما أسرورُ مَنْ رأى يوماً حَبِيبَا أيضط العَيْنَيْنِ أوْ خُذْ بالكرى

فَبِنُسورِ السذَّاتِ نسورٌ لِلْبَصَسرُ لَيْسَ فيهِ الحدُّ فانظُرْ كلَّه كلُّ حالٍ كلُّ فكرٍ في الفؤاد سارَ وهو لا يرى حتَّى طَرِيْقَه ذاكَ في الجوزا وهذا قَدْ أَسَفَ⁽¹⁾ بجوارِ من على الأرضِ ازتمى مِنْ سُرُورِ ناشقِ كانَ القَريبا⁽¹⁾ فَبدُونِ الشَّمس قَلْبٌ قَدْ يُسرَىٰ فَبدُونِ الشَّمس قَلْبٌ قَدْ يُسرَىٰ

فضّل السدُنيا على دُنيا الفُوادُ بالقياس حِرْتُ في شَرْح المُرَاد

هـذه دنياكَ فيها غَيْرُها وتسدومُ ، وبها دامَ التَّغَيُّر ولها دوماً جديدٌ مِنْ كمال لا تُرى فيها الشَّموسُ والبُدور كلُّ ما في الغَيْبِ يبدو في سُفُورْ بلساني هَـلُ أصيبُ وَضْفَها الجبالُ أنْبَتَتْ حُمْرَ الرُّهورُ

«كنُ فكانَ » غَيْرُ تِلْكَ نَجْرُها(٤) لا يراها الوَهْمُ ، إنَّ العَيْنَ تَنْظُرْ كلَّ يوم كانَ لونٌ مِنْ جمال(٥) تسعة الأفسلاكِ فيها ما يَدُورُ قَبْلَ أَنْ يَخْفِقَ قَلْبٌ بالشَّعورُ يا لها نورُ الحياةِ يا لها !(١) في الرياض النَّهُرُ يجري بالخَرِيرُ

⁽١) المقال : القول . والمراد بالسجن هنا : قفص الطير .

⁽٢) الجوزاء : برج في السماء . وأسف الطائر : دنا من الأرض في طيرانه .

 ⁽٣) نشق ريحاً طيبة : شمها . والمعنى أنَّ سرور من يشاهد الحبيب ليس كسرور من يشمُّ الرَّيح التي تأتى من محلته .

⁽٤) النجر: الأصل.

⁽٥) لون : نوع . وكان هنا تامة .

⁽٦) في الأصل: إن هذه الدنيا هي النور والحضور والحياة .

البَسراعِيسمُ زَهَستْ السوائها نفخةُ الأبسرارِ منها كونُها(۱) اللَّجَيْسنُ المساءُ والأنسامُ عَنْبَسرُ والقِبَابُ للقُصورِ ، تِلْكَ جَوْهَرُ(۱) الخيسامُ مِسنْ يسواقيستِ وتِبْسرِ وجبيسنُ الغِيْسدِ بالمسرآةِ يُسزْدِي قال لي « الرومي » أسيرٌ للقياس ؟ عَنْسكَ دَعْ كلَّ اعتبارِ لِلْحَواس بالتجلّي الخيسرُ كانَ والشُّسرور جَنَّةٌ كانَتْ كما كانَ السَّعِيسر القُصُورُ كالرَّبيعِ في النَّظُورُ أصلُها الأعمالُ لا ذاكَ الحَجَرُ! السَّمِيسِ مِن يَستَّدِهِ وَلجنْدِ كانَ مَظْهَرُ وَلِهُ وَلجنْدِ كانَ مَظْهَرُ وَلِهُ ولجنْدِ كانَ مَظْهَرُ وَلِهُ ولجنْدِ كانَ مَظْهَرُ وَلِهُ ولجنْدِ كَانَ مَظْهَرُ وَلِهُ ولجنْدِ ولجنْدِ كَانَ مَظْهَرُ وَلْمُ ولجنْدِ كَانَ مَظْهَرُ وللْمُنْدِ ولجنْدِ كَانَ مَظْهَرُ وللْمُنْدُودِ ولجنْدِ كَانَ مَظْهَرُ وللْمُنْدِ ولجنْدِ كَانَ مَظْهَرُ وليُحْدُونُ وليُسرُودِ ولجنْدِ كَانَ مَظْهَرُ وليُ ولمُنْ فَلْهُ ولاَدِ ولجنْدِ كَانَ مَظْهَرُ وليُ وليُ ولمُنْ ولا ولمُنْ المُنْهُ ولا ولمُنْ ولا ولمُنْ المُنْهُ ولا ولمُنْ والسُّودِ ولجنْدِ ولجنْدِ كَانَ مَظْهَرُ ولمُنْ والمُنْدِ ولمُنْ والمُنْهُ ولمُنْ وليُسْرُودٍ ولجنْدِ كَانَ مَظْهُ ولا ولمُنْ والمُنْهُ ولا ولمُنْ ولهُ ولمُنْ والمُنْ والمُنْ والمُنْهُ ولمُنْ ولمُنْ وللسُّورِ ولجنْدِ ولمُنْهُ ولمُنْ والمُنْهُ ولمُنْ ولمُنْ واللَّهُ ولمُنْ والمُنْ والمُنْ والمُنْهُ ولمُنْ ولمُنْ ولمُنْهُ ولمُنْ ولمُنْ ولمُنْ ولمُنْ ولمُنْهُ ولمُنْهُ ولمُنْ ولمُنْ ولمُنْهُ ولمُنْهُ ولمُنْ ولمُنْ ولمُنْ ولمُنْ ولمُنْهُ ولمُنْهُ ولمُنْ ولمُنْهُ ولمُنْهُ ولمُنْ ولمُنْهُ ولمُنْهُ ولمُنْ ولمُنْهُ ولمُنْ ولمُنْهُ ولمُنْ

الحياة ، هاهنا هذا النَّظر وسِول فسندَر وسِول فسندَر

* * *

قَصْرُ شَرَفِ النِّسا(٣)

عُشُ ياقوت أراهُ في عُلاه ذَاكَ قَصْرٌ ذو قِبَابٍ عَالِيَاتُ رغبة العِلْم وُهِبْتَ سَالِكَا

ومِنَ الشَّمْسِ الخراجُ قَدْ جَباه ضمَّ حوراً في ثياب المُخرِمات من لهذا القَصْرِ كانَ مَالكا⁽³⁾

⁽١) البراعيم : جمع برعوم : وهو الزهرة قبل تفتحها . يقول : إنَّ الأبرار نفخوا نفخة أوجدتها .

⁽٢) اللجين : الفضة . والأنسام جمع النسم ، وهي الربح اللينة .

⁽٣) شرفُ النَّسا: حفيدةُ أحد حكام البنجاب على عهد الإمبراطور المغولي بهادرخان . ويقال: إنَّها أقامت في قصرها منصةً لتتلو القرآن عليها كلَّ صباح وإلى جانبها سيف . وكانَ المصحف والسيف على تلك المنصَّة دائماً . وأوصت بدفنها بعد موتها مع السَّيف والمصحف في ذلك الموضع .

⁽٤) السَّالك: المريد في أول عهده بالتصوف.

وتغنّى طيره بَيْنَ المسلائك (۱)
وفتاة لسم تَلِسدْها أَمُنا وفتا أَمُنا سرُها يخفى على الدُّنيا خَفَا ولعين حاكم البنجاب نُورُ فقرها ذِحُرى ستبقى لِللاَبَدْ فقرها ذِحُرى ستبقى لِللاَبَدْ بَرْكِهِ ما فَكَرَتْ بِرهة في تَرْكِهِ ما فَكَرَتْ الله السَّكْرى وما ذاقت مُدَاما (۲) إنّها السَّكْرى وما ذاقت مُدَاما (۲) أمّها خصّتْ بِمُلْتاعِ التُقاة (۳) أمّها خصّتْ بِمُلْتاعِ النَّظَرُ شاهدي ما في يَدِيْ أَوْ ما بِخَصْرِي (٤) شاهدي ما في يَدِيْ أَوْ ما بِخَصْرِي (٤) مخوراً كانا لِدَوْمِ الكائِنات (٥) مضحفي والسيف مني قدربي ليس لي يا أَمُّ شيءٌ آخر وسي مضحفي والسيف مني قدربي لا تزيني في التُرابِ مَضْجَعي (۱)

الكتابُ والحُسَامُ حَسبُنَا الكتابُ والحُسَامُ حَسبُنَا بهمَا يَابُونانُ حَقًا قَبْرُنا

وقروناً تَختَ تِبْرِ لِلِقبَابُ قَدْ تحلَّى بِالحسامِ والكِتَابُ(٧)

⁽١) أي تَغَنَّى الطيرُ الذي حطَّ على سطح هذا القصر مع الملائكة.

⁽٢) السَّيفُ الحسام: القاطع.

⁽٣) التقاة : التقوى .

⁽٤) المصحف في يدها ، والسَّيف معلقٌ بخصرها .

⁽٥) الأيد: القوة.

 ⁽٦) وعى الكلام: حفظه وتدبره. وهي ترغب إلى أمّها ألا تقيم لها قبراً يزدانُ بالقبابِ
 والقناديل.

⁽٧) التبر: الذَّهب.

ولنا المَرْقَدُ في دُنيا الشَّتَاتُ علَّم المؤمنَ معنى لِلْحَيَاة (۱)

نَفْسَهُ المسلمُ حَقَّا قَدْ ظَلَم فالبساطُ ما طوى دَهْرٌ وَضَمّ

وهو في غير الإله فكَّرا أَصْبَحَ الثَّعْلَبُ ، كانَ القَسْورا(۱)

ولهيبُ القلبِ فيه ما انْدَلَعْ أَنْتَ في البنجاب تدري ما وَقَعْ ؟

مِنْهُ سَيْفٌ وكتابٌ ما حُمِل ولـذا الإسلامُ فيه قَدْ قُتِل "(۳)

安安安

زيارةُ الأميرِ الكبيرِ سيِّد علي همداني ومُلاَّ طاهر غني كشميري^(٤)

حَـرَّقَ الأضلاعَ لِلـرُّومــيِّ قــولُ آه يــا بنجــابُ ! مِثْلَ خِلَّاني اضطربتُ في الجنانِ وَمِـنَ الهــمِّ ذكـر وإذا صـــــوتٌ لآلامٍ وَحُــــــزْنِ منْ ضِفَافِ الكَوْ « وأردتُ حَرْقَ نفسي ولذا جَمَّعتُ قشًا

آه يا بنجابُ! يا أرضاً تُجَلُّ وَمِنَ الهمَّ ذُكرتُ ما عَرَاني (٥) منْ ضِفَافِ الكَوْثَرِ الصَّافي بأُذْني ولذا جَمَّعتُ قشَّا

⁽١) الشَّتات : التفرق .

⁽٢) القَسْوَرُ: الأسد.

⁽٣) يقول : إنَّ طائفة السِّيخ هي التي أبعدت القرآن والسيف عن البنجاب . وفي عقيدةِ السِّيخ : أنَّ كل إنسانِ جديرٌ بالإجلال والتقدير بقطع النظر عن دينه ومذهبه ، ومرَّت الأيامُ وحاربَ السيخُ المسلمين .

⁽³⁾ الأمير سيد علي همداني صوفيًّ مرموقُ المنزلة عالي القدر . كان صاحب مشورة أمير كشمير ، ولد في همدان ، وعاش طويلاً ، وأفاد الناس بعلمه في كشمير ، وتوفي عام ١٣٨٥م . ومُلاً طاهر غني كشميري ، شاعرٌ من أهل كشمير ، كانت وفاته عام ١٦٦٩م . كان واسع الخيال ميالاً في شعره إلى التمثيل والتخييل ، وعلى فقره ورقة حاله عُرِفَ بغنى النفس ، فكان اسماً على مسمَّى .

⁽٥) عراه: أصابه،

ويظنُّ الوردُ أنِّي في الرياض رُمْتُ عُشًّا ﴾ !(١)

يا بُنَيَّ ما مَضَىٰ لا تَلْكُرنَّهُ الفقيسرُ ، وغِنَاهُ مِنْهُ ظَاهِسرُ عِنْدَ هَذَا السَّيِّدِ العالي المَقَامُ كُفُّه مِعْمَارُ تقديسِ العَجَمْ (٢) كُفُّه مِعْمَارُ تقديسِ العَجَمْ (٢) اسْتَمَادُ آلسهُ فِكُسراً وحقَّا مرشدٌ لِلْكُلِّ بِلْ نِعْمَ المُشيرُ مَرشدٌ لِلْكُلِّ بِلْ نِعْمَ المُشيرُ فَضْلُهُ عِلْمٌ وَتَهْذيبٌ وَدِيْنَ (٣) بصفاتِ الخَيْرِ والحُسْنِ الكثير، والحُسْنِ الكثير،

قالَ لي الروميُ « ما يأتي أنْظُرَنَهُ هو ذا « طاهر غني » أو خير شاعِر إنَّهُ النَّشُوانُ غَنَّسى فسي دوام سيَّدُ السَّاداتِ منْ سَأْدَ العَجَمْ الغسزاليي دَرْسَهُ لمَّا تَلَقَسى في بسلادٍ وهي لِلْخُلْدِ النَّظيسر في البلادِ ذلكَ البَحْرُ المَعينُ في البلادِ ذلكَ البَحْرُ المَعينُ أنَّه مسنْ شَادَ إيسرانَ الصَّغيسرَهُ

عقدة بالعَيْنِ حلَّ كالحكيم قُمْ تلقَّ ما لديهِ في الصَّمِيمُ (٤)

* * *

في حضرة أميرِ همدان زنده رود

يَطْلُبُ الطَّاعةَ والشيطانَ يَخْلُقُ! وابتغيى ممَّا عَمِلْتَ أَخْسَنَهُ! (٥) ما ابتهاجي صاحبي بِئْسَ المُقَامِرُ

أفهمنّي سرَّ ربِّي ، أنت تَصْدُقُ كَالَ مُن مُن أنت تَصْدُقُ كَالُ مُن أنت تَصْدُقُ دَيَّن الموجود زيَّن ذاكَ سِحْرٌ مِنْهُ لي شكُّ يخامرُ

⁽١) هذا البيت لطاهر غني كشميري . وقد ترجمناه طبق وزنه في الأصل .

⁽٢) كان طاهر غني ينظم بالفارسية ، ويقول : إقبال عنه : إنَّه قُرَّرَ مصير الفرس .

⁽٣) مَعَنَ الماءُ فهو مَعِيْن : أي جرى .

⁽٤) ما لديه: أي ما لديه من فضل وصفاتٍ حميدة.

⁽ه) أي : أراد منِّي ألا أعمل إلا خيراً .

مِنْ ترابِ حُفْنةٌ ، وهو الفَلَكُ ما عَمِلْنا ، ما ذَكَرْنا ، والألم كلُ من يدري عن الذَّات الخَبَر حُسبُ إنسانِ لشيطانٍ وَبَالْ وَبَالْ وَعِلى الشيطانِ أنتَ فالحمِلَنْ وَعِلى فَلْتُجاهِرْ وَلْتُجالِدْ ، كنْ وَحيًا

أطريتٌ لَيْتَ شعري ما سَلَكُ! كانَ عضًا للبَنانِ من نَدمَ يخلقُ النَّفعَ لديه مِن ضَرَرُ هزمه الشَّيطانَ في حرب جمَالُ كُنْ حُساماً وَلْيَكُنْ نِعمَ المسَنْ لا تَكُنْ في العالمينَ ذا الشَّقيَّا

زنده رود

كسلُ إنسسانِ أحساهُ يسأكسلُ تتلطَّى السرُّوحُ من هسذا البَلَد شعبُ المسانِ المُحسْنِ اشْتَهَرُ شعبُ المُحسِنِ اشْتَهَرُ دُحْرِجتْ كأسٌ ولكنْ في دِمَاه مُنْذُ أَنْ ضَيَّعَ من ذاتٍ نصيبا طللَّ في أيسدي سواه أجسرُه ومَضَتْ في سَيْرِها كلُّ القوافل ومَضَتْ في سَيْرِها كلُّ القوافل ماتَتِ الجذْبَةُ فيه وَهْوَ عبدُ لا تظسنَ أنَّه كسانَ المهينسا

لِيَعِيشَ الشَّعْبُ شَعْباً يَقْتُل (1) ويشنُّ القَلْبُ أَضناهُ الكَمَد (٢) وهو في الآفاقِ معروفُ الخَبَرْ ناحَ نابي للأليم منْ أَسَاه كان في أوطانِه هذا الغريبا وشباكَ الغَيْسِ أرضى نَهسرُه أَفْسَدَ الأعمالَ شأن كل غافل ولنار في العُروقِ كانَ خَمْدُ (٣) في التُراب دائماً أدلى الجَبينا (٤)

إنَّه فيمها مضى خاضَ الحُروبا وتحددًى وهُو ذو البأس الخُطوبا

وكفُوفُ النَّارِ تَبْدُو في الشَّجَـرُ

قمة للثَّلْج فاغْمُرْ بالنَّظَرْ

⁽١) في الأصل أنَّ الشعب يرعى شعباً غيره كما ترعى الماشية العشب في المرعى لتعيش -

⁽٢) يتلظَّى : يشتعل . الكَمَدُ : أشدُّ الحزن .

⁽٣) الخمد: الخمود.

⁽٤) المهين : الحقير .

والتُّراب ماجَ باللَّونِ البَديع مِثْلَ قُطْنِ عِنْدَ ندّافٍ يَطِيرُ(۱) قد رأيتُ الله عني ما اختجَبُ^(۲) وتلوتُ شِغرَ « مولانا » العَظِيمُ^(۳) ما الرَّبيع غَيْرَ ذا الشيء المَهينُ بالنَّسيم شُقَ ثوبٌ أخَضَرُ⁽³⁾ نرجسٌ في طُهْرِهِ فاق القَمَرُ

السواقيت حصاه في السربيع والسَّحاب حول أجبال يَدُورُ والسَّحاب حول أجبال يَدُورُ ذاكَ قرصُ الشَّمس في بحرٍ غَرَبُ في «نشاطٍ » سِرْتُ في ركب النَّسيم قالَ طيرٌ كانَ في أعلى الغصون نَرْجس يَرْكُو وزَهْرُ أَحْمَرُ مِنْ قديمٍ في الجبالِ قَدْ ظَهَرُ مِنْ قديمٍ في الجبالِ قَدْ ظَهَرُ

كهم رأينا من ورود أينَعَتُ ثُنَّ كَشَهُ الْبَعَتُ (٥) كشهابِ أرضُنا منا أنْبَتَتُ ثُنَّ مَا

ب الشَّكَ اةِ نَاحَ غِرِيدُ السَّحَرِ فَأُوارُ الوَجْدِ فِي رُوحِي اسْتَعَرْ ورأَتْ عَيْنِ ايَ مجنونَ الطَّربُ كُلُّ ما جمَّعتُ منْ صَبري سَلَبْ

* * *

امض عنّا ، دَعْكَ من نوح فَمِلْ عن نوح فَمِلْ عن نوح فَمِلْ عن طِلسُمِ اللَّونِ في الأزهار مِلْ قلست إنَّ الطالِق وَرُد مِلْ في أوراق وَرُد مِنْ بَكي في الشَّطُ غِرُ أَوْ خبال (٢)

 ⁽١) الأجبال : الجبال . والنَّداف : ضارب القطن بالمندف ليرقّ .

 ⁽٢) يقول: إنه شاهد قدرة الله في روعة الطبيعة.

⁽٣) نشاط: اسم حديقة في كشمير. ونشاط في الفارسية بمعنى سرور. يقول: إنه أنشد شعراً مشهوراً لمولانا جلال الدين الرومي نظمه على لسان الناي ومنه بيت يقول فيه إنّ ما يتردد في الناي ليس هواء بل نارُ العِشْقِ الإلهي.

⁽٤) زكا الزهر : نما . ويريد بذلك الثوب الأخضر الذي يشقه النسيم أكمامَ الزهر .

⁽٥) أينعت الثمرة : بلغت نضجها . وقد استعير ذلك للزهرة ، وشهاب الدين المتوفى عام ١٣٧٤هـ من سلاطين كشمير ، وقد بلغت بلاده في عصره ذُروة التقدُّم في تاريخها .

⁽٦) الغر: من لا تجربة له . والخبل: المجنون .

أين ضِغْثُ الرَّيش من تلك الأغاني عيد ن روح لغندي تَنْهم لُ (١) الأغاني عيد ن روح لغند في يسا صَبَا أَنْهم الله مَسَلَ (٢) بلغسي العُصْبَة عنَّي ما نُقِلُ (٢) بينعت بينع في الله في الله في الله في الله الأرضُ بيعست وأنساسٌ ، ولَهُم سِغْد رُّ مُسلِل (٣)

أمير همدان

اسْمَعَنَّ القَوْلَ لا يُنْسَىٰ ويُدْكَرُ ولاجَلِ السرُّوحِ جِسْمٌ يُصْهَرُ ولاجَلِ السرُّوحِ جِسْمٌ يُصْهَرُ يَا بِنَيَّ ، منه أِنْ جَزءاً قَطَعْتَ الْ بَذَلْتَ الرُّوحِ لَكَنْ وهي سَكْرَىٰ فَيُلْ الْجَبْنِي أَيْنَ للسرُّوحِ النَّظِيْسِ الْنَا حَفِظْتَ السرُّوحَ مَيْتا أَصْبَحَتْ مِنْ السرُّوحِ النَّظِيْسِ الْنَا حَفِظْتَ السرُّوحَ مَيْتا أَصْبَحَتْ مِنْ السَّرُوحِ وفي سُكْرِ التَّجَلِّي ما هي الرُّوحُ وفي سُكْرِ التَّجَلِّي ما هي الرُّوحُ وفي سُكْرِ التَّجَلِّي ولسربي قُلْ أَجِبْنِي كَيْفَ تُنْشَرُ ولي السَّكْرِ أَنتَ اللَّاتَ تَظْلُب بِتَجلِّي السَّكْرِ أَنتَ اللَّاتَ تَظْلُب بِتَجلِّي السَّكْرِ أَنتَ اللَّاتَ تَظْلُب اللَّاتَ عَقَفْتَ الفَنَاء وَسَيْنًا ما رَأَى اللَّاتَ ، وشيئًا ما رآه مَنْ رأى اللَّاتَ ، وشيئًا ما رآه

التُّرابُ جِسْمُنا والرُّوحُ جَوْهَرْ مَنْ ترابِ إِنَّه لا شَكَّ أَطْهَرْ دُلكَ الجرزُ بِلا ريب أَضَعْتا عادتِ الرُّوح إليكَ وهي حَيْرَىٰ فهي في قيدٍ ومِنْ قَيْدٍ تَطِيْر ! فهي في قيدٍ ومِنْ قَيْدٍ تَطِيْر ! إِنْ بَذَلْتَ الرُّوْحَ نوراً أَشْرَقَتْ ما هي الرُّوحُ وما عنها التَّخَلِي وبها الطُّورُ العَظِيْمُ كَيْفَ يُصْهَرُ في الليالي السُّودِ لاحَتْ مِثْلَ كَوْكَبُ والوجودُ ، كَانَ لِلذَّاتِ العَطَاءُ (٤) والوجودُ ، كَانَ لِلذَّاتِ العَطَاءُ (٤) سَجْنَهُ أَخِيلاً مُصَالًا قَيْدُ حَدواه والوجودُ ، كَانَ لِلذَّاتِ العَطَاءُ (٤)

⁽١) انهملت العين: سال دمعها. وفي الأصل أنَّ روح غني في حداد على أملها.

⁽٢) العصبة : هي عصبة الأمم وكان مقرها مدينة جنيف بسويسرا .

⁽٣) أردنا بالسَّعْرِ المذل : السِّعْرِ الرخيص للغاية .

⁽٤) الوجود هنا هو وجود الذَّات .

لسعة من شهده اخلَىٰ وَأَطيَبُ!

ذَاكَ نَشْوَانُ التَّجَلِّي ، وهـي مَطْلَبْ وتسرى السرُّوحَ رياحاً نَظْرَتُهُ مَا سَجنُه سِجْنٌ تَهُولُ رَجْفَتُهُ (١) يرفعُ الفاس لِتَحْطِيْم الصَّفاة لنصيبِ قدْ ينالُ منْ حياة (٢)

تَـــرَكَ الــــرُّؤَحَ لِتَعْــــدُو خَلْفَـــهُ وَبِغَيْسِ التَّسِرُكِ كِانِسِت ضَيْفَهُ

زنده رود

يا حكيمُ غَيْرَ هذا لوْ ذَكَرْتَا(٣) كلُّ أسرارِ الملوكِ كم وَعَيْت قُلُ لماذا مجَّدوا عرشاً وتاجا(٤)

أنْتَ خيراً ثُمَّ لي شرًّا شَرَخْنَا وإلى لُبُ المعاني قَدْ هَدَيْتَ فقراءٌ ، حاكم يبغي الخَراجا

أمير همدان

كانَ إِرْضَاءً لِشَغْبِ أَوْ لِحَرْبِ لسوى اثنينِ الخراجُ كالحرام(٥) في الكتابِ قولُه برهانُهُم (٦)

أَصْلُ هذا المُلْك في شرقٍ وَغَرْبِ ؟ وأقولُ لَكَ يا عالي المَقَامُ لأولى الأمـر وا منكـم ا شــأنُهُــمْ

يشبه الروح بالريح على أنَّ الريح لا ثمن لها . (1)

الصفاة: الحجر الضَّخم الصَّلد. **(Y)**

لو هنا للتمني . (٣)

أي: نحن فقراء . (3)

أى : أنَّ أداء الخراج حرامٌ إلا إلى اثنين . (0)

قال تعالى في سورة النساء : ﴿ يَمَانَتُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا الَّهَ وَالْطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] ، فالأمر بطاعة أولي الأمر إذًا أمروا بطاعة الله ورسوله .

أو نَجيدٍ مِثْلَ ريحٍ عاتِيَة بالقتالِ يَفْتحُ البُلدانَ فَتْحَا فارسٌ والهندُ ممَّا يُشْتَرىٰ جام جمشيد العجيبُ والنَّفيس الرُّجاجُ لكَ مالٌ إنْ شَرَيْتَة

جاد في الحرب بنفس غَالِيَه (١) وهي تمس مُلْكَهُ إِنْ شَاءَ صُلْحَا لا يُنالُ المُلْكُ منْ هذا الوَرَىٰ(١) أيساعُ مِثْلَما بيعت كووس (٣) أيُ نَفْع للرُّجاج إِنْ كَسَرْتَهُ

* * *

غني

من أفاد الهند تخطيم القُيُود عقسلاء يُنسبُ ونَ لِلْبَراهِم من أولي العرفان أصحاب النظر أرضنا كِشمير منها أصلهم أرضنا كِشمير منها أصلهما أن حَسِبْت الأرض تخلو من شرر أصل تِلْكَ النَّارِ أينَ ؟ لَيْتَ شعري أصل تِلْكَ النَّارِ أينَ ؟ لَيْتَ شعري

أيكونُ الصَّيْدُ يوماً كالصَّيُودُ⁽¹⁾ عِنْدَهُمْ قَدْ أُخجلت حُمْرُ البَراعِمُ⁽⁰⁾ أي غربي رآهم لم يَحَرِ وبها لا بِسواهما نَجْمُهُمَ فَلْ البَراعِمُ وأَطِلْ فيه النَّظُرُ⁽¹⁾ ونسيمٌ للرَّبيع وَهْوَ يَسْري^(۷)

في الجبالِ عندنا خفيقٌ لريح

⁽١) النجيد: الشجاع.

⁽٢) الورى: الناس.

 ⁽٣) يقال: إن ملك الفرس الأسطوري جمشيد كانت له كأس رسمت في قاعها الأقاليم
 السبعة . وهذه الكأس في شعر الفرس الصُّوفي رمز لقلب المتصوِّف .

⁽٤) الصَّيدُ : الفريسة التي تصاد . والصيود : الكثير الصيد .

⁽٥) البراهم: البراهمة.

⁽٦) الشرر: ما يتطاير من النار.

⁽٧) سرى: سار عامة الليل.

وبها تختالُ في لـونٍ وريـح(١)

موجةٌ قالتُ لموجاتٍ أُخَرُ(٢) هل عَلِمْتَ أَنَّ يبوماً في وُلُر لو حوانا البرُّ يوماً في اجتماع^(٣)! طالَ في البحر بنا عُنْفُ الصّراع منه في الوادي وفي السَّفْح الهَزِيْم (٤) وابننا أي ذلك النَّهـرُ القــديــم كي يُزِيْلَ شَافَةَ الطَّوْدِ العَتيَـقُ (٥) يَضْرِبُ الأحْجَارَ في عرض الطريق ارضعت الف أمّ ثُمم شَب منْ فتى في كلِّ أرضِ قَدْ غَلَبْ لم يَجد عِنْدَ سوانا المَصْدرا إنَّه بالعُنْفِ أَبْدَىٰ المَحْشَرا في الطُّريق حطُّ ما صَخْراً يُمَاثِلُ (٦) ما الصَّوابُ عيشُنا في حدِّ ساحِلُ يا مُديم السَّبْح في لُجِّ الزَّبَدُ(٧) إِنَّ إلىفَ الشَّـطِّ مـوتُ لــلأبَــدْ

الحياة السيرُ في غورٍ وَنَجْدِ يُسْعِدُ الموجِةَ جزرٌ بَعْدَ مددً

أنْتَ في وَجْهِ الحياةِ مَنْ قرأتَ السَّرِّفِيرَ لكَ هذا القَلْبُ أَحْرَقْ النَّسواحُ للطَّيورِ مِنْ رَجِيْعِكْ وَفَتَحْتَ النَّهُ مَنْ طَبْعٍ هُنَاكا إِنَّ مِنْكَ الصَّوْتَ أَجراسُ القوافِلُ إِنَّ مِنْكَ الصَّوْتَ أَجراسُ القوافِلُ

ذلك الشَّرْق الحياة من وَهَبْتَ ضقت صَدْراً وَلدَيْنا الصَّدْرُ أَضْيَقْ والدَيْنا الصَّدْرُ أَضْيَقْ والدَيْنا دَمُوْعِكْ (^) والدَيْنا دُمُوْعِكْ (^) والمنى في الرُّوحِ كانَتْ مِنْ مُنَاكًا ولكشمير أراكَ غَيْرَر آمِلُ

⁽١) الريح: الرائحة.

⁽۲) ولر: اسم بحيرة في كشمير.

⁽٣) لوهنا للتمنى.

⁽٤) الهزيم: صوت الرعد.

⁽٥) شأفة الطود: أصل الجبل.

أي : أنَّ عيشنا على الساحل ليس صواباً لأنَّ صخر الساحل عقبةٌ في طريقنا . ويماثل :
 يشبه .

⁽٧) اللج: معظم الماء.

 ⁽٨) الرَّجيع : كلُّ متردِّد . والمرادُ هنا الكلام والشعر . الوضوء : ماء الوضوء .

في الصُّدُورِ لم يُمِتْ يأسٌ فؤادا قِفْ تَمَهّلْ لِتَرَىٰ مِنْ غَيْرِ صُورْ وتاؤه يا فَتَائِ لا تَبْتَسِسْ كم بلادٍ تَحْتَ أَفْلَاكِ السَّماء إنَّ هذا المُلْك أوهى منْ حَبَابْ إنَّما الشَّعْرُ المصير قادرا أنتَ إنْ جَرَّحْتَ هاتيكَ القُلوبا الغناءُ لكَ مِنْ شِعْرِ تَلَوْتَهُ

تَحْتَ ثلج لم يَصِرُ جَمْرٌ رمادا كيفَ قَامَ الشَّعْبُ مِنْ جَوْفِ القُبُورُ أخضراً أخرِقُ وأخرِقُ ما يَسِسُ^(۱) أحرقتها نارُ قَلْبِ الأشقياءُ^(۱) وهوَ بالأنفاسِ محتومُ الخَرابِ^(۱) والشعوبَ قد بني أوْ دمَّرا لم تَجِدْ في هذه الدُّنيا ضريبا⁽¹⁾ ما وراء الشَّغرِ شعرٌ أنْتَ قُلْتَهُ

جَــدِّدِ التَّخــرِيْــكَ والتــاثيــرَ جَــدُّدُ رَدِّدِ الأَلحــانِ فـــى الجنَّــاتِ رَدِّدُ

*

زنده رود

اغْزِفَنَ ، نَشُوةَ الدَّرويشِ هذي فائلفنْ إِنْ نضجت ملكَ جمشيد العريضَ فامْلُكَنْ (٥) ثُمَّ قالوا هذه الدُّنيا لنا هَلْ ترتضيها ؟ قلتُ لا ، لا أرتضيها ، قِيْلَ هيَّا هدَّمَنْ ليس في الحانات كفءٌ بالرِّضا مِنَّا جَدِيرُ

⁽١) ابتأس : حزن .

⁽٢) الأشقياء: ضد السعداء.

⁽٣) الحباب : النفاخات التي تعلو الماء والشراب ، وهو يزول حتماً إذا نفخ فيه .

⁽٤) الضريب: النظير.

⁽٥) جمشيد: ملك من ملوك الفرس الأقدمين.

رُسْتُم الأبطالِ حارِب، ومَعَ الساقي امْزَحَنْ (۱) أَنْتَ يا زَهْرُ الصَّحارى، قُلُ أَحقَّقْتَ احتراقاً (۲) في قلوبٍ للأناسي، هذه النَّارُ اضرِمَن كنتَ في قلبٍ لهيباً، ولهيباً في دِمَاءُ وإذا لم تَقْتنِعُ بالقولِ ذا الكونَ اشْطُرَنَ الْكَ العَقْلُ سِرَاجٌ ؟ في الطريق سِرْ تَقَدَّمْ وَلَكَ العِشْقُ مُدَامٌ، فمعَ الحِبُ اشْرَبَنَ (۳) فَلْذَةُ القَلْبِ بدمعٍ مِنْ عيوني في انسكاب في يواقيتِ بدَخشانَ الفُصُوصَ فاصْنَعَنَ (۱) مِنْ يواقيتِ بدَخشانَ الفُصُوصَ فاصْنَعَنَ (۱)

* * *

حديثٌ مع الشَّاعرِ الهنديِّ بَرْترِي هري(٥)

تَسْكُنُ الحورُ القصورَ والخِيَاما هـنه مِنْ خيمة أبْدَتْ جَبِيْنَا كُلُّ قلب في الجِنَانِ قَدْ وَجَدْتُه

بشكاتي يُضبحُ القَلْبُ الضَّرامَا(٢) أختُها مِنْ غرفةِ أَذْلَتْ عُيُونا(٧) بالأسئ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا غَمَرْتُهُ

⁽١) رستم: بطل من أبطال إيران في عصر الأساطير.

⁽٢) يريد الزهر الأحمر الذي يشبه النار.

⁽٣) الحب : الحبيب .

⁽٤) بَدَخْشَان : مدينة تشتهر بالياقوت .

⁽٥) برتري هري : شاعر هندي عاش في منتصف القرن السابع الميلادي . وله أشعار باللغة السنسكريتية في الحبِّ والخلق القويم والزهد .

⁽٦) الضرام: النار.

⁽٧) أدلت عيوناً : نظرت .

« أنْتَ سِحَارٌ » وهنديُّ النَّسَبُ (١) تَجْعَلُ الطَّلَّ اللَّلِي نَظْرَتُهُ (٢) فطرة كانت له مِشْل السَّحَابُ دَفَعَتْهُ مِنْسِكَ أَنْغَسَامٌ إلينا وهبو بالفقر العظيمُ ذو العَلاء يُظْهِرُ الدُّنيا بحرف مِنْ خَفَاء وهبو جسمٌ شِغْرُهُ جامٌ لَهُ (٣)

قالَ لي الشَّيْخُ وبَسْماً قَدْ حَجَبْ شَاعِدُ الهند! وهذي حِرْفَتُهُ (بَرْترِي) يزدانُ بالعِلْم العُجَابُ بُرعُم بَيْنَ يديهِ ما رَأَيْنَا إِنْهُ مَلْكٌ عظيمٌ بالغناء يَرسُمُ الشَّكُلَ البديعَ بالذَّكاء أمرَ هذا العَيْشِ يدري كلَّه

قُد عُــرفنا فنَّــه فنَّــاً عليَّــا وأذرْنـــا بيننـــا قــــولاً طَلِيَّـــا

* * *

زنده رود

أنْتَ يَامَنْ قُلْتَ قَولًا عَبْقَرِيّا يَعْلَمُ الشَّرْقُ بِهُ سَرًا خَفِيًا قَلْ ، لهذا الشَّعرِ مِنْ أَيْنَ اللَّهَبْ أَضْرَمَتْهُ النَّاتُ أَوْ رَبُّ وَهَبْ ؟

* * *

برتري هري

شاعرٌ أينَ يُقيمُ ، مَنْ عَزَفْ ؟ وليه بَدِمٌ وزيرٌ إنْ عَرفُ (١)

⁽١) السَّحَّار: الكثير السحر.

⁽٢) الطُّلُّ : النَّدى .

⁽٣) جم: هو جمشيد من ملوك الفرس الأقدمين . قيل إنه كان يملك كاساً رسمت في قاعها الأقاليم السبعة .

 ⁽٤) اليم : أغلظُ أوتار العود . والزيرُ : أدقُّها .

قلبُ فسي الصَّدرِ وهَاجُ الأوار وببحث روحُنا كانَتْ تَطِيبْ مِنْ كرومِ القَوْلِ يا مَنْ قَدْ ثَمِلْتا وببيت قيل في دنيا الحَجَر

وأمسامَ الله مَعْسدُومُ القسرَار (()
وَطَلَبْنَا ، فلذا الشَّعْرُ اللَّهِيبُ
مِثْلَ ذَيَّاكُ المقامِ لَوْ بَلَغْتَا ! (٢)
في الجِنان تُسْتَبَى ذاتُ الحَوَرُ (٣)

زنده رود

إنَّ أَهلَ الهِنْدِ كانوا في العَذَابُ أَفْهِرَنَّ السرَّ منْ خَلْفِ الحِجَابُ

برتري هري

هذه الأربابُ شَحَّتُ وهيَ مِنْ طينِ وصَخْر «برتري » كان بعيداً عَنْ كنيسٍ بَلْ وَدير سجدةٌ مِنْ ذَوْقِ أعمالٍ خَلَتْ لا خَيْرَ فيها عملٌ تِلْكَ الحياةُ ، وَهوَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرّ عالمٌ أنتَ تسراهُ لَيْسَ من آثارِ رَبّ مِغْزِلٌ بالخَيْطِ دوَّرْتَ ولكنْ لَسْتَ تَدْري أَسْجُدَنَ عندما للعامليسن مِنْ جَزَاء ما لهمُ هذا النَّعِيْمُ والجَحِيْمُ غَيْرَ أَجْر⁽³⁾

* * *

⁽١) وهاج الأوار: متأجج النار.

⁽۲) لو هنا للتمنى .

⁽٣) استباه: سباه في الحرب.

⁽٤) المراد بالأجر هنا: الجزاء سواءً أكان على الخير أم على الشرِّ.

السَّفُرُ إلى قَصْرِ سلاطين المَشْرِق نادر وأبدالي والسُّلطان الشهيد^(١)

« برترِي » قَدْ هَرَّ روحي بالنداء قال لي الروميُّ « عَيْنُ القَلْبِ أَفْضَلْ بِمَقَدِ للسدراويسشِ اعبُسرَنْ وملوكُ الشَّرْقِ في حَفْلٍ كَعِقدْ « نادرُ » النِّحريدُ رمنزُ الاتِّحاد شم « أبدالي » وَقَدْ كانَ البَطَلْ وإمسامُ شُهَداء العَساشِقينا

أَسْكرتني منه صهباءُ الغِنَاء والخروجُ عنْ إطارِ الفِكْرِ أَمثُلْ^(۲) وقصوراً للسلاطينِ انْظُرَنْ عزةُ الأفغانِ أو فرس وَهِندُ^(۳) كانَ للإسلام بُشْرَىٰ بالودَاد⁽³⁾ مَنَحَ الأفغانَ أُسَّا لِلْعَمَال⁽⁰⁾ شرف الأقوام كانَ أَجْمعينا⁽¹⁾

- (۱) نادر: هو شاه أفشار الذي كان قائداً في جيش الشاه طهماسب الثاني آخر ملوك الصفويين، وقد تأتّى له أن يدفع غارة الأفغان على إيران، فتربّع على عرشها عام ١٧٣٦م كان سُنيًا، وبذل وُسْعَه في التقريب والتوفيق بين المذهب السني والمذهب الشبعي الذي كان المذهب الرّسمي للدولة الإيرانية في عهد الصفويين.
- وأبدالي هو أحمد شاه دراني المتوفى عام ١٧٧٣م كان من قادة جيش نادر كما حكم من قبله إقليم مازندران . وبعد مقتل نادر مضى إلى أفغانستان حيث أصبح ملكاً ، واتخذ من مدينة قندهار عاصمة له . ويعدُّ مؤسساً لدولة الأفغان .
- أما السلطان الشهيد فهو تيبو سلطان الذي كان له المُلك في الدَّكن . وقد حارب الإنجليز الذين غلبوا على عاصمته ، ثم قتل في حومة القتال عام ١٧٩٩م .
 - (٢) الأمثل: الأفضل والأدنى للخير.
- (٣) يشبه هؤلاء الملوك في مجلسهم بحبات العِقْد ، ويقول : إنَّ عزَّة الأفغان والفرس والهند بهم . وأو هنا للجمع .
 - (٤) النحرير: العاقل الحاذق.
 - (٥) الأس: الأساس . وفي الأصل : أنه منح الأساس للشعب .
 - (٦) العاشقون هنا عاشقو الذَّات الإلهية من الصُّوفية .

أينَ مِنْ نورِ اسمهُ نورُ الكواكبُ إِنَّهُ كُثَّهُ مِنْ العَاشِتِ وَالْعَاشِتِ وَالْعَاشِتِ وَالْعَاشِتِ وَالْعَاشِتِ وَالْعَاشِتِ وَالْعَاشِتِ وَالْعَاشِتِ وَالْعَاشِتِ وَالْعَاشِتِ الْعَاشِتِ الْعَاشِقِي الْعَلَيْمِ اللَّهِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ اللَّهِ الْعَلَيْمِ اللَّهِ الْعَلَيْمِ اللَّهِ الْعَلَيْمِ الْعَلَيْمِ اللَّهِ الْعَلَيْمِ اللَّهِ الْعَلَيْمِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الْعَلَيْمِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الْعُلَيْمِ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْعُلْمُ اللَّهُ الْمُنْ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ اللَّهُ الْمُعْلِمُ الْمُنْ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ اللْمُعْلِمُ اللْمُعِلَّالِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلَى الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلَمُ الْمُعْلَمُ الْمُعْلَمُ الْمُعْلَمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلَمُ الْمُعْلَمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلَمُ الْمُعْلَمُ الْمُعْلَمُ الْمُعْلَمُ الْمُعْلَمُ الْمُعْلَمُ الْمُعْلِمُ الْمُعِلَّالِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْمُعْلِمُ الْم

وتراه عَيْشَنا هنذا يُسوَاكِبُ (١) جادَ بالرُّوح بِشَوْق دَافَتِ (٢) قَدْ حباهُ فقرُه جَذْبَ الحُسَيْن (٣)

زايــلَ السلطـانُ قصـراً زائــلا مُلْكُه في الهِنْدِ ظَـلً ماثـلا »(٤)

ي لَيتَ شِعْرِي كيف وصفي للمَقَامِ
اء مازَهُم لَكِنْ عجيبٌ مِن ذُكاء
السَّماءُ كلُها تَخوي رحابَه
م يَجْعَلُ التفكيسرَ ذا عجزٍ يُسلَمُ
ع صورةً كانت تجلَّت للرَّبيع
اء غيَّسر الألوانَ مِن ذَوْقِ النَّماء
را تجعَلُ الأصفرَ تسوّاً أخمَرا(٥)
و طائرُ الفردوسِ غنَّى في الشَّجَرُ
ف ذرَةٌ منه ذُكاءٌ في الوَهَقْ الأَنْ

ناقص العقل، عجزت عن كلامي بِتَجَلِّيه رأى أهمسل السَّمساء ذاك قصر ومسن الفيروز بَسابَه في السَّمُوقِ ما له كَيْفٌ وَكَمْ هذه الأزهارُ في الحسن البديع والنباتُ وهسو فَيَّساضُ البَهاء والصَّباتُ وهسو فَيَّساضُ البَهاء دَفَسَقَ المساءُ وكسالدُرُ انْتَشَر والصَّبا دأبٌ لها أن تَسْحَرا يسا لمن قالماءُ وكسالدُرُ انْتَشَر يسا لقصرٍ فيه بهو قَدْ سَمَقْ يسا لقصرٍ فيه بهو قَدْ سَمَقْ سَمَقْ وصفوفٌ فيه من قاماتِ حُورُ وصفوفٌ فيه من قاماتِ حُورُ وصفوفٌ فيه من قاماتِ حُورُ

⁽١) واكب الركب: سايرهم ، أو ركب معهم .

⁽٢) كشّف: بمعنى كشف.

⁽٣) في الأصل بنظرة من سيد بدر وحنين .

⁽٤) المراد بالقصر الزائل هذا العالم .

 ⁽٥) الدأب : العادة . يقول : إنَّ من عادتها أن تغيِّر الأشياء بالسِّحْر .

⁽٦) سمق : علا . وذُكاء : الشمس . الوَهَق : حبل في طرفيه أنشوطة يطرح في عنق الدابة لتؤخذ به . يقول : كأنما كلُّ ذرةٍ في هذا القصر صادت الشمس بهذا الحبل .

⁽٧) نضده : وضع بعضه على البعض . واليشم واليشب : حجر يشبه الزبرجد .

وعلى العرشِ ملوكٌ يَجْلسُونا وملوكَ الفُرْسِ كانوا يُشْبهُونا(۱) ذلك السرُّومسيُّ مسرآةُ الأدَبُ فسرَّجَ الغسمَّ بما زادَ الطَّرَبُ(۱) ومِسنَ المَشْرِقِ هِذا شَاعِرُ لستُ أدري ، شاعرٌ أمْ سَاحِرُ فومِسنَ المَشْرِقِ هِذا شَاعِرُ لستُ أدري ، شاعرٌ أمْ سَاحِرُ في السَّرُوحِ الألسمُ شِعْرُه في الشَّرْقِ قد أذكى الضَّرَمُ الثَّرَةِ في الشَّرْقِ قد أذكى الضَّرَمُ الثَّرَةِ

* * *

نادر

مرحباً يا شاعرَ الشَّرْقِ العَظيما مِنْ كلامِ الفُرْسِ أَنْشَدْتَ القَوِيما نَحن أهلُ السرَّ قلْ سرَّاً لنا ثمَّ عن إيرانَ حدَّثُ أَنْبِنا (٤)

زنده رود

وَهَوَتْ في قاعِ أشراكِ هُويًا (٥) تُشْبهُ الإفرنجَ في خَلْقِ الكَمالُ! مَدْحُ سابور وَذَمٌ لِلْعَرب (٢)

نَظَرَتْ إيرانُ في ذاتٍ مليًا وقتيلُ مَلِيًا وقتيلُ دَلِّ أصنامِ الجَمَالُ فِي النسب فِكْرُها في النسب

 ⁽١) ذكر من هؤلاء الملوك جمشيد وبهرام وهما مشهوران بعزة الجانب .

 ⁽٢) فرج: فتح. والطرب: خفة تعتري الإنسان من فرح أو حزن.

⁽٣) أذكى : أوقد . والضرم : الحطب يطرح في النار .

⁽٤) أنبنا: أنبئنا.

⁽٥) هوى هوياً : سقط . والشراك : جمع : شرك ، وهو الحبالة .

⁽٦) سابور : ملك من ملوك الفرس . وهو سابور الثاني المعروف بذي الأكتاف ؛ لأنه في حربه مع قبائل العرب خلع أكتافهم ، أو ثقب ألواحها وجعل فيها حبلاً إمعاناً في التشفى منهم .

يومُها خالٍ ، ومن كلِّ المهامُ الحياةُ طَلَبَتْها في الرِّجام (١) وطناً رامَتْ وذاتاً لا تَسرَىٰ وتَنَاسَتْ رُسْتُماً بلْ حَيْدرا(٢) باطل الإفرنج ما قَدْ حَصَّلَتْ ولها التاريخُ مِنْهُمْ شَكَّلَتْ

كانتِ الشَّيْخَ ، وفي عهد بعيد شاحبَ الوَجْهِ دِمَاهُ مَنْ جَلِيدُ عُرْفَهَا بِالْهِ لَهَا دِينٌ قَدِيمُ وكذَاكَ الصَّبْحُ واللَّيْلُ البَهِيمُ !(*) كُرْمُها ما فيه مَنْ وَهْجِ لجمرِ (*) ومِنَ الصَّحراءِ كَانَ المَحْشَرُ فَلَدَيْها مِنْ عُنْمُ عُمْرٌ آخَرُ (٥) ومِنَ الصَّحراءِ كَانَ المَحْشَرُ فَلَديْها مِنْهُ عُمْرُ آخَرُ (٥) رحمـةُ اللهِ ومـنْ تُحنانِه فارسٌ ظلَّت وروما أينَ هِي !(١) ما مضى عن جِسْمِها روحٌ رؤوم أبغير الحَشْرِ منْ تُرْبِ تَقُومُ (٧) ما مضى عن جِسْمِها روحٌ رؤوم وإلى صحرائِه عنها نَنخُ (٨) رجلُ الصَّحراءِ روحاً قد مَنَحُ وإلى صحرائِه عنها نَنخُ (٨) ومحا منْ لوحنا كلَّ القديم جَدَّدَ العَصْرَ ، وليس بالمقيم ومحا منْ لوحنا كلَّ القديم

إنَّهم لم يذكروا فَضْلَ العَرَبُ وَمِنَ الإَصْرَبِ ذَابِوا فِي اللَّهَبُ !

* * *

⁽١) الرجام : جمع رجم ، وهو القبر .

⁽٢) رستم: أعظم أبطال الأساطير عند الفرس. وحيدر: علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

⁽٣) البهيم: الذي لا ضوء فيه إلى الصباح. يقول: إنَّ كل شيء فيها كان قديماً بالياً حتى ليلها ونهارها.

⁽٤) الترب : التراب . والوهج : اتقاد النار .

 ⁽٥) يشير إلى فتح العرب لفارس ، ويشبهه بالبعث والحياة الأخرى .

⁽٦) التحنان : الرَّحمة .

⁽٧) الرؤوم : الرحيمة . وفي الأصل الطاهرة .

⁽۸) نزح : بعد ورحل .

ظهور روح ناصر خسرو العلوي واختفاؤها وإنشاد غزل رقيق (١)

لِلْحُسامِ واليَسراعِ تجعلُ الكفَّ المدارا منْ جَوَادِ الجسم بَعْدُ ، أَنْتَ لا تخشى العِثَارا(٢) الحسامُ واليَسرَاعُ منهما فَضْلٌ عميسم يا أخيَّ مَصْدَرُ النُّورِ لدينا كانَ نارا(٣) عنسما يُنْد كفارِ أجنبي أيُّ خيرٍ فيهما لهما بالدِّين سِعْرٌ يشتري حتى النُّضارا(٤) عسرَّةُ السدِّين سِعْرٌ يشتري حتى النُّضارا(٤) عسرَّةُ السدِّين سِعْرٌ التَّورِ قَدْ جابَ القِفَارا(٥) دينُ جُهَّالِ كزهرِ التَّورِ قَدْ جابَ القِفَارا(٥) مِثْلُ كرْباسِ وإلياسٌ يَخيطُ نِصْفَهُ

⁽۱) ناصر خسرو: من شعراء إيران في القرن الخامس الهجري ، وكان من دعاة المذهب الإسماعيلي ، وجمهرة أشعاره في المسائل المذهبية والفلسفية . ولما قدم مصر ، وكل إليه الخليفة الفاطمي نشر المذهب الإسماعيلي في خراسان ، وجعله رأس الباطنية في تلك الجهات .

⁽٢) الحسام: السيف. واليراع: القلم. وهذا الشعر نوني القافية في الأصل. ويقول الشاعر: إنك إذا جعلت من كفك ميداناً يجول فيه القلم والسيف، فإن جواد جسمك لا يكبو من بعد.

⁽٣) أخي : تصغير أخ . وهو يقول : إنَّ الحسام واليراع مصدر الخير ، كما أن النار مصدر النور . النور .

⁽٤) النُّضار : الذهب . وإذا اقترن القلم والسيف بالدِّين غلا ثمنهما ، وعظمت قيمتهما .

⁽٥) يقول : إنَّ الدين يعرُّ بالعلم . والدين عند الجاهل كالزَّهرة عند الثور الذي يتجوَّل في الصحاري .

ويهـوديٌّ لكفُـن نِصْفِـه الثـانـي استعـارا(١)

أبدالي

وفتى مُلْكاً عظيماً قد أقاما للجبالِ عادَ واختارَ المَقاما أَضْرَمَ النيرانَ في تلكَ الجبال أَخْرَقَتْهُ ؟ أَمْ شجاعٌ لا يبالي

* * *

زنده رود

الشعوبُ بينها صَفْوُ الإخاء وحياةُ الشَّرْقِ كانَتْ منْ حَيَاتِه ذاتَه مِنْ ذاتِه جهلاً سَلَبْ وله قلب وعنه غافِلُ إنَّما الجوالُ ضلَّ كلًّ غايه

إخوة ، في حَرْبِها أو في المِرَاء (٢) ابنه الجنديُّ أمسى منْ حُمَاته! ابنه الجنديُّ أمسى منْ حُمَاته! مالَهُ مِنْ ممكنات ما حَسَبْ (٣) للجسوم والقُلوبِ منْ فراقٍ فَاصِلُ (٤) روحُه ما إنْ دَرَتْ معنى النَّهايَة

(١) الكرباس: ثوب من القطن الأبيض وقيل هو الثوب الخشن. والكفن: تكفين الميت.

وإقبال يومىء إلى حقيقة تاريخية هي ظهور النبي إلياس في اليهود بعد انقسام مملكتهم قسمين شمالي وجنوبي . وقد أراد أن يهدي اليهود إلى دين قويم أساسه توراة موسى ، وكان يلبس قباء أبيض لا يجيزون الصَّلاة إلا به .

وقد تلقينا هذه المعلومات عن الأستاذة منى ناظم المعيدة بقسم اللغات الشرقية بكلية الأداب من جامعة عين شمس ، فلها الفضل وإليها الشكر .

- (٢) المراء : الجدال . يقول : إنَّ الشعوب إخوة إلا أنَّها على الدوام تتحارب وتتجادل .
 - (٣) حسب الشيء: عدَّه وأحصاه.
 - (٤) يقول: إن الفراق حدٌّ يفصل بين الأجسام والقلوب.

يعرفُ الأفغانَ حقَّا شاعرُ قالَ ما قَدْ قالَ وهو السَّادِرُ(١) إنَّه كانَ حَكِيْهِمَ شَعْبِهِم بنالَ الوُّسْعَ بِقَصْدِ طَبِّهِم (٢)

﴿ فتى الأفغانِ لو يلقسي البعيسرا يحملُ الجوهرَ واللُّذُرِّ الوفيرا ما تملَّى ذلكَ الوَسْقَ الكبيرا(٤) وأرادَ جُلجُــلَ الهـــادي الصَّغيـــرا^(ه)

أبدالي

إِنَّ مِنْ قلبِ لنا الطَّبْعُ اتَّقَدْ وبموت القلب جسم عُيسرا بفسادِ القلبِ ما هذا الجَسَدُ؟ آسيــا جســـمٌ وَمِــنُ مـــاءِ وطيـــن ولها منه الفسادُ إِنْ فَسَلْ بانطلاق القَلْبِ فالجِسْمُ الطَّليق

وصَحَا منه التُّرابُ أَوْ رَفَدْ ودماً أمسى النَّفِيئ أحمرا(١) وَحْدَهُ كُنْ مَنْ على القَلْبِ اغْتَمَدْ قلبُهـا الأفغـانُ خفّـاق الـوَتِيْــن^(٧) وانطلاقٌ مِنْهُ يا نِعْمَ المدد !(٨) أَوْ لريح كانَ بالقشِّ الخُفُوقُ (٩)

السادر: الذي لا يبالى . (1)

طَبُّهم: علاجهم من المرض. (٢)

الوبال: سوء العاقبة. **(T)**

تملَّى الشيء: تمتع برؤيته . الوَسْقُ : الحِمْلُ . (1)

الجلجل: الجرس الصغير. والهادى: العنق. (0)

النضيح: العرق. (7)

الوتين: عرق في القلب. **(Y)**

المدد: العون. **(A)**

يقول : إن الجسم إذا لم ينطلق بانطلاق القلب ، كان شبيها بالقشَّة إذا اشتدت بها الريح (4) في يوم عاصف .

وله كالجسم بالعُرف القُيُود دينُه أحياهُ والموتُ الحُقُود^(۱) بمقام وَخدة قد عدزً دين ذلكَ الشَّغبُ بها شَعْبٌ يكونْ

ان لا ولا رقص الغواني المُفَنَّدُ (٢) المُفَنَّدُ (٢) الله ولا رقص الغواني العاريات لود وقصيرُ الشَّعْرِ أو مَيْسُ القُدود (٣) لَيْسَ مِنْ خطَّ لديهِ بالمَكِيْنُ (٤) لَيْسَ مِنْ خطَّ لديهِ بالمَكِيْنُ (٤) حَرَّهُ وبمصباحٍ لَـدَيْهِ بالمَكِيْنُ (٤) للم أيضارُ العِلْمُ مِنْ لُبْسِ العمائم (٥) لله بشوبٍ تستعيرُ مِنْ هُنالك (٢) لله ما على رأسِك مِنْ غَيْسِ المُهِمْ

ذات يفق أذا الشّرقُ المُقلّدُ عن هذا الغرب لا بالمطربات للمم يَهَبُ قُ قَلَ وَرْدُ الخُدود مجدُه ما كانَ مِنْ تَرْكِ لِدِيْن مجدُه ما كانَ مِنْ تَرْكِ لِدِيْن العليومُ والفنونُ سيرةُ لستَ بالشَّوبِ حكيماً كالأعاظم تُدرِكُ العِلْمَ بِعَقْلِ أنتَ مالك ليسَ في هذا السبيل غيرُ عِلْم

إِنْ مَلَكُتَ الفِكْرَ هَذَا الفَكَرُ حَسْبُكَ كَلُ شَيءِ عَنْهُ مَا يُغنيكَ ، طَبْعُكَ

فإلى العلم السبيلُ قَدْ وَجَدته (٧) يَطْلبُ المطلوب مجهوداً وأَيْنَا (٨)

السَّنَاجَ في الليالي إنَّ أَكَلْتَه من رأى يوماً حدود مُلك مُعَنَّىٰ ؟

⁽١) الحقود: الأحقاد.

⁽٢) فَنَّده : كذَّبه وخطَّأ رأيه .

⁽٣) الميس: التبختر.

⁽٤) هذا الخط في الأصل هو الخط اللاتيني . والمكين : صاحب الحظوة .

⁽٥) ضاره: ضره.

⁽٦) يريد بهذا الثوب زي أهل الغرب.

⁽٧) السناج : أثر دخان المصباح . وأكلُ سناج المصباح في الفارسية كنايةٌ عن سَهَرِ الليالي في طلب العلم .

⁽٨) الأين : التعب .

فَقَدَ الأتراكُ ذاتاً بالمُدام إِنَّ تِسرياقَ العِسرَاقِ ما لَسدَيْهِم وعبيــدُ الغَــرْبِ يبغــونَ الظُّهــورا روحَهم في اللَّهـو كـانـوا يَفْقِـدُونـا يَطْلُبُونَ السَّهِلِ لكِن مِنْ كَسَلْ طَبِعُهِم مِا يبتغي سَهْلَ العَمَـلُ

فالفرنجُ أَسْكَرُوهم بالسُّمام(١) رحمة يارب فابسطها عليهم (٢) إنَّهم يُوْضُوْنَ بالرَّقْصِ الغُرورا! يَصْعُبُ العلمُ ، بلهو لنْ يكونا

اليسيرُ السَّهُ لُ لَكِ نَ إِنْ طلبتا أنتَ روحاً لكَ من جسم فَقَدْتا

زنده رود

الفِرنْجُ بالرقع ما أرادوا؟ ظاهر مِنْهُم دياراً حروقا ظاهر يبدو لعين لامعا يرزلو القلب وللعين النَّظر ومصير الشَّرقِ هـذا مَنْ دَرَىٰ ؟

ألفَ فردوسِ من الألوانِ شادوا^(٣) والغصونَ بسالعِشاشِ مَـزَّقــا^(٤) وَهَــنَ القلــبُ لعيــنِ خــانعـــا^(ه) وأمام المَعْبَدِ الخفَّاقُ خَر (٦) أيُّ تـــدبيـــرِ وتبغـــي مَظْهَـــرا

يقول : إن الأتراك سكروا بخمرة الغرب ، وهي كناية عن افتتانهم به . والسُّمام : جمع

الترياق : دواء الشُّموم . وفي أشهر كتاب من كتب الأدب الفارسي ، وهو كتاب كلستان لسعدي الشيرازي عبارةٌ مشهورةٌ مأثورةٌ ، وهي : (يُسْلم الملدوغُ الروحَ قبل أن يُحضروا له الترياق من العراق).

شاد البناء: رفعه. (٣)

⁽٤) العشاش: جمع عش.

الخانع: الخاضع في ذل. (0)

الخفاق: القلب. (1)

أبدالي

بهلوي ملك قباذ نالم ومن الدَّرَّانين كانَ نادِرُ إنَّه لِلدِّيسِ يَسأسَىٰ والوَطَنُ بطـــلُ الهيجــاء حقَّــاً والأميــز والحديدُ عند قوم والحرير !(٣) من رأى ذاتاً له إنى فَدَيْتُهُ

بهلوي إيران قُسلُ أَوْ نَسادِر كــلُّ معقــودٍ لــديــه حَلَّــه (١) وهـو لـلافغـانِ ذخـرٌ مَنْ يُكـابِـرُ؟ قادَ جيشاً في جبالٍ قَدْ كَمَنُ (٢) وازنَ العَصْـرَ بحــذقَ مَـنُ هَــوَيْتُــهُ

> كم الأهل الغرب من فَن سَحَر إِنْ نَسِيْتَ اللَّاتِ كُنْتَ مِنْ كَفَرْ!

السُّلطانُ الشَّهيد

عَنْ بِـلادِ الهنـدِ حَـدُّثنـى طـويـلا مسجدٌ فيها خلا مِنْ صوتٍ حَشَدُ قلبنا حزناً على الهند انْفَطَرْ

قَشُّها يَفْضُلُ بستاناً جميلا(٤) ديـرُهـا مـا فيـهِ نـازٌ بَعْـدُ خَمَـدُ روخُنا شيئاً سِواها ما ادَّكَـرُ (٥)

بهلوي : هو رضا شاه بهلوي المتوفى عام ١٩٤٤م الذي أسس الأسرة المالكة في إيران بعد أن أسقط الأسرة القاجارية عام ١٩٢١م ورضا شاه مؤسس إيران الحديثة وعلمٌ عظيمٌ من أعلام تاريخها . وقباذ هو كيقباذ أول ملوك الأسرة الكيانية في إيران ، وفي عهده هزم البطل رستم التورانيين أي الأتراك هزيمة ماحقةً .

يأسى: يَخْزَنُ . **(Y)**

الهيجاء : الحَرْثِ . (٣)

فضله: كان أفضل منه . (٤)

ادًّکر: ذکر. (0)

حــزْنُهـا قِسْـه بــأحــزانِ لنـا ليس يـدري مـن نُحِبُ حـالنـا

زنده رود

الهنودُ أنكروا قانونَ غَرْب كلُّ سحرٍ رَفَضُوهُ كلَّ خَلْب (١) إِنَّ عُرْف الغير روحاً يُثْقلُ مِنْ سماء إِنَّه لا يَنْولُ!

* * *

السُّلطانُ الشَّهيد

وإذا الإنسان من طين خَرَجُ لَا الإنسان من طين خَرَجُ لَا المحيانِ كانَت مُتْعَتُهُ هَلَهُ العصيانِ تُنَالُ هيذه النَّات بعصيانٍ تُنَالُ أنْتَ في أرضي وفي داري حَلَلْتا وعرفت حَدً كلَّ الكائنات

قَلْبُهُ من رغبة فيه اخْتَلَجْ رؤيسةُ السنَّاتِ رآهسا بَهْجَتُهُ وانعدامُ النَّاتِ معناهُ الوَبالُ(٢) وبعينِ قبريَ البالي مَسَحْتَا في الجنوبِ أيْنَ آثارُ الحياة(٣)

زنده رود

في اَلجنوبِ قَدْ نَثَرْتُ الدَّمْعَ حَبّا فَاكتستُ أَرضٌ بِـهِ وَرُداً وأَبَـا^(٤) نَهُرُ «كاويري» يَسيرُ في جموحة ورأيتُ وَقُـدةً أخـرىٰ بِـروحِــة^(٥)

⁽١) الخلب: الخداع.

⁽٢) الوبال: سوء العاقبة.

 ⁽٣) اخترنا هنا كلمة جنوب عوضاً من « دكن » وهو اسم إقليم في جنوب الهند . وكلمة
 دكن في الأوردية بمعنى جنوب .

⁽٤) الأبُّ : المرعى .

⁽٥) اسم النهر الذي تقع عليه مدينة سرنجاباتم .

السُّلطانُ الشَّهيد

قولُكَ النُّورُ به ضاءت قُلوبُ عالِمُ الأسرادِ دَوْماً منْ ظَفَرْ ونشيدُ السرُّوحِ إِنْ أنشدْتَهُ عند مولى الكلَّ كُنْتَ حاضِرا وعلى القَوْلِ هناكَ ما شجُعْت وانا من أحرقتني نارُ شِعْرِكُ قال « بَيْتٌ قلتَه من قاله ؟ ببيانٍ لكَ في السرُّوح اسْتَعَسرْ

لك دمع ناره منها أذُوب (١) مِن عُروقِ العُودِ أنهاراً حَفَر (١) مِن عُروقِ العُودِ أنهاراً حَفَر (١) اللهيب في الحشا أؤقَدته من سواه كان يهدي سائرا رؤية بالروح كل ما استطعت ولساني لايني عن ذِكْرِ فِكْرِكُ (١) ضجّة الدُّنيا وما فيها له المَن كاويري فَصِف وَارُو الخَبَرُ

زنده رود أنت وهدو زنده رود إن لحناً مع لحن ما يجود (١)

رسالةُ السُّلطان الشَّهيد إلى نَهْرِ كاويري حقيقةُ الحياةِ والموتِ والاستشهاد

إنَّ هذا النَّهْرَ قد سارَ الهُوينى نائحاً بينَ الجبالِ ، كُنْتَ تَعْبُرْ أنتَ مِنْ جِيحونَ خيرٌ والفرات يا لأرضِ أنْت قد عانقتها

ودوامُ السَّنِرِ ما أضناهُ أينا (٥) وطريقاً لكَ بالأهدابِ تَحْفُرُ! للجنوبِ كُنْتَ وهَابَ الحياة للجنوبِ كُنْتَ وهَابَ الحياة بسرواء كان فيسك زنتها

⁽١) ضاء : أنار وأشرق .

 ⁽٢) عروق العود هنا هي أوتاره . وفي الأصل من دماء تلك العروق .

⁽٣) يني : يفتر ويضعف .

⁽٤) يجود: يحسن .

⁽٥) الأين : التعب .

شِخْتَ لكنْ أَنْتَ فَيَّاضُ الشَّبابِ
بنتُ موجاتٍ لديك دُرَّةٌ
حُرْقَةُ العيشِ تغنيها نشيدا
إنَّه منْ طُفْتَ حَوْلَ سَطْوَتِه
الصَّحارى جنَّةٌ من قُدْرَتِه
الأماني من شراه تَقْتَربُ

والبهاءُ لك كالسّحرِ العُجابِ فلتشر موجاً عليك طُسرَّةً (١) أعلِمْتَ منْ لِنذَا كانَ البريدا(٢) لَسكَ مرآةٌ لِوَجْهِ قُوتِهُ الله بسدماهُ كانَ رَسْمُ صُورَتِهُ منْ دِمَاه فِيْهَكَ مَوْجٌ يَضْطَرِبْ

كانَ فعالًا كالله قال قاله الله الله المالة المالة

إنَّما التَّبديل شانُ الكائناتُ إنَّنا الأمواجُ في نَهْر الحياة ما الحياةُ غَيْرَ تجديدٍ تجدَّدُ عالماً تطلبُ في شوقٍ تمهَّدُ الكيانُ لِلْوُجودِ مِنْهُما النَّاهـابُ والمجـيء مـا همـا الطَّــريــقَ راحلــون فـــى سَفَــرْ سَفَرُ يخفى لكسى يبدو الحَضَرْ تِلْكُ أشجاها وأبكاها الرَّحيل النِّيــاقُ والصَّحـــاري والنَّخيـــل برهة حَلَّتْ وُرودُ الرَّوض ضيفا لاختبار عُرِّضت حسناً وعَرْفَا^(٤) برعمٌ في الحِضْن ، نَعْشٌ لِلزُّهُوزُ^(٥) مأتمٌ في الرَّوضِ أَمْ أَفْراحُ سُورٌ ؟ أحمسرُ البورُدِ له قُلْتُ اختَرقُ قالَ سرِّي ما عَرَفْتَ يا لَبِقُ!

مِنْ هشيم للوُجودِ ذا البناء للظُّه ور حسرةً كان الجراء

ما مضى أو ما يكونُ ، إمْضِ عَنهُ المجيءُ للـوُجـودِ ، دَعْـكَ مِنْـهُ

الطرة: شعر مقدم الرأس. يشبه الأمواج بالشَّعر الثائر.

⁽٢) البريد: الرَّسول.

⁽٣) في الأصل: أنت حامل المرآة لوجه سطوته.

⁽٤) العرف: الرائحة الذكية.

 ⁽٥) السور : كلمة فارسية تستخدم في العربية ، وهي بمعنى الوليمة والضيافة .

لا تَضِعْ مِفْلَ الشرارِ إِنْ قَدِمْت وإذا أشبهت شمساً في الصّفات الرياض احْرِقْ وآكامَ الصّحارى وإذا عودت جُرْحَ السَّهْم صَدْرا السكونُ في الحياةِ للنَّباتِ

اطلب نَّ بَيْد را إمّا مَضَيْت (۱) فارتفع بَيْن الشُّموسِ المشرقات والسَّماك أصلِ بقاعِ اليمِّ نارا (۲) فلتعش صَفْراً وكُنْ في الموتِ صَفْرا ما سألتُ اللهَ طَوْلًا في حياتي!

ديننا والعُرْفُ في تِلْكَ الحياةِ برهة كاللَّيْثِ لا عاماً كشاةِ (٣)!

الحيساة بسرضاك أخكِمَست السرَّدَىٰ ظبيٌ وهذا المرء ضيغَم السرَّدَىٰ ظبيٌ وهذا المرء ضيغَم إنَّما الكامل يحتاج الجماما ويموت العَبد خوفاً من جمام لكسنِ الحرر هذا شانسه؟ ليسس يُجسري ذِحُر موت بتَّة دَعْكَ من مَوْتِ القُبُورِ والتُّراب ما يُسرَجِّي مؤمن من ربِّه لطريق الشَّوق هذا الموت غايه لطريق الشَّوق هذا الموت غايه

قَتَلَتْ الْ أَخْ اللهُ قَ الْ دُبُ رِت (1) من مقامات حمام المرء فاعلم (٥) كالشواهين إذا صادت حماما (٢) لَمْ يَكُنْ عيشٌ له غَيْرَ الحرام! روحُ الأخرى لَدَيْهِ حَيْنُه (٧) ويموث الحُرل لَدَيْهِ حَيْنُه (٧) إنّه الموتُ وَلْكِ نَ فِي التّراب إنّه الموتُ وَلْكِ نَ في التّراب موتُ إطلاق له من تُربه موتُ إطلاق له من تُربه وهو للتكبير في حرب نهايه

⁽١) البيدر: الموضع الذي يدرس فيه القمح.

⁽٢) السَّماك : جمع سمك .

⁽٣) أي عش برهة كالأسد ولا تَعِشْ عاماً كالشاة .

⁽٤) الأخذة : الرقية تأخذ العين كالسَّحر .

⁽٥) الضيغم: الأسد.

⁽٦) الكامل : الرجل الكامل . يجتاح : يقهر . الحمام : الموت . الشواهين : جمع شاهين ، وهو طائر كالصقر .

⁽V) الحين: الهلاك، والمرادهنا الموت.

⁽A) بتة والبتة: بمعنى لا رجعة فيه.

ليسس للمسؤمن غَيْسرُ الأطيب المملوكُ حاربوا من أجْل سَلَبُ وبها يمضي إلى دارِ الحبيب قال للقوم النبئ ذو المحامد الشَّهيسة وَحْب

أيُّ موتِ مِثْلُ موتِ ابنِ النَّبي (۱) كالنَّبي مؤمنٌ في خَوْضِ حَرَبْ (۲) يَهْجُرُ اللَّذِيا لِوَصْلِ منْ قَرِيْب راهبُ الإسلام منْ كانَ المجاهد (۳)

الشَّهي لُ وَحُرِدَهُ هِ لَهُ اللَّهِ الْمُرَاهُ السَّلَ اللَّهِ الْمُرَاهُ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ ال

* * *

زنده رود يغادرُ الجنَّة العالية وطلبَ حور الجِنان

كأسُ صبري أَصْبَحَتْ بعضَ الفُتات قال يا حديث الشَّوْقِ يا جَذْبَ اليقين! يـ دامـيَ القَلْـبِ إليـه قَـدْ وصَلْـت وع دامـيَ القَلْـبِ إليـه قَـدْ وصَلْـت وع قـالـتِ الحـورُ تَعَـالَ زِنْـدَهُ رُود لكَ خفقـاتٌ مـنُ ضَجِيْـج حَـوْلَنـا زِن

قال لي الروميُّ قُمْ قَبْلَ الفَوات (٤) يا لإيسوانِ على الأسَّ المتيسن (٥) وعلى أعتسابِ حُسوْراً رَأَيْست لكَ عَذْبُ اللَّحن يشجي ، والوُقود (٢) زنده رود الجُلسن قليلًا بينسا

* * *

⁽١) ابن النبي هنا هو الإمام الحسين رضي الله عنه سيد الشهداء .

⁽٢) أي أن المؤمن يشبه النبي ﷺ ، ويقتدي به في الجهاد .

⁽٣) الإشارة إلى قوله ﷺ: (الجهاد رهبانية الإسلام) .

⁽٤) الفتات : ما تفتت من الشيء وكسارته . والفوات : فوات الأوان .

 ⁽٥) يا هنا للتعجب . والأسُّ : الأساس .

⁽٦) الوقود : النار .

زنده رود

حُوْرُ الجنَّة

لَــكَ دَلُّ مِثْـلَ دلُّ للــزَّمـان فعلينا لا تَضِلَ بالأغاني

غزل زنده رود

أَإِلَى المرءِ وَصَلْتَ ؟ لك رَبًّا كَيْفَ تَطْلُب شاحبَ الوجْهَ تَعَلَّقَ بِالغُصونِ الطَّلِ وارْشُفْ قطرتان من دماء ذاك ما سَمَّوهُ مِسْكاً إنَّ عـزَّ المُلْكِ والسَّلْطانِ معيارٌ لِفَقْرِ

وَمِنَ الذَّاتِ فَرَرْتَ أَنْتَ صَحْباً كَيْفَ تَطْلُب لك شيئاً مِنْ نسيم هبَّ هبَّاً كَيْفَ تَطْلُبْ يا غزالَ المسك مسكاً مِنْك عُجْباً كَيْفَ تَطْلُب⁽³⁾ الحطامَ ما طَلَبْتَ المُلْكَ وَهْباً كَيْفَ تَطْلُب

⁽١) في الأصل: أنَّ رهبة من المنزل أشدُّ من رهبة من قاطع الطريق.

⁽٢) السَّادر: الذي لا يبالي بما صنع ، والمرادبه: العِشْق .

⁽٣) المهيع: الطريق الواسع.

 ⁽٤) يعتقد القدماء أنَّ المسك مِن دم الغزلان ، وفي ذلك يقول المتنبي :

وإن تَفُــقِ الأنــامَ وأنَــتَ منهــم فــانَّ المِسْـكَ بَعْـضُ دَمِ الغــزال والعجب: التيه والخيلاء وفي الأصل يا غزال الحرم في الخطا ماذا تطلب .

والخطا: اسم لشمال الصين ، وهذا الإقليم يشتهر بغزلان المسك .

عَرَفُوهُ في الوُروْدِ الحُمْرِ بالبستانِ يَبْدُو لحننا الدَّامي الحزينُ قدَّ قلباً كَيْفَ تَطْلُب مَـن لـه قلبٌ مُنيـرٌ زادَ نــوراً كـلَّ عيــنِ ليت شعري لِعَشَى العَيْنَيْنِ طَبَّاً كَيْفَ تَطْلُب زاهــدون ، رؤيــةُ الــدُنيــا كــرامــاتٌ لنــا نظرةً منا ، وما يغويك خلباً كَيْفَ تَطْلُب

في الحَضْرَةِ الإلهيَّة

مِن تَجَلِّي اللهِ كَانَتُ جَنَّهُ نَخُنُ قَومٌ قَدْ جَهِلْنَا أَصْلَنَا عَلَمَنَا إِنْ كَانَ سَاءَ جَوْهِرا عَلَمَنَا إِنْ كَانَ سَاءَ جَوْهِرا وإذا بِالعِلْمِ حَقَّقْنَا النَّظُرُ وَيُدريكَ للوجودِ قِشْرَه ويُدريتَ دائما رامَ تمهيدَ الطَّريتِ دائما وهَب النَّارَ لقلب والوجيبا وقصب النَّارَ لقلب والوجيبا والوجيبا والدوجيبا والدي جَذْب وَشَوقٍ يَرْفَعُكُ وإلى جَذْب وَشَوقٍ يَرْفَعُكُ هَلْ يُتِيحُ العِشْقُ يوماً عزلة هَلْ يُتِيحُ العِشْقُ يوماً عزلة هَلْ يُتيحُ العِشْقُ يوماً عزلة

عَنْ قصورٍ سِرْتُ عَنْ حُورٍ بَعُدْت

لا يسريس ألسر وأضعنا عُشَنا() نحسن طَيْس وأضعنا عُشَنا() كان لِلْعَيْس الحِجَاب الأكبرا في السَّيس المحبّاب الأكبرا في السَّيس والسَّيس أوالسَّيس أوالسَّيس أوالسَّيس أوالسَّيس أواله أيعَنَ النَّحيا() أيقَ طَ الشَّوق وكان نائما وبجوف اللَّيل قد أهدى النَّحيا() عَيْنَنَا رَبَّسى وَرَبَّسى قَلْبَنا عَيْنَنَا رَبَّسى وَرَبَّسى قَلْبَنا في مُثْلَ جبريل أداه يُبْدِعُكُ () إنَّ يُحسُدُ مِنْه مُقلةً أَمْلَا أَنْ اللَّهُ اللَّ

كان في البَدْء الرَّفيوَ والطَّريقا الرَّفيقا الرَّفيقا الرَّفيقا

زورقىي روحىي وفىي نــورٍ فَقَــدْت

الطبر: الطيور.

(1)

 ⁽٢) الوجيب : خفقان القلب . والنّحيب : رفعُ الصوت بالبكاء .

⁽٣) يبدع : يخلق .

⁽٤) أي إن العشق لا يتيح للعاشق خلوةً مع الحبيب .

والغريق كُنْتُ في هذا الجمال وَفَقَدْتُ في ضميرِ الكائنات المَائنات رَبابا إنَّما أوتارُها كانَتْ رَبابا أسرةٌ نَحْنُ بها نارٌ وَنُور أسرةٌ أُقيمت وأمامَ السرُّوحِ مسرآةٌ أُقيمت وصباحُ اليومِ ملءُ العَيْنِ نُور وبالسرارِ له ربِّي بسدا وازديادٌ لا يَحُورُ أَنْ يُسرىٰ ردَّدَ العَبْسِدُ ومسولاهُ النَّظَرِيْ

وهو بالتَّبديل يحمي من زوال! فالحياة كالرَّبابِ الصَّادِحات(۱) كلُّ لحن كانَ في قلبي حِرَابا آدمٌ والشمس جبسريسلٌ وَحُور باليقينِ حَيْرَةٌ طالت فَشِيْبَتْ(۱) لغيد فيه ولسلامس الظُّهور نَفْسَه بالعين منَّي شاهدا بل خروجُ الجسم مِنْ قَبْرِ التَّرى(۱) فإذا شكواهُما شَكُوى الحسر(١٤)

طلبٌ تِلْكَ الحياةُ حَيْثُ كانَتْ العيادُ ؟ رموزٌ ما اسْتَبانَتْ

لذة الرؤية كانت في جَنَاني النَّة الرؤية كانت في جَنَاني الأنت نور العالمين قَدْ وَهَبْنا ما رأى الإنصاف منها الحرُّ مَرَّة غالبٌ في العَيْشِ مسرورٌ طَرِبْ إِنَّ الاستعمار مِنْهُ كُلُّ نَكْسِ وعلومُ الغَرْبِ نَهْبُ كُلُّ نَكْسِ وعلومُ الغَرْبِ نَهْبٌ يُلُمُّ يُكُلُّ

وَمِنَ العِشْق جَرُوْتُ في لساني (٥) في لساني (١ في الله الشّرى هللّا نَظَرْت عني شوكِ لم يَجِدُ في كلِّ زَهْرَه والليالي عليّها من قَدْ غُلِبُ! يا له ليلا يُريدُ حَجْبَ شَمْس والله كيْبَدرَ دَيْكُرُ خَيْبَدُوْنَ الله الله ليلا يُريدُ وَيْسَرُّ خَيْبَدُونَ وَيُسَرِّ خَيْبَدُونَ الله الله ليلا يُسْتَلِيدُ وَيُسْتُونُ وَيُسْتُونُ وَيُسْتُونُ الله الله ليلا يُعْرَبُدُ وَيُسْتُونُ وَيْسِرُ وَيُسْتُونُ وَيُسْتُونُ وَيُسْتُونُ وَيُسْتُونُ وَيُسْتُونُ وَيُسْتُونُ وَيُسْتُونُ وَيُعْتُلُونُ وَيُسْتُونُ وَيُعْتُسِمُ وَيُسْتُونُ وَيُسْتُونُ وَيُسْتُونُ وَيُسْتُونُ وَيُعْتُونُ وَيْسِنُ وَيُعْتُونُ وَيُعْتُونُ وَيُسْتُونُ وَيُعْتُونُ وَيُسْتُونُ وَيُعْتُونُ وَيُعْتُونُ وَيُعْتُونُ وَيْسِونُ وَيُعْتُونُ وَيُعْتُعُونُ وَيُعْتُونُ وَيُعْتُونُ وَيُعْتُونُ وَيُعْتُعُونُ وَيُعْتُونُ وَيُعْتُونُ وَيُعْتُونُ وَالْعُنُونُ وَيُعُونُ وَيُعْتُونُ وَيُعْتُونُ وَيُعْتُونُ وَيُعْتُونُ وَيُعْتُونُ وَالْعُنُ

⁽١) الرباب: من آلات الطرب.

⁽٢) شابه: مزجه.

⁽٣) يحور : ينقص .

⁽٤) الحسر: التعب.

⁽٥) الجنان: القلب.

 ⁽٦) المراد بيذكر أنَّ هذا النهب معروف للناس يذكرونه جميعاً . وإقبال يشير إلى ما كان مِنْ
 أمر عليَّ كرَّم الله وجهه في غزوة خيبر ، وقد سبق بيان ذلك .

إنَّما المسكينُ قَالَ: لا إلها فِكُرُهُ نَدَّ وَمِنْهُ العَقْلُ تاها(۱) نحنُ في الدُّنيا نموتُ أربعا اذكرنْ مِنها المُرابي الأجْشَعا(۲) أيليستُ بسكَ هنذا العَسالسمُ منه في ذَيْلِكَ طينٌ أقْتَسمُ(۲)

* * *

نداءُ الجمالِ الأبديِّ

مِسنْ جميسل وقبيسيح ربنسا ما الوجودُ هَلْ عَرَفْتَ يا نجيب ؟ كانَ هذا الخَلْقُ نِشداناً لِعِشْق وضجيسجٌ مسا يكونُ أو غَبَسرُ الفنساءُ للحيساةِ والبَقساء أللحيساةِ والبَقساء أنست حيّ ؟ حنَّ شوقاً واخلُق مسا تسراهُ لا يسواتسي فَلْتُحطَّم على الربداء أنت غَيْس قادر ؟ كان مَكسروباً حزينا أعلى الإبداء أنْت غَيْس قادر ؟

خط نقشا، إن هذا نقشنا من جمال الله أن يُلفى النّصيب (٤) والظهورُ بالجمالِ عِنْدَ خَلْق (٥) بجمالٍ عندنا يبدي الأشر (٢) إنّها خلْت و مَشوقٌ لِلّقاء كل أفسق مِثْلَنا فلتَطْرُق كِللّقاء عالماً مِنْكَ إليكَ فَلْتُقَدّمُ (٧) عالماً مِنْكَ إليكَ فَلْتُقَدّمُ (٧) أن حَواهُ عالماً للخصرينا فير رأي لَدينا غَيْرَ كافِر لَسْتَ في رأي لَدينا غَيْرَ كافِر

 ⁽١) ندًّ : نَفَر وشرد .

 ⁽٢) أي نموت أربع مرات . وفي الأصل أنَّ السبب في ذلك أربعة وهم المرابي ، والوالي ،
 وشيخ الطريقة ، والشيخ .

⁽٣) الأقتم : الذي يعلوه اللون القاتم .

⁽٤) يلفى : يوجد .

⁽٥) النشدان: الطلب. والخلق في الشطر الثاني بمعنى الناس.

⁽٦) غبر: مضى.

⁽٧) يواتي : يوافق .

وعدمت حسننا حتَّى الأثر مِنْ نخيلِ العَيْشِ مَا ذُقْتَ الثَّمر مِن نخيلِ العَيْشِ مَا ذُقْتَ الثَّمر مِن رجالِ الله ؟ كَنْ سيفاً حُسَاما عالمَ التَّقديرِ فاخُلُقُ ، والمَرَاما(١) »

* * *

زنده رود

عالَمُ الألوانِ عَنْهُ ما الخبر هلْ يعودُ الماءُ يجري في النَّهُو ؟ سِرُّ تَكرارٍ عَنِ اللَّذِيا غَرِيبُ وهو في طبع لها أمرٌ عَجِيبُ لا تجوز رَجْعَةٌ تحت السَّماءُ لم يَقُمُ قومٌ تلاشوا في الفَناءُ لا يَقُومُ الشَّعْبُ مِنْ أعماقِ قَبْرِ مَا لَهُ مِنْ بَعْدُ قَبْرٌ غَيْرَ صَبْرِ

نداء الجمال الأبدي

الحياةُ أهي تَكْرارُ النَّفَس ؟ أصلُها مِنْ قوا إنَّ قُرْبَ الرُّوحِ مِنْ ﴿ إني قريب ﴾ مِنْ حياةِ الخُ يرفعُ التَّوحيـدُ فرداً بالتُّقاة يَجْعلُ الشَّعْم

أصلُها مِنْ قولِ ﴿ ياحيُّ ﴾ انْبَجَسْ (٢) مِنْ حياةِ الخُلْدِ للمرءِ النَّصِيبُ (٣) يَجْعلُ الشَّعْبَ أحاديثَ الرُّواة (٤)

⁽١) السيف الحسام: القاطع.

⁽٢) انبجس الماء: تفجر.

⁽٣) قال جل وعلا في سورة البقرة : ﴿ وَإِذَاسَأَلَكَ عِبَادِى عَنِي فَإِنِي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعُوهَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانُّ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلَيُوْمِنُوا بِي لَمَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] والله قريب علماً وإجابة لتعاليه عن القرب مكاناً . قيل : إنَّ أعرابياً سأله ﷺ : أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت الآية . والإيمانُ والعملُ الصَّالِحِ شرط في قبول الدعاء .

 ⁽٤) التقاة : التقوى . وأردنا بجعل الشعب أحاديث الرواة آنَّ هذا الشعب مشهورٌ عند الناس
 رفيع القدر .

وعَنِ الشَّبلي سمعتُ أو أبي ذَرْ طغرلٌ كانَ لِشَعبِ ثُمَّ سنْجَرُ (۱) بالتَّجلِّي كانَ لِلْمَرْءِ النَّبات إنَّه لِلْفَرْدِ والشَّغبِ الحَيَاة وَلَقَدْ نالا بتوحيدٍ كمالا حقَّقا هذا جملالاً ذا جَمَالا وهما سلمانُ في الفَقْرِ التَّقيي وسليمانُ له المُلْكُ العليّ (۱) ويسرى الواحد هذا ، ذاكَ واحدُ

ويسرى الواحد هسذا ، ذاك واحد جسالسن هدا وذاك فلتُعَاضِد

وينقسم التوحيد أقساماً عدة : أولها التوحيد الإيماني الذي يمكن أن يسمى التوحيد الامتثالي والتقليدي والتعبدي ، وهو توحيد العوام والمقلدين ، والثاني التوحيد الاستدلالي والعقلي ، وهو توحيد علميًّ تحقيقيًّ . وهذا توحيد علماء الكلام والحكمة الإلهية . وثالثها توحيدُ الواصلين من الصُّوفية ، وهو توحيدٌ حاليٌّ وكشفيٌّ . وعندهم أنَّ حال التوحيد وصف لازم لذات الموحِّد ، وللتوحيد نورٌ يكشف الظلمة عن الصُّوفي ، وبذلك يشاهد الجمال الإلهي ، ويفضي به الأمر إلى أن يعدَّ التوحيد صفةً له ، ويصبح أشبه شيء بالقطرة التي تسقط من ذلك التوحيد في بحر .

(۱) في الأصل بايزيد والسبلي وأبو ذر . وبايزيد هو بايزيد البسطامي من أهل القرن الثالث الهجري ، من كبار الصوفية ، وأول من نسبت إليه الشطحات . والشبلي صوفي بغدادي ، يقال : إنه أول من صعد المنبر لينشر في الناس مبادىء التصوف ، وكان يعظم الشرع ، ومات عام ٣٣٤ه. وأبو ذر صحابيٌّ جليلٌ مشهور بالزهد والورع ، وأحد الأركان الأربعة عند الشيعة . طغرل بك : أول سلاطين السلاجقة ، وقد اتسع في الفتوح ، واستولى على بغداد ، وذكر اسمه في الخطبة ، وتزوج ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وكانت وفاته عام ٤٥٥ه. . وسنجر : آخر عظيم من سلاطين السلاجقة ، وفي عهده أغار الأتراك على مملكته ووقع مع زوجه في أسرهم وتوفي عام السلاجقة ، وفي عهده أغار الأتراك على مملكته ووقع مع زوجه في أسرهم وتوفي عام

(٢) سلمان الفارسي أعلى صحابة الرسول على قدراً ، وله شهرة مستفيضة بالعلم ، والزهد ، والورع ، وهو مذكورٌ في الشعر الفارسي خصوصاً على أنه المثل الأعلى للمسلم التقي الذي رفعته تقواه إلى منزلة ما بعدها من منزلة . أما سليمان فهو سليمان بن داود عليه السلام ، وكان عظيم الحكمة ، وسخر الله الرياح له يصرفها بأمره ، وله بساط الريح يطير به ، كما كان له من الجنّ جنودٌ وملكٌ عظيم .

أيُّ شيءِ ألفُ عينِ خَلْفَ نَظْرَهُ ؟ وَلَهُ مَ قُلْبُ ودورٌ أَبْعَدَتُ نظرةً كُـنْ ، والإلـهُ مـا اسْتَتَــز ! والتَّجلِّي كانَ لِلتَّـوحيدِ فيها

أنت يا مَنْ ﴿ لَا إِلَّهِ ﴾ قُلْتَ مَرَّهُ ولأهمل الحمق دَعْموى وَحَمدَتْ تُصْبِحُ اللَّذَّةُ شمساً بالنَّظَرْ نظرةٌ بالله ِ كَيْهَ تردريها

باجتماع القوم للروح البَقاء

وإذا التَّـوْحيْـدُ شعبـاً أَسْكَـرا فَمَكَانُ الشَّعْبِ في أعلى النُّذري(١)

إِنَّ رُوْحَ الشَّغْبِ بَيْنَ النَّاسِ كَانَتْ لِلْحُلُـولِ قَـطُ جسمـاً مـا أَرَادَتْ والشَّتــاتُ فيـــهِ لِلــــرُّوْحِ الفَنَـــاءُ(٢) عِشْ طويلاً دَعْكَ منْ هذا الشُّرود(٣)

نظرةً شرِّد بها نومَ اللُّحود وَحْــدَةُ الأفكـــارِ والأعمـــال حَقّـــقْ خاتم المُلْكِ إليهِ اليومَ فاسبِقْ

زنده رود

طالَ بُعْدُ بينا الاأعْلَمُ لا تمــوتُ وأمــوتُ مــا الخَبَــرُ ؟

مَنْ أنا مَنْ أنْتَ أينَ العالَمُ قلْ لماذا كُنْتَ في أسْرِ القَدَرْ

نداء الجمال الأبدى

كـلُّ مـنْ فيهـا يـلاقـي مَصْـرَعَـهُ بعضُها في بعضها الدُّنيا لِتَغرَقُ (٤) كَيْفَ فِي دُنْسِاكَ عِشْتَ ثُمَّ مُثَّا

أنْتَ في دنيا الحمدودِ الأربعــه إِنْ تَرِدْ عيشاً فتلك اللَّاتُ أَسْبَقْ من أنا مِنْ بَعْدُ تبدري بل وأنتا

الذُّري : جمع ذروة ، وهي أعلى الشيء . (1)

الشتات : التفرُّق . **(Y)**

أردنا بالشرود هنا ما أراد إقبال بعدم المركزية ، أي : الخروج على الجماعة . (٣)

أسبق هنا بمعنى أفضل ، وقبل كل شيء . (1)

زنده رود

أعذر الجاهل بالجهل اغتذر ثورة للرؤوس والألمان كانت دبِّــرَ الشَّــرْقُ وهـــذا الغَـــرْبُ دَبِّــرْ

والنِّقاب ارْفَعْهُ عَنْ وَجْهِ القَدَرْ خَفْقةُ الأرواح في الإسلام بانَتْ قُلُ أجبني ما الذي كان المُقَدَّر

ظهورُ تَجَلِّي الجلال

بَغْتَـةً دُنيـا لــذاتــي مــا رَأيــتُ غَرِقَتْ دنيايَ في نورِ الشَّفَقْ وَعَلَيْهَا الأَحْمَرُ القانسي انْطَبَقْ بالتَّجلِّي ماجَ عُمْتُ مُهْجتِي كالكليم بالتَّجلي نَشُوتي (١)

إِنَّ أَرضي وسمائي قَدْ شَهدتْ نُــوْرُه أبـــدى الخفــــــــــــــــــانْ مِنْهُ قَـذ أَصْبَحْتُ مسلوبَ اللِّســانْ

مِنْ ضَمِيْت عالَم لِلْكَيْف والكم أطررَبَ السَّاميعَ مُشبوبُ النَّغَم ﴿ إِنْسَ شُرْقاً لَا تَكُنُّ مَنْ سِخْرِ غُرْبِ كَالْأُسْيَرُ فَ القَدِيْمُ والجَدِيدُ مَا هَمَا غَيْرَ النَّقيرُ " عِنْدَ شيطانِ قُمرتَ وَفَقَدْتَ خاتماً ٣٠) ولىدى جبريل رَهْنُ أغسَرَ الأمرَ العَسيرُ! الحياة وانت الجمع وصانت ذاتها أنتَ في الرّكبِ وحيداً كُنْ وواكبْ في المسير (٤)

⁽١) الكليم: موسى عليه السلام.

النقير : النكتة في ظهر النواة ، وهي مضرب المثل في الحقارة . يقال لا يملك شروى نقير ، أي : مثل نقير ، بمعنى : لا يملك شيئاً .

قَمَرُ: غلبَ في القِمار. (٣)

الرَّكب : أصحاب الإبل في السفر ، والمراد هنا : القافلة . وواكب : ساير ، وركب= (1)

فُقْتَ شمساً في ضِياءٍ تَغْمُرُ الآفاقَ نوراً عِشْ وكلَّ ذرةٍ في الكونِ فاغمرُها بنُور كَهَشِيْهم حَمَلَتْه بالجناحينِ الصَّبَا انْقَضَتْ أيامُ خُسْرُو ، دالَ عَصْرٌ للجهير(١) ضِيْقُ كأسٍ في يديكَ كانَ للحاناتِ عاراً ارْتَشْفْ كأسَ الحُميًّا وَلْتَكُنْ ذاتَ الخرير الخرير المَّرَا

* * *

مع الراكبين .

⁽۱) خسرو : هو خسرو برويز الذي أوفد النبيُّ الله رسولًا في العام السادس للهجرة يحمل كتاباً فيه الدَّعوة إلى الإسلام . ولكن خسرو غضب ، ومزَّق الكتاب ، فمزق الله ملكه ، وسلط عليه ولده شيرويه الذي قتله . وقد تطاولت الحروب بينه وبين الروم ، ويعدُّ آخر عظيم من ملوك الساسانيين .

ودال الزمان : انقلب من حال إلى حال . والجهير : الخليق بالخير والمعروف . وقد أردنا به الملك دارا ، وذلك لأنّه حين قدم إلى مصر عام ٥١٧ قبل الميلاد ؛ أظهر لرجال الدين من المصريين كلَّ آيات التسامح والتبجيل ، وأمر بترميم المعابد ، وعرف كيف يجذب قلوب المصريين إليه حتى عدوه من فراعينهم . وقد أصلح نظم الري . وجلب الكتب من إيران لتزويد المكتبات في مصر بها ، وبسط رعايته على العلوم ، وعلم الطبُّ خاصة .

⁽٢) الحميا : الخمر . ولإقبال في هذا من كلامه نزعةٌ صوفيةٌ جليةٌ ؛ لأن الخمر في شعر الصوفية رمزٌ إلى نشوة العشق الإلهي .





القسم الثامن

همالا

إلى الجيل الجديد







وفي الأخير أن الدكتور محمد إقبال يتمنى للإسلام جيلًا جديداً ، شبابه طاهر نقي ، وضربه موجع قوي ، إذا كانت الحرب فهو في صولته كأسد الشرى ، وإن كان الصلح فهو في وداعته كغزال الحمى ، يجمع بين حلاوة العسل ومرارة الحنظل ، هذا مع الأعداء وذلك مع الأولياء ، إذا تكلم كان رقيقاً رفيقاً ، وإذا جد في الطلب كان شديداً حفياً ، وكان في حالتي الحرب والصلح عفيفاً نزيهاً ، آماله قليلة ، ومقاصده جليلة ، غنى القلب في الفقر ، فقير الجسم والبيت في الغنى ، غيور في العسر ، رؤوف كريم عند اليسر ، يظمأ إن أبدى له الماء منة ، ويموت جوعاً إن رأى في الرزق ذلة ، إذا كان بين الأصدقاء كان حريراً في النعومة ، وإن كان بين الأعداء كان حديداً في الصلابة ، كان طلًّا وندى ، تتفتح به الأزهار وترف به الأشجار ، وكان طوفاناً تصطرع به الأمواج وترتعد له البحار ، إذا عارض في سيره صخوراً وجبالًا كان شلالًا ، وإن مر في طريقه بحدائق كان ماء سلسالًا ، يجمع بين جلال إيمان الصدِّيق ، وقوة علي ، وفقر أبي ذر ، وصدق سلمان ، يقينه بين أوهام العصر كمصباح الراهب في ظلمات الصحراء ، يعرف في محيطه بحكمته وفراسته ، وبأذان السحر ، الشهادة في سبيل الله أحب إليه من الحكومات والغنائم، يقتنص النجوم، ويصطاد الأسود ، ويباري الملائكة ، ويتحدى الكفر والباطل أينما كان ، يرفع قيمته ويزيد في سعره ، حتى لا يستطيع أن يشتريه غير ربه ، شغلته مآربه الجليلة ، وحياة الجد والجهاد عن زينة الجسم والتأنق في اللباس ، شعر بإنسانيته ، فترفع عن تقليد الطاووس في لونه ، والعندليب في حسن صوته (١٠) .

إِنَّ تَنْمِيـقَ الكـالامِ غَيْـرُ مُجـدِ فالفؤادُ ما احتواهُ لَيْسَ يُبْدي

 ⁽۱) مقتبس من « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي ، ص٧٣ ـ ٧٤ .
 طبع دار ابن كثير بدمشق .

قلتُ قولًا ما عليه مِنْ حِجَاب بالكلام كلُّ معنى لي تَعَقَّدُ

معنى لى تَعَقَّدُ ويسزيدُ اللَّبْسُ مِنْ صَوْتٍ تَـرَدَّدَ نظـرتـي منهـا افهمـنَّ مـا اسْتَعَـرُ (١)
أو أنينـــى وصـــداهُ فـــى السَّحَــرُ

بالنَّسِيْم بُرْعُماً قَدْ فَتَحَتْ فَعَدَنْ فَعَدَنْ فَعَدَرُدُ فَعَدَرُرُت ، وبحسن صَوْرَكُ عَلَّمَتْكَ ﴿ لَا إِلَى ﴾ قُلْتَها واحترق مِنْ ﴿ لَا إِلَه ﴾ في الشَّرَرُ ليكونَ الجسمُ كالمِسْكِ الفَتِيقُ (٢) شعلة في القشّ والأطوادِ صَارَتْ (٣) بَلْ هما في كفّ مِضْرابِ حُسَام (٤)

ما تبقِّي مِنْهُ يَنْبُو عَنْ كتاب !

نارُها نَصْرٌ مبينٌ عِسْ بها إنَّها ضربها

مــوْمــنٌ دأبٌ لــه عَفْــدُ النَّطـاق وَبِفلْـس شَعْبَــهُ والــدِّيــنَ بــاعــا فـــي صَـــلاةِ البَقَــاءُ والفَنــاءُ إنَّ نــوراً مـا تبقَّـى فــي صَــلاتِــه كلُّ مَنْ يَعْبُدُ في الدُّنيا الخُطاما

مؤمنٌ بالغَدْرِ يَرْضى والنَّفاق! أَخْرَقَ الدَّارَ فَضَاعَتْ والمتاعا وهما كانا دلالًا في الدعاء(٥) والتَّجَلِّي قدْ ناى عَنْ كائناته عَشِقَ المال كما خاف الحِمَامَا

⁽١) استعر: اشتعل.

 ⁽٢) المسك الفتيق: المخلوط بشيء أدخل عليه ؛ لتسطع راثحته.

⁽٣) كاه في الفارسية بمعنى قش ، وكوه بمعنى جبل . وقد أراد الشاعر أن يتلاعب بهذين اللفظين .

⁽٤) المضراب : الكثير الضَّرب . والحُسَام : السيف .

 ⁽٥) يقول : إن لا إله هي البقاء والفناء في صلاته ، كما أنَّها دلالٌ في دعائه .

ما انتشى ما ذاق شيئاً من حُبُور وكتابُ الدِّينِ في جَوْفِ القُبُورُ(١) ويقولُ ما يَظُولُ اليَّوْمَ حقا عن نَبِيَّين تَلَقَّى ما تَلَقَّى ما تَلَقَّى ما تَلَقَّى ما تَلَقَّى ما تَلَقَّى من بلادِ الفُرْسِ هذا ، ذاكَ هِنْدي «حكمُ حجُّ وجهادِ لَيْسَ عندي » إ(٢) إنَّ حجَّا وجهاداً واجبان لصلاةٍ أو لصوم كالجَنَانِ (٣) إنَّ روحاً في الصّلةِ والصّيام إنْ ناتْ فالشّغبُ مختَلُ النّظام إنْ روحاً في القلب الأثر فيهما الأمالُ خابت لِلْبَشَر (٤) إلى السَّمَ اللهُ المُنْسَر اللهُ المُنْسَر اللهُ المُنْسَر اللهُ اللهُ المُنْسَر اللهُ الل

مسلم عن ذاته تلك انفررد قد طغى المددد (٥) ا

سَجْدة ، والأرضُ منها زُلْزِلَتْ وأرادتْ ، فالشُّموسُ أُجْرِيَتْ والطُّحُورُ إِنْ دَرَتْ عَنْهَا الخَبَرْ فهي في الجوِّ دُحانٌ وانْتَشَرْ(٢) والصُّحُورُ إِنْ دَرَتْ عَنْهَا الخَبَرْ فهي في الجوِّ دُحانٌ وانْتَشَرْ(٢) ذاكَ عَصْرٌ كان فيه خفضُ هام دبَّ ضعفُ الشَّيْخ منه في الحُطام (٧) وربي الأعلى » أكانَتْ عِنْدَنا! ذَنْبُه هنذاكَ أوْ ذَنْسبٌ لَنَا؟ في سبيل كلُنَا قد أسرعا له النَّاقَةُ جافَتْ مَهْيَعَا (٨) في سبيل كلُنَا قد أسرعا له النَّاقَةُ جافَتْ مَهْيَعَا (٨)

صاحبُ القرآن ما ذاقَ الطَّلَبُ! العَجَبِ ثِمَةَ العَجَبِ ثُمَةً العَجَبِ

إِنْ بِفَضْ لِ الله فاضَ عِلْمُكا فسي أتى للزَّمان غَيْرُكا

⁽١) الحبور: البهجة.

⁽٢) ما بين قوسين كلام هذين الرجلين .

⁽٣) الجنان : القلب ، وفي الأصل : الروح .

⁽٤) أي أن أمثال هذين الرجلين الذين لم يذكر إقبال اسما لهما .

⁽٥) انفرد: تنحى، واعتزل. وهو يستنجد الخضر بعد أن طغى الماء وخيف الغرق. والخضر هو الذي دل الإسكندر على ماء الحياة وقد أسلفنا الإشارة إلى خبره.

⁽٦) أي إن عرفت الصخور خبر تلك السجدة .

⁽٧) الهام : جمع هامة وهي الرأس .

⁽A) جافت : أبعدت . والمهيع : الطريق الواسع .

لم يَخَفْ عقلٌ وَقَلْبٌ لَمْ يَذُبُ كَلُ ويسن كَلُ ويسن كَلُ ويسن آسيا أرضُ الشُّمُوسِ المُشْرِقَاتُ لا جديد جد لِلْقَلْبِ الغرير وحواها ذلك الدَّيرُ القديم صَيْدُ شيخٍ أو لسلطانٍ مَلَك عَقْلُها والدِّينُ بَلْ حتَّى الشرف فعلى أفكارِها كُنْتُ المغيرا

ما اسْتَحَتْ عَيْنُ وغاصَتْ في الكَذِبُ لا تكُفَ عن طواف حَوْلَ طيس لا تكُف عن طواف حَوْلَ طيس عينُها لِلْغَيْرِ، ما كانتْ لِلذَاتْ نِلْتُ منها الرَّيح أوْ حبَّ الشَّعِيرُ !(١) في جُمُود وجُمُود لا تريمُ (١) فكرُها ظبي ولكنْ في الشَّرَكُ من ركاب « اللورد » كانت في طرف وعن الأسرارِ مَرَّقْتُ السُّتورا

فَاضَ قَلْبِي بِالدِّما مِنْ فَرْطِ جَهْدي ثُـلَّم دُنياها أنا غَيَّرتُ وَحُدي

وبطبع العَصْرِ قُلْتُ لفظتين إنَّ لي بحرينِ الفظية تَلْتَفَ أخرى تَلْسَعُ والعقولُ في شلفظة كانتُ بمقياسِ الفِرَنْج نغمة سكرى ومِ الفلة كانتُ بمقياسِ الفِرَنْج نغمة سكرى ومِ أصلُ هذي الذَّكُرُ تِلْكَ بنتُ فِكْرِ قَدْ ورثتَ ذا وهذا إنسي نَهْرٌ ومِنْ نَبْعِ الأصلي إنَّ فصلي كانَ فع طَبْعُ عصري ذاك لمَّا أنْ تغيَّر

إنَّ لي بحرينِ في قارورتيس والعقولُ في شراكي أَجْمَعُ (٢) نعمةً سكرى ومِنْ أوتارِ صَنْج (٤) قدُ ورثتَ ذا وهذا ، لستَ تدري (٥) ؟ إنَّ فصلي كانَ فصلًا وهو وصلي (٢)

(١) الغرير: من لا تجربة له . والشعير مضرب المثل في رخص القيمة . يقول : إنه لا يظفر منها إلا بالريح والشَّعير ، فكأنه لم يظفرْ منها بشيء .

⁽٢) رام: فارق المكان.

 ⁽٣) يشبه إحدى هاتين اللفظتين بالأفعى التي تلتف ، والأخرى بعقرب تلسع ، وهو يشير بذلك من طرف خفي إلى كتاب له بالإنجليزية بعنوان «إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام » كما يريد بجمع العقول والقلوب في شراكه : إقناعها ، وجذبها .

⁽٤) الصنج : معزف ذو أوتار .

 ⁽a) أى : لتكن وارثاً للذكر والفكر .

⁽٦) يريد بهذا المنبع هذين البحرين اللذين أسلف الإشارة إليهما .

غَيَّرَ الأصداءَ صوتٌ لي تَحَرَّرُ

ظَمِىءَ الفتيانُ ما في الكوبِ قَطْرَهُ شَكُهِهُمْ يَسرُبُو ويجتاحُ اليقينا يُنكرونَ اللَّذَاتَ اليمانُ بِغَيْرِ اليس يدري القَصْدَ منه المكتبُ وَمِسنَ الأرواحِ يمحو نُورَ فطره صَفَّ أحجارَ البناءِ لَيْسَ يدري وعلي وعلي وقيد إذا ليم يَغتَمِدُ وبيهِ شَرْحُ المَقَامِ كانَ غَايَهُ وبنارِ الحسر طوعاً فاختَرقُ وبنارِ الحسر طوعاً فاختَرقُ وبنارِ الحسر طوعاً فاختَرقُ

عَقْلُهُم نورٌ ، بروح ليل حَسْرَهُ ما رأوا شيئاً ، وكانوا البائسينا رفعوا مِنْ تُرْبهم بُنْيَانَ دَيْرِ (۱) أَنْ تناسى ما بقلب يُجْذَبُ غُضنُه ما كانَ فيه قط زَهْرَهُ وَطباعَ البَطِّ يَهْدي لابنِ صَقْرِ وطباعَ البَطِّ يَهْدي لابنِ صَقْرِ لحيدة للسوارداتِ لحمْ يَجددُ (۲) لم يكن حقًا سوى تفسير آيه عَنْ لجينِ لَكَ صُفْرٌ يَنْفَرِقُ (۳) عَنْ لجينِ لَكَ صُفْرٌ يَنْفَرِقُ (۳) عَنْ لجينِ لَكَ صُفْرٌ يَنْفَرِقُ (۳)

بادىء بالحسِّ يُنهى بالحضور

آخــرُ العلــم أيبقــى فــي الشُّعــور!

خيرُ علم ما عَرَفْتُ بالنَّظر(1) يا لها منْ بَعدُ رَشْفُ سَكْرَةِ ! وردةُ البستانِ منها كأسُ خَمْرِ(٥) حولَ ذاتي كنْ كَفِرْجارٍ مَدَارُ(١) منكرُ النَّاتِ ليديَّ مِنْهُ شَرَّ(٧)

كَمْ كَسَابِ فيهِ أَغْشَيْتُ البَصَرْ إنَّ ههذا العلم صَبُّ خمرةً تُطْفَىءُ المصباحَ أنفاسٌ لِفَجْرِ لا تُطِلُ في القَوْلِ واقْنَعْ بالغِرَارْ منكرُ الله لِسدى شيسخ كَفَرر

⁽١) الترب: التراب. والبنيان: الجدار.

⁽۲) الوقد : النار . والواردات : ما يرد على القلب من خواطر .

⁽٣) اللجين : الفضة . والصفر : النحاس الأصفر . انفرق عنه : انفصل .

⁽٤) أعشاه: جعله أعشى ، أي لا يرى ليلاً .

⁽٥) يقول : إن نسيم الفجر يطفىء نور المصباح ، كما يفتح البرعم ، فيصبح زهرة ينسكب فيها الندى ، فكأنها كأس خمر .

⁽٦) الغرار : القليل من النوم . والفرجار : آلة ذات ساقين ترسم الدوائر .

⁽٧) أي : أنَّ منكر الذات أشدُّ كفراً ، وأكثر شرًّا من منكر الله .

ذا عجــولٌ وظلــومٌ بــلْ جَهُــولْ منكـــــرُ الله ِ بـــــانكــــــار عَجُـــــولُ رهبة السُّلطانِ جَنِّبْ شِيْمَتَكُ (١) وعلى الإخلاص شدّد قَبْضَتَكْ فى غناكَ بَـلْ وفى الفَقْرِ اقْتَصِـد ارضَ عَنْ عَدْلِ القوي لا تَبْتَعدْ وعلى قلبك مصباحاً فَعَوَّلُ (٢) يحفظُ الجِسْمَ لِتِلْكَ النَّفْسِ أَسْر يحفظُ الأرواحَ ذِكْسِرٌ ثُسمً فِكْسِر نالَهُ جسماً وروحاً من يُراعى كــلُّ حكــم فــي انخفــاضِ وارتفــاع لا تَطِرْ إِنْ خِطْتَ بِالعِشِّ النَّظُرِ (٣) لذة للسَّيْر غاياتُ السَّفَرِ ما المَقَام عِنْدَهُ غَيْرُ الحَرام(٤) ويدورُ البَدْرُ يحظى بالمَقَام والتـــزامُ العِــشُّ فيهـــا ضَيْعَـــةٌ أَنْ تَطِيْــــرَ ، للحيـــــاةِ متعـــــةٌ

الغُـرابُ رزقُـه فـي جَـوْف قَبْـر عِنْـدَ شَمْـس رزقُ شـاهيـن ، وَبَـدْر

إنَّ سَـرً الـدِّيـن أكـلٌ لِلْحَـلَالُ كُـنْ قـويـاً وابـغِ بـالـدِّيـن اليقينا بعض سر الـدين مما ليس يظهر

وهـو صِـدْقٌ والتَّملِّي للجمـال (٥) واربـطِ القَلْبَ بـربِّ العَـالمينـا(٢) يا بنيَّ اسمعُ حَذيثي عَنْ مُظَفَّر (٧)

⁽١) جنب شميته رهبة السلطان: أي أبعد طبعه عن الخوف من السلطان.

⁽۲) عول عليه : اعتمد عليه .

 ⁽٣) يقال في الفارسية : خاط عينه بكذا : أي حدَّق فيه ، ولم يبعد عنه نظره . وفي
 الأصل : إن كانت لك نظرة على العش .

⁽٤) المقام: هو المرحلة في الطريق الذي يسلكه الصُّوفي . وينبغي أن يمر بسبعة مقامات هي : التوبة ، والورع ، والزهد ، والفقر ، والصبر ، والتوكل ، والرضا . ويريد إقبال بالمقام هنا مطلق المنزلة العالية . أما المقام بضم الميم فبمعنى الإقامة .

⁽٥) التملِّي : التمتع .

 ⁽٦) في الأصل : كن صلباً كالماس وأبعد عن نفسك الوسواس .

 ⁽٧) مُظْفَر : من سلاطين كجرات ، وهو ابن السلطان محمود الذي يسميه مسلمو الهند :
 بكره .

وهو في أعماله فَردٌ فَريد فرسا كان يُعِرُ كالولد فرسا كان يُعِرُ كالولد أذهم من خير أفراس العرب ولدى المومن عن أو نفس أي وصف ؟ إنّه خير الجياد في المحروب مُشية لَمْحَ البَصَر في المحروب مُشية لَمْحَ البَصَر عَدُوهُ مورٌ وفورٌ يَومَ حَشر أشية الإنسان فاعتل الجواد أشبة الإنسان فاعتل الجواد أحضر البيطار دُنّا من شراب غضر البيطار دُنّا من شراب

في عُلُو لِلمَقَام بايسزيسد من حروب خاض أمسى في كَبَدُ(١) ونجيبٌ وكريمٌ في النَّسب(٣) الكتابُ والحُسَامُ والفَرَسُ(٣) مرَّ ريحاً بالغدير والنَّجاد! (٤) أَوْ كريح زَلْزَلَتْ طَوْدَ الحَجَرْ يَسْحَقُ الحافرُ مِنْهُ كلَّ صَخْر ذاتَ يوم، قيل أضناهُ الكُباد(٥) وسقاه فانتفى داءُ العَذَابُ(١) ذا الجواد، فالتُّقى مِنِّى بعيد

نِلْتَ مِنْ رَبِّكَ قلباً مُنِحْتَه مسلم مسلم مسلم مسلم مسلم التامسل طاعتَه

إنَّما الدِّينُ احتراقٌ في الطَّلَبُ وبلسونِ عسزٌ وَرْدٌ أو بِعِطْسر إنْ رأيتَ الشَّابُ هنذا قَدْ فَقَدْ وتريدُ حُرفةٌ كانت بِصَدْري وأتوبُ مِنْ زماني الحاضِر

وَهَوَ عِشْقٌ ثُمَّ يتلوهُ الأَدَبُ أَدبُ إِنْ عَابَ كَانَ شرَّ إِصْرِ (٧) أَدبُ إِنْ عَابَ كَانَ شرَّ إِصْرِ (٧) فنهاري ضاعَ في لَيْلِ الأبَدُ فَسلاًيّامِ النَّبِيِّ كَانَ ذِكْرِي لَخْيَابِ أَلْفَالِيَامِ النَّبِيِّ كَانَ ذِكْرِي لأَعْيَابِ في النَّرَمانِ الغَالِيرِ

⁽١) في كبد: في تعب.

⁽٢) اللَّدهم : الأسود . وقد يكون هذا السواد شديداً أو هيناً .

 ⁽٣) عز : صار عزيزاً ، ونفس : صار نفيساً . والمراد بالكتاب : القرآن الكريم .

 ⁽٤) الغدير : النهر . والنجاد : جمع نجد ، هو ما ارتفع من الأرض .

⁽٥) اعتل : مرض . والكباد : داء الكبد .

⁽٦) البيطار: طبيب الخيل. دَنُّ الشراب: جَرَّةُ الخمر. انتفى: طرد.

⁽٧) الإصر: الذنب.

والرِّجالُ حِذْرَهم كانَ الصَّحاب⁽¹⁾
كافِرٌ أو مُـؤْمـنٌ ربِّـي بـرأ^(۲)
ليسَ منَّا غيْرَ هـذا مَـنْ عَلِـمُ^(۳)
مِنْكَ في هـذا الطريـق خُطُوةٌ ؟
وعلى الكافِر والبَـرَّ الشَّفِيْـق⁽³⁾
وإذا مـا الـدِّيـنُ فـرَّ ويلكـا!

يَسْتُسرُ المسرأة زوجٌ أو تُسرَاب تَنْطِتُ العسوراءُ ؟ ذا كلُّ الخطا أنْتَ إنسانٌ ؟ أخساكَ فاختسرِمْ تسربطُ النساسَ جميعاً عُسرُوةٌ ولعبدِ العِشقِ من ربُّ طَرِيْت ضمّن السدِّين وكفراً قَلْبَكا

لَيْسَ حَدَا القَلْبُ إلا سجنُ طِيْنَ إنَّ فيه كلَّ أفسو كالوَضِينَ (٥)

فعلى الفَقْرِ اخْرِصَنَّ يَا بُنَيَّا (٢) عنْ أَبِ خمراً وَرِثْتَ بِلُ وجَدِّ (٧) ادعُ ربَّاً وانس كَالً منْ حَكَام

إِنْ رأستَ القَــوْمَ أَو صِــرْتَ الغنيَّــا إنَّـــه فـــي الــــرُّوحِ مِنْـــكَ يَتَّقِــــدْ لا تـــوْمُـــل غَيْـــرَ قلــــبٍ ذي أَلَـــمْ

⁽١) يقول : إنَّ المرأة يسترها أن تتزوج أو تموت . كما يستر الرجل أنْ يأخذ حذرَه من أصدقاء السوء .

⁽٢) العوراء: الكلمة القبيحة . وبرأ : خلق .

 ⁽٣) أي لا يعد إنساناً مناً من تناسى وجوب احترام أخيه في الإنسانية .

⁽٤) البَرُّ : من يطيع الله .

⁽٥) الوضين : ما انطوى وانثنى .

⁽٦) الفقر من مقامات الصُّوفية . وهو ليس فقدان الغنى ليس إلا ، بل فقدان الميل إليه والرغبة فيه ، فينبغي للصُّوفي أن يكون خالي اليد والقلب جميعاً ، وعلى هذا المعنى لا يتعارض الفقر مع جاه بعض الصُّوفية ، ورفعة قدرهم ، وقد يكون لهم قدرٌ من المال ، ولكن الله يخفي حقيقتهم عن أهل الظاهر . قيل : إنَّ الفقير هو الذي لا يملك ولا يملك ، والذي استصفى نفسه في فقره تقرباً . كما قالوا : إن الفقر لباس المرسلين ، وزينة الصالحين ، وتاج المتقين ، وغنيمة العارفين ، ورغبة المريدين ، ويؤثر عن الصوفية قولهم « الفقر فخري » .

 ⁽٧) يشبه الفقر بالخمر المعتقة . والخمر في مصطلح الصُّوفية نشوةُ العشق الإلهي .

كم حصيف وهو بالحقّ البَصير فبها تِلْكَ القلوبُ أَصْلَدَتْ في البلاد جُلْتُ أعواماً طِوالا

غَمَرَتُهُ نِعْمةٌ فَهُ وَ الضَّرير (١) ودعاء العَبْدِ عنها أَبْعَدَتُ (٢) لغنيَّ ما رأيتُ الدَّمعَ سالا (٣)

أهل فَقْرِ مِنْ فَدَيْتُ ، طِبْتُ نَفْسَا ويلُ مَنْ بِالنَّعْمَةِ الرحمن يَنْسَى

أترومُ الله وقَ عِنْدَ المُسْلِمينَا إِنَّ لِلْقُرِنَ عِلْماً لَيْسَ يُعْرَف إِنَّ لِلْقُرِنَ علماً لَيْسَ يُعْرَف الصِّياحُ والعَجِيْحِ في الخوانق قلَدَ الإفرنجَ منَّا المسلمونا ويسرِّ دِيْننا مساعِلْمُهُمْ ؟ كلُّ خيرٍ لِلْخَواصِّ كالحَرام كلاَ حيرٍ لِلْخَواصِّ كالحَرام التقييَّ مِسنْ غَدِي مَيِّزَنْ التقييَّ مَيْدَانَ المَالِيَةِ مَيْدَانَ التقييَّ مِسنْ غَدِي مَيْدَانَ التقييَّ مَالِيَّا اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ الْعُلِمُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ اللْهُ الْمُعْلَمُ اللْهُ اللْهُ اللْ

وتُريدُ الشَّوقَ فيهم واليَقِيْنَا والذنابُ إنَّهم أهلُ التَّصوُف! أينْ خِمِّيرٌ لِحُسْنِ الله عَاشِقُ⁽³⁾ من سراب كوثرٌ ما يطلبونا أهدلُ حِقْد وعداء كُلُّهُم ما رأيتُ الصِّدْقَ إلا في العَوام مَعَ أهل الحقّ والفَضْلِ الجُلِسَنْ

إنَّما النَّسْرُ تقاليداً ألسفُ سطوةُ الشَّاهِيْنِ طارَ ، تختلف

رَجُلُ اللهِ يَلُوعُ مِثْلَ بَرِق نحنُ كُنَّا في ظلامِ الكائنات والكليم والمسيمة والخليل إنَّ أهلَ القلبِ شَمْسُ الكائنات

حطباً يَجْعَلُ مِنْ غَرْبٍ وَشَرْقَ وَهُو ذو حِنْقِ بِحَلِّ المُغضلات والنَّبِيُّ والكتابُ ، جبر ثيل (٥) نورُها وهَابُ هاتِيْكَ الحياة

⁽١) الحصيف: العاقل.

⁽٢) أصلدت الأرض: صلبت.

٣) يريد ليقول: إنه لم يصادف غنياً رقيق القلب يحزن لمصاب غيره.

⁽٤) الخوانق: جمع خانقاه، وهو المبنى الذي يقيم فيه الصوفية معتزلين متعبدين. والخميرُ: مدمن الخمر. والمرادبه الصُّوفي.

⁽٥) الكليم: موسى ، والخليل: إبراهيم عليهما السلام . والكتاب هنا: هو القرآن الكريم .

ذلك السُّلطان بَعْدُ علمتكا أو فما ماءٌ وطينٌ مِثْلَ شَوْب إ(١) غارقٌ في الجسم ، روحاً لَيْسَ يدري رَجُدُ الله لله لله الله للنات نكَّصا(٢) وهو بالعَيْنِ يَرَىٰ يا لَلْعَجَبُ وَلَتُواجِهُ في الحياةِ ألفَ عُقْدَهُ ما للديَّ عن أبي هلا أخَذْتا في الطياةِ ألفَ عُقْدَة في الحياةِ الفَ عُقْدَة في الطريق عن أبي هلا أخَفُون (٣) في الطَّريق كانَ مَوْصُولَ المسير في الطَّريق كانَ مَوْصُولَ المسير رَقْصةَ الرُّوح تناسىٰ الغَافِلونا رَقْصةُ الرُّوح لها نَجْمُ السَّحَاب وإلينا الأرضُ والخضرا تُضَمَ (٤)

وهي في نبود لها قَدْ أحرقَتُكا نَحْنُ بِالنَّارِ لها أصحابُ قَلْبِ أَنْتَ في عَصْرِ وللْكِنْ أَيُّ عَصْرِ قَلْبِ قَلْبِ قَصْمُ أَنْقَصا وَحْمَ بُوحِ سِعْرُ جسمِ أَنْقَصا إِنَّ هذا منا درى معنى الطَّلَبِ فَوْقُ ذَاكَ البَحْثِ لا تَشْرُكُهُ مدَّهُ صُحْبِةَ النَّدْبِ اللبيبِ إِنْ عَدَمْتَا في الطَّريق صُحْبِةَ النَّدْبِ اللبيبِ إِنْ عَدَمْتَا في الطَّريق الجُعلِ الرُّومِي رفيقاً في الطَّريق يَعْرِفُ الرُّومِي رفيقاً في الطَّريق يَعْرِفُ الرُّومي لُبَاباً مِنْ قُشُورِ يَعْرِفُ الرُّومي لُبَاباً مِنْ قُشُورِ وَفَصَ جِسْمٍ منه كانوا يَفْهَمُونا رقصةُ الجِسْمِ منه كانوا يَفْهَمُونا رقصةُ الرَّواحِ عِلْمٌ وهي حُكمْ رقصةُ الأرواحِ عِلْمٌ وهي حُكمْ

⁽١) الشوب: القطعة من العجين . والمراد بها جسم الإنسان .

⁽٢) نكص : رجع . وفي الأصل : أنه اختفى في ذاته .

⁽٣) المشبوب: المشتعل.

⁽³⁾ الحكم: الحكمة . والخضراء : السماء . وإقبال هنا يحدّثنا عن رقص الدراويش المولوية أتباع جلال الدين الرومي المعروف بمولوي المتوفى بقونية في الأناضول عام ١٨٣هـ . فقد كان مريدو جلال الدين الرومي يستعينون بالرقص والموسيقا على تحريك نشوة التصوّف في قلوبهم . وجرت عادتهم بالاجتماع فيما يعرف بسماع خانه أي بيت السماع ، وهو بهو متراحب الأرجاء في صدره مجلس للعازفين . ويدخل الدراويش بالطويل من قلانسهم والضيق من سراويلهم . وبعد التسليم على شيخهم تبدأ رقصتهم ، فيرفعون أذرعهم ، وقد اتجهت راحة يدهم اليمنى إلى أعلى وراحة اليسرى إلى أسفل . ويدورون بعض أطراف أصابعهم دوران الرحى حول قطبها بينما ينفخ في الناي وتقرع الطبول ثم يصلون على النبي على واضعين أيديهم على صدورهم ، ويحنون قامتهم ، وبذلك تنتهى رقصتهم .

كلُّ شَعْبِ كَانَ ذَا الْمَلِكُ الْعَظِيْمِ (۱)

وَلِغَيْسِ اللهِ فِي القلبِ التَّضَرُّم (۲)

فبروح منك قط ما رَقَصْتَا (۳)

يا بنيً إنَّه نِصْفُ الهَرَمُ (۱)

إنَّ مولاي لناتٍ قاهِرُهُ أَنَّ الْهَرَمُ (۱)

آو لو وافاكَ مِنْ هَذَا نَصِيبُ (۱)

لَشَـرَخُـتُ دِيْـنَ خَيْـرِ الأنبياءِ وأَطَلْـتُ لـكَ فـي قَبْـرِي دعـائـي

* * *

وفي رأي الصوفية أنَّ السماع وما يفضي إليه من رقص يرقق القلوب وينتزعهم من عالم الثرى ليسمو بها إلى العالم العلوي ، كما يثير الطرب في النفوس والخوف عند التائبين ، ويضرم نار المشتاقين . وفي الرقص يقول جلال الدين الرومي (إذا ما ذكرت البحر وأمواجه ، فما ذكرت شيئين متباينين ، لأن أمواج البحر هي البحر نفسه ، ولكن في ارتفاع وانخفاض . والموجُ بَعْدُ هبوطه إلى البحر يعود . وما مَثَلُ البحر إلا مثل بني الإنسان ، لأنهم أمواج الله . وإلى الله مرجعهم بعد موتهم) .

ومن مستطرف ما يروى عن السُّلطان سليم العثماني ، أنَّه مرَّ بإقليم قونية وعاصمته قونيه ، فتعجب من كثرة الأعاصير ، وقال له أحد رجاله متبسطاً : إنَّ ما في تلك الأرض من تلال وأحجار وغبار يرقص رقصة المولوية .

- (١) الكليم: هو موسى عليه السلام.
 - (٢) التضرُّم: اشتعال النار.
 - (٣) حرق : بمعنى أحرق .
- (٤) قال النبيُّ عِينَة : ﴿ الهمُّ نصف الهرم ﴾ .
- (٥) يشير إقبال إلى قوله ﷺ : ﴿ إِياكُمْ والطمع فإنه الفقر الحاضر ﴾ وفي الأصل : إني عبدٌ لمن قهر ذاته .
- (٦) جاويد : اسم ابن إقبال الذي أهدى إليه المنظومة ، والمراد بهذا في قوله هو رقص الروح . ووافاك : بمعنى أتاك .







ٱلدِّيْوَانُ ٱلثَّامِنُ

وَالآنِ... مَاذَانَصْنَعُ؟ يَاأُمُمُ الشَّرقِ .. برجيبابررد أي قوام ميرق

> نَقَلَهُ إِلَىٰ لَعَرَبَيِّةِ الأست اذأ حمالغب ازي

صَاعَهُ بِالْعَرَبِّةِ شِعْرًا استخصاوي شعب لال المصري



أصدر محمد إقبال هذا الديوان في آخر حياته باللغة الفارسيَّة ، صَاغَه على وزنٍ مثنويِّ مولانا جلال الدِّين الرُّومي من بحر الرَّمل المسدس ، وهذا مجموعة قيمة جميلة من شعره ، نشرها في سنة ١٩٣٦م ، بعد أن استولت إيطاليا على الحبشة ، مع أن مثنويات هذا الكتاب موجزة تحتوي على صحائف محدودة ، ولكنها مليئة بأمواج فكره العالي ، تتلاطم فيها بحار فلسفته البديعة التي اقتبسها من الكتاب والسنة وآثار العلماء .

وإذا أمعنًا النظرَ في هذا الديوان تبيَّن لنا أنَّ مزاياه تفوق جميع دواوينه الأخرى لما يحويه من حالة ممتازة من النشاط والجذب والإخلاص والعشق، تقطر من كلِّ بيتٍ فيه قطراتُ الشَّوق والحبِّ والاضطراب الرُّوحي، كما نلاحظ ذلك في مثنوي مولانا جلال الدِّين الرُّومي.

قد تناول محمد إقبال في هذا الديوان بعض الموضوعات الهامَّة ، نشير إليها باختصار :

الموضوع الأول من هذه الموضوعات الهامّة التي عني بها شاعرنا العظيم في دواوينه بعامةٍ وفي هذا الديوان بخاصةٍ ، موضوع نهضة الشَّرق ، يقول : إنَّ الشرق هو الذي هدى الغرب إلى التقدم والرُّقيِّ العالي ، وإلَّا فلقد كان أهل الغرب متخلِّفين عنَّا في كلِّ ناحية من نواحي المدنية والحضارة ، وحير كانت أوربة غارقة في لجَّةٍ من التعصُّب ، والجهل ، والحروب الدَّاخلية الدَّامية ، كنا والحضارة . وهذا هو الشرق الذي هذَّب الأمم الغربية بمختلف الفنون ، والعلوم ، والكيمياء ، والطبِّ وغيرها .

والموضوع الثاني في هذا الديوان هو تطهير الفكر وتجديده ، يقول : ﴿ إِذَا أَمْكُنَ تَطْهِيرُ الفَكْرُ في أُمَّةٍ استطاعت أن تنهض ، وتخطو إلى المجد قدماً ، ولو

أمعنًا النظر في سيرة الرسول على المطرة علمنا أنَّه بدأ تربية الأمة بتطهير الفكر ، ثم استطاع بعد ذلك أن يقيم بناء التعمير » .

فيريد شاعرنا العظيم أن نركز أولًا على إصلاح الفكر ، فبإصلاحه يصلح الإحساس ، وتستقيم العواطف .

وبعد ذلك أجلُّ ما عني به محمد إقبال في هذا الديوان هو موضوع فقر المؤمن ، ويتبادر إلينا في المعنى اللغوي أنَّه يعني فراغ اليدِ من الأموال ، ولكن صوت الحقيقة يدوِّي في كيان الحقيقة كلِّها ، بأنَّ كل موجود فقير إلى الله ، فقير إلى إدراك ما لا يعرفه ومعرفة ما لا يعلمه ، فقير إلى محبة الأصدقاء ومعاونة العشراء .

وقد اصطلحت الصَّوفية على أن الفقر يعني: إخلاص العمل لله ، وتخصيص الاحتياج إلى الله وحده ، والاستغناء به عمَّا سواه ، وقد التبس الأمر على بعض الناس لما بين هذه الصورة من التشابه ، وظنَّ البعض أنَّ فقر الصُّوفيَّة هو بعينه الفقر اللغوي .

ويقول محمد إقبال: إنَّ الفقر قد يعني ترك الدُّنيا، ولكن ذلك لا يعني الإهمال، والعزوف، والزُّهد الغالي، وإنَّما يعني تسخير الدنيا أولًا، ثم العزَّة، والعفَّة، والاستغناء، كما سخَّرها أجدادنا، واستفادوا من نعمها، لكنَّهم لم ينغمسوا في قعرها انغماس الماديين وأهل الهوى.

وليس من شأن المسلم أنْ تستعبده مادةُ الحياة الدنيا وحطامها ؛ لأنه أرفعُ قدراً ، وأعزُّ مكاناً ، وأنبلُ هدفاً لأنّه له خلافةُ الأرض ، فالمؤمنُ الفقير - المؤمن الكامل - هو الذي يُزلزلُ بعزيمته هذه الكرة المسكونة ببَرِّها وبحرها ، والفقر النبيلُ العفيفُ هو احتقار زهو الدُّنيا ، ودواعي الغرور فيها ، وإلى ذلك يُشير محمد إقبال في موضوع فقر المؤمن في هذا الديوان .

وقد كتب محمد إقبال هذا الديوان باللُّغة الفارسيَّة ، فنقله منها الأستاذ أحمد غازي إلى العربيَّة نثراً ، فصاغه الشاعر الإسلاميُّ المعروف الشيخ صاوي شعلان المصري شعراً بالعربيَّة ، وهو الآن بين أيديكم .

* * *

التمهيد

ذكر الشاعر في هذه الأبيات حبَّه لمرشده الرُّوحي مولانا جلال الدين الرُّومي ، مجدِّد التصوُّف وإمام الرُّوحانية في عصره ، ثمَّ يُلقي الضوء على المكانة العالية التي يحتلُها الرُّوميُّ في نظر الشاعر .

ويركّزُ في الأبيات الأخيرة على أهمية الصراع بين الحق والباطل ، وكلُّ ذلك على لسان مرشده وأستاذه الرُّومي ، يقول :

> كن مشل إبراهيم في الإيمان الشُّعبُ يبنى عبرَّه بكفاحه ولقد يُظمنُ به الجنون إذا بدا ما فوقَ أرض الله شعب ظافرٌ إلَّا إذا عقـــل الجنـــون وإنَّمـــا المؤمن المقدام يمضى قاهرا وإذا ارتضى للذلُّ أمسى كافراً من كان يدري فَرْقَ ما ينتابه وبأنَّ الاستعمارَ أسرعُ بالرَّدى وبان للأحرار بعد فسائهم وهناك يَرْفَعُ سهمَهُ نحو العلا شُمُّ الجبالِ تـذوب في خطواتها كم ثورة للمجدد طئ ثياب لا يتــركُ الــدُنيــا تعيــشُ وشعبــهُ العِطْــرُ مستتـــرٌ ويســـري ظـــاهـــراً لا تخدعنَّك في الرُّبي ألوانها

حتى تسزيك معابد الأوثان ليشيد مجداً ثابت الأركان يوماً تمردُهُ على الطُّغيان ببلوغ آمال ونيل أماني يحلو جنون الحب للأوطان بالعسر والإقدام دون تسوانسي بالله أو بكرامة الأوطان فسي دَهْــرِهِ مِــنْ عــزّةٍ وَهَــوان للناس في الدُّنيا من الحَدَثان عمراً على الأيام ليس بفاني ويقيم رايت على كيوان حتى تفوق الماء في الجريان كالنَّار تَقْدِفُ ثدورة البركان فيهــا قتيــلُ الـــذلُّ والحِــرُمــان كنْ أنت مِثْل العِطْرِ في البُستان كن خالياً فيها من الألوانِ

ل ل يهتدوا إلَّا إلى الأبدان مرضاةً الإله المواحدِ الدَّيَّان إلَّا وفياً صادقَ السوِجْدان ولسو أنَّ فيهسم قيصرَ السرُّومسان دِ ولا حــديــثَ الصَّقْــرِ للغِــرْبــان يوماً إلى نسج الحرير يَدَان من أن يُبَاع لتاجر العُبدانِ شيخُنا الروميُّ علويُّ المِثال وهمو فسي قمافلمة العِشْمَ أميم ضارباً في مسبح النَّجْم خِياما بهدى القرآنِ أضحى مُصْحفًا جام (جمشید) تواری خَجَلا أشعَـل الشورة في قلبي صداه وَتَجَلَّى نغماً في فكرتي واستبانت كُنْمة أسرار الحياة يكســـرُ الأغـــلال والقَيْـــدَ الثقيـــل فأزاح العِبْءَ عنه وانتَصر ما اكتوى مِثْلُك حيٌّ بلظاها لتصيــر النّــارُ بــرداً وسَـــلامـــا لا تغادر هيكلًا منها قديما تنبستُ الشورة في وِجْدانه قاصر العَقْل يسمّيها جنونا

قد ضلَّ أهلُ القصر عن أرواحهم فاللدين إرضاء اللخيل وليس فقلوبهم وجيوبهم وعقولهم لا تصحبن في شرب كاسات المنى لا تسرجُ في نُدَماء غدر نشوةً لا تُفـش لـــلأنعـــام أســرارَ الأســو مَنْ شابَ في نسج الحصيرِ فما له والنِّذُنبُ يَاكِلُ يَوسفاً خِيرٌ لَه مرشدُ الأرواح مـولانـا جـلال^(١) مشرقُ الإيمانِ قدستُ الضّمير قد عبلا منزلة الشمس مَقَاما قلبُمه في مُحْكَم اللذِّكرِ صفا لسو رأى مسرآتك بيسن المسلا رَأْيُه المسرسلُ بالعِشْق نَدَاه قال شيئة سَمِعَتْه فطرتى أمه ألدُّنيا صَحَتْ بعد سبات وافساقَ الشَّـرُق مـن نــوم طــويــل جَــُذْبَــةٌ واتتــه مِــنْ دَفْــتُع القَــدَر أمسم الغرب تبينت ملداهما كُن كإبراهيم سُكْراً وَهُياما اجْعَل الأصنامَ في الأرض هشيما مِنْ ضمير الشَّعب من إيمانه هي نسورٌ يجتليم المُصْلحونا

⁽١) قد سبقت ترجمته .

لم يَقُمُ فيهم جنونٌ ذو فنون ما لهم في ساحة المَجْدِ مكان لم يُجَاهد فكأن لم يُخلَق فتسوكسل واعتسزم نَحْسَوَ المُسراد حيثمها ههم بأمسر حقَّقه لا أرى اليائسسَ إلَّا كسافسرا فهو بالخير وبالشر بصير تباركاً مناعمً والظلم خرابا والجبال الشم قاعا صفصفا وهمو لملأجيمال بعمث ونشمور يُرْسِلُ الإلهام والقولَ الرَّصين ثملاً من خمرها في حانتي لم تَعُدُ تحفلُ بالوَهْم القديم كالشذا يسري خفياً باديا ومن الألسوان(١) طبرًا خسالسا وبدونِ الكــلِّ لا تــرجــو سِـــواه أهلُ هذا العصر عنها في احتجاب ولغيـــر الله دَلُـــوا صـــاغِـــريـــن فيهما حيرة أهل الفلسفة لــم يجــاوِزُ فكــرُهــم مــاءً وطينــا ومعيـنُ العِشْـقِ منهــم فــي نُضُــوب ازرقا أو احمراً أو أصفرا من سراج القلب ضلَّت في ضحاها

إنَّ قـومـاً للهـوى يستسلمـون لن يقيموا نهضة تمحو الهوان كلُّ مَن تحت الفضاء الأزرق ثقة المرومن بالله عتاد شيمة المؤمن عنزم وثقة بهما يَسْمُو ويمضى قاهرا نظرة المرومس مصباح منيسر عزمُه الوثَّابُ لا يخشى الصعابا حوّلت ضربته صُمّ الصّف يحدك الأمال بالفقر الغَيُور ومضي عازف ناي العاشقين حين أَذْرَكْتَ المُنى في صحبتي حال في نشوتك العزمُ الصّميم كُنْ من الرَّوض قريباً نائيا بيسن ألسوان السرّوابسي واعيسا كن مع الكل على هَـذي الإلّـه قوةُ الرُّوحِ هِنِي السُّحرُ العُجابِ فلديهم حبُّ غير الله دين ذلك السرر وهندي المعسرفة مُنْذُ بدءِ الخلقِ في ماضي السنينا حُـرمَــتْ أعينهــم نــورَ القلــوب لــم يــروا فــي الكــون إلَّا مَنْظــرا وإذا الأبصارُ لسم تُسدرك هُسداهـــا

⁽١) المذهب .

لم يبغ يوماً لمخلوق ضميره صانَ عَنْ قَيْدِ سِواه القَدَما لا تعيه في مراعيها النَّعَم لا تَبُـخ بالسرّ إلَّا لللسود أبْعبدِ السَّفَلةَ عن حَفْلِ النَّدامي لَـنُ تـرى فيـه النَّـديــمَ الخَيِّـرا فى فم الذُّئب وأفناه التهاما وَبِبَخْس المالِ يــومــاً يشتــريــه ﴿ لم يبالوا بمقاييس الأمور بارع الفكر نقئ الخاطر كادَتِ الرُّوحُ بــ تُختَــرق لم تَزد أسماعُهم غَيْرَ الجمود فى قرى الإفرنج ترديد الأذان قُـلْ عـن الـدِّيـن وأنبـاء الشُّعـوب مــنْ يَـــدِ تُطْعِمُــك الهَـــمَّ دوامـــا فيه مرزُ الجروع فالمذُّلُّ أمرزُ فاترك الحلواء للطفل الغريس كُنْ عفيفَ القلب وانْعَمْ باليسير ما الذي تَحْمِلُه غَيْسَرَ العَبيسِ فاجعل الصّحراءَ سيلًا هادِرا وابْعَثِ العِطْرَ سلاماً في الوُجود أنت في السُّلْم رسولٌ للإخاء ليس سِرُّ الحقُّ عنهم في خَفَاء ليعمة الخير كمل العمالمين مِنْ دجى الليل إلى فجر الغَدِ

فاز حررٌ جَعَلَ الحرقَّ مصيره مـــنْ وفـــى لله روحـــاً ودَمَـــا إنَّ سرَّ الأُسْدِ في حِصْنِ الأجم ليـس كـلُّ الخلـق أهـلاً للعهـود إِنْ تعاطيتَ مع الصَّحْبِ المُداما هَبْهُ كسرى هَبْهُ أيضاً قَيْصرا لو غدا يوسُفنا يوماً طعاما فهو خيـرٌ مـن خسيـس يحتـويـه أهــلُ دنيــانــا تمــادوا فــي غــرور بَهَـرَتْنـي نكتـةٌ مِـنْ شـاعـر ذاتُ معنى نورُه مُسؤْتَلِسق إنَّه العاشقُ في أهل الجحود فَهُـوَ يَحْكـي مسلمـاً بـاتَ يُعـانـي قلُ لأهل الحقِّ ما يشفي القلوب اقبل الهم ولا تماكل طعماما إنْ يكن عيشُك مِن طولِ الكَدَرْ المدواءُ المُررُ للعقل الكبير خِـرْقـةُ الـزَّاهـد عـبُّ للفقيسر واسألِ الأنْسَام في الرَّوض النضير إنْ تكُـن بحـراً قـويـاً غـامـرا أو تكن طَلاً فعش بَيْنَ الـورود أنتَ في الحربِ نشيدٌ من دماء إنَّ أهل الحقِّ أربابُ الوفاء وتامَّالُ قطرة الطالُ النَّدي

حَفِظَتْ في الكون ذاتيَّتها وبنى عُنْصُرَها شوقُ الحياه وبنى عُنْصُرَها شوقُ الحياه ومَضَتْ تجتازُ في صَمْتِ الفضاء جانبتْ أَنْ تَجْعَل البَحْرَ الهدف بل أقامتْ بين أحضانِ السَّحر فَتَعَمَّ السوردُ بها أجفانه هكذا المومنُ رمزُ التَّضحيات

ثم حلَّت في الدُّجى عُقْدتها واستقرَّتْ حيثُ أحياها الإلَه خلوةُ الأفلاكِ في جوِّ السماء لم تُرِدْ أَنْ تتوارى في الصَّدَف لَمْحةٌ كانت حياةً للزَّهر وسقى مِنْ عِطْرِه أغصانه يتفانى في التناء الباقيات

张 张 张

مناجاة الشَّمْس

جَرَتْ في حياةِ الشُّعراء سنةٌ أدبيَّة سلكها الكثيرون منهم في مخاطبة الشَّمس ، ولعلَّ أقرب مثال إلينا في الجديد قصيدة أحمد شوقي (قفي يا أخت يوشع خبرينا) فالشُّعراء خاطبوا الشمس ، وتحدَّثوا عنها ، وتفنَّنوا في ذلك ، وأبدعوا ، وها نحن نرى إقبال يُخاطبها قائلاً :

يا مبعث الإسراق والنُّور الذي في كلَّ موجود ضميرٌ مشرقٌ منسكِ الحسرارةُ للحيساةِ وبعثُها أوْدَعْتِ كلَّ مُحَجَّبِ شَوْقَ الظُّهو كَيَدِ الكليمِ أرى جلالَكِ سابحاً يطوي المَسِيْرَ على جَدَاوِلَ فِضَةِ يطوي المَسِيْرَ على جَدَاوِلَ فِضَةِ أرسلتِ بدرَ التَّمَّ بعدكِ في الدُّجي (۱) أهديتِ للياقوتِ وَمْضَ بريقهِ

عمة البريّة من ضياء الباري من ضوئك الفيّاض كلَّ نَهَادِ ونضالُها في موجها الموّاد رعلى هدى من حكمة الأقداد في مسوكب مُتَجدد الأسفادِ في زورقٍ من عَسْجد ونُضَادِ يجلو محاسنَه على الأنظاد ولعل بين بسواطن الأحجاد

⁽١) الدُّجي: سواد الليل وظلمته.

صَبَغَتْ مسلابسه بلونِ النَّارِ يختالُ بين عرائس النُوارِ وأزاح عن جَفْنيهِ ألفَ سِتَار بيـن الغصـونِ الخُضـرِ والأشجـارِ وسما بطلعة وجهك استبصاري في كلِّ ما في الأرضِ من أشجار ظل المساء الغارب المتواري يهدي خُطاي إلى علا وفخار تصفو بها نفسى من الأكدار من حولها ستراً من الأنوار كيما يُبَدِلُ لَيْلَهُ بنهار مشبوبة بعزائه الأخرار قيثارة أوتارها أشعاري متحفِّزاً للسَّبْق في المِضْمار غَيْرَ الدِّي شَهِدَتْ من الأدوار لغبو الفِرَنْج وزينفِ الاستعمار إلَّا بـــذكـــرَ مُقَـــدًرِ الأقـــدار موصولة بنزاهة الأفكار عَنْ قَصْدِه لم يَلْقَ غَيْرَ بَوَار (٢) من ذا يسورى بهرجاً بنُضَار وينطـــوي فـــى ذلَّـــةٍ وصَغَـــار

وسكبت في فَلْب الشَّقيق حرارةً بعروقه تجري اللأماء وقد غدا والنَّرْجِسُ^(١) الغَضُّ استفاقَ من الكرى لينالَ من هذا الشُّعناع نصيبَه مَرْحِيل لقد وافيل قدومُك بالسَّنا حتى تجلَّى نخلُ سينا ماثلًا أنت الصباح المرتجى لكنّني فهبي لِـوجُـداني سـراجـاً مشـرقـاً وَلْيَسِوْ ضوءُك في ترابي شعلةً وصلي حياتي واجعلي هذا السُّنَا لأنِيْلَ فِكْرَ الشَّرق أوضاحَ الهُدى وأثيرُ ناراً في الصُّدور جديدةً إنى سَأُسْمِعُهم نشيدَ المجد من وأحيلُ خام الطَّبع وعياً صارخاً وأصوغُ لـــلأيّـــام دوراً مقبـــلاً ليحـــرّروا الأرواحَ والأفهــامَ مــن لا يستقمى نبخ الحيماة حمرارة ومجمالُ تحمريم النُّفوس أمانــةٌ والشَّعْبُ حِيْنَ يَضِلُّ في آماله وتحُــولُ فضَّتُــه النقيــةُ بهــرجـــاً ويموتُ داخلَ صَدْرِه القلبُ السَّليم

⁽۱) النَّرجس : نبت من الرياحين ، وهو من الفصيلة النرجسية ، ومنه أنواع تزرع لجمال زهرها ، وطيب رائحته ، وزهرته تشبَّه بها الأعين .

⁽٢) بَوَار ، أي : هلاك .

حتَّى تسرى المُغوجَّ في نَظراتِه وإذا رأى في الكائناتِ صِرَاعها فإذا الحياةُ هي السَّلامةُ والسُّكو في بَحْرِه موجُ الأماني راسبُ الخطوةُ الأولى لِنَهْضَةِ أمَّةِ المُحلوةُ الأولى لِنَهْضَةِ أمَّة

يبدو سليماً عالي المِقدار طَلَبَ الشَّواطيءَ خَشْيَةَ الإعصارِ فَلْبَ الشَّواطيءَ خَشْيَةَ الإعصارِ نُ وفوزه مِنْ حربها بِفِرار ما فيه مِنْ لُعجُ ولا تيَّار تحرير والإضرار تحرير ها بالعَزْم والإضرار أنْ يَسْهُلَ التَّعْمير لللفكار

谷米米

حكمة الكليم _ سياسة الأنبياء

استخدم إقبال كثيراً من مصطلحاته الخاصّة ، فوجّه منها سهاماً نافذةً إلى صدر الاستعمار ، وهو هنا في هذه الأبيات يرقى على معراج الفكر إلى تفهّم جلال النبوّة ، ثم يعرض صفات المؤمن الصّادق ليشحذَ من عزيمته وينفخ فيه روح التحرُّر ، ويوقظ في فطرته معاني القوَّة ، فما كان يستسلم لطغيان طاغية ، وجبروت جبار ، وإنما تكون خشيته من الله وحده والتجاؤه إليه دون سواه ، فنراه يتّخذُ من صفات النّبيّ أسلحةً للأمم العزلاء لتناضل بها ، وتذودَ عن حياضها ، وتدفع العدوً عن حماها :

عند ما يَصْدَعُ النبيُ بِالْمرِ الله جهراً في مَسْمَعِ الأكوان يتحددًى بوحيه كل حُكْم لأميرٍ في الأرض أو سُلطان لا يرى قَصْرَه سِوى رَسْمَ ديرٍ من بقايا هياكلِ الأوثان لا يَسِيْعُ المَقَام في مَوْطنِ النَّلُ ولا يَرْتضي بِعَيْشِ الهوان تَسَدُدَّكُ عَيْ بنورٍ صحبته النَّفُ سُ ويهدي الرَّشَادَ للحيران يُحْدِثُ الضَّجَةَ الرَّهيبة في الأيام حتى تَسِيْس طَوْعَ الأماني مُعْلناً في الروجود لا ربَّ غَيْرَ الله يُخْشَى ويُسرَّتجى كلَّ آنِ كَيْدُ في يرضى إذلال عَبْدٍ لِعَبْدٍ وامتهانَ الإنسانِ للإنسانِ الإنسانِ للإنسانِ الإنسانِ المُنسانِ المِنسانِ المُنسانِ المُنسانِ

قطرةٌ من نَداه تُشْعِملُ ناراً في عسروقِ الكُسروم والأغْصَان ويُجَلِّي في قبضةٍ من تسراتٍ بَعْنَتُ روح اليقين والإيمان حـــارسُ الفطـــرة التـــي فَطَـــرَ اللهُ عليهـــا الأرواحَ فـــي الأبـــدان لا يسامسي جالالُ حكمته العقللَ ولا عبقرية الفَنَّان حكمةٌ في غنى عن الحَشْدِ والجَمْع وزهورِ العُروش والتّيجان مِنْ جُمُودِ الشِّناءِ يحيي ربيعاً باسمَ الرَّوْضِ ناضِرَ الأفنان وثُمالُ الرَّاحِ المُعَتَّقُ أشهى من رَحِيْتِ مُصَفَّتِ فِي الدُّنان (١) ابتهــالاتُ صُبْحِــهِ تــوقــظُ الكــونَ فيصحــو مــنْ ليلــه الــوَسْنـــان(٢) ولــه نظــرةٌ مــن الحــقّ فيهـا نبــأٌ يُعْلــنُ انقــلاب الــرَّمــان ولسديسه وثيقسةُ الأمسنِ ﴿ لَا خَوْفُ عَلَيْهِمْ ﴾ فسي مُحْكسم القُسرآن وَخُيُــه يَعْمُــرُ الصُّــدورَ الخــوالــي بقلــوبِ جــديــدةِ الإيمــان دَرْسُـهُ العَــزْمُ والــرِّضــا المحــضُ والتَّسليــمُ منــه فــي السِّـرِّ والإعـــلان كسراج يشت للله الدلياجير (٣) باهر الضّوء ساطع البُرْهَان قدرة حسارت النَّسواظِدُ فيهسا أيُّ سرِّ بهسا خفسيّ المعسانسي يَضْبُ عُ السرُّوحَ في الجُسوم بلون غَيْرَ كملِّ السرُّسوم والألوان حَـوَّلَـتْ كيمياؤه الصَّدَفَ البالي عِفْداً من السَّراري الحِسَان يتولَّى ملءَ الفراغ بحزم يَقْهَرُ المستحيلَ بالإمكان وينادي العَبْدَ المُصَفَّدُ اللهُ هَيَّا لا تحاكُ القيودُ للإنسان فإلى المَحْو والبِلى كل معبود قديم مَع الحُطام الفاني مَــنْ يُحـــارِبْ وسيفُـــه رَبِّـــيَ الأعلـــى يُـــدمُّـــرْ قـــواعــــدَ الأوثـــانَ

⁽١) الدُّنان : وهي جِرَار الخمر .

⁽٢) الوَسنانُ : النائم الذي ليس بمستغرق في نومه .

⁽٣) الدَّياجير : واحدها الدَّيجور، وهو الظلمة، وصفوا به فقالوا: ليل ديجور، وليلة ديجور.

⁽٤) المصفّد، أي: المشدود.

إِنْ أَرِدْتَ الفَقْدِرَ الغيرور فسلا تَفْقِدْ مسعَ العُدْم تَسرُوةَ الإيمانِ فَمِنَ الحالِ لا من الجَاهِ والمَالِ دوامُ الرَّضَا والاطْمِئْنَان رأسُ مسالِ الأخسرارِ صددُقٌ وإخلاصٌ وَوَجْدٌ وَحُرْقةٌ وتَفانِ لَيْسَ فِي الحَلْسِ والمَظاهرِ والثَّوْبِ الموشَّىٰ والأصفرِ الرَّنَّان لا تحاولُ دركَ المعالى بكاووسَ وخسرو في غابر الأزمان طُفْ إذا شئتَ حَوْلَ ذَاتِ : حرًّا لا تَطُفْ بالسَّريرِ والإيوان قَدْ تباعَدْتَ عن مَقامِك حتَّى صِرْتَ في ذِلَّةِ الأسير العاني لا تَسِــرْ واهــنَ الخُطــى كبغــاثِ الطيــر بيــن الطُّلــولِ والجُــدْران كُنْ نَظِيْرَ الشَّاهِنِ في القِمَم الشَّمَّاءِ لا في مَسَارِبِ السؤديّان تتحــرّى الطيــورُ عِنْــدَ بنــاء العُــَسِّ أعلــى الفــروع فــي البُسْتــان لَسْتَ دُونَ النُّسُورِ بِأُسَا فَحَاوِلُ دَارَةَ النَّجِسِمُ أُو ذُرى كِيسُوان مِنْ مِهادِ الشِّرى إلى التُّسْعةِ الأفلاكِ فَوْقَ الرَّمان فَوْقَ المَكان غَيِّرِ العالمَ القديمَ وعَمَّر فيه دُنيا جديدةَ البُنيان والـــذي يَنْشُـــد الجِهـــاد فنـــاءً في رضا الحقِّ وهو ماضي الجَنانِ هـو سـرُ الأقـدارِ وهـو قضاءُ الحـقّ فـى المُمْكناتِ والإمكـانِ فَتَمثُّلُ نضالَ أسلافِك الأمجادِ نَحْوَ العُلى بغير تواني وتَــدَبّــرُ كيــف استهــانــوا بِبَــذُلِ الــرُّوحِ والمــالِ فــي رضــا الــرَّحمــن أَظْهِرِ الجَوْهَرَ الكرريمَ مِنَ الأصداف واجْعَلْمُ باديماً لِلْعيَان وتَحَــرَّز مــنْ هيكــل المــاءِ والطِّيــن وَمِــنْ ظُلمــةِ الهــوى والهــوان واجعـــل الفطـــرةَ النقيَّـــة نبـــراســــاً لعينيـــكَ بَيْـــنَ قــــاصِ ودان كَ لُّ مِنْ ضَاعَ حَظُّه مِنْ جِللالِ الحِقِّ بَيْنَ الجُحودِ والنِّسِان لَـم ينَـلُ طُـولَ عُمْـرِه مـن جمـالِ الحـقّ غَيْـرَ الإبعـادِ والحِـرْمـان مبدأ العِشْـــتي والصَّبـــابــة قَهْــرٌ وخطــوبٌ مـــوصـــولـــةُ الأشجـــان(١)

⁽١) الأشجان : الهموم والأحزان .

وهو من بعدها دلالٌ وتية بين طيب المُنى وَصَفْوِ الأمانى ويعدو الأماني ويعدو المحب بالقُرب محبوباً وَيَنْسى لواعج الهِجْران(۱) الوجود الأسمى هو المؤمن الحر الأبي الدوفي في كل آنِ وبقايا الوجود الأسمى هو المؤمن الحر الأبي الوفي في كل آنِ وبقايا الوجود فيما سِواه مَظْهر حائلٌ فانِ وظلٌ فان حين يَدْعُو أَنْ لا إلّه سوى الله القدير المهيمن الديّان(۱) يُسْرق الدّيان الكون والمكان ولا يُشروق إلّا بفوزه القَمَرانِ

* * *

حكمة فرعون أو سياسة الطغاة

إنَّ إقبالًا قال في هذه الأبيات والتي قبلها ما يكون في حياة الناس من إقامة العدل بينهم أو من الجور عليهم في الحكم ، وقد استخدم كلمة (الحكمة) لهذا العنوان ، (حكمة الكليم) ثمَّ (حكمة فرعون) ، وهو إنّما يُريد بياناً لسياسة الحكم في إطارٍ من مصطلحاته الخاصة قصداً إلى بيان دسائس الاستعمار وتدميره لحياة الإنسان والقضاء على حريته ، وهو في هذه الأبيات يقول :

قدمت حكمة النَّبيِّ لِلْعِيَانِ والمكرُ والخداعُ حِكْمةُ الطُّغاةِ تبقي على الإنسان جِسْمَ الحيوانِ وَتَسْلُبُ الروحَ كسرامة الحياة

* * *

حِكْمتُها حريةٌ مارقةٌ تَعِيشُ في الدُّنيا بها منْ غَيْرِ دينِ والنَّفس في أوهامها شاردةٌ لمْ تَعْرِف الشَّوْقَ إلى عينِ اليقين

* * *

⁽١) الهجرالُ : هو الترك أو الإعراض عن شيء .

⁽٢) الدَّيّان : هو اسم من أسماء الله عزّ وجلّ .

⁽٣) مارقة : خارجة عن دينها .

سلاسلُ الأسرى وأغلالُ العبيـد فــلا يــرى ولا يعــي ولا يُــريــد

وسائلُ التهذيبِ مِنْ هذا النظام كما يسرى السَّيِّدُ ينقادُ الغُلام

* * *

يَصْطَنِعُ التَّجْديدَ في الدِّين القويم فما له نـدُّ سـوى عَصَا الكليـم

وذلك البارعُ في مهنته قد شطر الوَحْدة في أمَّتِه

متــى يفيــقُ القــومُ مــن وَهــدَتهــمُ

* * *

وَهُــمْ لحكــم الغَيْــرِ زَرْعٌ وَحَصَــاد وغيـرُهــم فــي أرْضِهِــمْ ســادَ وشَــاد

* * *

حَصَافَةَ الفِكْرِ وَدِقَّةَ النَّظَرُ وما لَـدَيْدِهِ عَـنْ وُجُـودِهِ خَبَـرْ

كَــمْ مِــنْ غَــرِيْــرِ اسْتَطــالَ وادَّعــى قَــدْ خَبَــرَ الــوُجــودَ والــدُّنيــا معــاً

* * *

وكلُّ خَيْرٍ عن ضَمِيْرِهِ اسْتَتَرْ اللَّسَةَ لَوْ اللَّهُ وَلَّى وانْدَثَرْ (١)

أزالَ نَقْسُ الحقّ من خَاتَمِهِ قَدْ وُلِدَ الرَّجاءُ في عالمه

* * *

لمْ يُؤزقوا حظًا مِنَ العَزْمِ الغَيُور وما سِـوى أجسامِهـم لهـا قُبُـور

مَا تَصْنَعُ الأَيَّامُ بِالقَوْمِ الأُلَّى قَدْ أَصْبَحَتْ أَرُواحُهم رَهْنَ البلي^(٢)

* * *

ومازَّقَ الكبارُ أستارَ الحياء وقلَّد الشَّبَابُ صُنْعَ الغَانِيَات (٣)

(١) انْدَثَرَ : دثر وامَّحَى وفني .

(٢) البلى : الفناء ، ومنه بلي الميت أفنته الأرض .

(٣) الغانياتُ : النّساء الغنيّات بحسنهنَّ وجمالهنَّ عن الزينة .

كَ أَنَّهُ مَ بِي نَ عُـوامـلِ الفَناء يَأْتُونَ مَوْتَى مِنْ بُطُونِ الْأُمُّهَات

* * *

وهــذه الحسناءُ تَقْضي يَــوْمَهـا في منظـرِ عــارٍ وصبْـغِ مُسْتَعــار ساعِــدُهـا الفِضَّــيُّ يُبُـدي جِسْمَهـا بمنظرِ الأسمَـاك في لُـجٌ البِحـار(١)

* * *

جمودُ هذا الشَّعبِ عَنْ كفاحه يحكي رماداً ليس تَختَه شَرَر مسادُ هذا الشَّعبِ عَنْ كفاحه بظلمةِ في ليلها زاغَ البَصَر(٢)

* * *

كَلِّ يعيسَ فَي إطار نَفْسِه والعيشُ والمُتْعَةُ في الدُّنيا مناه يَخْشَى البِلَى قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِهِ (٣) فاعْجَبْ لِمَيْتِ لَمْ يَزَلْ قَيْدَ الحياه

* * *

وذو الغِنى في الشُّحِّ يحكي جَلْمَدا ومالُه في اللَّهو يُغْرِقُ السَّحاب حياتُه ضاعت على الغيِّ سُدَى تَشْغَلُه قشورُها عَنِ اللُّبَاب

* * *

يَبِيْكُ دِيْنَ لِللَّهُ لِللَّهُ عَلَى اللَّهِ وَفَا عَاصِبَ لَا شَاشَهِ لَا يَسْتَشْهِ لَا وَلَا عَاصِبَ لَا الْمُلْوِدُ وَلَيْ اللَّهُ الْمُلْوِدُ وَلَيْلًا فَاللَّهُ الْمُلْوِدُ وَلَيْنَاهُ غَلْدُ

* * *

وكَمْ تـرى فـي القَـوْمِ حَمَّـالَ كُتُب ثقيلــةِ يعيـــا بِحَمْلِهـــا جَمَــلْ

⁽١) لُجُّ البحارِ ، أي : عُرْضُها .

 ⁽٢) زاغ البَصَرُ ، أي : مَالَ عن مستوى النظر حيرة وشُخوصاً ، وفي التنزيل ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ الْمَعَرُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ

⁽٣) الرَّمس: هو التُّراب الذي يُحثى على القبر.

يدورُ في النَّاس كحمَّالِ الحَطَبْ ويُرْسلُ الأقوالَ مِنْ غَيْرِ عَمَلْ في عَمَلْ في عَمَلْ في عَمَلْ

ولاؤه لِلْغَيْــــــرِ كـــــلُّ هَمِّــــهِ حتى بنى الدَّيْـرَ بـأحجـارِ الحَـرَم مـاتَ ولكــنْ مـا دَرَىٰ بِمَــوْتِــهِ قَـدْ عـاشَ وَهْمـاً ثُـمَ واراهُ العَـدَم

كلمةُ التَّوحيد لا إِله إِلَّا الله

(رباعیات)

إنَّ لهذه الكلمة تأثيرها البالغ في حياة الأمم ، فإنَّها للفرد والمجتمع عقيدة القوَّة ، وركيز التقدُّم والانطلاق ، وإفراد العبودية للخالق ، ورفضُ كلِّ عبودية لما سواه ، فالمؤمن لا يخضع الجبين إلا لله الذي يقول له : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ وَالْعَالِقِيْلِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ إلى اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ الل

تلك هي كلمة التَّوحيد التي تُجدَّد الصُّورة الإنسانية في القالب التُّرابيِّ هيكلاً من النور ، تحمل كلمة التوحيد أهوال يوم النُشور ، يقول محمد إقبال :

في مقام التَّوحيد يَشْدُو خيالي بصدى الحقَّ مِنْ رِجالِ الحَال إِنَّمَا تُدْرِكُ القلوبُ هداها بِصَفاء الأحسوالِ لا الأقْوال

* * *

حرف (لا) مُظْهِرٌ لسرِّ الجلال وهو للجَوْر منذرٌ بالزَّوال بعدد نفي الظَّلامِ والظُّلم يبدو عند (إلَّا) إشراقُ صُبْحِ الجَمَال

李华华

 بِهِما تَقْهَرُ المهانةَ والضَّيْمَ وتمضي الأمورُ في الحادثات

حِيْنَ يَقْـوى مَـعَ الـرَّجـاء اليقيـنُ فجــوابُ الأقــدارِ كُــنْ فَيَكُــوْنُ يَـدُونُ يَـدُ الإِثبـاتِ يــأتــي السُّكُــوْنُ

* * *

كَــلُّ شَعْـبِ يَــرُوْمُ عِــزَّ حمـاه فبنــور التَّــوحيــد لا بســواه ليـــه و لا إلَـــه إلا اللهُ) ليـس يحمـي بــلادَه غَيْــرُ حــرُ سيفُــــه (لا إلَـــه إلا اللهُ)

* * *

حرفُ (لا) آيــةٌ لبَــدْءِ المسيــر في طريقِ الجهـاد نَحْـوَ المَصِيْـرِ إِنَّهــــا أُولُ المَنَـــازلِ طـــــرًا لــرجــالِ الله العلــيِّ القَــديــر

※ ※ ※

كُلُّ شَعْبِ يَمْضِي بِخَطُّو سَدِيدِ لِلْعُلْسِي فَسِي خَرَارةِ التَّوْحِيدِ يَبْتَنْسِي مِنْ تُرابِه صَرِحَ دُنياهُ ويحيا فيها بِخَلْسَقٍ جَدِيْدِ

推推特

قَــولُ (لا) ثــورةٌ أمــام الطُغــاة هــو عِنْــدَ الأحــرارِ معنى الحيــاة ثــورةٌ مــنْ نِضَــالهــا يُصْنــعُ المَجْــدُ ويبـــدو تَجَــــدُدُ الكـــائنـــات

* * *

لَيْسَ في ذلكَ الجنونِ العريقِ كُلُّ ثُـوبٍ يفُـوزُ بِـالتَّمْـزِيــق لا أرى في الغُثَاء (١) والقشِّ (٢) يوماً حَطَيــاً صَــالحــاً لهــذا الحَــرِيْــقِ

(١) الغُثاء : هو ما يحمل السَّيلُ من رغوةٍ ومن فُتات الأشياء التي على وجه الأرض.

(٢) القَشُّ : هو ما يتخلَّف من القمح والرز ونحوهما بعد استخراج حبَّه .

وضميراً حيَّاً وقَلباً أبيَّا وعرداً يغرو نُجُومَ الثُريَّا(١)

لــو يَمَــسُّ التَّــوحيــدُ فِكُــراً نقيَّــا لأحــالَ الخُمـولَ والضَّعْـفَ إيمــانــأ

* * *

ليزولوا ما لَم يُزيلوا القُيودا لا تَسرى فيسهِ سيِّداً ومَسُودا

حرف (لا) صَيْحَـةٌ تثيـرُ العبيـدَ ويقيموا في الـدَّهـر عصـراً مجيـدا

* * *

لو سَرتْ شعلةُ الهدى في الصَّدور وتمشَّى وميضُها في الضمير الأحرارُ لِلْهَوْلِ يوماً يتحدَّى أهوالَ يومِ النَّشور

* * *

ليس شكوى ناي ولا لحن عُوْدِ تخطَّــى بــه نِطـاقَ الــوُجـود

صوتُ (لَا) مِنْ دَويٌ صوتِ الرُّعود لَوْ يَضيقُ الفضاءُ يوماً على الحرُّ

* * *

يالها منْ ذِكرى لأمجادِ العَرَبُ في جميع الكَوْنِ منْ كلَّ الجهاتِ حَرَّروا أقدارَهم بالعَزَماتِ في جميع الكَوْنِ منْ كلَّ الجهاتِ فازْدَهي منْ نورهم كلُّ مكانٍ وتغنَّى باسمِهم كلُّ زمانِ لم تَدُمْ عُزَّىٰ (٢) ولم تَبْقَ مناهُ (٣) هَوَتِ الأصنامُ تَحْتَ الضَّرباتِ حِيْنَ نادى المؤمنون (اللهُ أكبر) زالَ كِسْرى وانْطَوَتْ أعلامُ قَيْصَر أيُّ سيل هادرٍ عمم الصَّحاريٰ أيُّ طوفانٍ جرى يغزو البحارَ

 ⁽١) الثُّرَيّا: مجموعة من النجوم .

 ⁽٢) عُزَّى : صنم كان لبني كنانة وقريش ، أو شجرة من السَّمُر كانت لغطفان بنوا عليها بيتاً
 وجعلوا يعبدونها، فبعث إليها رسولُ الله ﷺ خالد بن الوليد فهدم البيتَ وأحرق السَّمُرةَ .

⁽٣) أحد أصنام العرب في الجاهلية .

هــؤلاء العـربُ الصّيــدُ الأبـاه شعلـةٌ مِـن نـورهـا الحـقُ أضاء قـد أبـادوا كـلَّ شيطـانِ مـريـد وسَمَـوْا فــوقَ الــدَّراري منــزلا بينمـا العـالـمُ كـالعَظْـمِ الـرَّميـم أنشـووا دنيـاه فـي خلـق جَـدِيـدُ أيقظــوا الــدُّنيـا بتكبيــر الأذان كـلُّ خيـرٍ يُـرتجى منْ غَـرْسِهـم كـلُّ روض بـالمعـالـي مُخصـبُ كـلُّ روض بـالمعـالـي مُخصبُ قـد أزالَ العُربُ من لوح القُلوب فــأقـامـوا فـي شَمـالٍ وجنـوب فــأقـامـوا فـي شَمـالٍ وجنـوب فــوب فــأ أمـم الغـرب العبيـد أعلنـوا الحـرب على سـاداتهـمُ أعلنـوا الحـرب على سـاداتهـمُ أعلنـوا الحـرب على سـاداتهـمُ أعلنـوا الحـرب على سـاداتهـمُ

وحّدوا الخَلْقَ بتوحيدِ الإلّه من تحدَّى نارَها أضحى هَبَاء وأزالوا كل جبارٍ عنيد كل هذا كانَ من أنوارِ (لا) كل هذا كانَ من أنوارِ (لا) في سهوبِ الأرضِ أو دَيْرٍ قَدِيم وأقاموها على النَّهج الرَّشيد فجرى الحقُ على كل لِسان فجرى الحقُ على كل لِسان كل نورٍ يُجْتَلَى من شَمْسِهم فهوَ من شاطىء نَهْرِ العَرَب نَهْرِ العَرب نَهْمو الله) ، علام الغيوب نقش غير (الله) ، علام الغيوب شورة الإيمانِ في كل الشُعوب حطموا القيد بعزم من حَدِيْد واستردُّوا أمْن حَدِيْد

雅 华 班

صار شعب الرؤوس ناراً ودما فاستهائوا بتقاليد الرؤمن فاستهائوا بتقاليد الرؤمن وقف الرؤخب بهم في باب (لا) ستسراهُم كجيوش زاحف وتسرى لِلْقَوْم أمسراً عَجَبالا و(إلّا) بهما العَدْلُ انتظم أن لِلْفِطْسرة فسي كال ضَمِيْسر لم يبن في حرف (لا) صدق الخليل ليا مقيماً في زوايا الحُجُرات إنْ تكنْ في مشل نيران الخليل

باسم (لا) حتى أشارُوا الأمَما وأطاحُوا بمعايير السُّنَنِ وأطاحُوا بمعايير السُّنَنِ للمعدد عين يَقْهرُون العاصف بعد حين يَقْهرُون العاصف نحو (إلَّا) يَدْفَعُون المَوْكِبا كِلَّ نفي دُوْنَ إثباتٍ عَدَمُ عَالَ نفي دُوْنَ إثباتٍ عَدَمُ هاتفاً يَدْعُو لِتَوْحِيدِ القَدِير دونَ (إلَّا) فهي لِلصَّدق دَليل دونَ (إلَّا) فهي لِلصَّدق دَليل يخشُدُ الألفاظ حَشْدَ المَكْتَبات يَحْشُدُ الألفاظ حَشْدَ المَكْتَبات أَسْمِع النّمرُودَ تَوْحِيدَ الجليل

والذي تبصره حول الفضاء كل حر في يديه سيف (لا) كل حر في يديه سيف (لا) فهو للعلياء دوماً في صُعُود أيها الشادي بقرآنٍ كريم قلم وأشمِعُه لكل العالمين

لا يساوي قَـدْرُه وزنَ الهَبَاء (١) الساوي قَـدْرُه وزنَ الهَبَاء (١) السام لا يَقْبَـلُ عَنْهُ حِـولا أمرُه النَّاف لُهُ في كملُ الوجود وهمو في عُـزُلتِهِ ناء مُقيم وأبْلِغُه البَرايا أجمعين

* * *

فَقْر الصَّالحِين

خصَّ إقبال موضوع فَقُر الصَّالحين بهذه الأبيات على أسلوبٍ خاص من التعبير تعريفاً بقيمة الفقر ومراميه ، يقول :

اسْمَعُوا ما هـو الفَقْرُ الغنيُّ الأَرْفَعُ عارفين وارتواءُ القَلْبِ منْ عَيْنِ اليَقِين عينِ اليَقِين عينِ اليَقِين هامةُ الجَوْزاء منْ أدنى خُطاه ع الحياه ويرى التَّوحيدَ نبراسَ هُداه في صَداه لَيْسَ غَيْرَ اللهِ في الكَوْنِ إلَه الفقير اللهِ في الكَوْنِ إلَه الفقير الله عيكن ثَمَّ سِوى خُبْزَ الشَّعير الفقير المُعير اللهِ عاشعاً يَسْعَى الأمير وإليهِ خاشعاً يَسْعَى الأمير وإليهِ خاشعاً يَسْعَى الأمير مُن صفا فهو ميراثُ النَّبِيُّ المصطفى فَهو ميراثُ النَّبِيُّ المصطفى في سِراخُ النَّبِيُّ المصطفى في يَصْنَعُ الجَوْهَرَ من أَذنى زُجاج في سِرَاخُ النَّور مَلَكُ فيهو إنسانٌ وفي النُّور مَلَكُ فيهو إنسانٌ وفي النُّور مَلَكُ

يا عبيد الماء والطين اسمعوا هو عرفان طريق العارفين المفو عنزية في غناه ذلك الفقر عنزية في عناه يخكم الإبداع في صنع الحياه عن عش الكون إذا دوى صداه غيبر حررها ذاك الفقير خياسع لله ذياك القير حالمه ذوق وشيوق ورضا يا لم كنوا به العيش صفا ليله المظلم للمخيد سراح الفلك الفلك الفلك الفلك الفلك الفلك

 ⁽١) الهَبَاءُ : التُّرابُ الذي تُطيره الرِّيحُ ويلزق بالأشياء .

⁽٢) . نَامُوس : القانون أو الشريعة .

حالبة اشمسى وشان افضلا دائسمَ الإسعادِ مَوْصُولَ النَّعيسم يَسَعُ العالَمَ في مُهْجَتِهُ(١) وهو بالصَّمْت يربِّس أَمَما يَمْنَــُ الخَــامِـل ذَوْقَ الطَّيَــران فبدا لللأرض تفسير السماء كانَ يخشى باسُّهُ الفُ سَرير يستوي الشَّاهين فيه والحَمَام أَنْ يَقُولُ الحقُّ في وَجُه المُلُوك ويخافُ البَحْرُ مِنْ طُلوفانه وتخسافُ النِّسارُ منه الحَطَبِ وَلَسِدَيْهِا مِثْلُ ذيِّاكُ الفقير وعلى أشواقيه نسرجو المنسى وانشب الجخمة من آساته وتَفُـــزُ منـــه بسلطــــانٍ مُبيـــن حين يُبْدي الفَقْرُ عِزًا ودلالا في تسامي الفَقْرِ عن ذُلِّ الحياه لا يُلذِلُ النَّفْس يلوماً لأحد ليس يَرْجو من سُليمانَ عَطاء كـــلُّ أرضٍ مسجـــدٌ للمـــومنيـــن فَوْقَ أَرضِ في يد المُسْتَعمرين مسجد الهادي بأيدي الغاصبين

فَلَقَدُ تَنْقُدُ دُنْيَاكَ إلى في هُدى القِرآن والذِّكر الحكيم ذلك المشكين في رُقْعَتِه صامتٌ ليس يُطيل الكَلِمَا ولسة مسن طساقسة السرُّوح جِنسان حوَّل العصفورَ نَسْراً في الفضاء بنسداء الحسق يُحيسى مُسدُنسا مسلم دولته فسوق الحصير ليس يَرْضى العَيْشَ إلَّا في مَقَام لا يبالي من له هذا السُّلوك يتلاشى الجَمْرُ فى نِيْرانىه صوتُه في الشَّعْب يلكي لَهَبا لا تَسرى الأمَّة تَخْشَى مِسنَ مُغِيْسر نحيئ باستغنائه نلقي الغنيا فَامْتَحِنْ وَجُهَكَ فِي مِرْآتِه تَكْتَسبُ منه مَزايا الصّادقين تَتَجلَّى حكمة اللِّين جمالا قسوةُ السدّين وتَشْيئِدُ عُسلاه كُــلُ مــنُ آمــنَ بـالله الأحــد إِنْ يكسن في صُورة النَّمل خَفَاء قال خَيْرُ الخلقِ تاجُ المُرْسلين كبف يعلب منبراً لِلْمُسلمين يا لها كارثة في العالَمِين

⁽١) المُهْجَةُ : الرُّوحُ .

لا يكن غَيْرُك فيها سَيِّدا داعياً أنْ نتركَ الـدُنيـا احتقـارا في سبيل الخَيْسِ لا تَـدُمِيسرُهـا يامَنُ المِحْنة مِنْ عَشْرَتِها تنجُ منْ تِلْكَ العجوزِ السَّاحِره قبل أنْ يصطَادَه فيها الغُسرور فهو سَلوى لِعَديم فاقِلِ حلُّها أعيا على الجُهْدِ صوابي أينَ مِنْكَ الباسُ أَوْ أينَ الصُّعود أَمْ خَشِيْتَ الوَثْبَ في هَوْجِ الرِّياحِ فرَّ منْ عَزْمِكَ طَيْسٌ في الفلا أيُّهـــا الهـــاربُ مـــنْ أوج الفَلَــك في الفَضَاء الــــلازورديُّ البَعِيْـــد لَيْسَ فِي رَقْصِ وَسُكْرٍ وَرَبَابُ واحتسبابٌ لجميع الكبائِنسات مَظْهَراً أعلى لِقُدسَيِّ الصَّفات ومجافاة لِعُمران البَشَرُ لا تــرى مَــوْضِعَــهُ بَيْــنَ الصُّفــوف غَيْدَ صِفْدٍ في يسارِ العَدَدِ هـو فـي البـرُّ وفـي البحـر نِضــالُ ســارَ هــذا نحــو تعميــرِ الـــُوجــود طالباً للرُّشيدِ أو تَرَكِ الوطن

حَـــرَّرِ الأرضِ معــــأ والمَسْجِــــدا أئهها النّاصِحُ لبلّا ونهارا إنَّ معنسي تَــرُكِهــا تسخيــرُهــا واللذي يَعْلُمو علمي صَهْمُوتهما ف اتَّخِذُه المِن مطايا الآخِرة هي صَيْدُ المؤمنِ الحرِّ الجَسُور كــلُّ زُهْــدِ لــم يكــنْ مــنْ واجــدِ أنا من مُشْكلتي طالَ اكتشابي أيُّها الشَّاهينُ (١) ما هذا الجُمود يائسٌ أمْ أنت مَقْصُوصُ الجَنَاحِ(٢) مــا شكـــا مِخْلبــك النَّشـــرُ ولا الجبالُ الشُّــةُ والآفـاقُ لَــكُ طِرْ إلى النَّجْم وَحَلِّقْ منْ جَدِيْد فقرُنا تُمْليك آياتُ الكِتاب فقرنا معناه تشخير الجهات يَسرْفَعُ المسؤمن فَسوْقَ الشُّبهات فقر أهل الكُفْرِ هَدُمٌ لِلْفِطَرْ عَيْشُه بين المرامي والكُهوف لم يَكُنُ في الدَّهر منذُ المَوْلِدِ ليس للمومن بالفَقْر اعتزال بينمــا الأول فــي صَمْــتِ الجُمــود ذاك يطـوي العُمْـرَ فـي تــركِ البَــدَن

⁽١) الشَّاهِيْن : طائر من جوارح الطَّير وسباعها ، من جنس الصقر .

⁽٢) مقصوص الجناح : مقطوع الجناح .

يَنْشُد الحقّ بداتيّتِه وسراجاً في الليالي هاديا يُـزهـبُ الشَّمْـسَ ويَختَـلُ القَمَـرُ قد نأى المُسْلِمُ عن هذا الجَلال إنَّه زلزالُ تكبيرِ الحُسَيْن وأرى غِمْدَكَ منه قَدْ خدلا زَلْزَلَتْ إيمانَه فيها المِحَنْ حــرّروا مِمّــا ســوى اللهِ القُلــوبْ فاخْلُقوا دُنيا سِواها في الأمم غيرةُ الأحرارِ للدِّينِ القَويم ما أرى المَوْتَ سوى هذي الحَيَاهُ ثُمَّ يبنى ذاتبه صَرْحاً عَلِيًّا وسجايا المُصطفى ميزانُه فمتى يُــولَــدُ فــي القــوم فَقِيْــر أسكتَ الدَّمْعُ عن الوَصْفِ اللَّسانا هــوَ فــي قلبــي كــأهــوالِ القِيَــامَــه فليقدَم في الصَّـدْرِ مَطْـويّــاً دَفينــا فكأنَّ القَوْمَ في شكُّ مُريب قَطَعُوا عَمُداً طريقَ القَافِلة لا ولا لِلِّــصُّ منَّـــا مَطْلَـــبُ وتراثُ المَالِ قدْ ولَّى ضَيَاعَا ذو رياء هُــوَ لِلْــوَرْدِ مُــريْــد وكِانَّ السِّذُلُّ في دُنياه نِعْمَــة

وترى المُرومن في أمَّت نحو إدراك المعالى ساعيا فقرُنا الحررُ إذا ناجى القَدَرُ فقسرُنا العاري تولاه السرُّوال إنَّه إيمانُ بدر وَخُنيَان أسفاً لم يَبْقَ عندي سَيْفُ (لا) أسَفًا، إنسي أرى دُنيا الفِتَسنَ يا شبابَ الحقِّ ، يا ذُخْرَ الشُّعوب إنَّ دنيا اليوم أبلاها القِدَمْ أينَ مِنْكُم يا ذوي المَاضي الكريم طالَ هذا النَّوْمُ عن صونِ حَمَاهُ يدأبُ الحررُ غُددُوٓ أ وعَشِيّا وجهاد المصطفى برهائه يــا لقــوم ، أنجبــوا كــلَّ أميــر لا تَسَلُ عَن قصَّةِ القَوم بيانا أَلَمٌ أغْمدَ في صَدْري سِهَامَه هَـوْلُ هـذا الحَشْـر أعيـا الـواصفينـا قوةُ الدِّين في النَّصر القريب أين مَسْعَاهُم وَهُمْ في العَاجلِة ليه للشَّيطانِ فينا ماربُ فتراثُ الدِّين قيد طياد شُعياعيا كم تغنّى بمرزايا بايريد(١) فيسرى فسي دولمة الأغيسارِ رَحْمه

⁽١) لا أدري من يريْدُ الشاعرُ به .

فيه للدِّين ازدهارٌ وارْتِقَاء وَمِنَ الشَّوْقِ وَمِنْ أَشْجَانِهِ غـرباء فيه عَـن أنفُسنا فَقَدَ الجَوْهِرَ مِنْ مِرآتِسه أجنبياً عن طريق الأجنب ما لَـهُ يَسْكُـنْ في وَكُـرِ الغُـرَاب فالتَمِسْ عُشَّك في أعلى الشَّجَر واحْتَسَبْ نَفْسَكَ في كَفِّ القَضاء يَنْسَفُ الشُّمَّ ويهوي بالهضاب(١) وسكــونُ اللَّيْــلِ معنـــاهُ الفَنَـــاء أتحرّى الحُكْم فيه والمدّليلا في سلوك بين رُوَّادِ الطُّريق ثمَّ لم أمْلِكْ عن القَوْلِ احْتِجَابا رَغْمَ ما بي من قصورِ النَّظر بَعْــدَ لأي مــن ألــوفِ المُشكِــلات فَعَسَى ألا تــرى مِثْلــي فَقِيــرا وهــو فــي ركــنِ مــن البيــتِ مُقِيْــم قُم وأسمعه البَرايم أجمعين أشمَع النَّمرودَ توجيلُه الجَليل فَهُوَ منْ جبريلَ في الدُّنيا قَريب عُدْ إلى الحقّ تَجِدْ نُورَ الصَّف وينادي أنَّ خُكْمَ السُّدُّخِلاء أيُّها المحرومُ مِنْ وجُدانِه أوَ تَسدُري أنَّسا مِسنُ عَصْرنا كسلُّ حسىً معسرضٌ عسن ذاتسه عِـشُ ولـو يـومـأ عـزيـزَ المَطْلَب مَنْزِلُ الشَّاهينِ في أوج السَّحاب لم يَسزَلُ في السرَّوضِ ظُلُّ وَثَمَر كُنْ كحدِّ السَّيفِ في صِدْقِ المَضاء إنَّ في رُوحـك سيـلاً كـالعُبـاب اندفاع السيل إثبات البَقاء أنا لم أسلُك إلى الفِقْهِ سبيلا لم أكن في الفَقْرِ ذا فهم دَقِيْق فكرةٌ جاشَ بها القلبُ اضْطرابا كُنْتُ في الدِّين حَدِيْدَ البَصَرِ وانجلــت واحــدةٌ بَيْــنَ مـُـــات فىاغْتَنِـمْ مىنْ فىاقتىي حظَّـاً يسيـرا أيها الشادي بقرآن كريم قُـم وأبْلِـغ نــورَه للعــالميــن إِنْ نَكُنْ في مِثْل نِيسرانِ الخَليل من له من ثروة الهادي نَصيب يا غريباً عَنْ مقام المُصْطفى

⁽١) الهضَّابُ ، جمع مَضْبة : جبل منبسط ممتدُّ على وجه الأرض .

الرجلُ الحرُّ

قدَّم إقبالُ في أبياته السَّابقة صفات الفقير المؤمن بالله ، إلّا أنَّه شاء أن يخصَّ المسلمَ الحرَّ بهذه الأبيات نظراً لما للحرية من مكانة ، وما للرَّجلِ الحرِّ من مقام ، ولذا نجد إقبالًا يكرِّر في هذه الأبيات بعضَ المعاني كصاحبِ رسالةِ نظراً إلى ذلك الارتباط الوثيق بين حرِّية الفقير وفقر المؤمن ، يقول :

فَوْقَ مسرى النَّجْم للحرُّ هَدَفْ آمِـنٌ فـي سِلْمِـه فَـي حَـرْبِـه عَــرَفَ اللهَ فَلَــمَ يَــرُهَــبُ سِــواه لا يسرى قبط منع البُوس المسريس جمَلٌ في البِيْدِ موصولَ الصَّيام هُــوَ نَبُــضٌ فــي عُــروقِ الأمَــلِ من علا تكبيرُه مِنْ غير تَاج قَـدْ ذَكَـتُ نيـرانُنا مِـنْ جَمْـرِه جنَّةُ الـوَرْدِ شـذاً مـنْ سِحْـرِهِ وتسرى في قصره ربَّ السَّريسر شأننا في الدِّين لا يعدو الخَبَرْ نَحْنَ عند الباب نستجدي الأماني أصْبَحَ الدَّيرُ لدينا مَقْصدا وهــو يُسْقَــى مــنْ يميــنِ المُصْطفــى في ضمير الحر تكبير الآك نحن للإفرنج أسكمننا القيادا وابتغينا عندهم عِلزَّتنا وشعسارُ الحسرُ عسزمٌ وإبساء فلغير الله ما مَدَّ الْيمين

وِرْدَهُ في كِلُّ حِينِ لا تَخَفُّ رأسه في الكف لا في جَيب كيفَ يخشى الخَلْقَ منْ خافَ الإلّه عَبْدَ سلطانِ ولا ظِلَّ أَمِيْد يَحْمِــلُ الأثقــالَ والشَّــوْكَ طَعــام وهـو سَعْسيٌ فـي طـريــق العَمَــل يُلْـزمُ التيجـان تقـديـمَ الخَـراج وَجَــرَتْ أَنهــارُنــا مِــنْ خَمْــره شعلة المَجْدِ سناً من فكره راعشاً من سَهْم عُرْيانِ فَقِيْس وهمو في المدِّينَ شُهودٌ ونَظَرُ وهو في الدَّار وفي طِيْبِ المَجَاني نحن لِلْغَيْرِ نبيعُ المَسْجِدا كوثراً عَذْباً به الوددُ صَفا في جبين الحرّ تقديد الأمم واتخذناهُم لمدى الجُلَّى عَتَادا وجعلنــــا ودّهــــم قِبْلتنــــا رزق مِنْ يدِ جبَّار السَّماء لغير الله لـم يَحْنِ الجَبينِ

نهم يسأس ثُهم قَبْسرٌ وظهارم موته إحدى مقامات الحياة ونسرى المُمْكنَ في حُكْم المُحال لا يُضيعُ العمرَ في زَيْفِ الخَيال حـول الصُّخْـرَ بحـاراً جـاريـه إِنْ تُرِدُ خيراً فكن من صَحْبِه اهدم المدَّارَ وكمنْ صماحبَ دار هي خَيرٌ لكَ من ألف كِتَاب وَلَقَ لَ نَخَلَّ قَ مِنْ أَدُم لكَ في البَحْر غنيّ عن جَدْوَلِ آيــةُ التغييــرِ فــي عُمْــرَانــه مِثْلَمَا يَنْشُرَ رَوْضٌ عِطْرَهُ ثــورةُ البُــركــان فــي نِيــرانهـــا أو يتــــــمُّ اللهُ فيهــــــا نَصْـــــرَهُ هيناً إلَّا الأصحابِ اليقين فالتنزم في الدُّهر حرًّا هاديا

متعــةُ الــدُنيــا لنــا كـــلُّ المَــرام همو في الحمق جهمادٌ وثبمات إنَّنا نبنى قصوراً في الخيال وهو بالأعمال في كلِّ مجال لو رمى شُم الجبال العاتيه اجتنب صُخبَتَنا واسْعَدْ بـــه الــزَم الحــرَّ ودغ أهــل البَــوَار^(١) صحبية الحسر إلى العلياء باب صحبة الحر تنير العالم قُسرْبُسه للعسرُ أصفى مَنْهَسل هُــوَ يَــوْمَ السُّلْــم فـــى أوطــانــه بجديد الفِكْرِ يحيى عَصْرَهُ وَهْـوَ يـومَ الحَـرْبِ فـي مَيْـدانهـا سيفُــه يحفِــرُ فيهـا قَبْـرَه ليس زَرْعُ القلب في ماء وطين إِنْ أَرِدْتَ الْعَيِهِ مُ حُرِّاً صافياً

* * *

رُباعيَّات^(۲)

ومضى يرمي على النَّجْمِ الهَدَفُ مَـنُ سمـاءِ اللهُ أقــدِمْ لا تَخَــفُ

أَقْبَــلَ الحــرُّ علــى يــوم الفِــداء وكـــأنَّ السَوخـــيَ لَقَـــاهُ النِّـــداء

非米米

⁽١) أهل البَوَار : أهل جهنَّم .

⁽٢) ولقد أعاد المترجم صياغة هذه المنظومة في رباعيات .

وسرى التحريرُ مِنْه في الضَّمير يَرْهَبُ الشُّلطان أو يَخشى الأمير

أشرَقَ التوحيدُ نوراً في هداه أتُرى من لم يَخَفْ غيرَ الإله

* * *

عن حياةٍ ما لها في الدَّهْرِ مَوْت لغــةٌ تُغْنيــه عــن حَــرْفٍ وَصَــوْت

روحُـه تكشـفُ أسـرارَ الخُلـود يرسلُ التكبيرَ مِنْ قلبِ الـوُجود

* * *

في الملاهي خَلْفَ أستارِ الحرير ضربة مِنْ سَهْم عُريانٍ فقير

سلْ ملوكَ الأرضِ عن دُنيا الغُرور زَلْــزَلَتُهُــمُ بيــن أبــراجِ القُصــور

* * *

ورمى الصَّخْرَ خُطاماً مِنْ زجاج ألسزمَ التِّيجان تقديمَ الخَراج

ضَرَبَ البَحْرَ كموسى بعصاه ذلك الأوَّابُ في ثوبِ تقاه

* * *

وأضاءت نارُنا من خمره شعلة المَجْدِ سنا مِنْ فِكْرِه

قَدْ جَرَتْ أنهارُنا مِنْ بَحْرِه بسمة الورْدِ شذا مِنْ عِطْرِهِ

* * *

وهـو فـي الـدِّيـن شهـودٌ ونَظَـرُ وهـو في الثَّمَرُ

شأننا في الدِّين لا يعدو الخَبَرْ نحنُ عند الباب في ظلِّ الشَّجَرْ

* * *

في قيود من حرير أو حَدِيْد ذو رياء وهمو للمورد مُسرِيْد

لبني الإفرنج في الدُّنيا عَبِيْـد كــمُ تغنَّـى بمــزايــا بــايــزيــد

* * *

في حديثِ المُصْطفى شمسُ الهُدى كَلُّ أرضٍ مَسْجِدٌ للمــؤمنيــن

كيف تبني فَوْقَ أرضٍ مسجدا إنْ تَوَكَّتَ الأرضَ لِلْمُسْتَعمرين

ليس حيًّا من يُسرى مُسْتَعبَدا لِسِوىٰ من في يديه رزْقُه سَيِّدا مَن ليس يدرضي سيِّدا مساخيلا ربِّي فكيلٌ عَبْدُه

* * *

في ضَمِيْدِ الحرّ تكبير الإله في جبين الحرّ تقديرُ الأُمم موتُه أعلى مقاماتِ الحياه تَرفعُ الدُّنيا لِلذِكراه العَلَم

* * *

هــو يــوم السَّلْــم فــي نَهْضَتِــهِ بِيَـــدِ الإصــلاح يَبْنــي عَصْــرَه ويـــذيـــعُ الخَيْـــرَ فـــي أمَّتِــه مِثْلَمَـــا يَنْشُـــرُ رَوْضٌ عِطْـــرَه

* * *

وَهْــوَ يَــوْمَ الحَــرْبِ فــي سَــاحَتِــهِ سيفُــــه يَحْفِــــرُ فيهــــا قَبْــــرَه يتحــــدًى المـــوت فـــي وَثْبَتِـــه أو يُتــــمُ العَــــزُمُ فيهـــا نَصْـــرَه

* * *

إنَّ غَـرْسَ الحقِّ في نـورِ القُلـوب غَيْـرُ شـأنِ الـزَّرِع في مـاءِ وَطِيـنْ فـالتَمِـسْ لِلْمَجْـدِ أحـرارَ الشُّعـوب إنَّهـم فـي الــدَّهـر أعــلامُ اليَقِيـنْ

في أسرارِ الشّريعة

لم يتحدَّث إقبال فقط عن أسرار العبادات وحكمة الدَّين فيها ، ولكنَّه من جهةٍ أخرى يحاول أن يكشف أسرار الحياة في المال ، وفي مجال التعامل به ، وما انتهجه المادِّيُّون من الأساليب في هذا السبيل ، فيقول للمؤمن : إنِّي وعيت

عن جلال الدِّين الرُّومي حكمة نبهني فيها إلى أمرٍ جَلَل ، ما كِذْتُ أَتَأْمَلُها حتى أصابني المقيمُ المقعدُ من التفكير ، فيقول :

حِكْمةٌ قد وعيتها عن جلال الدِّينِ فيها أدركتُ معنى الجَلالِ أنَّ حِفْظُ الأموالِ مِنْ أَجْل حفظ الدِّين زادٌ وعدَّةٌ للنَّضال قد أبانَ الرَّسُولُ أنَّ صلاحَ المالِ يزكو بهِ (١) صلاحُ الرَّجال إنْ يَكُن همَّك الغِنَى لم تكن له عبداً بَلْ أنْتَ عبدُ المال

* * *

كم شَهِدنا الإصلاح من فارضي الأيدي وأهل الخصاصة المُعْدَمين كم وَجَدْنا الكسادَ من خازِن المالِ وأهل الأهواء والمُتْرفين مُم يَضيقون بالعدالة في الأرض ليَقْضُوا حياتَهم ناعمين لا يخافون في المَصير حساباً بل يخافون غَضْبَة الثَّاثرين

* * *

ياكلون التراث جَمْعاً وبُخُلا وتريد الماساة رُغباً وهولا يقفُ العاملُ المُسِنُّ^(۲) لديهم يصلُ الليل بسالنَّهار أنيناً

ثُمَّ هم يأكلونَ خُبْزَ الأجير عندما يَسْرِقُون حقَّ الفقير خاشعَ الطَّرف خافضَ التَّعبير دُونَ جَدُوىٰ (٣) في بؤسِ عيشٍ مرير

* * *

ليس في بيت السرغيف ولا يستُر مِن عُريه سوى الأسمال (٤) يبتني القَصْر وهو يلتمِسُ الأكسواخ بيسن السرُّبوعِ والأطلالِ

⁽١) يَزْكُو به : يزيد به .

⁽٢) المُسِنُّ : كبير السَّن .

⁽٣) دُون جَدُوى : دون فائدة .

 ⁽٤) الأسمال: الأثواب الخَلِقَة البالية.

نال ربح الدَّارين منْ جَعَلَ المَالَ سبيلاً إلى كسريم الفِعالِ هـم حيارى لا يَنْظُـرون رأسَ المالِ هـم حيارى لا يَنْظُـرون رأسَ المالِ

يستوي الحللُ والحرامُ لدى القَوْم وأين الدُّجى مِنَ الأنْوارِ فَاسَالِبُهُم مخادَعة الخلق وتعميرهم خرابُ الدُّيارِ دولةٌ تعتدي على دولةٍ ظلماً وقطر يبغي على أقطارِ كادحٌ يسزرعُ الحقولَ فياتي غيرُه عاجلًا لجَنْي الثمارِ

مِنْ صميم الحياة . من فطرة الله ، من القَلْبِ ، من لقاء الضَّميرِ يشرقُ العَدِّب السُّحي بالنُّورِ يشرقُ الضُّحي بالنُّورِ فلو أن الحرام يبدو حرماً يَحْجُزُ النَّاسَ عنه وعي الضَّميرِ يصبح العدلُ شام لا كلَّ أرضٍ في الحياة الدُّنيا ليوم النُّسورِ

حكمة الددين أن تُسَلِّم للشَّرْعِ وترضى بكل حكم قضاه مِن ضمير الرَّسولِ أينع هذا الدين في غَرْسِه وطاب جَناهُ إِنَّ هجر الحبيب يستلبُ اللبَّ ويُذكبي في القلب نارَ جَواه لو أزيل الحِجَاب لم تبق حياً خل أمر الوصال واطلب رِضاه لو أزيل الحِجَاب لم تبق حياً خل أمر الوصال واطلب رِضاه

عِشْ بأحكامه تَرَ العَيْشُ صفواً ورخساءً أو نضسرةً ونعيمسا وأطسع أمْسرهُ تُطِعْسك البسرايسا وتسرى الأمن حيث كُنْتَ مُقيما قسد حباك الإلّه أحسن تقويسم لتحيا خَلْقَاً سوياً كريما إنَّ إرْثَ (١) الخليسل إيمائه الصّادقُ فاحفظُ ميسراتَ إبسراهيما

⁽١) إزت : الميراث أو الأمر القديم توارثه الآخرُ عن الأول ، كما جاء في الحديث : =

كلُّ قَلْبِ له من الحقُّ نورٌ لا يُشابُ اليقينُ (١) منه بريب يسا مقيماً في حُجْروةِ السدَّا قُم وأنذر به الخلائد ق طرًا

وله من هدي النّبيّ نصيبُ وهو من جبريلَ الأمينِ قريبُ ريتلو وهو عمّا يتلوه ناء تَجِدِ الكونَ كلّه يَسْتجيبُ

وتقبَّل أوامرَ الددّين بالرّغبة والشّوق والرّضا كلّ وقت وآنِ كَالُ فسرض تقضيه جبراً وقهراً لا تسرى فيه نَشْوة الإيمانِ حكمة الددّين في العدالة والحبّ ليست في البُغْض والطُّغيانِ وبأنْ لا يحتاج في الأرض إنسانٌ ليحظى بالسرّزْق مِنْ إنسانِ

قَدْ خَبَرْتُ السَّدُعاة في هذه الأيام والمُدَّعين للإلهام أطفووا جيدوة الإرادة في الشَّعب وزادوه حَيْدَة في الظَّلام وأصاغدوا التاويل في كلِّ نصلُّ حيلة للغِنى وجَمْع الحُطام لا أرى في منابر القوم إلا سلَّة الكعك أو خوان الطَّعام

* * *

كم أطالوا الجدال في العقل والنقل وأفنوا أعمارهم في المِراءِ أيُ بابٍ من الهداية يُرْجى من كليم (٢) بلا يد بيضاء أيُ أمدر يفيده من كلام في صباح مدرد ومساء ماحب الحق أنت فاطلبه بالسَّعْي ولا تنتظره بالإعطاء

^{= (} إنكم على إرثٍ من إرث أبيكم إبراهيم) .

⁽١) لا يُشاب: لا يختلط.

 ⁽۲) كليم: يريد به الشاعر سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام .

دمعة على افتراق الشعب في شبه القارة

نظم إقبال هذا المثنوي في العهد الأخير من حياته سنة ١٩٣٦ ميلادية ، وكانت عوامل الفرقة قد بلغت حدَّتها ، وضعف الأمل في جمع الصفوف بعد أن قامت وَحْدةٌ وقتية بين الهنادك والمسلمين تعمل على إبعاد المستعمر البريطاني الذي حلَّ منذ سنين طويلة في شبه القارة ، وإجلائه عن البلاد ، إلَّا أنَّ المستعمر لم يفقد أمله الدائب في بث عوامل الفرقة بينهم ، كما حدث منه أدوار متعددة من تاريخ كفاح البلاد من أجل الحرية .

كان المستعمرون الإنجليز يثيرون حرباً ضروساً بين طوائف الشعب باسم الله تارة وباسم اللغة تارة أخرى ، يحرِّضون فرقة مسلمة على أخرى ، وجماعة السيخ على جماعة المسلمين ، ويطلقون في حربهم أيدي السَّفاكين على الأبرياء الآمنين ، ويزجون بالمجاهدين في أعماق السجون والمعتقلات ، جرياً على معهود سياستهم (فرق تسد) .

وقد نظم إقبال هذه القصيدة من كتابه (والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق) في ظروف ما قبل التقسيم . ولكنَّ المسلمين فيما بعد كانوا قد وصلوا إلى حالة وجدوا فيها أنفسهم مضطرين إلى توحيد جبهتهم للمطالبة بالتقسيم الذي انتهى إلى قيام باكستان دولة مستقلة على مسرح التاريخ حفاظاً على كيان المسلمين وحقوقهم المشروعة .

وتعد هذه القصيدة من أجمل القصائد في مثنوي إقبال ، رغم ما حوته من بعض المبالغات ، وفيها يحضُّ المسلمين على ثورةٍ عارمةٍ بأسلوبٍ دينيِّ مثير ، وأن تكون لهم القلوب الواعية ، والأمال النابضة بمعاني الحرية والانطلاق .

يوجه إقبال خطابه إلى جميع سكان شبه القارة الهندية قائلًا:

همالايا ونهر الكنج إنّي أرى صُورَ الحياةِ بِغَيْرِ معنى فلم أدركُ لها في الحسّ لونا فلم أدركُ لها في الحسّ لونا

* * *

شعـوبُ الشَّـرق والغـرب استقلَّـت وضـاقَ بنـا علـى الأرضِ الفضـاءُ فلـــلأغيـــار ثـــروتُنـــا متـــاعٌ وَمِـــن لبنـــاتنـــا لهـــم البِنـــاءُ

* * *

وأيسن حيساتُنسا والغَيْسرُ فيهسا يَصُسوْلُ كمسا يشساءُ ويستطيسلُ وليسس النَّـومُ مسا صِسرُنسا إليسه فـذاكَ المسوتُ لا النَّـومُ الثَّقيلُ

وإنَّ بلذورَ هلذا الموت جاءت من الأعماقِ مُنْلذُ الابتداءِ ومُنْذُ المهدِ كان القومُ صَرْعَى (١) ومُنْذُ الموتُ ليس من السَّماء

* * *

وليس فقيدُ هذا الموتِ أهلًا لغُسُل أو لقَبُسرِ أو بُكساء ولا شق الثَّيابِ عليه حرزاً ولا سعسي الوفودِ إلى عَزاء

* * *

جهنمُـه سـوى مـا قـد عـرفنـا فليـسَ لهـا إلـى الفَلَـكِ انتسـابُ ويـومُ حسـابِ كـلُ الخلـقِ يـأتـي بـلا عمـل فليـس لـه حِسَـابُ

* * *

حصادُ الـزَّارعيـن غـداً وهـذا بـلا زرعٍ فمـن أيـن الحَصَـادُ ومـدَّة عمـرِه فـي الـدَّهـر يـومٌ مُعـادُ

⁽١) صَرْعَى ، جمع الصَّريع : وهو المصروع . يقال : بات صريع الكأس_والمجون .

وأيَّــةُ أمَّــةٍ تــرجــو الأمــانــي بـلا جَهْـدِ وتمضـي فـي رُكــودِ (١) يكــونُ مصيــرُهــا عــدمــاً ومحــوا وينســـىٰ نَقْشَهــا سِفْــرُ الـــوُجــود

* * *

وكَمْ فِتَنِ تمادى(٢) الغربُ فيها وأَخْكَمَ حولَها السِّحْرَ المبينا فما أبقى على الكفارِ كفراً ولا أبقى لأهل السِّين دينا

安华安

وأغْطَشَ ليلها الدَّاجي (٣) ظلاماً فما تدري الشَّرابَ من السَّرابِ هـي الغَمَـرات مـا منهـا نجـاةٌ ولا حَــلُّ بِغَيْــرِ الانقـــلابِ

安培特

فيا مَنْ هامَ بالدُّنيا متاعاً وأصبحَ همُّه شبعاً وريَّا (٤) تَطُلُبُ في حُضُورِ الحقُّ قلباً وفيَّا صادقَ الإيمانِ حيَّا

* * *

فهاذا القلبُ للدُّنيا سراجٌ له أمامُ الخليقةِ في انتظار وهاذا القلبُ مَعْدِنُه ترابٌ وَجَوْهَرُه فريدٌ في الدَّراري(٥)

安存货

يفوقُ السَّبْعَــة الأفــلاك قَـــدْراً بِهِمَّتِـــه ولا يــــألـــو رُقِيَّـــا

⁽١) الزُّكود: الهدوء، والسُّكون.

⁽٢) تَمَادى : لَجَّ ودام عليه .

⁽٣) ليلها الدَّاجي، أي: حالك.

⁽٤) رِيًّا: مصدر رَوِيَ ، أي: شَرِبَ .

 ⁽٥) الدَّراري ، جمع الدُّريّ : نسبة إلى الدُّر في حسنه وبهائه .

يقيم على الثَّرى وله أمانٌ إلى العلياء أدناها الثُّريَّا (١)

وفي حرب ضروس (٢) كلَّ حين مع التَّاريسخ مُتَّصل النَّضالِ بِضَرْبَيِّهِ الجبالُ تصيرُ عِهْناً وَتُرْهِبُه الضراغِمُ في الجِبَالِ

* * *

ترى لِشعورِه المشبوبِ ناراً تُوقَدُ مِنْ حرارَتها ذُكاءُ له ممَّا سوى التنورِ خبزٌ ومِنْ غَيْرِ الطَّعامِ له غِذَاءُ

* * *

حضورُ الحقّ يملوه يقيناً فمنه الخوفُ مَحْضاً والرّجاء شهودُ الحقّ إنْ هُوَ غابَ عنه فليسَ له على الدُّنيا بَقَاءُ

* * *

طيف الجلواتِ والخلوات طُرًا يضيء الكونَ بالرأي المُنيرِ وماللعِشق في سُخرٍ وَصَحْوِ دليك للهُ غَيْد وَابٍ فَقِيْد وماللعِشق في سُخرٍ وَصَحْوِ

非非特

فصاحب من له قلب عظیم لعلّات تدركُ الأمر العظیما وُلِـدْتَ علـى مهاد الـذُّلُ عبـداً فجاهـدْ ثـمَّ مُـثُ حُـراً كـريمـا

⁽١) الثُّريَّا: مجموعة من النجوم .

⁽٢) حَرْب ضَروس ، أي : شديدة مُهلكة .

السياسة الحاضرة

إِنَّ إِقْبَالًا كَشْفُ الْأَقْنَعَةِ الْمُزَّيُّفَةِ عَنْ وَجْهِ السِّياسَةِ الْغُرِبِيةِ ، ووجَّه أمم الشَّرق إلى تجنُّب أخطارِ دُوَلِ الغَربِ وسياستها ، وقدَّم حقائقَ وصوراً عن التَّدهورِ الخُلقى في قادة المسلمين والموجهين لشعوبهم لاسيَّما في شبه القارة الهندية الَّتي كتب على أرضها هذه المنظومة الكبرى قبل الاستقلال. ومن أروع ما نشهده من روائع هذه المنظومة ذلكَ الاستدراكُ العجيب الذي صرَّح فيه إقبالُ بأنَّ الإنسانَ المستعبدَ الذَّليل يكاد يفقد حقَّه في أن يذكر اسم النَّبيِّ على لسانه بالصَّلاة والتسليم ، وألمح إلى الحالة المؤسفة التي شهدها في المجتمع ، ولاسيما في شبه القارَّة ، وبيَّن بجلاءِ أنَّ العبوديَّة والذُّلَّة لا تلتقيان مع الإيمان بالله في قلبِ إنسان ، ومنْ ثمَّ يقول إقبال :

ما هو التّفسير للعَدْلِ الجَديد

صَوْرَ الغاصبُ عَدْلًا ظُلْمَهُ زادَ في التَّحرير معنى أنَّه يُحْكِمُ القَيْدَ لتحريرِ العَبِيْد

فَاتَّخِـٰذُ فَـي مَنـٰزَلِ الصَّيـادِ وَكُـرا لا ولا تــأمــنُ فــي الصَّحــراء نَسُــرا

قال للطَّيْسِ إذا رُمْتَ الأمان ليس في الأجواء للطّير مكان

يَسْقُـطُ الطَّيْـرُ ويهـوي ثَمِـلا(١) سَاعَة يَفْقدُ فيها الأملا

حِيْنَ يلقي الحَبُّ في أشراكِ ويَغيبُ الرُّشدُ عن إذراكِ

الثمل: النشوان من السكر. (1)

⁽٢) المَيْن : الكذِبُ .

إِنْ سَقَاكَ المَاءَ فَاتْرُكَ وِرْدَهُ وَلْتَمُتْ ظَمَآنَ حُرًّا كَالْجُسِين

安安安

لا تُصَدِّقُ مِنْهُ مَا تَسْمَعُهُ فَهُو تَخُدِيرٌ مِبِيدٌ للبَشَرْ واحَدَرِ الكُحْلُ الذي يُعمي البَصَرْ

特殊特

ضاقَ صدري بأميرِ القافلة ليس فيه وَمُضةُ (١) مِنْ لا إلّه عابدُ المالِ يحبُّ العاجلة عَبْدُ جسمِ عَبْدُ نفسٍ عَبْدُ جاه

* * *

كان بالتَّوحيد مرفوعَ العلم يَنشُدُ المَجْدَ طريفاً وَتَلِيدا ذلكَ المولودُ في ظلَّ الحرم ما له أَصْبَحَ لِلْغَيْرِ مُريدا

非非特

أَيْنَ مِنْ كَانَ بهم يسترشد كِلُّ مرتابٍ فيحظَى باليَقين وتسرى الأرضَ إذا مِا سَجِدُوا زُلْزِلَتْ مِنْ جَبَهاتِ السَّاجِدين

* * *

في دويً الهَـوْلِ كـانـوا يُعْلِنـون تَحْتَ ظلِّ السَّيْفِ تَـوْحِيـدُ الإلّـه بِمِــدَادِ مِــنْ دمــاء يَكتبــون ربُّنــا اللهُ ولا نخشـــى سِــواه

* * *

أين ذاكَ الشَّوْقُ والقَلْبُ الصَّبُور ومرايا البَاقياتِ الصَّالِحَاتِ قد طَوَتُها في تواليها العُصور وتوارتْ في الليالي الخَاليات

 ⁽١) وَمُضَة : لمعة خفيفة .

قَدْ بَلَوْتُ الرِّقِ^(۱) مُنْدُ الابتداء مِنْ رسولِ الله يَعْروني الحَيَاء^(۲)

لَـمْ يكـنْ مهـدي في أرضِ الحَـرَمِ حِيْـنَ يَـدْعُـو بـاسمِـه الغـالـي فَمِـي

* * *

لَـكَ قلَـبٌ ومع القَلْـبِ ضميـر أَمْ غدا صدرُكُ لـلأصنام دَيْـرا^(٣) أَنْـتَ للغَـاصـبِ محكـومٌ أسيـر تَحْتَ حُكْمِ الغَيْرِ لن تَصْنَعَ خَيْرا

**

تــدَّعــي الحُــبُ لخيــر الأنبيــاء أكْـذَبُ الأقــوالِ مــالَـمْ يَبُـدُ فِعْـلا وإذ لَــمْ يَتَبَــعِ القـــولَ اقتـــداء لَـمْ يكـن لِلْحُـبُ أَوْ لِلْقُـرْبِ أهــلا

* * *

لَـذَّة الإيمانِ عند المؤمنين قَـلَّ أَنْ يُـدْرِكَها عبدٌ ذَليل مسلمٌ مُسْتَسْلم للطَّامعين آزريُّ (٤) حادَ عن دين الخَليل

* * *

صلواتُ الحرِّ بعثُ للشُّعور فهي مِعْراجٌ إلى العَيْشِ الكَريم وصلاةُ المَرْءِ في غير خُضُور عادةٌ جوفاءُ في رسمٍ قَدِيْم

* * *

إنَّ لسلاً حسرار في العِيْدِ السَّعيد مَظْهَرُ العِنْةُ في دُنيا وَدِين ولين السَّعيد ولدى الاسرى وفي عيش العَبِيْد يُصْبِحُ العِيْدُ هَجْوَ المُؤْمنين

(١) الرِّق : العُبوديَّة .

⁽٢) يعروني الحياء : يُصيبني الحياء .

⁽٣) دَيْراً ، مصدر من دَارَ يدورُ ، أي : طَافَ حولَه .

⁽٤) آزريٌّ : نسبة إلى آزر والدسيُّدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

إلى الأمة العربية

خصّص محمد إقبال قصيدةً من أبدع قصائده للحديث مع الأمّة العربية ، ليسجل فيها فضلَها وسَبْقها في حمل الرسالة الإسلاميّة ، والأخذ بيد الإنسانيّة ، وافتتاحها لتاريخ جديد وفجر سعيد ، وسرعان ما ينتقل إلى موضعه الحبيب الأثير ، فيذكر الشخصية الحبيبة التي كانت على يدها نهضة هذه الأمّة وسعادتها ، بل نهضة الإنسانية وسعادتها ، فيرسلُ على عادته النفسَ على سجيتها ، ويعطي القلب والعاطفة زمامَه ، ويسترسلُ في الحديث ، فيقول :

«أيتها الأمة العربية! التي كتب الله لباديتها وصحرائها الخلود، مَنِ الذي سَمِعَ العالم منه نداء « لا قيصر ولا كسرى » لأول مرة في التاريخ (١) ، ومن الذي أكرمه الله بالسَّبْقِ إلى قراءة القرآن؟ مَنِ الذي أطلعه على سرِّ التوحيد، فنادى بأعلى صوته: « لا إله إلا الله » ، وما هي البقعة التي اشتعل فيها هذا السراج الذي أضاء به العالم؟ هل العلم والحكمة إلا فتاتُ مائدتكم ، وهل قوله تعالى: ﴿ فَأَصَّبَحْتُمُ بِنِعْبَيهِ إِخْوَلَنَا ﴾ [آل عمران: ١٠٣] إلا وصف حالكم ، إنَّ نَفَسَ ذلك الأمي أعاد على هذه الصحراء الخِصْبَ والنمو ، فأنبت الأزهار والرياحين ، إنَّ الجسد الحرية نشأت في أحضانه ، وإنَّ حاضرَ الشعوب ليس إلا وليد أمسِه ، إنَّ الجسد البشري كان بلا قلب وروح ، فأعطاه القلب والرُّوح ، وكشف اللئام عن جمال البشري كان بلا قلب وروح ، فأعطاه القلب والرُّوح ، وكشف اللئام عن جمال وجهه ، إنَّه حطم كلَّ صنم قديم ، وأفاض الحياة على غصنِ ذاوٍ من أغصان

⁽۱) يشير إلى الحديث المشهور: ﴿ إِذَا هَلَكَ قَيْصِرُ فَلَا قَيْصِرُ بَعْدُهُ ، وإِذَا هَلَكَ كَسَرَى فَلَا كَسَرَى بَعْدُهُ ﴾ .

العلوم والمدنية ، وأنجب أبطالاً وقادةً مؤمنين ، أقاموا المعارك الفاصلة بين الحق والباطل ، فتارةً يدوِّي الأذان في ساحة الحرب ، وتارةً يتجلَّى الأذان بقراءة «الصافات »(۱) بين صليل السيوف وصهيل الخيول ، إنَّ سيف البطل المغوار كصلاح الدين الأيوبي ، ونظرة الزاهد الأواب كأبي يزيد البسطامي مفتاحان لكنوز الدُّنيا والآخرة .

إنَّ العقل والقلب يجتمعان تحت لوائه ، وإنَّ ذكرَ جلال الدين الرومي ، وفكرَ فخر الدين الرازي يلتجئان تحت ردائه ، إنَّ العلم ، والحكمة ، والشرع ، والمدين ، والملك والإدارة ، ولوعة القلوب مقتبسة من نوره ، وليست «الحمراء » في غرناطة ، وقصر «التاج » في آكره (٢) ، اللذان خضع لجمالهما وجلالهما كبار الفنانين الناقدين ، وعظماء العباد الزَّاهدين ، ليس إلا صدقة من صدقات بعثته ، ومظهراً من مظاهر عبقرية أمته ، إنَّ بعض مظاهره تجلَّى في سموً ذوق أمته ، وسلامة تفكيرها ، وجمال فنها ، أما باطنه فقد تقاصر عن إدراكه كبارُ العارفين .

لقد كان الإنسان حفنة من تراب ، وقبضة من أشلاء وعظام ، لا يدري ما الكتاب ، ولا الإيمان ، فعرَّفه بالعلم والإيمان ، وأذاقه لذة العبادة والإحسان ، فجزاه الله عن الإنسانية أفضل الجزاء) .

يذكّر إقبال الأمة العربية عهدها القديم قبل البعثة حين كان نظام العرب فوضى ، يعيشون كالبهائم التي لا همّ لها في الحياة إلا الأكل والشرب ، وكان مَثَلُهم كمَثَل السيف المفلول يتراءى للناظر لامعاً قاطعاً ، ولكن ليست له ظُبّة فهو لا يُنتفعُ به ، فيقول الشاعر :

⁽١) يشير إلى سورة الصافات.

 ⁽٢) يعني (التاج محل) الذي بناه الإمبراطور المغولي (شاه جهان) ، ويعتبر آية في الفن
 المعماري ، ويأتي إليه الجوالون والزائرون من أقاصي البلاد .

اليها العرب قد من الله عليكم ؛ إذ جعلكم مثل السيف البتار أو أحد منه ، وكنتم فيما قبل ترعون الإبل في الصّحراء ، تركبون عليها ، وتظعنون بها ، ثم انعكست الآية ، فسخر الله لكم المقادير ، فضلًا عن الإبل ، فأصبحتم من مالكي أعنتها ، فلو أقسمتم على الله لأبرَّكم ، وهنالك دوت تكبيراتُكم وصلواتُكم ، وزمزمت جلبة حروبكم ومغازيكم بين الخافِقَيْن ، فارتج بها ما بين الشرق والغرب ، فما أحسن تلك المُغامرات ، وما أجمل تلك الغزوات » .

وبعدما يمدحُهم الشَّاعر ، ويذكرُ حماسَتهم الإسلامية ، وغضبتهم المضرية في الله ورسوله ، ويبدي فرحَه وسروره ، يقف برهة ، ويملكه الحزن والتألم بما يرى من خمود العرب بعد النشاط ، والإحجام بعد الإقدام ، والفُرْقة بعد الوَحْدَة ، والعبودية بعد السيادة ، والاتباع بعد القيادة ، ويقبل إليهم مخاطباً معاتباً ، ويقول :

«أسفاً على هذا الخمود والجمود، أيها العرب! ألا ترون إلى الأمم الأخرى، كيف تقدَّمت وسبقت! أما أنتم فما قَدَّرْتُم قَدْرَ هذه الصحراء التي نشأتم فيها، وهذه الحرية التي ورثتموها، كنتم أمَّةً واحدةً، أمَّةَ الإسلام، فصرتم اليوم أمماً، وكنتم حزباً واحداً، حزب الله، فأصبحتم أحزاباً، لقد فرقتم جمعكم، ومزَّقتم شملكم، وانقسمتم على أنفسِكم.

اعلموا أيها السادة ! أنَّ منْ ثار على شخصيته وكرامته ، وفقد الثقة بنفسه مات ، ومُحي من الوجود ، ومن فرَّ من معسكره وانحاز إلى صفوف الأعداء ، وتطفَّل على مائدتهم ، عوقب بالهوان والشَّقاء ، والطَّرْد والجلاء ، ألا إنه لم يجن عدوٌ على عدوٌ مثل ما جنيتم أنتم على أنفسكم ، ولم يُسىء أحدٌ إلى أحدٍ إساءتكم إلى أمتكم ، إنكم آذيتم روح رسول الله ﷺ بصنيعكم ، فهي متألمةٌ متوجِّعةٌ شاكيةٌ مستغيثة » .

الشاعر عارف بمكائد الإفرنج ، وما لديهم من سهام مسمومة ، وحبائلً

منصوبة ، وهو شديدُ المعرفة بهم ، وقد عاش فيهم ، ودرَسهم وَخَبرهُم ، فهو يتألّم إذ يرى في الأمة العربية من يُحْسنُ الظنّ بهم ، ويعتمد عليهم في بناء صرح الحياة ، وفضّ المشكلات ، فيرسل صيحته ، وينذرهم من المصير المظلم المؤلم ، ويقول :

« مهلاً أيها الغافلون! إيّاكم والركونَ إلى الإفرنج ، والاعتمادَ عليهم ، المنعوا رؤوسكم ، وانظروا إلى الفتن الكامنة في مطاوي ثيابهم ، ألا إنه لا حيلة لكم ولا وزر إلا أن تطردوهم عن منهلكم ، وتذودوهم عن حوضكم ، إنَّ حكمة الغرب قد أسرت الأمم ، وتركتها سليبة حزينة لا تملك شيئاً ، إنَّها مزقت وَحْدَة العرب ، واقتسمت تراثهم ، إنَّ العرب لما وقعوا في حبالهم تنكَّر لهم كلُّ شيء ، وقسا عليهم هذا الكون ، ولم يَجِدوا من يرثي لهم ، ويرفُق بهم ، وضاقت عليهم الأرض بما رَحُبَتْ وضاقت عليهم أنفسهم » .

وبعدما يفيض الشاعر في بيان شرور الإفرنج ومكائدهم ، ويحذِّر العرب من الانسياق إليهم والوقوع في شركهم يُقْبل إلى تشجيع العرب والترفيه عنهم ، ويقول :

" إنَّ الله قد رزقكم البصيرة النافذة ، ولا تزالُ فيكم الشرارةُ كامنةً ، فقوموا أيها العرب! وردُّوا فيكم روحَ عمرَ بنِ الخطاب مرَّةً أخرى ، إنَّ منبع القوة ومصدرها هو الدين ، منه يستمد المؤمن العزم واليقين ، وما دامت ضمائركم أمينةً للسرِّ الإلهي ، فيا عمارَ البادية! أنتم الحراسُ للدِّين ، وأمناءُ الله في العالمين .

إنَّ غريزتكم العربية الإسلامية ميزانٌ للخيرِ والشرِّ ، وأنتم ورثةُ الأرض ، إذا تألَّق نجمكم في آفاق السماء أفلت نجومُ الآخرين ، وَطُوِيَ بساطُهم ، لن تسعهم الصحراء والفيافي ، فاضربوا خيمتكم في وجودكم ، الذي يسع الآفاق ، كونوا أسرع من العاصفة ، وأقوى من السَّيل ، حتى تُسْرِعَ ركائبكم في مضمار الحياة ، وتَسْبِقَ الربح .

ليت شعري ! مَنْ خلَّفكم في الحياة ؟ إنَّ العصر الحاضر وليدُ نشاطكم ، وكفاحكم ، وصنيعُ جهادِكم ودعوتِكم ، وما زلتم سادته ، وولاته حتى أفْلَت زمامه منكم ، فتبناه الغربُ وامتلكه ، ومن ذلك اليوم فَقَدَ هذا العصر وهذا المجتمعُ الإنسانيُّ شرفه وكرامته ، وأصبح تحت ولايته منافقاً خليعاً ، ثائراً على الدِّين .

فيا رجلَ البادية ! ويا سيِّدَ الصَّحراء ! عُدْ إلى قوَّتِك وعزَّتك ، وامتلك ناصية الأيام ، وخذ عِنان التاريخ ، وخذ قافلةَ البشرية إلى الغاية المثلى » .

وهنا نبذةٌ أخرى من أبياته يشكو فيها إلى روح رسول الله ﷺ ضَيَاعَ الأمة الإسلامية ، وانطفاءَ شعلةِ الحياةِ والإيمانِ في نفوس العرب ، ويشكو وَحْدَتَهُ وغربتَه في هذا المجتمع الإسلامي البارد الجامد ، ويناجيه مناجاةً منْ قام بين يديه ، وأذِنَ له في الكلام ، ويقول :

" لقد تَشَتَّتَ شَمْلُ أُمَّتك يا محمد! يا رسولَ الله ، فإلى أين يلجأ المسلم الحزين ، وإلى من يأوي ؟ لقد سكن بحر العرب المضطرب المائج ، وفقدت الأمة العربية ذلك اللوع ، وذلك القلق ، الذي عُرفت به ، فإلى من أشكو ألمي ، وأينَ أجدُ من يساعدني على آلامي وأحزاني ؟ وماذا يفعل حادي أمتك ، وكيف يقطع الطريق الشاسع ، ويطوي السَّفر البعيد في هذه الجبال والمَهامِه ، وقد ضلَّ سبيله ، وفقد زاده ، وانقطع عن الركب ، بالله ! قل لي ماذا يصنع حاملُ دعوتك ، المؤمنُ برسالتك ، وأين يجدُ زملاءَه ورُفْقَته ؟ " .

ويؤلم الشاعر أن يرى العرب لا يزالون ينظرونَ إلى الأوربيينَ الإنجليزِ والأمريكيين كأصدقاء مخلصين ، وأعوانٍ مُنجدين يحلُون لهم مشكلةً اللاجئين ، ويردُّون إليهم أرضَ فلسطين ، مع أنهم لا يزالون تحت سيطرة اليهود ونفوذهم السياسيِّ والاقتصاديِّ والصَّحافيِّ ، يقول :

﴿ أَنَا أَعْلَمَ جِيدًا يَا إِخُوتِي الْعَرِبِ ! أَنَّ النَّارِ الَّتِي شَغَلَتِ الزَّمَانِ ، وبَهَرت

التاريخ ، لم تزلُ ولا تزالُ تشتعلُ في وجودكم ، صدِّقوا أيها السادة ! إنه لا دواء لكم في جنيف ، ولا في لندن ، لأنكم تعلمون أنَّ اليهود لا يزالون يتحكَّمون في سياسة أوربة ، ولا يزالون يملكون زمامها ، إنَّ الأمم لا تذوقُ طعم الحرية والاستقلال حتى تربي فيها الشخصية والاعتداد بالنفس ، وتعرفُ لذة الظهور » .

وأخيراً يقول كلمةً صريحةً مركزةً بليغةً مع تلطُّف واعتذار :

« معذرةً يا عظماء العرب! لقد أراد هذا الهنديُ (١) أن يخاطبكم ، ويقولَ لكم كلمةً صريحةً ، فلا تقولوا أيها الكرام : هندي ، ونصيحةً للعرب ؟ إنّكم كنتم يا معشر العرب! أسبقَ الأمم إلى معرفة حقيقة هذا الدّين ، وإنه لا يتم الاتصال بمحمد على إلا بانقطاع عن « أبي لهب » ، وإنّه لا يصح الإيمان بالله إلا بالكفر بالطّاغوت ، كذلك لا تتم الفِكرة الإسلامية إلا بإنكار القوميات ، والوطنيات ، والفلسفات المادية ، إنّ العالم العربيّ أيها السادة! لا يتكوّن ، ولا يظهر إلى الوجود بالثغور والحدود ، وإنما يقومُ على أساس هذا الدّين الإسلامي وعلى الصلة بمحمد على الله الله بمحمد المنتال المناس الم

* * *

وإليك هذه القصيدة المُصاغة شعراً بالعربية ، يقول إقبال :

شعبَ العُروبةِ والمَجْد المُؤَثَّل^(٣) في بدوٍ وفي حَضَرٍ حتَّى ضُحى المحشر مَن الَّـذي حـرَّرَ الـدُنيـا لخـالقهـا وأَسْمَعُ الخَلْقَ لا كِسْرَى ولا قَيْصَر

非非非

⁽۱) لا يعزبن عن البال أن محمد إقبال توفي قبل ولادة باكستان بعشر سنوات ، وقبل أن تكون هناك جنسية باكستانية .

⁽٢) من « رواثع إقبال » للعلامة أبي الحسن على الحسني الندوي ص١٢٤ _ ١٣٥ .

⁽٣) المؤثّل: المبني الأصيل.

بوحي من خلق الدُّنيا وسوَّاها وَوَحَّـدَ الخَلْـقَ لمَّـا وَحَّـدَ اللهَ من قبلكُم أبلغ الآياتِ ناطقة من غَيْرُكم رَفَعَ المِصْباحَ مؤتلقاً

* * *

علماً شَهِيّاً وتَهْذيباً وعِـرْفـانـا ببحتُـم بنعمته فـي الخَيْـرِ إخـوانـا لم يَطْعَمِ النَّاسُ إِلَّا في موائدكم في شأنكم أرسلَ اللهُ الكتابَ فأص

* * *

وأنبتَ الوَرْدَ في الصَّحراء لِلْعَرَبِ أَغْنَتْ مكارمُه فيها عَنِ السُّحُبِ(١)

منْ حوَّل البيدَ روضاً والحَصى دُرراً أستغفرُ الله ما غَيْـرُ النبــيِّ بهــا

* * *

بعرمه ساجداً لله إكبارا يُجَدِدُ الحُسن أوراقاً ونوارا

فكلُّ معبودٍ قديمٍ في الشعوب هوى وكلُّ غصن نداه غدا

* * *

منَّا الخُطا وأثارت للعلا همما يأساً مريراً ومنْ أنوارِها ظُلَما واهاً لها جذبات طالما حَفَزَتْ قد أبدلتنا الليالي من سعادتها

* * *

حِصْنَ الرَّخاء وصارتْ للمُنى قَدَما وشورةٌ وكنوزٌ تُغْدِيقُ النَّعما

كلُّ الشُّعوب أعدَّت منْ مواردها وملء صحرائكم لو تعلمون غنىّ

كيفَ انقضى حفْلكم وانفضّ سامرُكم (٢) وكان بالأمس مِثْلَ العَقْدِ منتظما

⁽١) سُحُب ، جمع السّحاب : هو الغيم سواء أكان فيه ماء أم لم يكن .

⁽٢) سَامِر : هو مَن يتحدَّث مع زميله في الليل .

توَحَّدَتْ من قديمِ الدَّهر أمَّتكم ما بالُها انقسمتْ في أرضِكم أُممَا

قَدْ خادَعَتْكُم من المستعمرين يدٌ سُمُّ العقارب في أكمامِها استترا كـمْ أهْـدروا مِـنْ شعـوبِ آدَمِيَّتَهَـا كمْ أيقظوا فتناً ، كمْ أفسدوا فِطَرا

* * *

تَـوَارَثَ العَـرَبُ الأحـرارُ وَحُـدَتَهُـم مـدى عصـورِ وأجيـالِ وأزمـانِ حتـى إذا جـاء الاستعمـارُ قسَّمهـا إلـى شعـوبِ وأقـوامِ وأوطـانِ

* * *

اضْرِب خيامَك في دنيا وُجودك لا تَقِفْ بها عند رَسْمِ الدَّار والدَّمَنِ (١) وادفعْ بناقَتِك الميدانَ أَسْبَقُ منْ ريح الصَّحارى وأَنْقِذْ وَحْدَة الوَطَنِ

* * *

يا أيُّها العربيُّ انظر لعصرك في دنيا يفوزُ بها منْ أَخْكَمَ النَّظرا بِالسَّلْمِ بِالعَدْلِ تبني ما تُـؤمِّله إنْ شِئْتَ للأرضِ عُمْراناً فَكُنْ عُمَرا

* * *

تُعادُ هنا نَفْسُ هذه المنظومة في صياغةٍ أخرى ، يقول :

(1)

أمَّة الصّحراء يا شَعْبَ الخُلود مَنْ سِواكم حلَّ أَعْلالَ الوَرىٰ أُمَّة الصّحراء يا شَعْبَ الخُلود صاحَ لا كسرى هُنا لا قيصرا

 ⁽١) الدَّمَن ، جمع الدِّمنة : وهي آثار الدَّارِ .

من سِواكم في حديثٍ أو قديم

أطْلَعَ القرآنُ صُبْحاً للرَّشاد لَيْــسَ غَيْــرَ الله ربّــاً لِلْعبـاد هـاتفـأ فــي مَسْمَـع الكَــوْنِ العَظيــم

قَـدَّمَ الحِكْمَـةَ قـوتـاً لِلْفَطِـنْ(١) حدَّثُوني السوم عن أيِّ خِوان أنْدِزَلَ اللهُ فَاضْبَحْتُهِم لِمَدن يا مصابيح التَّآخي(٢) والتَّفاني

الكريم الفَرْدُ في كُلِّ الكِرام وابسلٌ مِسنَ فَيُسضِ أمُّسي اللَّقَسبُ بَلْ سقى في القَفْرِ بُسْتَانَ الوِثام أنبت الزّهر بصحراء العرب

فهــي روضٌ مُــوْنــتٌ مِــنُ غَــرْسِــه بهُدَى الحررِّيَّةِ العليا أنار لَــم يُنِــز إلَّا بــذكــر أنسِــهِ يومُها الحاضرُ في كلِّ الدِّيار

صاغ فيه لِلْعُلا قلباً جديدا كـــلُّ صَـــدر مــن بقــايــا آدمَ بَعْدَ ما علَّمَهُ النَّهْجَ الرَّشيدا مَنَے الإنسانَ مُلْكَ العَالِم

صارَ منْ عَزْمَتِهِ تَحْتَ الشَّرى (٣) بنَداه اخْضَرَ حسى أَثْمَرَا

كـــلُّ ربُّ غَيْــرَ خــلَّاق النَّسَــمُ كلُّ غُصْنِ كَانَ فِي يَبْسِ العَدَم

> فَطِن : الفهم الذكيّ . (1)

الثَّرى: التُّراب النَّدي. **(T)**

التآخي ، مصدر من تأخّى فلاناً : اتَّخذه أخاً . **(Y)**

لا تسلني الآنَ عَـنْ ثَـوْرَتِـه إنَّهـا ميـدانُ بَـدْرِ وَحُنَيـن فـي أبـي بكـرِ وَحُنَيـن فـي عليُّ ثُمَّ في صَبْرِ الحُسَيْن

سيفُ أيــوبَ وتقــوى بــايــزيــد فيهمــا مفتــاحُ كَنْــزِ العَــالميــن أَسْكَـــرَ الـــدُنيــا وضــمَّ المَشْـرِقَيْـن أَسْكَـــرَ الــدُنيــا وضــمَّ المَشْـرِقَيْـن

* * *

هاهنا الحكمةُ والدِّين القويم وهناكَ الحُكْمُ للدُّنيا يُقَام كُلُ قلبِ فيه لِلْمَجْدِ الصَّميم شورةٌ تعلو به فَوْقَ المَسرام

* * *

()

لا تَقُـلُ أيـنَ ابتكـارُ المسلميـن وسلِ الحَمْراء واشْهَدْ حُسْنَ تاج (١) دولـةٌ صـارَ ملـوك العَـالميـن نَحْـوَهـا طَـوْعـاً يـوْدُون الخَـرَاج

* * *

دولية تقرراً في آياتها مَظْهَرَ العرَّة والمُلْكِ الحَصِين وكنوزُ الحرِّة والمُلْكِ الحَصِين وكنوزُ الحرو

⁽١) تاج : يُريد به الشاعر « تاج محل » الذي بناه جهانكير ، ويُعدُّ اليوم من العجائب السبعة في العالم .

أرسلِ الشُّكُورَ إلى غير انتهاء لِنَبِيِّ اللهُ قُدْسيِّ الجَناب (١) أشْعِلِ النُّور بكف من تُراب أشْعِلِ الإيمان ناراً بالعَراء أوقدِ النُّور بكف من تُراب

* * *

* * *

كَبَّروا لله في ظلِّ الحُروب وصفوفاً تَحْتَ ظلَّ المَسْجِدِ ضجةٌ دانت لهم فيها الشُّعُوبُ وارتَقَوْا فيها مكانَ الفَرْقَدِ^(٢)

* * *

(7)

ويُ كأنْ لمْ تُشْرِقُوا في الكائنات بِهُدى الإيمانِ والنَّهج الرَّشيد ونسيتُم في العَيْشِ الرَّغيد (٣)

* * *

كَ لُّ شَعْبِ قَامَ يَبِنِي نَهُضَةً وأرى بنيانكِم مُنْقَسما في قديم الدَّهُم مُنْقَسما في قديم الدَّهُم وُنُتُم أمّما

⁽١) الجَنَابِ: النَّاحية .

 ⁽۲) الفَرقد: نجم قريب من القطب الشمالي ثابت الموقع تقريباً ولهذا يُهتدى به . وهو المسمَّى بـ • النجم القطبي » .

⁽٣) الرَّغيد: العيش الطيُّب الواسع.

فهو أولى النَّاسِ طُرًّا بالعَنَاء كسلُّ مَسنُ قلَّد عيسش الغربساء

كالُّ من أهْمَالَ ذاتيَّتَه لسن يسرى فسى السدَّهُ السرة قسوميت،

مسرَّةً أخسرى بها رُوْحَ عُمَسر

فكَّروا في عَصْرِكم واسْتَبِقُوا طالما كُنتُم جمالًا لِلْعَصْر واملؤوا الصّحراء عزماً واخلُقوا

والآنَ ماذا نصنع يا أُمَمَ الشَّرق(١)

يندِّدُ إقبال في هذه الأبيات بمغامرات الإفرنج ، ومؤامرات الغاصبين ، وسخريتهم بحقوق الشعوب ، وتمزيقهم للدُّول الصغيرة غنائم فيما بينهم ، ولكن التطوَّر السَّريع والثوراتِ المتوالية في الشرق والغرب ، غيَّرت الكثير من الأوضاع التي يشكو منها إقبال ، يقول مخاطباً للأمَّة العربيَّة _ بعد أن وجَّهَ إليها خطابه _ :

وقد سامها الغَرْبُ عَسْفاً وَجُوْرا(٢) لقد آن أَنْ يُصْبِعَ الشَّرْقُ حُسرًا

تَشِنُّ الخلائتُ في الأرض طُرَّا في الأرض طُرَّا في السَّرِق فيم التَّواني

أكسادُ أرى تسورةً فسي النُّفسوس

مضى الليلُ وانجابَ عَهْدُ الظَّلام

ومــا بَــرِحَ الغَــرْبُ يختــالُ تِيْهـــاً(٣)

李安安

تشــدُّ الحيــاة إلــى المَجْــدِ جَــرًا وبَعْـدَ الـدُّجـى يَعْقُب الليـلَ فَجْـرَا

非华华

ويَختَــرِفُ الكَيْـــدَ لِلْعَـــالَمِيْــن وَيُنشنىء دُنيـا علــى غَيْــرِ دِيْــن

لينشـــرَ فـــي الكـــونِ الْحَـــادَهُ

بأنيابِه العُصْلِ (٤) خَلْفَ الكَمِيْن

وَيَسْتَبْطِنُ السَّذِّئْتُ فَـي جِلْـدِ شــاةٍ

 ⁽١) بهذه الجملة وضع إقبال العنوان لهذا الكتاب.

⁽٢) جَوراً : ظلماً .

⁽٣) تِيْها : ضلالًا .

⁽٤) العُصل : المعوجة .

فَمَا قَـدْرُ إِنسانِ هـذا الـوُجـودِ لَـدَيْهـم سِـوى هيكـل مـنْ تُـراب تَشَكَـلَ فـي الخلـق مـاء وطينـاً وبنيـانُـه صـائــرُ لِلْخَــراب

وقافلة الكون ضَلَّت خُطاها بحكمتهم عَن طَريق الصَّوابُ لأطْمَاعِهم كَلُ شَرِّ مُبَاعٌ وما للضَّمير عليهم حِسَابُ

* * *

وللحقّ في كلّ شيء دليلٌ ومِن نورِه كلُّ ما تُبُصِرون وفي كلّ ما تُبُصِرون وفي كلّ معنى له حِكْمةٌ يفوزُ بأسرارها العارِفُون

华安华

إذا شَهِدوا آیـة الله عـاشـوا أبّاةً على الضَّيم (١) لا يَوْهَبُون لقد نظروا فاستبانوا الهُدى بـإدراكِهـم أفـلا يَنْظـرُون

操操器

وَلِلْمُسؤْمِنِ الحسرِّ مسنْ ربِّسه هُدَى في الحياةِ ونورٌ مبين وفي قلبه لوعيةُ الآخرين وعَطْفٌ على مِحْنَةِ الآخرين

 ⁽١) الضَّيْم : الظلم أو الإذلال ونحوهما ، جمعه : ضُيُّوم . قال المثقَّب العبدي :
 ونحمي على الثغر المخوف ونتَّقي بغارتنا كيد العِدا وضُيُسومَها
 (٢) لَوْعَة : حرقة في القلب وألم يجده الإنسان من حب أو هم أو حزن أو نحو ذلك .

أحسلً به خَشْيسةَ المتَّقيسنُ يسردً الأمانَ إلى الخائِفِيْسن

إذا العِلْمُ حَمَلً بِقَلْمِ الفتى ويردادُ خَمُوفًا مِنَ اللهِ حَتَّمَى

* * *

إلى قىدرة الله يَهْدي البَصَرْ سوى حيرة في دياجي الفِكَرْ

هــو العلــمُ لنــا فيــه كيميــاءُ فيــا أسفــا لَيْـسَ لِلْغَــرْبِ منــه

* * *

يُفَـــرَّقُ مـــا بَيْـــنَ خَيْـــرِ وَشَـــرَ وفــي صَـــدْرِه قطعــةٌ مــنْ حَجَــز فَلَــم يُجِبْــه العلــمُ عقــلاً سَــويــاً فـــلا ينبـــع الطـــلُّ مـــنْ جَفْنِـــه

* * *

تضيءُ القرونُ به والعَصر للمَحْوِ البوادِي وَقَتْلِ الحَضَر

فبالعلم كانَ رقميُّ الحياةِ فَحَوَّلُهُ الغربُ سيفًا رهيبًا

* * *

معاولُ^(۱) هَــدْم لِمَحْــوِ البَشَــرْ لِسُكِّــانهــا جَعَلُــوهـــا سَقَـــرْ تصيرُ الملائكُ لوْ جَاوَرَتُهُم ولو كانتِ الأرضُ جنَّة عَدْنِ

* * *

بكلِّ الشَّعوب خِـدَاعاً وَسِحْـرَا لَقَــد بــدَّلــوا نعمــةَ اللهِ كُفْــرَا

غدا مظهرُ العِلْمِ في عَصْرِهِم معاذَ الحقيقةِ ، ما ذاكَ سِحْرُ

非常特

لَهُ مْ فِتَىنٌ تَجْعَلُ الْـوَرُدَ شَـوْكَا وَتُوقِد فِي رَوْضَةِ الأَمْنِ جَمْرا

 ⁽١) المَعاول جمع المِعْوَل : آلة من الحديد يُنقر بها الصخر ، ويُهدَم بها البيوت .

خُدِ السَّيف من عُصبة المعتدين إذا كُنْتَ تَنشُدُ للحقُّ نَصْرَا

* * *

لَقَدْ آنَ للسرُّوحِ أن تَسْتَفيدِ قَ وَلِلشَّرْقِ أَنْ يستبينَ السَّليلا لِيَجْعَدلَ أنقاشَ هذا البناءِ على الظَّالمين كثيباً مَهِيْلا

* * *

إذا العَقْلُ أَذْعَنَ لِلْقَلْبِ حَكَماً رأى طاعةَ اللهِ أَهْدَى سَبِيلًا وَإِنْ لَمْ يُجِبُ دَاعِيَ القلبِ أَضِحىٰ كَابِليسَ مَكَراً وشرًا وَبِيلًا (١)

* * *

يَسرَى الغَــرْبَ يستغــلُ البــرايــا(٢) كمــا يَشْتَهــي دُوْنَ قيــلِ وقــال يسرى الأدمييــن مِثــلَ القطيــع فَهُــمْ لفــمِ الــذــبِ رزقٌ حَــلال

* * *

لَقَدْ حَانَ تغيير دُنيا بها نرى العَدْل أمراً بَعِيْدَ المَنَال وسُرًا وَعِيْدَ المَنَال وسُرًاقِ أكف إن على يَدِهِم أيُّ خيرٍ يُنَال

李华泰

لِطَمْسِ الهُدى والتِهَام العِبَاد وهـم نَحْوَ تقسيمِها في اتّحاد

ضَوارِي السَّباعِ التَقَتُ في جنيف^(٣) قد اقتسموا كُررَةَ الأرض نهباً^(٤)

⁽١) وبيلًا: شديداً.

⁽٢) بَرايا : جمع البرية ، وهي الأرض .

⁽٣) جنيف (Geneva) : مدينة في سويسرا .

⁽٤) نهباً: غصباً .

يقولونَ هذي بلادي لَكُم ونحنُ لنا كلُ تلك البلاد هنا أسا الما أبداً في ازدياد

* * *

لَــكَ الأرضُ أم هــذه أرضُــه وأيُّكـم فــي حِمَــاهــا نــزيــل بنفســك كــن واثقـــاً مــؤمنــاً وعِـشْ كـافـراً بـالعــدوَّ الـدَّخيــل

* * *

فَمِنْك إليك العُلا والهَوان وَمَجْدُك في الشَّرْق عالِ أصيل كرامة أجياله في يديك فأنْت له أو عَلَيْه السَّليل

* * *

على قوة الحقّ تحيا الشُّعوب وتجنازُ في المَجْدِ حدَّ المجال في لا شعب يقوى بلا وَحُدةٍ تضُمُّ الصُّفوف لنيل المَعَالي

* * *

ومهما سَمَا الرأيُ إنْ لسم يَقُم على قدوةٍ فَهُو زيفُ الخَيَالُ وفي قيدو وَ فَهُو زيفُ الخَيَالُ وفي قيدوة دونَ رأي جُندونٌ وجَهُلٌ وطيشٌ وعُقْبَى وَبَالُ

* * *

بنا لَبِسَ العِشْــ أَنُ ثــوبَ الـــ أَلال وفــاضَ علـى الكــونِ طيبــاً وَحُسْنـا وفطــــرةُ آدمَ فــــي كــــلً حــــيً رَوَتُهـا الخــلاثــ في الــدَّهــرِ عنّـا

* * *

تَعَلَّمَتِ الأُمُمُ النَّاهِضَاتُ مِنَ الشَّرْقِ دِينَا وَعِلْمَا وَفَنَّا وَفَنَّا وَفَنَّا وَفَنَّا وَفَنَا الجَجَابَ عِنِ الكانناتِ فَنَحْنُ مِن الشَّمْسِ والشَّمْسُ مِنَّا

فَ لَلِكَ مِنْ قَطْرِ نَيْسَ انِنَا فَـذَلِـكَ مِـنُ فَيُـضِ طُـوْفَـانِنَـا

إذا لاحَ في صَدَف جَوْهَ سِرّ وإنَّ هَـــدْرَ المَـــؤج فـــي بحـــره

على غُصْنِهِ بَعْسَض نِيسرانِنَا حــرارةُ شَـــدُو الهَـــزَارِ الطّــروبِ فأهدى رسالة إيماننا

سَقَيْنَـــا دَمَ آدمَ قلـــبَ الـــوُرُود

فِأَظْهِوْ يَسَدُ العَوْمِ للنَّسَاسِ جَهُوا وتُبْطِــلْ مــنْ فِتْنَــةِ الْغَــرْبِ سِحْــرَا فتى الشَّـرْقِ أنْـتَ الــوَفــيُّ الأميــنُ لِتَخْــرُجْ بيضــاءَ مــنْ غَيْــرِ ســوهِ

وَكَيْفَ اسْتَطَعْتَ على القَيْدِ صَبْرا بسإيمسانِهما تَلْمَقَ عِسْزًا ونَصْمَرَا فَــوَحُــد بــلادَك صــوب العُــلا

ومنْ حَوْلِهِ الجُنْـدُ أَقَـوىٰ سِيَـاج ومَتْجَـــرُه ظِـــلُّ عَـــرْشٍ وَتَـــاج لَقَدَ نَشَرَ الغَدرُبُ أسواقَهُ وَسِلْعَتُد فَ الشَّدراء

وبالحُكُم ياتيه كُنْوُ الخَواج وفي قَلْمِه الحِقْدُ خَلْفَ الرَّتَاج

لمه في التَّجارة رِبْحُ ونَفْعُ ويلقاك بالكلمات العلااب

ففيها الخَسَارَةُ والمَغْرَرُمُ وَوَلَمَغُرَمُ وَالمَغْرِرُمُ وَقُطْنُكَ مِنْ خَرِرُهُ الْغَرِمُ

فَكُـــنْ فـــي متــــاجـــره زاهــــداً نسيح بسلادِك أقسوى خيسوطساً

⁽١) خَزّ : نوع من الثياب ينسج من صوف .

يَدُورُ وانْدتَ بده الْحَلَدمُ وانْدتَ لده السرّبْدحُ والمَغْنَدمُ

جهازُ المنايا بدُولابِه يميتك بالغشُّ منْ غَيْرِ حَرْبِ

* * *

فَدَعْهُ وَعِسْ راضياً بالحَصِيْرِ فلا تُعْطِه بَيْدَقاً (١) بالوزير

إذا جاء يَعْرِضُ نَفْسَ البِسَاطِ وَإِنْ وَصَلَتْكِ بِسِهِ رُقْعِسةٌ

* * *

لِجَمْسِعِ النُّقَسُودُ وَبَيْسِعِ الضَّمِيسِرُ مِنَ الكَلْبِ لا مَنْ غَنزَالٍ غَرِيـرْ

جـــواهــــرُه بَهـــرِجُ^(۲) زائـــفٌ ونــافِجَــةُ^(۲) المِسْـكِ فــي سُــوقِــهِ

تَفِــرُ النَّعــالــبُ مــنُ مَكْــرِهِ ولا تُغْمِـضِ العَيْــنَ عَــنْ غَــدْرِهِ تَنَبَّـــهُ لهــــذا الــــدَّخيــــلِ الَّــــذي ولا تَتَعمَّـــــم بِمَنْسُــــوجِــــه

* * *

وإمَّا مَا مَارُدْتَ على حانسةِ فَمَانُ ذَاقَ خَمْارَته لَامُ يَعُادُ

* * *

تَضِلُ البَصِيْرَةُ قَبْلَ البَصِرِ لَهُ وَبُلَ البَصَرُ وصاحبُها بالغنى قَدْ سَكِرْ

بساصباغه وبسالسوانِه بِسِلْعَتِه قد غَدَوْنها سُكهارى

⁽١) البَيْدَق : الدليل في السفر ، والجندي الراجل . ومنه : بيدق الشطرنج .

⁽٢) البَهْرِجُ: الباطل.

⁽٣) النَّافجة : وعاء المسك في جسم الظبي .

وما يَقْتَنِيْهِ وما يَسدَّخِرُ للسَّرِ نَضِرْ للسِّرِ نَضِرْ

فَمِنْ جَهْدِ كَسْبِكَ مَا يَجْتَنِيْهِ ومِنْكَ الغِدَاءُ معاً والكِسَاءُ

* * *

على مَجْدِ أُمَّتِهِمْ سَاهِرُون وهُدمْ في مَـواطِنهم يَـزُرَعُون

وإنَّ ذوي الفَضْلِ في كلِّ شَعْبِ فَهُــمْ بســواعــدهـــم يعملــون

**

وما يَاكُلون وما يَلْبسون إلى أين يَمْضي بِكَ المَاكِرون

ومن أرضهم كل ما يُنتجُون فيسا من غدا مُنكراً ذاتَه

* * *

رَخيصاً وأنت غداً مُشْتَريه بسربع سَخيي لِمُشْتَودِه

وكم بِعُمَّتَ مَحْصُولَ زرع لـــه يعـــودُ بـــاضْعـــافِ مـــا نِلْتَـــهُ

* * *

ولا كُنْتَ في الأرض منْ زَارِعِيْه كامنٌ ومنْ يد غوّاصِه يَشْتَرِيه

كأنَّك لم تَشْقَ من أجله أفسي البَحْسر لسؤلسؤه

सामाना

شكوى ومُناجاة

كان محمد إقبال كثيرَ الاعتداد بالإيمان ، شديدَ الاعتماد عليه ، يعتقد أنه هو قوتُه وميزتُه ، وذخرُه وثروتُه ، وأنَّ أعظم مقدار من العلم والعقل ، وأكبر كمية من المعلومات والمحفوظات ، لا تساوي هذا الإيمان البسيط ، يقول في ست :

" إن الفقير المتمرد على المجتمع _ يشير إلى نفسه _ لا يملك إلا كلمتين صغيرتين ، قد تغلغلتا في أحشائه ، وملكتا عليه فكره وعقيدته ، هما : " لا إله إلا الله ، محمد رسول الله " ، وهنالك علماء وفقهاء ، الواحد منهم يملك ثروة ضخمة من كلمات اللغة الحجازية ، ولكنه قارون لا ينتفع بكنوزه " .

وكان شديد الغيرة على اعتزائه إلى هذه الرسالة وإلى هذه الشخصية العظيمة ، فكان يأبى أن يتطفل على مائدة أجنبية ، أو أن يروي غُلَّته من معين غريب يقول : « رفقاً يا رسول الله بفقيرٍ غيورٍ أبيِّ النفس ، رفض أن يملأ كوبه من نهر الأجانب » .

وجاشت نفسه الكبيرة الدافقة بالحنان والإيمان في الثالث من أبريل سنة ١٩٣٦م وهو عليل رهين الفراش في بهوبال (١) (الهند)، وقد آلمه ما كان يراه من وضع العالم الإسلامي المخزي، والفراغ الفكري والروحي الهائل الواقع فيه، وضعف الشخصية الإسلامية الشائن، واندفاع الجيل الجديد المتهور إلى الفكرة الغربية ومُثُلِها وقِيَمها، وتخليه عن رسالته ومركزه، ففاضت قريحته بشعرٍ من أبلغ الشعر الوجداني، تحدث فيه إلى النبي وشكا إليه في عالم الخيال ضعف العالم الإسلامي وفقره الروحي وانحرافه عن الجادة، وما كان يجده في نفسه من فتورٍ بعد النشاط، ومن ضعف في العلم، يقول:

(أشكو إليك يا رسول الله الهذه الأمة التي تسلط عليها خوفُ الموت ، إنك حطّمت الأصنام القديمة كاللاتِ ومناة ، وجدّدت العالم القديم ، الذي سرى فيه الهرم ، ودبّ فيه الموت ، فأصبح العالم يستقبل اليوم الجديد بالإيمان ، ودبّ فيه الموت ، فأصبح العالم يستقبل اليوم الجديد بالإيمان والحنان ، والتسبيح فيه الموت ، فأصبح العالم يستقبل اليوم الجديد بالإيمان والحنان ، والتسبيح والأذان ، ويستمدّ من الشهادة التي لقنته إيّاها الانتباه والحضور ، والنور والسرور .

اسم مدينة تقع في ولاية (مدهيابرديش) وهي عاصمتها كذلك .

إننا ـ وإن ولدنا في بلادٍ عريقةٍ في الوثنية ـ رفضنا أن نعبد الثور والبقر ، وأبينا أن نطأطىء رؤوسنا أمام الكهّان والسّدنة ، فلم نخرَّ بين يدي الآلهة القديمة ، ولم نطُف حول بلاط الملوك وقصور الأمراء . والفضل في كل ذلك يرجع إلى دينك الذي جئت به ، وإلى جهادك الذي قمت به ، فقد تربينا على السّفرة التي بسطتها للعالم ، وقد ظلَّ حديثك مصدر الشوق والسرور للأمة طيلة هذه القرون ، وقد استطاعت بذلك أن تكون أبيّة في الفقر ، عفيفة في الحاجة ، ولكنَّ العالم الإسلامي اليوم قد فقد الشيء الكثير من قوته وقيمته .

لقد تجوَّلتُ في ربوع العالم الإسلامي ، وزرتُ بلاد العرب وديار العجم ، فرأيتُ من يقتدي بك ، ويجدد ذكراك مفقوداً لا يقع عليه العيان ، ورأيت من يمثّل أبا لهب ويحكيه كثيراً يوجد في كل مكان . إنَّ الشباب الإسلاميَّ قد استنارت عقولهم ، وأظلمت قلوبُهم وضمائرُهم ، إنَّهم في شبابهم ناعمون رقاقٌ كالحرير ، لا يحتملون الأمل الجديد ، والنظر البعيد ، إنهم نشؤوا على العبودية ، ودرج على ذلك جيلٌ بعد جيل ، حتى أصبحوا لا يحلمون بالحرية ولا يطبقونها .

إنَّ نظام التعليم الجديد ومؤسساته انتزعت منهم النَّزعة الدَّينية حتى أصبحوا خبر كان ، إنهم هاموا بالغرب ، وجهلوا قيمتهم ، يريدون أن يتصدق عليهم الغرب بكسرة خبز ، أو حفنة شعير ، إنهم باعوا نفوسهم الكريمة من أجل لقمة حقيرة ، فأصبحت الصُّقور التي تحلق في السماء عصافير صغيرة لا شأن لها بالأجواء الفسيحة والمرامى البعيدة .

إنَّ أساتذة هذا الجيل الذين بضاعتهم في العلم مُزجاةً لم يخبروه بمركزه ومنصبه ، إنَّ نار الغرب قد أذابت هذا الجيل كالشمعة ، وصاغته صوغاً جديداً ، فأصبح في هذا الجحيم ممسوخاً منكوساً ، وأصبح المسلمُ لا يعرف سرَّ الموت ولذته ، ولا يؤمن كما كان يؤمن في القديم بأنه « لا غالب إلا الله » ، لقد مات قلبُه بين جوانحه ، فأصبح لا يفكّر إلا في المنام والطعام ، إنه حكَّم الغرب في

نفسه ليتلقى منه رغيفاً ، وقبل منّة مئة إنسانٍ من أجل بطنٍ واحد ، إنَّ محطّم الأصنام ، وسليل إبراهيم قد أصبح «آزر» ينحت الأصنام ، إنّه يشتري من الإفرنج أصنامهم الجديدة .

إنَّ هذا الجيل قد أصبح في حاجةٍ إلى بعثٍ جديد ، وإلى أن نقولَ له مرَّةً ثانية : قم بإذن الله ، لقد سحرتنا الحضارة الغربية ، وقد استطاع الغربيون أن يقتلونا من غير حرب وضرب ، لقد استطاعت أمتك وأصحابك ، أن يَثُلُوا عروش كسرى وقيصر ، والعالم ينتظر من جديد ثائراً جديداً ، يؤمن بالله ويكفر بغيره ، ويكسر طلاسم هذه الحضارة ويبطل سحرها .

نفسي فداؤك أيها الفارس الكريم! بالله اقبض العِنان، وقف بي لحظة أبث إليك بالأشجان والأحزان، قد تلجلج لساني وخانني البيان، إنَّني في صراع بين سلطان الشوق وسلطان الأدب، إنَّ الشوق يقول لي : تَشَجَّعْ وتكلَّم، فأنت من الحبيب بقاب قوسين، الأدب يقول : إيَّاك والفضول، فافتح العينين وأطبق الشفتين، ولكنَّ الشَّوْقَ عصيٌّ ثائر، لا يخضع للأدب، إنني أطلب منك نظرة التفات، فأنا ذلك الغزال التائه اللاغب الذي زَهِدَ فيه الطالبون، وانصرف عنه الصيادون، فلجأت إلى حرمك، ولأمر ما تراميت في أحضانك، إنَّ صوتي قد اختنق في حلقومي، وإنَّ اللهيب عاد لا يتجاوز صدري، وإن أنفاسي قد تجرَّدت من لوعة القلب ولهيب الصدور، وإنني فقدت اللذة التي كنت أجدها في قرآن الفجر.

إنَّ الزفير الذي لا يسعه الضمير كيف يستقر في الصدر كالعاني الأسير ؟ إنه يحتاج إلى أجواء لا نهاية لها ، وإلى سعة السموات التي لا حدود لها ، يا لها من علل يعانيها جسدي وروحي ، ولا دواء لها ، إلا أن تنظر إليَّ من طرف خفي ، إن هذه الأدوية التي يصفها الأطباء لا تناسب روحي العليلة ، فإن شامتي اللطيفة لا تحتمل مرارتها ورائحتها ، فأنا مريض لا يرجع فيه إلى طبيب ، فأبكي بكاء الأطفال ، إذا جرعوا الدواء المر ، وأنا أخادع نفسي ، فأمزجه بالحلاوة حتى

تسهل إساغته ، إنني كالبوصيري أطلب الفتح والفرج ، وأن يعود إليَّ ذلك اليوم الذي فقدتُه ، إنَّ العصاة من أمتك أسعد بشفاعتك ، وأكثر حظاً من عطفك من غيرهم ، كالأمِّ الحنون الرؤوم في عطفها وصفحها عن إساءة أبنائها .

إنَّني مع عباد الليل والظلام في صراع شديد ، فمد سراجي بمدود من الزيت من جديد ، إنَّ وجودك كان للعالم ربيعاً ، وللإنسانية خصباً وريعاً ، فلا تضنَّ عليَّ بشعاع من أشعة شمسك المنيرة للعالم ، إنَّ قيمة الجسم بالروح ، وإنَّ قيمة الروح هو إشراقٌ من المحبوب ، إنني أريد أن ينقطع رجائي عن غير الله فاجعلني سيفاً ، أو اجعلني مفتاحاً .

لقد أسرع بي ذهني الوقاد في مجال الفقه وحكمة الدين ، ولكن أبطأ بي عملي في مجال الكفاح ، إنَّ مهمتي أصعبُ وأدقُّ من مهمة « فرهاد » الذي كلف تفجير نهر من لبن من جبل صلد أصم ، فأنا في حاجة إلى آلات أَحَدّ ، وقوى أَشَدّ ، حتى أتم مهمَّتي ، وأحقِّق رغبتي ، إنني مؤمنٌ لا أكفر بشخصيتي ومواهبي فضعني على المِسَنِّ ، فإنني حديدٌ منْ مَعْدِنٍ كريم .

إنني وإن كنت قد ضبَّعتُ شبابي ، وأتلفتُ حياتي ، ولكن أملك شيئاً اسمه « القلب » ، إنني أغار عليه وأستره من العيون لأنه يحمل أثراً من حافرِ جوادكَ الأصيل ، إنَّ العبد الذي قد زهد في زخارف الدُّنيا ، إنما يتسلَّى برضا سيده وعطفه ، ويعتبر حياة الهجر والفراق موتاً .

يا من منح الكرديّ لوعة العرب ، اسمح للهنديّ أن يَمْثُلَ بين يديك ، ويتحدّث بأشواقه وأحزانه إليك ، إنه يحمل قلباً حزيناً ، وكبداً مقروحة ، لا يعلم أصدقاؤه وزملاءه ما يعانيه من حزنٍ وألم ، إنه لا تنقطع ألحانه المشجية ، كالعود الذي لا راحة له ولا انقطاع ، إنني كحطب في الصحراء مرّ به ركبٌ فأشعل فيه النار ، وأعجل الركبُ السّير ، فمضى وخلّفه ، وبقي الحطب يشتعل ، وينتظر ركباً جديداً ليستهلكه ويأتي على بقيته ، فمتى يمرّ به ركبٌ به ركبٌ

جديد في هذه الصحراء الموحشة المظلمة (١) ؟ .

* * *

وإليك هذه القصيدة المصاغة بالعربية شعراً يقول إقبال:

يا رأسَ مالِ البائسينَ ويا مَنَارَ الحائرين ادعُ الإِلَهَ يَهَبُ لأمَّتِك : الشَّجاعة واليقين

* * *

ويعيذُهم منْ شرِّ خوف المَوْتِ منْ قَبْلِ المَمَاتِ الخوفُ يفني اليائسينَ وهمْ على قيدِ الحياةِ

* * *

يا منْ هَدَمْتَ اللَّاتَ والعُزَّى وحرَّرت الحَرَمْ وبنيتَ أعلى أمةِ تَهْدي بِسِيْدرَتها الأُمَـمْ

* * *

ذكرُ الإلّه ويَقْظةُ الـوجُـدان في إنسٍ وجـان منْ فَيْضِ وحيكِ يا صلاةَ الصُّبحِ يا صَوْتَ الأذان

* * *

فحرارةُ الإيمان في القَلْبِ المَشُوْقِ إلى النَّضال وسراجُ ليلِ الفِكْرِ (لا معبودَ إلا ذو الجَلالِ)

لَمْ نَتَّخذُ في الكونِ ربّاً من رُخَامٍ أو حَجَرْ

⁽١) من (روائع إقبال) للعلامة أبي الحسن على الحسني الندوي ، ص٢٠٦ ــ ٢٠٦ .

كـــلا ولـــم تَسْجُــد لنجــم أو نبــاتٍ أو بقــر ***

لم نلق جبهتنا لـدى الكُهَّـان في ذُلُّ حقير لـم نحـنِ هـامتنـا لسلطـانٍ قــويٌّ أو أميــر

* * *

منْ فيضِ روحِكَ كلُّ هذا الفَضْلِ والعزِّ المكين وبناءِ صَرْحِ المَجْدِ في توحيد ربُّ العالمين

* * *

ذكراكَ وردٌ سائغٌ يحلو به العيشُ المَرير وبِغَيْسرةِ الإيمان صار الـدِّيـنُ كنـزاً للفقيـر

* * *

يا منتهى كلِّ المنازلِ في طريق السَّالكين يـا مَـنْ إلـى أنـوارِه تهفـو قلـوبُ العـاشقيـن

* * *

قِيْثَارتي (١) ثَقُلَتْ وأَعْيَاها التَّجاوبُ والرَّنين أوتـارهـا لا تستجيبُ إذا عَـزَفْتُ ولا تبيـن

* * *

فإذا نصحتُ فإنَّني ناديتُ من لا يسمعون وإذا نَهَيْتُ فإنَّما أسْمَعتُ من لا يَنْتَهـون

* * *

⁽١) القِيثارة : آلة طرب ذات أوتار .

طوَّفْتُ في أرض الأعاجم ثمَّ في أرض العرب لم ألق فيها المصطفى ولكمْ رأيتُ أبا لهب

* * 4

عجبي لهذا المسلمِ المزهوِّ بالعصر المنير لا همَّةٌ تحدو خُطاه ولا سِرَاجٌ في الضَّمير

* * *

وأرى شباباً واهن العزماتِ في لينِ الحرير وُلدَتْ أمانيه فكانَ المهدُ مصرعَها الأخير

* * *

ذاكَ الغُلامُ بنُ الغَلامِ بنِ الغُلامِ بنِ الغُلامِ فَ الغُلامِ فَي شَرْعِه تحريرُ أُمَّتِه محالٌ أو حَرام

* * *

الله ين ليس له بِدُنْساه زمانٌ أو مكان كل الله عنه أنّه بالأمس كان

* * *

عن ذاتِه أضحى غريباً مُستهاماً بالدَّخيل بدلُ الكرامةِ عنده ثمناً لِمَطْعَمِهِ الذَّليل

* * *

كالطَّير غايته التقاط الحبِّ في ظلِّ القُصور هـو طـائـرٌ لكنَّـه لـم يَــدْرِ تحليــقَ النُّسـور

* * *

قَدْ ذَابَ في نَارِ الفِرنْجِ فَمَا لَهُ عَنْهَا مَحِيْدُ^(۱) وَأَتَتْـهُ نَـارُ جَهِنــمَ لَكــن بــأسلــوبٍ جَــدِيْــد

* * *

هـ و مـ وْمـنُ لكنَّه مـن جنَّة الشُّهـ داء هـ اربُ ليستقـرَ بقلبـ أنْ (ليـس غيـرَ الله غــالـبُ)

* * *

ذاكَ اللَّذي فَقَلَدَ اليقيلَ وقلبُه فَقَلَدَ الحَيَّاهُ وَطعَامُه وشرابُه ومنامُه أغلمي مناه

* * *

وتــراهُ بــالمِنَــنِ الثَّقَــال مقيَّــداً ومُكَبَّــلا مِمّنْ يقولُ : (نعم) وممَّن لا يُجيب بِغَيْرِ (لا)

* * *

فَلْيَصْحُ مِن غَفَلاتِه ليعودَ حيَّاً قلبُه ويعيشَ في أوجِ الكرامةِ هاتفاً (اللهُ هـو)

* * *

مدنيةُ الإفْرَنْجِ ماضيةٌ بنا نَحْوَ الزَّوال قَتَلَتْ مواهِبَنـا بـلا حـربِ تـدورُ ولا قِتَـال

* * *

فَاكْشِفُ لَقُومِكَ عَنَ كَرِيمِ النَّفْسِ مُتَّقَدَ الحياهِ ثَمِلٌ يَخْشَى سِواهِ ثَمِلٌ يَخْشَى سِواه

⁽١) فماله عنها محيد ، أي : ماله منها مفر .

وإذا تبيَّـن مسلـمٌ في ذاتـه شَـرَفَ المَكَـانَـهُ أَخْلِقُ به في الدَّفيا مَكَانَهُ

* * *

أَيُهَـذَا الفَّارِسُ المِغُوارِ أَمْهِـلُ فَي المسيـر واحْبِسْ عِنَانَك لمحةً تَسْتَقْبِلِ القَمَرِ المُنير

* * *

أَملي على شَفَتيَّ مُحْتبسٌ عنِ النَّطْقِ احْتَجَبْ والشَّوقُ يقتحمُ المَقَامَ فليس يحكمُه الأدب

* * *

هذا يقولُ أَبِنْ عن الشَّكوى ولا تَكْتُم أَسَاكُ ويقولُ ذاك انظر ولا تَهْمسْ بحرفٍ عَنْ جَوَاكُ

* * *

أَنْتَ الهدايةُ والدَّليلُ وأنتَ عِرْفاني وَفِكْري وسفينتي في الدِّينِ والدُّنيا وطوفاني وَبَحْري

* * *

زادت بي الأنَّاتُ والعَبَراتُ حتَّى عِيْل صَبْرِي فإلى متى هذا اللهيبُ يظلُّ مطوياً بِصَدْري

* * *

فَلَمْ يَبْقَ للأرواحِ في شوقِ العِبَادَةِ منْ أَثَرُ لمْ يَبْقَ لُطْفُ تلاوةِ القُرآن في وَقْتِ السَّحَرْ

* * *

قَدْ كُنْتِ يا شمسَ الخليقةِ منقذاً في النَّائبات

وأبرَّ بالعاصين رفقاً من قلوب الأمَّهات

في حَـرْبِ عبَّـادِ الظَّـلام أصـارعُ الـدَّاء العَيَـاءُ فامنحُ سراجي منك زيتاً قبل ما يخبو الضِّياء

* * *

كلُّ الخمائلِ^(١) في رياض الكَوْنِ أَنْتَ ربيعُها مِنْكَ الفواضِلُ كلُها والمَكْرُماتُ جميعُها

* * *

الجِسْمُ في بُنيانه بالـرُّوح يَكْتسبُ الحَيَـاهُ لكنْ حياةَ الرُّوحِ في قُرْبِ الحبيبِ وفي رِضاهُ

安安岩

انْظُرْ إِليَّ فأنتَ بالجَدوى وبالإحْسَان أوفى إِنْ لَمْ أَكَنْ بِحَمَاكُ سَيْفًا إِنْ لَمْ أَكُنْ بِحَمَاكُ سَيْفًا

* * *

لي محنةٌ منْ دُونها قطعُ الصُّخورِ منَ الجِبَالُ فاجعلْ لفأسي مِنْكَ حدًّا ماضياً عِنْدَ النِّضالُ

* * *

إِنْ كَانَ عُمري قد بدا خِلْواً من المَحْصُولِ جَدْبَا ما زلتُ أملكُ مضغة (٢) يدعونها في الحُبِّ قَلبا

⁽١) الخمائل ، جمع خَمِيلة : كل موضع كثر فيه الشجر .

⁽٢) المُضْغَة : القطعة التي تمضغ من لحم وغيره ، لكن هنا يريد بها الشاعر (القلب) .

أخفيتُه لأكونَ فرداً في هـواكَ وفي رِضَاكُ وعليه خاتمُ حُبُّك الغالي فَلَيْسَ به سِوَاك

إنَّ الـذي لا يبتغي من هـذه الـدُّنيـا متـاعـا إنْ لمْ يَنَلْ قُرْبَ الحبيبِ تكونُ دُنياه ضَيَاعا

* * *

كمْ ذا يُعاني القلبُ منْ نارِ اللَّواعجِ والشُّجُون (١) وَيَئِنُ مِثْلَ النَّايِ بِالشَّكوى لِمَنْ لا يَعْلمُون

* * *

قَدْ خَلَفَتْهُ على رُبى الصَّحْراءِ قافلةُ الرِّفاقُ كَهَشِيْمٍ غُصْنٍ يَصْطلي بالجَمْرِ في نِصْفِ احْتِرَاقْ

* * *

يَـرْنُو إلى البَيْداءِ والمُـدُنِ الرَّحيبة والفَضَاءُ فعسى تمرُّ قـوافـلُّ أخـرى تُعِيْـدُ لـه الـرَّجـاءُ

* * *

يا مَنْ خَلَعْتَ على صلاحِ الدِّين حُلَّةَ خالدِ فمضى بِعِدِّ دائم يبقى وَمَجْدِ خالدِ

* * *

⁽١) الشُّجون : الهموم والأحزان .







الدِّيْوَانُ التَّاسِعُ

هتدية ألحِ بَازِ أرمغاين عاز

نَقَلَهُ مِنَ الفَارِسِيَّة شِعَلَ الدَّورِسِينِ مِجبِيبِ المصري



نُشِرَ هذا الديوان بعد وفاة الشاعر ، وهو عبارة عن الشعر الفارسيِّ والأردويِّ معاً ، وهو يتألُّف من قسمين ، أولهما يحتوي الرباعيات الفارسية التي ترجمها الدكتور حسين مجيب المصري ، والثاني يحتوي منظومات وقصائد قصيرة باللغة . الأردوية ، الذي ترجمه نثراً الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم ، وفيه قصيدة بديعة عنوانها « برلمان إبليس » وصف فيها الشاعر وصوَّر جلسة برلمانية ، حضرها وتناقش فيها شياطين العالم ، ووكلاء النظام الإبليسي ، واستعرضوا فيها الاتجاهات والحركات والمذاهب السياسيَّة والعصرية التي تهدِّد مهمتهم في العالم ، وتحبط مساعيهم أو تعرقل سيرهم ، وأبدوا فيها آراءهم ووجهات نظرهم ، وترأَّس هذه الجلسة وأشرف عليها « إبليس » فحكم على هذه الآراء والدراسات، وعارض أكثرها في ضوء تجاربه الواسعة، وبُعْدِ نظره الذي لا يُشاركه فيه أحد من تلامذته ، وأدلى برأيه الحصيف المؤسَّس على الدراسة الواسعة العميقة ، وهو يتلخُّص في أن المسلم هو المنافس الوحيد والمصارع الكفء لنظامه ، وهو الشرارة التي تتحوَّل ناراً بسرعة ، فالمصلحة والرأيُ أن يركِّز " الزملاء " تفكيرهم على محاربة هذا العدوِّ ، أو إلهائه ، وتنويمه ، وقد جاء في هذه القصيدة (من القسم الثاني) من الوصف الصادق الدقيق للمسلم ، ومن الملاحظات الصائبة الدقيقة عن كثير من المذاهب السياسيَّة.

وأما القسم الأول المتعلق بالرباعيات الفارسية فهو يحتوي على ثلاثة أبواب ، ومنها الباب الأول يتعلق بالله عز وجل ، وفيه يستنهج سبيل المتصوفة في تضرُّعهم إلى الله ومناجاتهم له والإبانة عما تموج به قلوبهم من عشق إلهي هو غاية الغايات في سمو الروحانية . بيد أنه يعارض المتصوفة في تهافتهم على توكُّلهم واستكانتهم وقطع الأسباب بينهم وبين دنياهم ، ويرى في هذا ما ينافر واقع الحياة ، ويحيد عن القصد ، ويتجافى عن الصواب ، ويصد عن فهم

صريح القرآن . فالمؤمن الموقن يعمل لدنياه كأنه سيعيش أبداً ، وينهض بالبشرية إلى ذروة المثالية ، ويوائم بين دنياه وآخرته .

وهو يحب الله بقلب صوفيً واصل دلَّهه الشوق والتوق ، فيقول معبِّراً عن وجده وكمده :

هياجٌ ماجَ في ماء وطين بلاءُ العشقِ منْ قلبٍ حَزِين قَراري برهةٌ حقاً حرام فرفقاً ، شأن قلبي من شؤوني

كما يتشبه بهم بعض الشيء في انصرافهم تمام الانصراف إلى الاستغراق في عشق الذات الإلهية بقطع النظر عن كل ما عداها ، ولا غرو فهم القائلون إنهم يحبون الله ، ولكن لا رغبة في الجنة ولا رهبة من النار ، وهذا هو الحبُّ الحقُّ بالمعنى الأصحِّ الأدقِّ ، لأنه الروحانية في شفافيتها التي لا تعلق شائبة من المادية بصفائها :

لسي السداريسن إنَّسي لا أريسدُ وحسبي فهم ما روحٌ تفيسدُ فهبني سجدتي فيها احتراقي ومنها الكون في وجدٍ يميـدُ

غير أن إقبالًا حتى وهو في نشوته الروحية الغامرة يعبر عن عاطفته الدافقة لا ينسى القوم من حوله ، ولا يقتلع نفسه من الناس يموج بهم معترك الحياة ، فالغيرية مهيمنة عليه وإن استبدت الأنانية بسواه ، لأنه يتفجّع ويتوجّع للخلق وقد تردّوا في ضلالهم وتحيّروا في طريقهم ، وعزّ عليه ألا يذكُرُهم وهو في مناجاة ربه ، فجأر بشكواه من حالهم ، داعياً من طرف خفيّ بالخير لهم ، بعد أن نصب نفسه داعية حتّ يبيّنه لهم ليضع أمرهم في نصابه :

على قوم الهي فلتُعنّي كراعي الضأن عالِمهُمْ بفن رأت عيناي ما يقذي عيوناً الايا ليت أمي لم تلِدني

وبعد أن تأذى بمناقص الناس ومعايبهم في رأيه ، كان على ذكر من الإنسانية ، ولم يفُتُهُ أن يجري قولها على لسانه لأنه الجزء الذي لن يتجزّأ منها ،

وتكشف عن شخصيته الإيجابية وعبقريته المتفتحة المنطلقة التي طوّعها لخدمتها ، فدعا ربه لها وأمله أن يستجاب ، وتضمن دعاؤه جوهر فكرته وأساس نزعته وملامح كيانه العقليّ والروحيّ وهو يقول :

إلهبي زِنْ لنا خيراً وشرا هب الدنيا نعيماً مستمرا وشاهدنا خلقنا من تراب لنجعل عالم الغبراء نضرا

أما في الباب الثاني من الكتاب فلا يوجه خطاباً ولا دعاء إلى كائنٍ من كان ، أو على التحديد لا يصرح واضح التصريح بمن يخاطبه كما كان شأنه في الباب الأول . وهو يجنح إلى رمزية حالمة يستشف منها أنه سعى إلى بيت الله حاجاً ، وأن فؤاده مشوق إلى أرض الرسول صلوات الله وسلامه عليه . وله ولع بوصف سفرته الطويلة ولعله يتأثر في ذلك بشعراء المتصوفة وهم يتمثلون التصوف طريقاً يشكو سالكها من طولها ووعورتها . غير أنه أرق منهم قلباً وأجمل وصفا وأدق تصويراً في نحو قوله :

مساءً مثل صبح قد تبسّم تمطّی صبحها واللیلُ أظْلَم تمسّل إن خطوت علی رمالِ كقلبي كلها قلبٌ تمالّم

ويفرغ من تصوير عاطفته ليولِّي عقله شطر حال المسلمين ، فلا جرم لقد ذكره مهد الإسلام بها ، فتساءل عن عاقبة أمرهم ورفع كربهم ، وساءه أن يكون للمسلم قلبٌ أقْفَرَ من حبيب ، وهو يلمِّح بذلك إلى أنَّ صلاح حال المسلمين لن يكون إلا بالوقوف عند حدود الدين ، ولزام أن يرقَّ قلبهم للتقوى .

غير أنه لا يرتضي من علماء الإسلام إلا أن يمعنوا النظر في الدين ليفهموه حق الفهم، ويكره منهم أن يغفل بعضهم عن دعوة الدين إلى الكفاح من أجل غير أسعد ، والعمل لخير الناس كافة ، وطرح العداء والشحناء والعيش في ظل الإخاء والصفاء ، كما ربأ بهم أن يتوهموا الدين جموداً وخموداً ، فالدين قوام الحياة يصلحها في كل أمورها ، ويسمو بها في كل مناحيها . كما يكره للمؤمن الحق أن يكون متواكلاً منطوياً .

والباب الثالث خاص بالمجتمع أو الشعب ، وقد صدَّره بقوله « صل قلبك بالله واسلك طريق المصطفى » وتندرج تحته عدة فصول وعناوين .

وهو في حديثه عن الجماعة يريد ليبصِّرها بمبادئه المثالية ونزعته الإنسانية ، ويبذل النصح مهيباً بها ألا تتخلف عن ركب التقدمية ، وأول ما يحبه للشعب أن يتآخى أفراده ويعرف كل منهم قدر نفسه دون أن يتعدى على حق غيره ، وبئسما الشعب يخضع فيه فرد ويذل لمن يطغى ، ويذل وينتزع الثمرة بغير حق من يد من لقي ما لقي من تعب في زرع شجرتها ، فهذا ما يغضب الله على الشعب كله وقد كبر مقتاً عنده تعالى :

ولاةُ الأمرِ من ربِّي لشعب زماماً يملكون لكلِّ أمرِ ولكن لا يحب الله شعباً به الفلَّاح ينزرعُ كيْ يلبِّي

ويخصُّ الذاتية بالذكر لأنَّه من يجلُّ ذات الإنسان إلى أبعد مدى ، وهو بذلك مخالف للصوفية الذين أرادوا المحو التام لها والقضاء المبرم عليها إلى أن تفني في الله ، كما أن بعض المدارس الفلسفية والدينية تحط من قيمتها وتنفي عنها كل قوة وقدرة . وها هو ذا يعلي من قدرها ويستعير من المجاز لوصف حقيقتها :

لـذاتـك لا إلـه فضـم مـرّه لتُخرِج من ترابٍ مات نَظْرَه ولا تقبض يمينك عن وجود له القمران في وهـق يجرّه

ومن فصول هذا الباب فصل بعنوان « الصوفي والملا » ، بمعنى الصوفي والشيخ . وإقبال يرمز بهما إلى موقفين لبعض المسلمين لا يقعان في نفسه موقع الرضا ، وهما موقف السلبيين الخاملين ، وموقف المتزمتين الجامدين . وهو من بعد يعرض الصوفي والشيخ في صورة المضحوك منه المسخور به ، مبالغة في توكيد الحقيقة التي يريد تناولها بالإيضاح . وما من ريب في أنه متأثر في هذا بمألوف شعراء التصوف في تهكمهم بالشيخ غير المتصوف ، غير أنه صاحب الرأي المخالف والمجدد غير المقلد حين يغلظ اللائمة على الصوفي والشيخ في

وقت معاً. فعنده أن الشيخ آخذ بالمظهر لا يتجاوزه إلى الجوهر ، أما الصوفي في عزلته وسلبيّته فيشاهد حرمة الإسلام تنتهك ولا يحرك لساناً ولا يداً. وإقبال يدعو إلى تدبّر آيات الكتاب الكريم التي تهدي سبيل الرشاد وتقطع الشك باليقين وتصلح بها حال العالمين . أما الشرط الذي يفرضه ، فهو ضرورة فهمها على الحقيقة التي ليس فيها من مراء :

لمُسلَّد أو لصوفي أسير! وفي القران للعيش الكثير من الآيات ما أدركت شيئاً ومن ياسين بُغْيقَكَ الحَفِير!

وفي فصل عن الخلافة والملك ، يدلي الشاعر برأيه فيهما ويدعو إلى الأخذ بتعاليم الإسلام في الحكم وسياسة الملك . ثم أفضى به القول إلى ذكر الأتراك في نهضتهم الحديثة . غير أنه عاب عليهم أن يتهافتوا على تقليد الأوربيين ورأى ذلك زراية بهم وتجريحاً لعزة نفسهم ، لأنه الداعي على الدوام إلى احترام ذات الفرد والجماعة ، الموصى بالغوص على أعماقها للكشف عن قدراتها وملكاتها وهباتها ، وهو لا يرتضي للتركي أن يظل من الفرنجة في قيود ويبقى أسيراً لسحر طلسمهم ، كما يحزنه أن يكون المسلم عن تراثه المجيد من الغافلين ، وأن يعصب عينه ليقوده الأجنبي إلى المصير . وبذلك يلتمس إقبال ما استطاع إليه سبيلاً من أمثلة لإشاعة رأيه وإذاعة مبدئه .

وتتجلَّى دعوته إلى التأدُّب بآداب الإسلام والأخذ بأوامره ونواهيه حين يوجه الخطاب إلى فتاة المجتمع ويزعها عن أن تتزين وتتبرج ، كما يذكرها بعظم فضلها أماً صالحة ، ويرغب إليها أن توصى بالنظر في القرآن ، ثم يبين لها كيف أن ذلك يمكنها من تسوية النفوس ، إلى أن يضرب لها المثل بما كان من أمر أخت عمر بن الخطاب حين شاهد القرآن بين يديها فدفعته إليه ليقرأ حتى رق للإسلام قلبه .

وإقبال ساخطٌ على ما آلت إليه الأمور في العصر الحاضر، فهو القائل فيه: وعصرٌ منه للدين الشكاة وحسرٌياتِه وأَدَ الطغاة كما أنه يقدح في شبابه لأنهم ليسوا على بينة من أمر دينهم ، ويغمز فيهم لأنهم يقلدون الفرنجة في رقصهم ، فمن أقبح العيب عنده أن يقلّدوا ، وتلك منه دعوة ضمنية إلى شدة التمسك بالذاتية .

ويريد ليحرك مسلماً من ركوده وجموده فيذكره بالبرهمي الذي يضع ما يعبد من صنم تحت بصره تبركاً وتعظيماً وإعزازاً ، على حين خلا طاق بعض المسلمين من مصحف يزدان به ، كما يظهر الإعجاب ببرهمي لا يكل عن العمل الدائب ساعده القوي ، وينحت له به صنماً من الصخر الصلود . ثم يضرب أمثلة عدة وغايته من هذا كله أن يشحذ من همم المسلمين ليلتمسوا الوسائل إلى الغايات ويبتغوا بالعمل وجوه النجح .

ويتصدى للتعليم ، وفي نظره أن العلم يرسو على أساس من الحس ، وهو يمد الإنسان بقوة تتبع الدين ولا بد ، وإلا فلن تكون إلا قوة شيطانية . كما أن العلم مقطوع الصلة بالعشق ، ثائرٌ متمرِّد كالشيطان . أما إذا زاوجه العشق فهو إلهي الصفات . وبهذا العشق تكتسب الحياة مالها من معان ، ويصبح العلم بفضل منه نعمة للبشر .





القسم الأَوَّل (بِالشَّارِسِيِّة)











ألاً يا حبَّذا تِلكَ الطريقُ تطولُ ولا يؤانِسها الرفيقُ لها الزفراتُ، فافتحُ منكَ قلباً لتحرقَ فيه حزناً لا تطيق





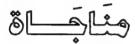






القسم الأول

(المترجم من الفارسية)



(١) القسم الأول والثاني والثالث لهذا الديوان نقله من الفارسية إلى العربية شعراً الدكتور حسين مجيب المصري .







في الحضرة الإلهيَّة

وكانوا شعلة خمدت ومرؤوا فررؤوا فررؤوا

لقد سلبسوا لنسا قلبساً ومسرُّوا عسوام القسوم عسايشهسم رُويسدا

* * *

وقد أقصرتُ عن قولِ سديدِ (١) على احكم بهذا من سجودي

أطَالُوا القولَ شَكّاً في وجودي لحي القلب هل تدري سجوداً

华华华

يرى لكن وراء البدر إن تم بخلوت كفوراً فهو يهتم بلاء العشق من قلب حزين فرفقاً، شأن قلبي من شؤوني فؤادي كان قيد الكيف والكم خالاء هبه حتى في سعير هياج ماج في ماء وطين قراري برهة حقاً حرام

李 华 华

لها حسن ، لمن حُسْنِ تجلَّى (٢) أَتعرفُ موجِدَ الشيطانِ أَم لا ؟

أجبنـي مـن عـن الـدنيــا تخلّـى تقــولُ احـــذرْ مــن الشيطـــان لكــنْ

* * *

ولي قلب طليت في علناب نصيب من عتاب أو خطاب

⁽١) أقصر عن القول: سكت عنه .

⁽٢) تخلى عن الدنيا: زهد فيها وقطع ما بينه وبينها من أسباب.

لإبليس أنا ما سوت قلباً صبنت الكاس عنا أمَّ عمرو الكاس عنا أمَّ عمرو إذا ما كان هَاذَا دأبَ عشق

خطيئة كلِّ حينٍ من صوابِ وكان الكاشُ مجرَاها اليمينا^(١) بكأسكَ فاضربِ البيتَ المصونا^(١)

* * *

أسيـرُ هـوى ، على النفس انطـواءُ عجيــــبُ أَنْ تُكَلِّفنِــــى سُجُـــودَا

* * *

بلا أمد تراخى بى طريق مسن الآلام لا أخشسى ولكسن سريع السكر لا تُرشِف شرابي عن القصباء يحسن بُعد نادٍ

نثرتُ الحبَّ، أين لي الوريق^(٣)
بهـذا القلبِ هـبُ ألماً يليـق
وأبعد عن غريرِ في ارتياب⁽³⁾
خواصً القوم وحدهم فحابِ⁽⁰⁾

* * *

وما أصليتُ في شوقٍ لهيبا(٢)

أأنت لقيت في طلب لغوبا

- (۱) هذا البيت من معلقة عمرو بن كلثوم ، وصبنت : بمعنى صددت وصرفت ، ومن شعراء الفرس من ضمنوا شعرهم الفارسي أبياتاً عربية ، وتعرف أشعارهم بالملمعات ، وأصل التلميع أن يكون في جسم الفرس أجزاء من لون يخالف لون جسمه فسمي هذا الشعر ملمعاً على التشبيه .
- (٢) الدأب : الشأن والعادة وفي الأصل فاضرب بكأسك جدار الحرم . وحقيق بالذكر أن الخمر هنا هي خمر الصوفية التي يرمز بها إلى العشق الإلهي . ولعمر بن الفارض خمرية مشهورة مطلعها :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

- (٣) الأمد , الغاية , الوريق : الكثير الورق من الشجر .
 - (٤) الغرير: من لا تجربة له .
- (٥) القصباء: منبت القصب . وهو كل نبات يكون ساقه أنابيب وكعوباً .
 - (٦) اللغوب: التعب.

وإنَّسي هـارب مـن لا مكـانـي فَنَوحُ الوَهْنِ لـم يُشْجِ القُلُوبا(١)

* * *

مثيرا بها التغيير فاجعله الكبيرا أبر من كان للمال الأسيرا(٢)

أثــرُ دنيــاك خـــذ منــي المثيــرا لـك الإنسـان فـاخلـق مـن ثـراهـا

* * *

وليسس الحق ما أدّى كسلام سيكسوها دماءهم الأنام (٣)

بندورِ الشمسسِ دنیانا ظلام إلى كم ، إنَّ دنيانا خراب

* * *

⁽١) الوهن : منتصف الليل . ويتردد ذكر المكان واللامكان والجهات في شعر إقبال مما يبعثنا على الإشارة إلى تلك المقولة عند الفلاسفة . فيرى أفلاطون أن المكان يستحيل عليه الفناء وإليه مأوى المخلوقات . ويقول أرسطو إن وجود المكان متعلق بوجود العالم المتناهي، وقد تابعه على ذلك الفارابي وابن سينا من فلاسفة المسلمين. والمكان في نظر الرواقيين فراغ متوهم تشغله الأجسام ولا وجود له في ذاته فليس بحقيقة . وقد بين الأشعري إلى أي حدُّ اختلفت الآراء في المكان فعند بعضهم أنه ما يقل الشيء ويكون الشيء منمكناً فيه . وقال غيرهم إنه ما يماس الشيء ، وإذا ما تماس الشيئان فكل منهما مكان بصاحبه . وعند غيرهم أنه ما يعتمد عليه الشيء أو لا يعتمد ويمنعه من السقوط . كما قيل إنه الجو وقيل هو ما يتناهى الشيء إليه . أما المتكلمون فيرون أنه الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وتنفذ منه أبعاده. ويضيف أحد فلاسفة الإسلام إلى بعد الطول والعرض للمكان بعداً ثالثاً هو العمق . ويوضح ذلك بالإناء والدار، فيقول إن الإناء قد يمتليء بالشراب ويخلو منه ، كما تعمر الدار بساكنيها ويهجرها من فيها فليس ذلك الممتلىء الخالي هو السطح الباطن بل هو العمق بأسره. ولقد دلتني الدكتورة سهير فضل الله مدرِّسة الفلسفة الإسلامية بكلية البنات من جامعة عين شمس على بحث لها في هذا الموضوع ، فشكرها من أوجب الواجب [الأستاذ المترجم].

⁽٢) أبار : أهلك .

⁽٣) الأنام: الناس.

رضاك ، فإنسي عبد ذليل إذا ما قلت سَمّ العَير طرفاً

بأمر منك يمضي بي السبيل فهاذا القرول حقاً لا أقرول (١)

* * *

فسؤادي ليسس فيسه مسن خُبُسور صلاتي تلك خند منها ثنواباً أعن دين وعن وطن كلامي فلا تغضب ، جَفَوْت ومِنْ جَفاء

ومن لهب خلا من تُربي ونور^(۲) صلاتي ليس فيها من حضور!^(۳) وهـــذا الســر يُطــوى بــالتمــام بنيـت الــديـر يبــدو كــالحطــام⁽³⁾

* * *

من الإفرنج إن ضاقت قيودُ فقلبُك لا يحقِّقُ ما يريد على عتباتِ غيرِ الله وجه تَعفَّرَ لا يليق به السجود (٥)

* * *

لى الدارين إنى لا أريد فهبنى سجدتى فيها احتراقى أنا المكسال ما تبغيم منسي

وحسبي فهم ما روح تفيذ ومنها الكون في وجد يميذ^(١) أهبَّتُ هبوة لم تقتلِعني^(٧)

⁽١) العير: الحمار. الطرف: الجواد الكريم.

⁽٢) الحبور: السرور. الترب: التراب.

⁽٣) الحضور: حضور القلب بدلالة اليقين حتى يصبح الحكم الغيبي لديه كالحكم العينى .

 ⁽٤) يطلق الدير على الدنيا في الشعر الصوفي . يقول شاعر فارسي ما ترجمته (كنت ملكاً
 ولي في الجنة العالية مستقر ، إلا أن آدم جاء بي إلى هذا الدير الخرب) .

⁽٥) تعفر الوجه: تمرغ في التراب.

⁽٦) يميد: يتحرك ويضطرب.

⁽٧) الهبوة : الغبرة وهي الغبار . والمقصود هنا الريح التي تحمل الغبار وتثيره .

رأيت ابني يصلي في صباح مسائي فليقل بالصبح زِنّي (١)

على قرم إله فلتعنّي كراعي الضاّنِ عالمُهُم بفنّ (٢) وأتْ عينايَ ما يقذي عيوناً الآيا ليت أمّي لم تلِدُني (٣)

* * *

إلامَ بعينِ عتبكَ أنتَ تنظر وأصنامٌ لديك إلام تحضر الأبناء الخليل وأيت دارا ونمرودُ يربُّهم ويكفر⁽³⁾

* * *

أيـرجِـعُ مـنُ نعيمـي مـا تَـولَـى ومِن أرضِ الحِجـازِ الـريـحُ ؟ كلاً وهــذا العمــرُ يــالهفــي تقضّــى فهــلاً عــادَ مــن أحببــتُ هــلاً ؟

* * *

إذا ما جاء من ذا السرّ يعرف بلحنِ القلبِ أسماعاً فشنَّف (٥) وروحَ القلبِ مَن أبقى ونقّى كليم او حكيم وهو يعزف (٢)

* * *

⁽١) يشير إلى ابنه المسمى (جاويد) . وزنَّى : من زان يزين .

⁽٢) راعي الضان مضرب المثل في الجهل.

 ⁽٣) أقذى العين : أوقع فيها القذى . وهو ما تتأذى به من غبار أو نحوه

⁽٤) الخليل: سيدنا إبراهيم عليه السلام. يرب: يربى .

⁽٥) شنف في الأصل بمعنى جعل له شنفاً أي قرطاً ، وشنَّف كلامه : زيَّنه وحلاه وشنف السمع : زينه وأطربه .

⁽٦) يتردد في الشعر الصوفي ذكر العزف والغناء على أنهما رمز لنشوة العشق الإلهي . ويمكن القول إن الحسناء والصهباء والغناء تؤلف وحدة قلما نجد انفصاماً بين مقوماتها الثلاثة .

أرجّبي لي فواداً قد توجع بردان قبري

شكوتُ فمن شكاتي سوفَ يَسمعُ عديم النطق دامي اللحن موجعُ^(١)

* * *

أسيرُ القلبِ لا يفدي الأسيرا وليسس ينزيد من ألم كثيرا وينفخُ في الثرى الأنفاس دوماً ورامَ الأكل أو سكنَ الحفيرا(٢)

* * *

من الأضلاع لي قلب يفر طريد الباب يفضلني كثيراً

تبقـــى صــورة معنــاهُ ســر رآهُ الله ، لــي فــي السمــع ذِكْــر

* * *

نداء جبرئيل ليسس يدري ففي طلب مقام طبي سِرُ وهَدنًا عبدلُك المسكينُ سَلْهُ عن الآمالِ في حلو ومُررُ صفاتٌ هب لخسرو أو لرومي وَجُدْ لي من سنائي بالمروم (٣)

⁽١) القانيء: الشديد الحمرة.

⁽٢) دوماً : دائماً . الحفير : القبر .

⁽٣) خسرو: هو أمير خسرو دهلوي المتوفى عام ٧٠٥ هجرية . شاعر عظيم من شعراء الفارسية في الهند . وله شعر صوفي يتميز بخصائص ليست لشعر غيره من شعراء الفارسية في تلك البلاد . وشعره كثير البديع . وقد نظر إليه الشعراء كمثال يحتذى ، كما أوجد أسلوباً عرف بالأسلوب الهندي .

والرومي هو جلال الدين الرومي أشهر وأكبر شعراء التصوف من الفرس ولد بمدينة بلخ عام ٢٠٤هـ لأب من خيرة العلماء والفضلاء ورحل به إلى الأناضول التي كانت تعرف آنئذ ببلاد الروم ولذلك عرف بالرومي . وقد تصدر للوعظ والإرشاد وعقد الأسباب بينه وبين المتصوفة وأشهر مؤلفاته كتاب المثنوي الذي استمد اسمه من نظمه على القافية المزدوجة . وهو يتضمن حكايات لها مغزى صوفي وآيات قرآنية وأحاديث نبوية فسرت وأولت ولكن لا على ظاهرها ولا يداني هذا الكتاب غيره من كتب التصوف . وجلال الدين صاحب طريقة صوفية أساسها وحدة الوجود وقد أشاعها بين الترك في =

الفت صفات عبد مند دهر فقيرٌ عف عن لبس المرقع لدينا أمة أحرى لنَخْلِتْ

فليسس لكسل هدذا من لدزوم لهدذا منه جبرياً تَوجَّعُ بها كالًا عن الدنيا لنَرفَعُ

* * *

وشعبٌ منه جهدٌ في التَّانَّي وذاكَ بعالم مَنْ ليسَ يَسرْضَى

ومِــنْ إِبَــرِ تَــرَاه الشهــدُ يُجْنَــى فتحــت العــالَميــن الظَّهْــر يُحْنَــى

* * *

وقسومٌ وحَسدُوا عِنْسدَ ابتهسالِ رأوا في الشمس صبحاً مستقراً لحفلٍ في الليالي كنتُ زينا وفي هذا التغافل كَمْ أفاضوا

أنارُوا الفجرَ مِنْ جوفِ الليالي فأبدتُ نهجَ نجم منْ رِمَالِ^(١) نقَصْتُ وكنتُ بلدراً ذاقَ أينَا^(١) ولكني تسركتُ الجمعَ وهْنَا^(٣)

- الأناضول ، واضطره هذا إلى محاولة النظم بالتركية ليفهم عنه سواد الناس . فكان ذلك سبباً في نشأة الشعر التركي العثماني . وكانت وفاته عام ٦٧٢ هجرية .
- أما سنائي الغزنوي المتوفى عام ٥٤٥هـ . ففي ديوانه تتردد الشكوى ممن يأخذون بالقشور دون اللباب ويتمسكون بالظاهر دون الباطن ، كما يصرح بما آلت إليه حال القوم لتناسيهم أوامر الدين ونواهيه ، ويئن تألماً من جفاء الخلان وصروف الزمان . غير أن شهرته بشعره الصوفي ، ويعد أول شاعر صوفي بحق في إيران وأول من ضمن شعره مصطلحات التصوف .
- (۱) النهج: الطريق. وفي الأصل أن الشمس تزيح الرمال عن طريق المجرة وهي نجوم تسمى الطريق اللبنية في الإنجليزية وحاملة التبن أو ناثرته في الفارسية، وتسمى في الريف سكة التبانة لأنها تشبه طريقاً تناثر فيه التبن، وانعكس عليه نور القمر بعد أن مر به التبان الذي يحمله.
- (٢) الزين : الزينة . الأين : التعب يشبه نفسه بالقمر ، وكأنه ينقص من هزال يصيبه لطول سيره في السماء .
 - (٣) الوهن: نصف الليل.

كهـذا العصـرِ عصـراً مـارَأَيْنَـا حـزيـنُ القلـبِ جبـريـلٌ عَلينَـا هُنَـا قَـدْ شيَّـدوا ديـراً عجيبـاً يـزيـد لمـؤمـنٍ كُفْـرٌ لـدينـا!

* * *

أرَى دنياكَ في أيدي اللنام ولِللاحدرَارِ في أسر مُقام فَضيلٌ بَينَ مَنْ فَقِهُوا أموراً يعيشُ كمثل نسر لا الأنام (١).

مريدٌ قبال عند الشيخ يوما إلهي لم يحِط بالناسِ عِلْمَا ؟! كَمِثْلِ العرقِ في عندَ قريبٍ وليسَ كبطنِنَا في القُربِ حتْما

* * *

لأرضِ الهندِ حالٌ بَعدَ حالٌ وهذا الكونُ أمسى في اختِلاَلُ إلينا كيف تطلبُ أن نصلي برأسِ الجيشِ عبدٌ كالمحال ويَحْكمُ مسلمٌ فالنفسَ باعا وآذاناً وعيناً قَد أَطَاعا وهَتْ أَجْسَادُنَا مِنْ إصْرِ حُكْم فَاذَ الشرعُ متناً والذِّرَاعَا(٢)

* * *

إلهي زِنْ لَنَا خَيرراً وشراً هي الدنيا نعيماً مستمراً وشراً وشراً وشراً وشراً وشراً العبراءِ نَصْراً العبراءِ نَصْراءً العبراءِ العب

非特殊

خُلُودُ المرءِ في الدنيا عَرِفتا وعن مَوْتِ الفجاءةِ ما سمعتَا ووقتُكَ لَـنْ تُعَـرُضَـهُ لنقـصِ أَإِن خلدتَ قالوا قد ضُرِرْتا؟!

⁽١) الفضيل: ذو الفضل.

⁽٢) الإصر: الثقل. آد: أثقل. المتن: الظهر.

⁽٣) الغبراء: الأرض.

إنِ الله نيا دنت مِن منتهاها أبانَ اللهر أسراراً طواها (١) فلا تفضع للدى الرحمنِ أمرِي حسابي صفحةٌ مَا إنْ رَآها!

* * *

بقيتُ هنا وَلَــي روحٌ تسِيــر إلـى البطحـاءِ أشـواقـي تَطِيــر (٢) خـواصً القـوم عــايشهـم ، تلبَّث بشــوقِــي دارَ مَــن أهــوى أزور (٣)

⁽١) أبان: أظهر.

⁽٢) البطحاء: مكة المكرمة.

⁽٣) عايشهم : عش معهم . تلبث : ابق .



القسم الثاني





تمهل لا تُقِم تلك الخياما دليلُ الركبِ في البيداءِ هامًا (١) وهذًا العقلُ نعدمه دليلًا لذا أسلمتُ للقلبِ الزماما

* * *

سـويـدائـي بها ألقيـتُ نظـره بحضنِ القلبِ فاستروحتُ فَتُره (٢) بـريــع للمـدينــةِ ضقـتُ ذرعـاً لقلبـي مـن نسيــم البيــدِ خطـره

* * *

هو الخفاقُ يألفُ أَنْ يميداً (٣) على شطِّ الغديرِ بَكَى وليداً (٤) فما يرضون تِلكَ الدَّارِ دَارَا نسيماً في ذُرى القَصْبَاءِ ثارًا (٥)

ولي قلب لمن كان الشهيدا إلى الصحراء أحمله فيأسى ولا تسأل عن الركب السُّكارى يهدرُ قُلُوبهم جَرَسٌ مدوَّ

* * *

وَبِسِي فَسرَحُ اللقاءِ مَسعَ الخليلِ ويَبْغِي العشّ في الرَّوْضِ الجميلِ

ليشرِبَ كانَ في كُبُسرَى رَحِيلِي كَأَنَّي الطيرَ قبلَ الليلِ يمضِي

أَدَانُ وا عِاشَفًا رَشَفَ المدّامَ اللَّهُ وَكُمْ لِمحنَّكِ عَابُوا الكَّلَاما

⁽۱) الركب : راكبو الإبل ، وفي الأصل القافلة . والبيداء : الصحراء . وهام : سار على غير هدى .

⁽٢) السويداء : حبة القلب . استروح : استراح .

⁽٣) يميد: يتحرك في اضطراب.

⁽٤) يأسى : يحزن . الغدير : النهر .

⁽٥) ذرى القصباء: أعالى القصب في منبته.

عَلَى نَغَمِ الحِجَازِ شَرِبْتُ كَأْسِي أَتَسْأَلُ عَنْ مَقَاماتٍ لِلَحْسِي لقَدْ أَلْقَبْتُ في الصَّحْرَاءِ رَحْلِي

وَمَا إِنْ قَدَّمُوا مِنْ قَبُلُ جَامَا (۱) وَمَا إِنْ قَدَّمُوا مِنْ قَبُلُ جَامَا (۱) ومَاذَا يَعُرِفُ الندْمَانُ عَنِّرِي (۲) وَفِيهَا أَخْتَلَى حَتَّى أُغَنِّرِي أَغَنَّرِي (۲)

* * *

وَقُلْتُ لِنَاقَتِي بِالرفقِ سِيرِي بشيخٍ فَارْفِقِي دَنِف حَسِيرِ⁽¹⁾ وَسُارَتْ نَاقَتِي سَيْراً عنيفاً أَتَخُطُو في الرَّمَالِ أَم الحريرِ!

* * *

ويا جمّالُ عنها اطرح عقالًا تهادتُ مَوْجَةٌ أَيْقَنْتُ مِنْهَا تَهادَتُ مِنْهَا تَسَرَقُ دَمْعُهَا سُودَ العيونِ مُسَدّامٌ أُضُرِمَتْ فِي القَلْبِ نَارَا

لِـرُوحِـي رُوحُهَـا كَـانَـتْ مِشَـالَا بِــأَنَّ عَلَـى الفــؤادِ الأســرُ طَـالَا ومِـنْ ذَفَـرَاتِهـا كَـانَـتْ شُجُـونِـي بِنَظْــرَتِهَــا كمــوج يَحْتَــوينِــي

* * *

وفي الصَّحْراءِ قَافِلَةً تَكُون وفي تودِيعِها خَفَقَتْ لُحُونُ (٥)

(۱) الجام: الكأس. ولأهل الحجاز منذ قديم شهرة بالميل إلى الغناء والمهارة فيه. وهذا يذكرنا بقول من قال:

رأيه في السماع رأي حجازي وفي الشراب رأي أهل العراق (٢) المقام: من مصطلحات الموسيقا. وللمقام معنى آخر عند الصوفية، فهم يتمثلون التصوف طريقاً يسلكه الصوفي أو (السالك) وفي هذا الطريق مراحل ومنازل يسمونها المقامات، وينبغي أن يمر بها حتى يصل إلى الحقيقة أي الفناء في الله ويجد البقاء في الله . والندمان: النديم أو الندماء.

- (٣) الرحل: ما تستصحبه من الأثاث.
- (٤) الدنف : العليل . والحسير : المعيا والكليل .
 - (٥) كان هنا تامة . اللحون : الألحان .

ألًا ف اسجُدْ عَلَى رَمْلِ تَلظَّى عليه الوسمُ يَخْتَرِقُ الجبِين (١)

* * *

مَسَاءٌ مِثْلُ فَجْرٍ قَدْ تَبَسَّمْ تَمَهَلُ إِنْ خَطَوْتَ عَلَى رمالِ تَمَهَدُ الأَعْجَمِيّ أَمِيدُ الأَعْجَمِيّ أَمِيدُ الأَعْجَمِيّ يُغَنَّى وَالغنَاءُ لَا مُسَرَابٌ مَسَرَابٌ

تَمَطَّى صُبْحُهَا وَاللَّيلُ أَظْلَم (٢) كقلبي كُلُّها قلبٌ تَالَّم بغير لِسَانِنَا لَحْنُ شَجِيّ وفي الصحراء مِنْه القلبُ حَيّ

非非非

وَمِنْ عِشْقٍ وَمِنْ سُكْرٍ مُقَامُه وَفِي مَاءٍ وَفِي طِينٍ ضِرَامُه (٣) لَبُ الْأَنْفَامُ تُطْرِبُ كُلَّ قلب لَنَا قَلْبٌ بِفِلْ ذَيْه قِوامُه (٤)

* * *

خَفِي الحزنِ في صمت تراهُ طَسرِيت و قداهُ طَسرِيت و فيها طَسرِيت و فيها ربيع المسرج مُحْمَد السزهورِ السرح و أتُسوق إلَى البَقاء هُنَاك وَحُدِي

لسانُ المسرءِ فسي خُبُسرِ رَوَاهُ بِسلاَ نُسورِ لِمُصبَساحٍ هَسدَاهِ (٥) أَقَامَ الصحبُ في كَنَف السرُورِ وَفِي كَنَف السرُورِ وَفِي جَبَلِ عَلَى شَطِّ الغديرِ (٢)

⁽١) الوسم: أثر الكي .

⁽٢) يريد صبح الصحراء وليلها .

⁽٣) العشق والسكر هنا بالمعنى الصوفي .

⁽٤) الفلذة: القطعة وقوام الشيء نظامه وعماده.

⁽٥) النضو: المهزول الضعيف.

⁽٦) أتوق : أشتاق .

وأَقْدرا تسارة شِعْدر العِدرَاقِي (١) أَبْدن لحدونِ أعدراب ولحن

وَأَخْيَاناً مِنْ الجَامِي احتِرَاقِي (٢) لِحَادِي الجَدَرِ الْعَالِمِ (٣) لِحَدادِي ناقتي العَداقِ (٣)

أَشُبُ فَرَحًا بِاحْزَانِ الطريق طَريقاً طالَ يا حَادِي لِتَسْلُكُ أَنِيسُ الرُّوحِ بَادِلْنِي شَكَاتِي النِيسُ الرُّوحِ بَادِلْنِي شَكَاتِي النَّمْسَعُ مَوْضِعَ القدَمينِ » فَاهْمِسْ

وَكُنْ مَجنُونَهُ غَيْرَ المفيقِ وَآلامَ المفارقِ مِنْ حَرِيقِ^(٤) وَقُلْ مِثْلِي «بذي حسنِ مَمَاتِي » «يِأَجْفَانِ رِقَاقٍ دَامِعَاتِ »

* * *

لَقَدْ غَضُّوا وغَضُّوا مِنْ حَكِيهِ وَنَحْنُ اليومَ فِي عَصْرٍ سَعِيد

. لَــدَى السلطــانِ دَرْويــش عَظِيــم

بِرَأْسِي (لا مَكَاناً) قَدْ حَوَيْت جَنَاحى كلَّ في أَرْضِي هَوَيْت

جَهُـولٍ كَـانَ ذَا الفَضْـل العَمِيـم(٥)

بِصَدْرِي هَدِه الدنيا وَعَيْت وَلَمَا جُدِرتُ فِي الْعَلْيَاءِ سَقْفاً

⁽١) هو فخر الدين العراقي المتوفى عام ٦٨٨ هجرية من شعراء التصوف في إيران . وشعره رقيق أنيق يموج بالعشق الإلهي ، وقد رحل إلى الهند وأصبح من شيوخ الطريقة القلندرية التي تلزم أتباعها بالسياحة فساح في البلاد طولًا وعرضاً . ولما زار مصر وجد السبيل إلى سلطانها الذي أكرمه حق إكرامه وأمر بتنصيبه شيخاً لشيوخ مصر .

⁽۲) جامي: هو الشاعر الفارسي عبد الرحمن الجامي المتوفى عام ۸۹۸ هجرية ويعد من أعظم شعراء الفرس وآخر فطاحلهم من القدماء. والنزعة الصوفية غالبة على شعره، وقد نظم قصة ليلى والمجنون وطوعها لمعاني التصوف ورموزه، كما أن له عدة منظومات قصصية ضمنها شروحاً لأحكامه في رمزية وروحانية دقيقة.

⁽٣) الحادي: من يغني للإبل.

⁽٤) الحريق: النار. أشب: أمزج.

⁽٥) غضوا منه : حقروا من شأنه .

بِـلاً صُـوَرٍ نَمَـتُ فِيـه المَعَـانِـي لِسَانٌ سَاكِتٌ عَنْ (لَنْ تَرَانِي)(١)

بِوَادِينَا خُلُودٌ للرزمَانِ حَكِيمةً دَائِمانَ آخرى كَلِيماً

يُصَعِّدُ مِثْلَ حَدِّ النَّادِ زَفْدَهُ فَهَبْنَا يَسْا رَسُّولَ اللهِ نَظْرَه

وَيُبْدِي المشلِمُ المحبوبُ فَقْرَهُ شَكَما مِنْه الفؤادُ وَلَيسسَ يَسدُرِي

* * *

بِكَ الأَلْحَانُ لِي كَانَتْ عَذَابَا بأرضِ الهندِ قَطُّ لَكَ الصِّحَابَا وَأَيْنَ الشمس بَلْ قُلْ أَيْنَ بَدْرُه أَمِثْلِي مُسْلِمٌ قَدْ عِيلَ صَبْرُ،(٢)؟ عَـذَابَكَ مِنْهُ كَـمْ ذُقْتَ العـذَابَا حَـزِيـنٌ ، مَا رَأَتْ عَيْنَـايَ يَـوْمـاً لِعَبْـدِ الهنْـدِ لَيْسلٌ ضَـاعَ فَجُـرُه أنَـا المِسكِيـنُ فَلْتَـرْفُـتْ بحَـالِـي

* * *

بدين الحق ذو الأصل الكريم هوى من صرحه العالِي القديم

* * *

وتعلم ما بدا بل والخفيا

لسانِي كيف يسروي عنه شيًّا

فَقِيرٌ ضَاقَ بِالأَلَم المقِيم

إلهـــي كــــنْ لِمحــــزُونِ مُعِينـــــأ

(۱) أراد إقبال قوله تعالى سورة الأعراف ﴿ وَلَمَّاجَآة مُوسَىٰ لِمِيقَنِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُمُ قَالَ رَبُّ أَوْنِ أَنظُرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ السَّتَقَرُّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَيْقُ فَلَمَّا بَجَلَلُ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ فَإِنِ السَّتَقَرُّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَيْقُ فَلَمَّا بَجَلُلُ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ فَإِنِ السَّتَقَرُّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَيْقُ فَلَمَّا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ جَعَلَهُ دَكُونَ وَلَكِنَ النوار ومي في شعر له: إن الله خالق الوجود من العدم والرؤية لا تكون وقال جلال الدين الرومي في شعر له: إن الله خالق الوجود من العدم والرؤية لا تكون إلا لما ظهر وخلق. وتباينت أقوال المفسرين في معنى تلك الآية الكريمة وفي كتاب (في السماء) يقول إقبال :

(لن تراني) إنها المعنى الدقيق ولتضع فيه فذا البحر العميق (٢) عيل صبره: نفد .

وما قاساه في دهر طويل جَرَى فلسكٌ على غيرِ المَرَامِ أَفِي هَاذًا كَلامٌ ليتَ شِعري

طسوى قلبسي علسى الآلام طيسا شَكَاةَ السرَّكبِ منْ بَعْدِ المُقَام وَهَذَا الشَّعْبُ كانَ بِلاَ إِمَام

* * *

دِماءٌ فِيهِ تَخْلُو مِنْ لَهَابِ خليّ الغمدِ . ما فِي الكَفّ مَال

ومًا زَرَع الأَزَاهِرَ في الخراب؟!(١) وَهَــذَا الـرفُّ يَهْــوى بِـالكِتَــاب(٢)

* * *

بِظَاهِرِ ما يَرَاهُ القَلْبُ قَيَّد فَمِنْ ذُوقٍ ومِنْ شُوقٍ تَجَرَّدُ (٣) مَفِيرَ الصَّقْرِ حَتْماً لَيْسَ يَدْرِي عَلَى طَنِّ البعوضةِ مَنْ تَعَوَّدُ لَهِ بِالقَلْبِ بِاباً مَا فَتَحْنَا وَذَاتاً فِي ثَرَاه ما رَأَيْنَا وَلَا التَّكْبِيرِ دَوَى فِي ضَميرٍ وَمِنْهُ اللَّكْبِيرِ دَوَى فِي ضَميرٍ وَمِنْهُ اللَّكُورَ قَطْ ما سمِغنَا

يَقُدُّ الجيبَ مَقْطُوعَ السَّرِجَاء لمِاذَا قَدْ تَسرَدَّى فِي البَلاءُ (٤) شبيسة المسوتِ ما يَلْقَسى نَصِيبَاً إذَا مَساكَسفَّ عَبْسدٌ عَسنْ ثَنَساء

* * *

أَنِلْهُ الحسقُ ، مِسْكِيسنٌ أَسِيسر فَقِيسرٌ وَهُسوَ فِسي قَلَسَ يَشُور وهذِي حَانَةٌ قَدْ أَوْصَدُوهَا لِيظْمَا وَالسردَى كَاسٌ تَدُور^(٥) فَطَهَّرْ مَاءَهُ وَالطيسنَ طَهُرْ بِدُنْيَا مِنْهُ هَذَا القَلْبَ عَمَّرْ

⁽١) اللهاب: اشتعال النار

⁽٢) خلى الغمد : لا سيف في غمده .

 ⁽٣) الذوق في الاصطلاح: نور يلقيه الله في قلوب أوليائه يميزون به بين الحق والباطل.

⁽٤) يقد : يشق . الجيب : فتحة الثوب حول العنق . وتردى : وقع .

⁽٥) الحانة هنا بمعناها عند الصوفية .

تَمَــزَّقَ ذَيْلُــهُ وَالــريــحُ تُسْفِــي فَفِي مِصْبَاحِـهِ المحْطُـومِ فَكَّـرْ(١)

عَــرُوسٌ هَـــذِه الــدنْيَــا لِغَيْــرِه مَقَــامٌ لِلفَنَــا نَهْـــجٌ لِسَيْـــرِه وَقَبُــلَ الملكَــانِ مِــنْ دَيْــرِ بِقَبْــرِه (٢)

**

أَفِسَي عَيْنَفِ فُسُورٌ أَوْ سُسُرُورُ وَهَ لَهُ سُرُورُ وَهَ لَهِ لَهُ سُرُورُ وَهَ لَهِ لَهُ الله لَذَا الشعب كُسَنْ رَبُسي مُعِينَاً قَفَ حَنِيفٌ والسردَى مَا لَيْسَ يَـأْلَـفُ أَيَهُ وَبَيْسَ نَ شُلُسوعِهِ مَا كَسَانَ قَلْبُ يَقْ

وَمَا فِي صَدْرِهِ قَلْبُ صَبُور قَضَى ، قَالرُّوحُ مَا فِيهَا حُضُور^(٣) أَيَخْلَعُ قَلْبَه رُعْباً وَيَاأَنَفُ ا^(٤) يَقْطَعُ زَفَرةً حَرى وَيَاْسَفُ!

فَمَـنْ مِـنْ شَـرُه غيـر المضامُ إذا مـا شِئـتَ تَحْقِيـتَ المَـرَامُ

* * *

بِنَاءٌ ظَلَلَ في آدِ متيناً (٥) لَهُمْ فِي الخَفْقِ أَشْبَهَتِ الوتِينَا(١)

رَكَينَا كَانَ جِسْمُ المَسْلِمِينَا وإِنْ نَظَرُوا فَقَدْ ظَهَرُوا بِـذَاتٍ

وَحُكْمَ الفردِ شَرِوْ لِسلاَنام

شَكَاةَ القَلْبِ للخِللَّانِ فَاسْمِعْ

⁽١) تسفي: تحمل الغبار، والمحطوم: المحطم.

⁽٢) آدته : أثقلته .

⁽٣) قضى : مات . والحضور : حضور القلب بدلالة اليقين حتى يصبح الحكم الغيبي كالحكم العيني .

⁽٤) الحنيف: الصحيح الميل إلى الإسلام الثابت عليه.

⁽٥) الركين: القوي . الآد: القوة .

⁽٦) الوتين : عرق في القلب .

خجولٌ مُسْلِم هَانَتْ شُوونُه بِدُنْیَانَا فَقُلْ مَاذَا وَرِثْنَا

لَهُ الخَانْقَاه فَقْرٌ ، مَاتَ دِينُه (¹) كَلِيسَمٌ عَسِنْ مُلُسوكٍ نَسْتَبِينُسه (¹)

* * *

وَعَـنْ أَخَـوَالِـهِ لا تَسَـالَنَّـي وَهَـذَا الطَيْرُ بِالثَّمَـرَاتِ يغْـذُو

فَقَدْ سَاءَتْ وَفِيهَا حَارَ ظَنَّي لَـهُ فِـي البِيـدِ نَقْرٌ بِـالتَّعَنِّي^(٣)

* * *

لِعَينَيْ و الحياة أنا فَتَحْت كَشَفْتُ السروحَ أسْرَاراً فَهَالًا وَلَيْسَ لِمُسْلِم جَيْشٌ عَرَضْرَمْ فَلَا وَلَيْسِ لِمُسْلِم جَيْشٌ عَرَضْرَمْ فَلَا وَلَيْسِهِ اليسومَ حَقّاً

وَمَا فِي الأَمْسِ وَالغَدِ كُمْ شَرَحْت بَـلاَغَـةَ يَعْـرُبِ يَـوْمـاً مَنَحْـت بِـذَاتٍ مِـنْ مُلُـوكِ الأَرْضِ أَكْـرَمْ('') لَكَـانَ جَـلاَلُـه لا رَيْـبَ أَعْظَـمْ

* * *

أَسَاطِيرُ مَتَاعِ الشيخ حَقَّا مِنَ الأَوْهَامِ أَفْوَالًا تَلَقَّى السَّاطِيرُ مَتَاعِ الشيخ حَقَّا مِن الأَوْهَامِ أَفْوَا لَا تَلَقَّى لَا الْإِسْلَامُ بِالدُّنَّارِ يَبْدُو وَذَا حَرَم وَمِنْ دَيْرٍ تَبقَّى

وَعَسَالَمُنَسَا بِسِإِلْحَسَادِ تَغَيَّسِز وَأَنَّ السروحَ مِسنْ جَسَدِ تَقَسَرُرْ

- (۱) خانقاه : كلمة فارسية الأصل بمعنى المبنى الذي يقيم فيه الصوفية . ويقال : إن الشاعر الفارسي أبا سعيد بن أبي الخير وهو من صوفية القرن الخامس الهجري هو مؤسس أول خانقاه في إيران . ومعلوم أن كل مدينة وكل ناحية في إيران كان بها خانقاه حين الغزو المغولي . وكانت كل خانقاه تابعة لشيخ أو لفرقة خاصة من فرق الصوفية . وقد تنافس المتنافسون من العظماء في بناء الخوانقات ووقف الأموال عليها .
 - (٢) الكليم: البساط وتأتي كذلك بمعنى الثوب الخلق. نستبينه: نعرفه ونميزه.
 - (٣) التعني : الشدة والصعوبة .
 - (٤) الجيش العرمرم: الشديد.

بِفَقْدٍ كُنْت لِلصدِّيتِ تُعْطِي لِنَا الْمُسَادَا يَسْتَعِيدِ اللَّهِ الْمُسَادَا يَسْتَعِيدِ اللَّهِ الْمُسَارَى وَأَظْلَمَ حَظُّنَا نَحْنُ الحيَارَى

أَنِـرْ روحـاً تَسَـامَـى أَوْ تَطَـوَّزُ^(۱) بِــهِ صَنَــمٌ هُــوَ الشيــخُ الكَبِيــر وَمَــا فِــي القَلْــبِ لِــلَامَــالِ نُــور

非非非

* * *

) يضرب إقبال على قالب شعراء التصوف الذين ألفوا أن يتهكموا بالشيخ أو الزاهد . والشيخ عندهم رمز لغير المتصوف . وقد اتسعت شقة الخلاف بين المتصوفة والفقهاء ، ولا غرو فالمتصوفة يجنحون إلى التأويل والتمثيل والتخييل ويصدون عن الظاهر للغوص في أعماق الباطن . أما الفقهاء فوقافون عند حرفية النصوص لا يمعنون في الاجتهاد بالرأي . ولا يكاد يخلو شعر صوفي من هذا التهكم التقليدي بالزهاد والشيوخ . مثال ذلك قول الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي ما ترجمته :

(امض عنا أيها الزاهد وكف الملام عن شاربي المدام ، فما منحونا سوى تلك التحفة يوم ألست) والإشارة في يوم ألست إلى قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿ وَإِذَا خَذَ رَبُّكَ مَنْ الله عَنْ مَن نَاهُ وَرِهِ أَخَذَ رَبُّكَ مَن نَاهُ وَرِهِ دُرِّيَّةُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى آنفُسِهِمْ أَلَسَتُ بِرَيِّكُمْ قَالُوا بَنْ ﴾ والشاعر يريد ليقول إن الصوفية أتحفوا بعشق الذات الإلهية منذ أن عرفوا ربهم ، الزنار : ما يشده النصراني على وسطه .

يريد الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، وكان واسع الثراء غير أنه أنفق ماله على رسول الله على وفي سبيل الله . قالت عائشة رضي الله عنها : إن أبا بكر أنفق على النبي أربعين ألفاً . وعن أسماء بنت أبي بكر قالت : لما خرج على وخرج معه أبو بكر احتمل ماله كله معه . وقال لها جدها أبو قحافة وقد ذهب بصره : إن أباها قد فجعها بماله فردت عليه بقولها إنه ترك خيراً كثيراً وأخذت أحجاراً وضعتها في كوة البيت الذي كان أبوها يضع المال فيه ثم غطتها بثوب وقادت إليها جدها الضرير ووضعت يده عليها فقال : إنه أحسن بترك هذا وفيه الكفاية . وقد أرادت أسماء أن تسكن جدها وتوهمه بأن أباها ترك شيئاً ، ولم يترك لعياله أي شيء .

(۲) تولى : مضى وأدبر .

يُعَادِي المسلِمُونَ الأَقْرِبِينَا تَدَاعَى مَسْجِدٌ يَوْماً لِيَاشُوا لِيَاشُوا لِيَاشُوا لِيَاشُوا لِعَيْدَا لِعَيْدَا الجبِينَا الجبِينَا الجبِينَا الجبينَا الجبينَا الجبينَا المَانَفُسَنَا شَكَوْنَا لا سِوانَا

وَظُلُّوا فِي شِقَاقٍ رَاغِبِينَا اللهُ وَكَانُوا مِنْهُ دَوْمَا هَارِبِينَا اللهُ وَكُنَّا كَالِينَا اللهُ وَكُنَّا كَاللهُ وَكُنَّا كَاللهُ لَسْنَا لَا يُقِينَا لِيَقِينَا لِيَقِينَا لِيَقِينَا لَا يَقِينَا لَا يَقِينَا لَا يَقِينَا

خَلَتْ مِنْ رَاحِهَا كَأْسُ النُّدَامَى عَلَى النُّدَامَى عَلَى النَّفَرَاتِ مِنْي القلبَ أَطْوِي

* * *

لَــدَى الصَّـوفِــيِّ دِنَّ مَــا رَوَاه أَغَـادَرَ مَجْلِـسَ الشعَـرَاءِ كَـرْهـاً غَـرِيبٌ ، مُسْلِـمٌ ، عَـنْ كُـلُ دَارٍ وَهَـذِي لَـوْعَتِي مِـنْ فَـرْطِ عَجْـزِي

وَيَطْـوِي مَكْتَبَا نَهْجاً طَـوَاه (٣) وَمَاتَ اللحنُ فِي نَـاي حَـوَاه وَمَاتَ اللحنُ فِي نَـاي حَـوَاه وَلِي دُنْيا أَعَـافُ ، مِنَ الغُبَار لِغُنِـرِ اللهِ أَبْـدَيـتُ اقتِـدارِي

* * *

وَتَمنَحُنِي جَنَاحًا كِي أَطِيرًا وَأَلْحَانِي خَفَقْتُ بِهَا سَعِيرًا (3) فَهَلْ مِن مُسْلِم يَخْشَاهُ مَوْتُ ؟ أَطَلْتُ ، وَمَا وَجَدْتُ ، أَنَا المسِيرًا

سَـ أَلْتُ اللهَ بِالدَّمْعِ السَّكُوبِ أَحَـانَ لمسلمٍ رَفْعَ الكُـرُوب؟

⁽۱) يأسى : يحزن . يعجب لمن يحزنهم ضياع حجر من مسجدهم وهم الذين لا يدخلون للصلاة فيه .

 ⁽۲) يشبه الزفرات بالدخان . والزفرة في الفارسية تسمى دخان القلب .

 ⁽٣) يصطنع إقبال طريقة الصوفية في التعبير ، غير أنه يخالفهم في التفكير ويتناول أعمالهم
 وأقوالهم بالتفنيد والتنديد . المكتب : المدرسة . والنهج : الطريق .

⁽٤) السعير: النار.

نِسدَاءٌ ظَسلٌ فِسي سَمْعِسي يُسدَوِّي لِمَساذَا أَذْكُسرُ المَساضِسي المجِيسدَا بِصَدْرِي قَدْ حَوَيْتُ أَنَا سِرَاجَاً

لَـهُ قَلْبٌ وَأَقْفَرَ مِنْ حَبِيب اللهِ فَهَـذَا السَّدُ كُـرُ مَـا كَـان المفيسدَا وَفِي قَـرْنَيْنِ آنَسْتُ الخمُـودَا(١)

* * *

وَيَخْــرُسُ كَغْبَــةً بنَّــاء ديــر وَتَقْصُــرُ نَظْــرةً مِنْــةً وَفِيهَــا

يَقِيدنٌ مَداتَ فِيدِهِ رَنَا لِغَيْسر (٢) تَجَلَّى يَالُسُهُ مِدنْ كُدلٌ خَيْسر

* * *

وَنَشْرِيهِ وَنَهَارٌ لِلْفَقِيهِ وَنَهَارٌ لِلْفَقِيهِ وَقَدَّ وَنَهَارٌ لِلْفَقِيهِ وَقِيهِ وَقِيهِ وَقِيهِ أَوْ أَنِهِ وَلِيهِ وَلِيهِ وَلِيهِ وَلِيهِ وَلَا أَنْ اللّهِ اللّهِ وَلِيهِ وَالْمَانُ اللّهِ وَلِيهِ وَالْمَانُ اللّهِ وَلَا أَنْ اللّهِ اللّهِ وَالْمُؤْتُ وَالْمُؤْتُ اللّهِ وَاللّهُ اللّهِ وَالْمُؤْتُ وَالْمُؤْتُ وَاللّهُ اللّهِ وَاللّهُ وَاللّهُ اللّهِ وَاللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ ا

مِنَ الحزقَاتِ هَبْ نَارَ الضَّمِيرِ بآمالِ اليقِينِ كَفَيْنِ شُنُور بِلاَ سَيْفٍ دِمَاءٌ كُنْتُ أَسْفَخ فَلِسِ عَصْرٌ أُجَاهِدُهُ وَأَكْدَخ

* * *

لَقَدْ آئَدِرْتُ أَنْ أَشْكُدُ وَحِيدَا أَا اللَّهُ اللَّالَّ اللَّا اللَّا اللَّالِيلِيلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّالِمُلَّالِمُ اللَّاللّل

وَيَشْرِبَ رُمْتُهَا فَاجْتَرْتُ بِيدَا تَخَيَّرُ بِيدَا تَخَيَّرُ ، حِيرَتِي تَأْبَى المزيدا

* * *

أَطِيدُ بِجَوْهِ هَدْا المحَبَّبُ وَيَثِدتُ اللهِ أَخْدِيدِ بِقَلْبِدِي أَقُولُ السِّرَّ مِنْ مَا قُلْتُ يُفْهَمْ أَمِيدَ القومِ أَنْصِفْنِي فَإِنْدِي

وَمِنْ غَيْمِ جَنَاحِي قَدْ تَرَطَّبُ أُغَنِّي مَا يِقَلْبِي ثُمَّ أَطْرَبُ أَطْرَبُ وَمَنْ مِنْ دَوْحَتي الثمَرَاتِ يَطْعَم عُرِلْ تَرَنَّمُ عُرِلْ تَرَنَّمُ

⁽١) آنس: رأى . والشاعر يشير إلى فساد حال القوم في القرنين الماضيين .

⁽٢) رنا: أدام النظر.

⁽٣) النشوة : السكر .

خِلَافَ الشَّعْرِ مَا أَبْغِي بِقُولي وَأُكْسِيراً لِعِشْوق مَا أُرَجِّي

* * *

حَيَاةُ الخليدِ عَنها قلتُ خَبَّرُ وقدومٌ يجحدونَ الحق قالوا وقدومٌ يجحدونَ الحق قالوا جَبِيني مِنْ أَسَى كالزَّعْفَران وحَالِي أَنْتَ تَعْلَمُ رَغْمَ صَمْتِي

وَمنْ مَاتوا حديثَ الروحِ ذَكِّرُ بموتِهِما إِذَا مَا شِئتَ بَشُو جَرَتْ عينِي بمشلِ الأُرجُوانِ^(٢) فَهذِي عُفْدةٌ لي في لِسَانِي

وَحُلِّتْ عُفْدَةُ المعنِّي بِحَلِّي

فَدِرُهَم مُفْلِس ذَهَب بِصَقْلِي (١)

* * *

غَرِيبٌ ، لَي لسانٌ وَهُو نَظُرَهُ فَمِي أُوصَدتُ ، بالعينين أَرْنُو

وَذُو أَلَــــم ثُكَلِّمُـــه بعَبْـــرَه فَشَـرْعِــي لا يجيــزُ القــولَ مَــرَّه

* * *

مَنَحْتُ اللَّات من ذاتي غريبا وَزَمْنَ مَ بِينَ صَلْصَالِ قَلِيبَا (٣) فَهَبْنِسِي زَفْسِرَةً حَسِرًى ومِنْهَا سَاصْلَى كَلَّ بَلْبَالٍ لَهِيبَا (٤) زَفِيرٌ لِيسس في قلبي سِواه ولي أملٌ ونبعُكَ ما رَوَاه لمن أَشكُو غموماً في فوادي على من غير ذاتك ما طَواه

* * *

غريبٌ شجو، بالناي أبدى ونارُ اللحنِ منها ذابَ وجُداً أتعلمُ منا يقول ومنا تمنَّى يرومُ القلب^(ه) عن دارين صدًا

 ⁽١) الأكسير : ما كان يلقيه الأقدمون على الفضة ونحوها ليحيله إلى ذهب خالص .

⁽٢) الأرجوان: اللون الأحمر.

⁽٣) القليب : البئر .

⁽٤) البلبال : الهم .

 ⁽۵) يرومُ القلب : يُريْدُ .

ومــــا زهــــرأ ولا قَطْـــرأ أريــــد وتعلم نظرتي عن كلِّ نجم ببحــر شَطَّـه لــم أدر بُعْـده إلى البطحاء تأمرنا بسير

لتلك الريح ، شمسكَ كم تجود ورايسي لا اسدلسه سديد دليل العاشقين القلب وحده وإلَّا كنتَ ما وقفت عنده(١)

أتطردُ من يتوقُ إلى الحضور بما أحببت مُنز إلا بصبر

ألِمْت ولستُ أُعرَف بـالصَّبـور عجازت أنا إليه عن المسير

ومن نبار لأهمل المديسر أحمرق(٢) دُمَى الإفرنج قلبٌ لي تعشّق لقـد أصبحـتُ عـن نفسِـي غـرِيبــا بِحَانِ الغربِ عَاقَرْتُ الشَّرَابَا وكم جَـالسـتُ أهـلَ الحسـنِ لكِـنْ

فمـــا أَدْرِي وجـــوداً لـــي تحقَّـــق برُوحى قَدْ شَرَيتُ لى العذابَا^(٣) بدَتْ نِيسرَانهم ثُلْجاً مُدُابَا

هشيمي اجْعَلْه قَلباً في الفَضَاءِ (٤) فقيسرٌ فلتحقُّسنُ لسى رَجَسائِسى فلي من نظرتني فينضُ الذَّكاءِ سينمت الدرس يلقيسه حكيسم

البطحاء: مكة المكرمة. (1)

الدمى: جمع دمية وهي الصورة المنقوشة أو الصنم . وشعراء الفرس يشبهون الحسناء بالصنم في الحسن . والشاعر يشير من طرف آخر في تهكم وسخرية إلى التهافت على تقليد الغربيين.

عاقر الخمر: أدمن شربها. شريت: اشتريت. (٣)

الهشيم: ماتكسر من يابس النبات. (1)

أنّا الصوفي والمللّا أجَافِي عَلَى صفحاتِ قلبي ﴿ اللهُ ﴾ فاكتبُ فسيَّ قَلْب لمللّا الغَمّ حَللًا أولَّس مسن مجالسه فِسرَاراً

وَتَعْلَمُ مَنْ أَكُونُ بِلاَ خِلاَفِ(') الأشهِدَهُ وذَاتي بالشَّغَافِ('') وهلْ بالدمع بلّ العينَ بَلاَ أزينُ حِجَازه بالبشرِ ؟ كَلاً

يقــولُ القــولَ نَصْــلًا للحــرابِ وتخجلني الصـراحـةُ فِـي كَـلاَمـي

وَفِي حِضْنِ لـه كـمْ مِـنْ كِتَــابِ عن الذاتِ اختفى لا عنْ صِحَابِ^(٣)

أجب بالله من ملك القُلُوبَ ومَن قَدْ ألهم الشوق المدِيبَا كِلاَنَا مَنْ رَمَى في الدين سَهْماً فَقُلْ في الرمي من كَانَ المصيبَا ولسْتُ بمخفَلي غَيْر الغريب لمنْ في مُشْكِلي شَكْوَى كُرُوبي ؟ وُلسْتُ بمخفَلي شَكُوى كُرُوبي ؟ ذُيُوع السرّ بين القوم أخشى شكاتي صنتُ عَنْ قَلْبي الكَثِيبِ

وقلبي لسب أسلمه لأيد أضيق بعقدتي وأجلُّ وَحُدِي إلى غيرِ الإلهِ رفعتُ عيني للذا من قمَّتي كان التردِّي

 ⁽١) الملا : كلمة تركية مأخوذة عن العربية (مولى) . وهي بمعنى الشيخ والمعلم
 والقاضي . والشاعر يطلقها على الشيخ والفقيه وغير الصوفي .

⁽٢) الشغاف : غلاف القلب أو حبته . وإقبال يجري على مألوف الصوفية من تجريح غير المتصوفة . غير أنه يريد ليجرح ضيقي الأفق من المسلمين المتزمتين الجامدين .

⁽٣) يعبر إقبال عن نزعته الفكرية التحررية ورغبته في فهم الدين حق الفهم بنجوة عما لا يقره الدين من جمود على الأساطير والأوهام ، ويبالغ في وصف من نظروا في أحكام الدين بلا عقل ولا روح . والمبالغة تفهم على أنها مبالغة إلا أنها تؤكد المعنى وتؤيد الغرض .

بِسرُ أُمِّسي جَمسرةٌ هسذا الجنسون ومِسنُ أمسواجٍ طُسوفَسانٍ تَقَضَّسى لِهَسذَا التسربِ مسا زَالَ الشسرَار بمسا أهديت مسن نسورِ التجلَّسي

بِصَدْري فررة هَدَا الفتُرون (١) بروحي الموجُ يجفُوهُ السُّكُون (٢) لهدذا الصدر زفر الفجر نار على على التردار

وبينَ جـوانحِي قلبُ تَلهَب فقـلُ مـا السَّـرُ أو مثلي تَعَجَّب (٣) أُشاهد غير أنِّي لستُ أرغبُ وهـــذَا العصْــرُ مِــنْ رَوحٍ تَخَلَّــي

تُسرابي فيه ما يهفو مُنِختُ على عود كأني قد صُلِبتُ يضيقُ الصدرُ بالأملِ الجريحِ لمن أشكو بقولٍ لي صريح وفي عصر بلا لهب خُلِفْتُ وفي عصر بلا لهب خُلِفْتُ وفي عنُقِي حياتِي مِفْلُ حَبْلٍ وما للزّهر ألْوانِي وريحي وما وسع الكلامُ أسّى خَفِيّاً

فُــوَادِي لا يُــواسِــه الحبِيــبُ فَــوَادِي لا يُــواسِــه الحبِيـبُ

وَفي شرقٍ وفي غربٍ غريبُ هُمُومُ القلب أشكوها لِقَلْسِي

لِعِلْمِ اليومِ أَبْطَلَتُ الطُّلَسْمَا (٤) حَطَمْتُ حَبَائِلًا بِالحُبِّ حَطْمَا

⁽١) الجنون عند المتصوفة هو جذبة العشق الإلهى .

⁽۲) تقضى : مضى وانتهى .

⁽٣) تخلى منه وعنه : تركه .

⁽٤) الطّلسَمْ والطّلَسَمْ ، ج : طلاسم وطلسمات ، يونانية معرّبة : خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية لجلب محبوب أو دفع أذى وهو ضرب من السحر .

وإنسرَاهيم مَسنُ اشْبَهْتُ حقاً حَبَوتُ العين بالبصرِ البَصِير وفَجُمراً فَلْتَهَبُ مِنْ (مَنْ رَآنِي)

فَمَا كَانَتْ لَدَيَّ النارُ هَمَّا وَقَوْلَهُ (لا إِلَه) كَفَيسضِ نُـور فَلَيلي مِنْكَ ذُو البدْرِ المنيرِ(١)

* * *

وَفِي يَـوْمٍ جَـذَبْتُ إِلَى ذَاتِي بِهَـذَا الـدَّيْرِ مِـنْ نَغَمـاتِ فَجُـرٍ

بِأَنْسُوادٍ مَقَامَى مُشْرِقَاتِ خَلَقْتُ دُنَى القلوبِ الوَالهاتِ(٢)

* * *

بِعَالَمِنَا جِنَانٌ عَالِيَاتُ سَكُونٌ كَانَ حَتَى السومَ فِيهَا اللهَ مَنْهَا فَيهَا اللهَ مَنْهَا فَيهَا اللهَ مَنْهَا فَيهَا تَصَرَاهُ مِفْلَ حَيْدَرَ فِسي قِسوَاه تَصرَاهُ مِفْلَ حَيْدَرَ فِسي قِسوَاه

لدوحتها دموعي الجارِيَاتُ (٣) فَيَاتُ (٣) فَيَاتُ (٣) فَيَاتُ (٣) فَيَاتُ الْكَامُ لَآدَمُ آتِيَاتُ الْكَارُتُ يحتَسِيهَا مُنَى الدارَيْنِ مَا إِنْ يَشْتَهِيهَا (٤)

أَدِرْ يَسَا صَسَاحِ كَسَسَاتِ النَّهَ دَامَسَى وَهَسَذَا القلْبُ رُدَّ إِلَى ضُلُوعِسِ

وَذِذْ فِي نَاي أَلْحَانِي ضِرَامَا (٥) لأَفْضِلَ كُلَّ مَنْ مَلَكُوا ، مَقَامَا

* * *

وَمِنْ عِشْقِ لَنَا الدنْيَا بِصَدْدِكْ وتَفْرَح فَرْحَة نَشْوَى بِصَدْدِكُ فَمِنْ عِشْوَى بِصَدْدِكُ فَمِنْ جِبْرِيلَ ؟ إِنِّي لَسْتُ أَدْرِي أَأَبْدَتْ جَوْهَ رَا مِرْآة صَدْدِكُ

 ⁽١) إشارة إلى القول الذي جاء فيه (من رآني فقد رأى الله) كذا في الأصل .

⁽٢) الدني : جمع دنيا .

⁽٣) الدوحة: الشجرة العظيمة.

 ⁽٤) حيدر: هو علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

⁽٥) أدار الكأس: طاف بها على الشاربين.

فُــوَّادِي لَــمْ يُمِــقْ أحــداً بمعبــد مُقَـامي أَيْنَ ؟ كُنْتُ بِـه المقيَّد (١) إلَـــة يُبْتَغِـــي مِنِّـــي سُجُـــوداً ! لَقَـــدْ حَطَّمْتُـــهُ وَهُـــوَ المبـــدَّدْ

* * *

وَهَلَذِي زَهْرَةٌ نَبَتَتْ بِتُرْبِي تَقَبَّلُهُ القلبِ رفقاً تَقَبَّلُهَا ، بِهَلْذَا القلبِ رفقاً

بَـدَتْ فِـي حمـرةٍ مـنُ ذوبِ قلْبـي فَلِي قلْبـي فَلْبـي فَلْبـي قلبُ ، وَهَذَا القلبُ حَسبِي (٢)

* * *

لِهَذَا الشعب إنَّي قدْ خَفَقْت وَجيزُ القولِ خَيرُ القولِ قَالُوا بِفطرةِ منْ تمجَّن رمتُ صِدْقا سَحَاباً للربيع فهبْ ترابِي

ولحنِي النارَ في رُوحِي خَلَقْت خَفَقْتُ ، خُلِقْتُ ، لَكنِّي استَرخت وتحرِقُ زَفْرَتِي الأرواحَ حَرْقَا^(٣) وفيه الحَسبُ أنشرهُ ليبقَى

* * *

متاعٌ لِي ، فَمَنْ لصّ الدُّرُوب ؟ (٤) وَحيــدٌ ، لا أشبّــه بــالغــريــب

ببيتِ اللهِ كالسرومِي أَذَانِي فسِرُ الروحِ أوضحُ والمعَانِي (٥) طَوَهُ بفتنة عصرٌ قديم ولكِنْ لِي الجديد من الزمانِ لكَ البستانُ أنبِتُ من تُرابِي ولوّنه بدمْعِي في انسِكابِ

⁽١) ومق : أحب .

⁽٢) حسبي : كفايتي .

 ⁽٣) تمجن : تكلف المجانة وهي عدم المبالاة بالأعمال والأقوال .

⁽٤) الدروب: جمع درب وهو الطريق.

⁽٥) الرومي : هو جلال الدين الرومي .

وما أمَلْتُ سيفَ أَبِي تـرابِ فهبْ عيناً كسيفِ أبي تُـرابِ(١)

* * *

فعن عمل وعن أمل عَـزُوكُ^(٢) علــى أســرارهِ كــانَ الــوقُــوفُ على شـطُ يطـولُ بــه الــوقُـوف لمــنُ غيــري أنــا المسكيــنُ حقــاً

* * *

ومن مناه للمحبوب عِطْرَا تناسَى قَوْلَة قيلتْ فمنذًا غديري هَبْه دُرَّا مِنْ بِحَادِكْ بطُوفَانِ فَمَا فتحتُ قَلْبِي

أثرتُ الوَجْدَ فِي نَايِي، تأمَّلُ

عرفتُ الفقرَ عَنْ سَلَفِي قَدِيماً

وهذاكَ السربيعُ يسرفُ زَهْرَا^(٣) على قَصْبائِه بسالنَّارِ مَسرّا مَتَاعِي ضَعْ بطودِكَ أَوْ قِفَارِكُ^(٤) فَهَبْنِي غيرهُ طوعياً وبارِكُ

* * *

بنارِي ذبتُ مُخْتَلِياً ، تَامَّلُ عن السلطانِ إحجامِي ، تأمَّلُ

⁽۱) أبو تراب: كنية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وقد أطلقها عليه النبي ﷺ . والخبر في هذا أن علياً دخل على فاطمة ثم خرج فأتى ﷺ فاطمة وسألها أين ابن عمك ؟ قالت : إنه مضطجع في المسجد . فمضى النبي إليه فوجد رداءه ساقطاً عن ظهره ، فجعل يمسح عنه التراب ويقول اجلس أبا تراب . وفي رواية أخرى أن عليا وعمار بن ياسر كانا رفيقين في غزاة ذي العشيرة ونزلها الرسول صلوات الله وسلامه عليه وأقام بها . وجعل علي وعمار ينظران إلى من يعملون في نخل هناك ثم أخذتهما منة وتتربا وجاء النبي فحرك علياً وقال له يا أبا تراب حين رأى عليه التراب . وكان يطيب له كرم الله وجهه أن يدعى بأبي تراب .

⁽٢) عزف عن الشيء: أعرض عنه.

⁽٣) رف الزهر: تلألأ نضرة .

⁽٤) الطود: الجبل. القفار: الصحارى.

علَى ما كانَ منْ حَالي أَعِنِي مع المحبوب تسألُ كيفَ حالِي لقدْ شَاركتُ في وجدٍ ورَوْدَا فمنْ لَقَنْتَ شَوقِي ليتَ شِعْرِي؟

كشفتُ اللبسَ عن مَعْنَى بفني يُسوافِي مَسرَّةً ويغيبُ عَنِّي ضميرَ العيشِ أفتحه ويُسدَا^(١) أغَنِّي مسا أَغنيهِ وَحِيسدَا

* * *

بِنُ ورِكَ كنتُ أفتحُ مُقُلَتَكِ ا

وَقَدْ شَاهدتُ أعماقَ الشرَيَّا فَمُشْكلُ (لا) أَرَى صعباً علَيَّا (٢)

* * *

بأرضِكَ حرقةُ الألحانِ حسبي لِسرَبِّي قلتُ منتشِياً بِوَجْدِي مِسنَ الأشواقِ ثَائِرتِي لتنظرْ وَلَيْتَ ابني بعشقِكَ في دوام

وبد أوانتها أالله منك ، حَسْبِي رَسُولُ الله يا رحمنُ ، حَسْبِي فَلِي رَسُولُ الله يا رحمنُ ، حَشْبِي فَلِي الله فَلِي الله فَلِي الله فَلِي والتعَطُّر والتعَطُّر والتعَطُّر

* * *

فَتَسى الإِفْرَنْجِ^(٣) فَلْتَشْهَدُه حِينَا فَتَانَا ساذجٌ من فَرْطِ ظُرْفٍ

بَدَا قَمَراً لعينِ الناظِرِينَا وقَساهُ اللهُ عَيْن الكَافِرِينَا

* * *

يمينُكَ مُدَّهَا للعَايْسِ يِنَا وَمَنْ لسواكَ كَانُوا نَاظِرِينَا فَمِنْ لسواكَ كَانُوا نَاظِرِينَا فَمِنْ نَارٍ أَضْرِمُهَا بسرُوحِي نَصِيباً هَب جَمِيعَ المسْلِمِينَا المَيكَ الرَّاحَ مِنْ كَأْسِ الْحَبِيبُ لِتَسْكَنْ دَائِماً قَلْبَ الْحَبِيبُ

⁽١) وئيداً : على مهل .

⁽٢) في الأصل (لا إله) .

 ⁽٣) الإفرنج والإفرنجة والفرنج: اسم لسكان أوربة كلها ماعدا الأروام والأتراك.

* * *

نُ لَكِنَّ مِي فَقِيرُ لأَرضِ السروحِ والمعْنَى أَمِيرُ (٢) • بَدَتْ تَامَّلُ حَواهَا كُلَّهَا مِنِّ ضَمِيرُ

لك السلطانُ لَكِنْسِي فَقِيسِرُ وَدُنْيَا " لا إله " بَدَتْ تَاأَمَّلُ

华帝华

دَوَا * لَيْسَ يَنْجَعُ فِي سَقَامِي أَلَا يُلْقُسُونَنِي عَنهِم بَعيدًا لَكَ يُلْقُسُونَنِي عَنهم بَعيدًا تَعَالَ وَفِي اعْتِناقٍ نَحْنُ نَرْقُصْ وَعِنْدَ دِيَارِ مَنْ نَهْوَى تَوقَفْ

فَإِنِّي الشيخُ قَدْ وَهَنَتْ عِظَامِي أَلَسْتُ لِدِينِهِمْ أَحَدَ السِّهَامِ! وَدُنْيَانَا نُجَافِيهَا ، وَنَرْقُصْ^(٣) دِمَاءَ العينِ نَذْرِفُهَا ، وَنَرْقُصْ

⁽١) في الأصل اسم أحد الملوك.

⁽٢) يتردد ذكر الفقر والفقير كثيراً في هذا من شعر إقبال . والفقر من مقامات التصوف . ويعرف بأنه ليس فقدان الشيء بل فقدان الميل إليه والرغبة فيه . وشعار الصوفية (الفقر فخري) وقال بعضهم : إذا صح الافتقار إلى الله صح الغنى بالله لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بالآخر ، ويرى إقبال أن الفقر خلاص النفس من الطمع وتعففها عن ذل الحرمان . وهذا ما يكفل لها أن تعمل وتقدم منطلقة من كل قيد . وفي كتابه جاويدنامه الذي ترجمناه بعنوان (في السماء) يبذل النصح لولده قائلاً :

إن رأست القوم أو صرت الغنيا فعلى الفقر الحرصن يا بنيا يتلو إقبال تلو المتصوفة من أتباع جلال الدين الرومي الذين كانوا يستعينون بالرقص والموسيقا على تحريك نشوة التصوف في قلوبهم . ففي رأيهم أن الرقص ينتزع نفوسهم من عالم الثرى ليسمو بها إلى العالم العلوي . كما يثير الطرب والخوف عند التاثبين . وفي الرقص يقول جلال الدين الرومي ما ترجمته :

⁽ إذا ذكرت البحر وأمواجه ، فما ذكرت شيئين متباينين فما أمواج البحر إلا البحر نفسه ولكن في ارتفاع وانخفاض . والموج بعد هبوطه إلى البحر يؤوب . وما مثل البحر إلا مثل بني الإنسان لأنهم أمواج الله وإلى الله مرجعهم بعد موتهم) .

بِصَحْرَاءِ لَـكَ اخْتَـرْتَ المقَـامَـا ويشْبِـهُ لَيْلَهَـا الصبْـحَ ابْتِسَـامَـا فَفِـي أَيُّ البقـامِـكُ انْصُـبْ وَكَانَ الحبْـلُ مِنْ أَحَدِ حَرَامَـا(١)

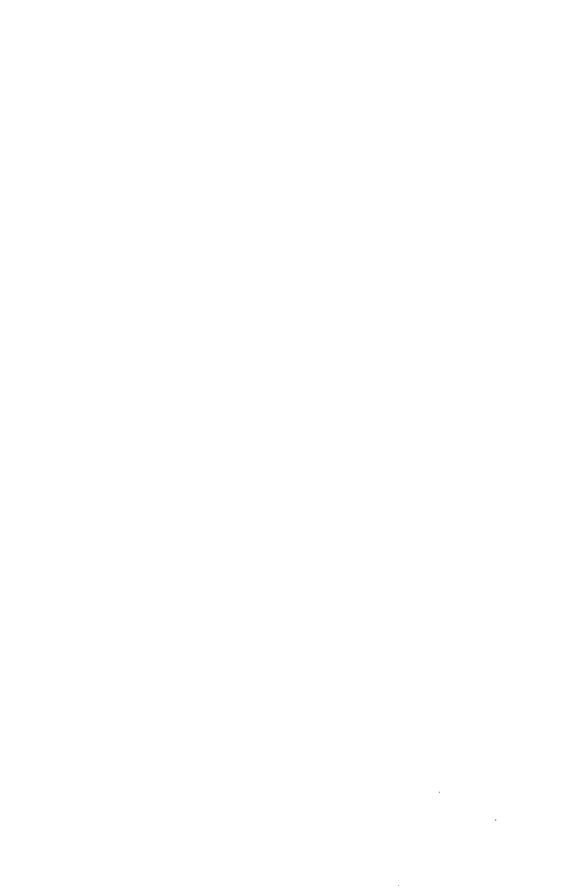
* * *

وَمِنْ كِلَّ السَمَواتِ انطَلَقْنَا وَكُنْهَ الحَاكِمِينَ بِهَا عَرَفْنَا لَقَدْ كَذَبُوا وَإِن بَذَلُوا وُعُودَا وَشَكِّلْ عَالَماً حُرَّا جَدِيدَا(٢)

بِأَرْضِ تَحْتَوِينَا اليومَ ضِقْنَا أَرَاهُمُمُ سَجْدَةً قَدْ عَلَّمُونَا عن الإفرنج فَلْتَكُنِ البَعِيدَا لكَ النظرَاتُ خُذْهَا عَنْ مَلِيكِ »

⁽١) يقول: إن اقتراض حبل الخيمة من أحد حرام.

⁽٢) في الأصل اسم أحد الملوك.







القسم الثالث

المُجْتَمَع







عَــدِمْــتُ أَنَـا كَــلاَمَ العَــارِفِينَــا بِـدَمْـعِ مـنْ دم فِـي الــرَّوضِ هَــذَا ودَارُكَ تشْبِـــهُ القَمَـــرَ الجَـــدِيـــدَا ستَسْمُـــو إِنْ وَهَبْـــتَ اللهَ قلبَــــاً

فَطَبْعِي كَانَ طَبْعَ العَاشِقِينَا لِفَرْطِ الوجُدِ أفعَمْتُ الْعُيونَا(۱) بِأَوْجِ سَمَاكَ حَاوِلْ أَنْ تَسزِيدَا طَرِيقَ المصْطَفى فَاسْلُكُ رَشِيدَا

* * *

عَلَىوْتُ كَمَـوْجَـةِ مِـنْ بَحْـرِ ذَاتِـي وَكَـانَــتْ غَضْبَـةُ النمْــرُودِ مِنْــي

كَمَنْتُ كَجَوْهَرٍ تَحْتَ الصَّفَاةِ (٢) أَعَمِّرُ بَيْتَ رَبِّي فِي حَيَاتِي

* * *

بِجَامِكَ سَاقِبِي الجُلَّاسِ أَقْبِلْ على الدارَينِ هَذَا الذَيْلَ أَسْبِلْ (٣) حَقِيقَتَنَا لَنَا الخميْدُ أَبْدَى لِمُلَّ لا تَقُلْ ﴿ ذَا الدِّينُ فَاعْقِلْ ﴾ (٤) تعالَ عَنِ الجبينِ اطرح نِقَابًا فَدَمْعِي يَحْتَوِي قَلْبِي المدَابَا بِلَحْنِ لَيْسَ مِنْ شَرْقٍ وَغَرْبٍ لتعزفُ (لا تخفُ) تُطْرِبُ صِحَابًا (٥) بِلَحْنِ لَيْسَ مِنْ شَرْقٍ وَغَرْبٍ لتعزفُ (لا تخفُ) تُطْرِبُ صِحَابًا (٥)

* * *

ومِنْ صَدْدٍ لَمِكَ التَّكْبِيرَ صَعَدْ وَبِالأُكْسِيرِ تُرْبُكَ فَلْتُجَدَّدُ وَمِنْ صَدْدٍ لَكَ التَّخِيدَ وَ وَذَاتَكَ فَامْلِكَنَّ تَعِشْ سَعِيدَاً لِنَفْسِكَ هَدْدِهِ الأَفْدَارَ حَدَّدُ

⁽١) أفعم: ملأ.

⁽٢) الصفاة: الصخرة.

⁽٣) أسبل ذيله على الشيء : أهمله وتناساه .

⁽٤) الخمُّير : السكير . ويطلق على الصوفي الذي انتشى بالعشق الإلهي .

 ⁽٥) يشير إلى قوله تعالى في سورة طه ﴿ قُلْناً لَا تَغَفّ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ والخطاب من
 الله تعالى إلى موسى حين تفوق على السحرة وأبطل كيدهم .

بِتِلْكَ السذاتِ شَارَفْتَ الكَمَالَا إِذَا مَا قُلْتَ ذَاتِسِي لِسِي مَتَاعُ وَأَنْتَ السَدَاتُ يَوْماً إِنْ تُشَاهِدُ وَأَنْتَ السَدَاتُ يَوْماً إِنْ تُشَاهِدُ وَيَلْكَ السَدَّاتُ إِنْ خَرَبْتَ عَنْها

وَإِلَّا كُنْتَ للعبدِ المِثَالَا فَنِسْيَانٌ لَهَا لَلْعبدِ المِثَالُا أَنْ فَضِالًا فَنِسْيَانٌ لَهَا لَيْسَ الحَالَالَا (١) تَقِيرُ كَجَوْهُ وَهِي البَحْرِ رَاقِدْ فَاأَنْتَ لاَجُلِ هَلْكِكَ مَنْ تُجَاهِدْ

كَشَفْتَ السَّرَ عَنْ وَجُهِ المَصَائِرُ وَمِمَّا قُلْتَ إِنْ أَضْمَارْتَ شَكاً

بِنَهْجِ المَصْطَفَى سِرْ يَا مُسَافِرْ^(۲) فَمُتْ يَا مَنْ شَكَكُتَ وَأَنْتَ كَافِرْ

* * *

لِتُسزكِ فَتَّحُسوا مَسا أَوْصَدُوه وَفِي مِضرَ أَسَاسٌ وَطَدُوه تَمَسَكُ إِنْ ظَفِرْتَ بِلَيْسِلِ ذَاتٍ بِغَيْسِ السَّذَاتِ ذَا لَسمْ يَعْهَدُوه إِذَا قَسوْمٌ رَبِيعُهُسمُ تَسوَلَّسى فَعِطْرُهُسمُ التَّوَهُسمُ لَيْسَ إِلَّا وَتُنْبِتُ أَرْضُهُ مَ زَهْرًا وَلَكِنْ تُشَاهِدُ لِللَّذُبُولِ عَلَيْهِ ظِلَّا

وُلَاةُ الأَمْـــرِ مِـــنْ رَبِّـــي لِشَغــــبِ وَلَكِـــــنْ لَا يُحِــــبُّ اللهَ شَغبَـــــاً

مِنَ الرَّاذِي كِتَابَ اللهِ فَافْهَم

وَلَكِنْ لِنَى كَلَامٌ فِينِهِ فَسَانْظُنْ

زِمَاماً يَمْلِكُونَ لِكُلَّ أَمْسر بِهِ الفَلَّاحُ يَسزْرَعُ كَنِي يُلَبِّي

* * *

وَمِنْـهُ النُّـورُ خُـذْ فَـاللَّيْـلُ أَظْلَـمُ أَلْكَـمُ أَنْخيَـا بِـالفُـوَادِ وَمَـا تَضَـرَمْ (٣) ؟

⁽١) يوجه الخطاب إلى المسلم.

⁽٢) النهج : الطريق . وإن أريد بالكلام خلاف ظاهره ، فالمسافر في الاصطلاح هو من سافر بفكره في المعقولات والاعتبارات فعبر من الدنيا إلى الآخرة .

⁽٣) تضرّم: احتدم غيظاً .

الذاتية

لِلْهَ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَهُلَ المُسَوِّدِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللَّا الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّاللَّمُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ ا

* * *

جَهُولٌ ، عِلْمُ هَذَا القَلْبِ ، فَاعْلَمْ طَرِيقَكَ مِثْلَ مَنْ سَبَقُوكَ ، فَاعْلَمْ تَمَكَّنَ مُـؤْمِـنٌ مِـنْ كَثْـفِ سِـرٌ بِـلّا مَـوْجُـود إِلَّا الله ، فـاعلـم(٢)

* * *

بقَلْبِكَ مَا اختَفَى هذا اللهاب مِن الإسلام ما للنور باب طريق الذات فانضحها بماء لبحر لا يرى فيه العباب(٣)

⁽۱) لإقبال فرط اهتمام بالذات أو الذاتية ويجعلها من أهم مقومات فلسفته ، فعنده أن الذاتية جوهر الحياة وأس نظامها وهي تستمد كيانها من تحديد الرغائب وتخليق الأماني . وهذا باعث على العمل في دوام . وينبغي للإنسان أن يعرف مواهبه الكامنة في فطرته ويعتمد على ذاته وحدها . وقوة الذات هي معنى الحياة والغاية منها وبها جمالها وجلالها . الصيود : الكثير الصيد . القمران : الشمس والقمر . الوهق : حبل يطرح في عنق الدابة لصيدها به .

⁽٢) يلّمح إقبال إلى وحدة الوجود وهي أنه لا وجود في هذا الكون إلا لله وكل ما فيه صورة منه ، وذلك كالماء الذي يتشكل في صور شتى كالندى والثلج والبرد وهو ماء واحد لا وجود لسواه .

⁽٣) نضح بالماء : رش وبل . والعباب : الموج .

أنا الحق

أَكَانَ لَهَا الصليبُ مِنَ الجَزَاءِ؟! وَيَبْطُلُ عِنْد قَوم بِالإِبَاءِ(١) (أنا الحقُ) ذِي مَقَامِ الكِبْرِيَاءِ فَهَذَا جَائِدٌ فِسِي رَأْي فَسِرْدٍ

* * *

يَجُودُ دَماً لِغُصْنِ فِيهِ رَطْب تَجَلَّسى فِسي سَمَواتٍ لِقَلْسب

أَلْيُسَتْ فَوْلَةً لَاقَتْ بِشَعْبِ أَلْيُسَتْ فِيهِ قَدْ أَخْفَى جَمَالًا

* * *

فَلِلدَّارَيْسِ قَدْ كَانَ الإِمَامَا عَلَيْهِ النَّومَ يجعَلُهُ حَرَامَا^(٢) وَدُنْيُساهُ الهشِيسمُ وَكَسمْ يَهُسون وَتَأْتِي بَعْدَ كُنْ دَوْماً يَكُونُ^(٣) وَيَسْنَ العَالَمِينَ سَمَا مَقَاما وَلَهُ يَمْسَهُ فِي خَلْقِ لُغُوبٌ سَعِيدُ القَلْبِ تَشْهَدُهُ العُيدونُ يُبِينُ بِهِمَّةٍ مَعْنَى أنَا الحنْ

非非常

وَيَــرْمُــنُ عِشَــهُ وَالعُــشُ نــاءِ

جَنَاحٌ مِنْهُ يَخْفِسَ فِسِي الفَضَاء

- (۱) الحلاج: هو الحسين بن منصور ذلك الصوفي الذي ذاعت شهرته في الآفاق بشططه وغلوه في تصوفه، وكان شديد الحرص على نشر تعاليمه بين سواد الناس وهو في ذلك يختلف عن الكثرة الكاثرة من شيوخ المتصوفه الذين كانوا يميلون إلى الكتمان والضن بعلمهم على غير أهله. وقد قال الحلاج بالاتحاد ولكن مع بقاء كل عنصر من عنصريه على حاله، واتهم بالكفر لقوله (أنا الحق) وصلب عام ٣٠٩ هجرية . وقد أوردنا قوله بسكون القاف كما ينطق في الفارسية ، وفي رأي أن الحلاج حين قال (أنا الحق) كان مؤمناً بأن الله في قلب المؤمنين الذين يتخلقون بأخلاقه وبفضل من ذلك يصبح المؤمن (هو هو) .
 - (٢) اللغوب : التعب يقول إن رغبته في التخليق تحرم عليه أن ينام .
 - (٣) السعير : النار .

وَفِي وَهَدَ لَدُ القَمَرَانِ صَيْدٌ وَطَوعُ يَمِينِ مُ كُلُّ السرجَاءِ(١)

* * *

وَصَفَّراً كَانَ فِي مَرْجِ مَهِيبَا فَقِيدٌ مِسنْ غِنَسى نَالَ النَّصِيبَا وَنُورُكَ صُبَّ فِي جُحْرٍ وَقَصْرِ وَقُلْبُكَ فِيه (إلا الله) تَسْرِي^(٢) بِبُسْتَ ان تَ رَاهُ العنْ دَلِيبَ ا أَمِي رُ فِي فِي قَدْ يَبْدُو فَقِي رَأَ إليك الكَاسُ أُفعِمُها بِخَمْرِ وَنَالْ مِن غُصْنِ مَنْصُورٍ ثِمَارَاً

* * *

الصوفيُّ والمُلَّا

هــوَ المــلا ، عَبُــوس والكتَــاب وقِشــرا لا يَمِيــزُ مِــن لُبَــاب بِبَيْــتِ اللهِ يَطُــرُدُ فِــن لُبَــاب وَذَلِكَ لَيْسَ بِـالشَّـي العُجَـاب (٣)

* * *

دٌ وَدَيْ رَا وَلِلصَّوفِيِّ لَمْ يَكُ أَيُّ ضَيْرُ (٤) الآنَ هَـذَا جَـوَاباً لَـمْ يَحِـرْ وَدَعَا بِخَيـرْ! أَسَنْ جَهَنَّـمُ ومِنْـهُ كَافِـرٌ فِـي القَـوْلِ أَحْسَرُمُ إِنْ دَرَاهَـا وَقَالَ (جَهَنَّـمُ لِسِوَايَ فَاعْلَمُ »

بِبَيْ تِ اللهِ صَيَّا لَهُ وَدَيْ رَاهَا وَدَيْ اللهِ صَيَّاتُ الآنَ هَا الآنَ هَا الآنَ هَا الآنَ هَا الآنَ هَا الآنَ هَا الآنَ عَالَ اللهُ عَالَ اللهُ عَالَ اللهُ عَالَ اللهُ عَالَ اللهُ عَالَامٌ حَالَامٌ حَالَامٌ مَا إِنْ دَرَاهَا

⁽١) الوهق: حبل يطرحه الصياد في عنق الدابة لصيدها.

⁽٢) منصور: الحلاج وفي الأصل (لا غالب إلا الله) .

 ⁽٣) يريد ليقول إن المتزمتين الجامدين لا يفقهون قوله ويتهمونه برقة الدين .

⁽٤) يريد الغربي . ويشير إلى الصوفي في تجادله وعجزه عن دفع عادية الأجانب ، كما يعيب على الشيخ رضاه بالأمر الواقع وعدم الوقوف في وجه المعتدين على حرمة الدين وكرامة المسلمين .

مسرِيدٌ كسانَ ذَا رَأْي سَدِيدِ الرَّرْقَ مَوْتٌ ، مِنْ تُرَابِ

لِشَيْخِ فَاهَ بِالقَوْلِ الشَّدِيدِ تَكَوَّمُ فَوْقَ هَاتِيكَ اللَّحُودِ »

* * *

المشل واستمع لي باهتمام
 فمنه الحلس خليل للأنسام
 وفسي القرآن للعيش الكثيس
 ومن ﴿ ياسين ﴾ بُغيتُك الحفير(١)!

لِشَيْسِخِ كَسَانَ ذَا قَسُوْلُ الغُسلامِ لِشَيْسِخِ كَسَانَ ذَا قَسُوْلُ الغُسلامِ لِهَسَدُا العَصْسِوِ نَمْسُرُودٌ جَسِدِيسَدُ المِسَلِّ أَوْ لِصُسُوفِسِيُّ أَسِيسِرُ المَيْسَالُ الْمُرْكُسِتُ شَيْسًا أَذْرَكُسِتَ شَيْسًا

* * *

وَنَفْسَكَ دَعْ إِذَا غُيِّرتَ وَالْهُرُبُ وَفِي المَاضِي قِيَامَاتِ لِتَطْلُبُ

لَكَ القُرْآنُ كَالمِرْآةِ فَانْصُبْ لِمَا قَدَّمُتَ مِدْرَاناً لِتَصْنَعْ

* * *

كَـــــلَامُ الله ِقــــالَا بِــــالتَّمَـــامِ فَحَـارَ الـروحُ بِـلْ خَيْـرُ الأَنَـامِ^(٢)! عَلَى الصَّوفيِّ وَالملَّا سَلاَمِي وَلَكِ سَلاَمِي وَلَكِ سَلاَمِي وَلَكِ سَلاَمِي وَلَكِ مَا الْوَلاهُ

جَلَالُ الدِّينِ الرُّومِيِّ

ترشَّفْ يَا نَدِيمَ الرُّوحِ خَمْرًا لَهَا كَأْسٌ تُسَاوِي مُلْكَ كِسْرَى

- (١) يدعو إقبال إلى النظر في القرآن الكريم وتدبر آياته البينات التي تهيب بالناس ليحيوا حياة حرة كريمة وتهدي إلى ما تصلح به الدنيا والدين ، وفيها الوازع عن حياة الخمول والجمود ويسخر ممن لا هم له إلا سورة ﴿ يس ﴾ فقد جرت العادة بقراءتها في المقابر . والحفير : القبر .
- (٢) الروح : سيدنا جبريل . وخير الأنام : هو المصطفى صلوات الله وسلامه عليه . وإقبال لا يرتضى تفسير القرآن تفسيراً سطحياً .

ولِلسِرُّومِسِيُّ أَشْعَسَارٌ رِقَسَاقٌ فَلُدُ بِحِمَى فُوادِكَ حِينَ تَقْرَا

وَفِي كَاسَاتِهَا لَوْنٌ تَورَّدُ بِهِ السَّاقُوتُ يُصْبِحُ كُلَّ جَلْمَدُ (١) وَفِي يُصْبِحُ كُلَّ جَلْمَدُ (١) وَقِلْبُ الْأَسْدِ تَمْنَحُهُ غَرْالًا وَمِنْهَا الوَسْمُ عَنْ نِمْرٍ تَبَدَّدُ

وَفِيهَا سَوْرة مِنْهَا نَصِيبي فَشَاهِدْ فِي الحِمَى إِنْ شِئْتَ ظَبْياً حَبِيبَ خَبْهُ كَانَ احْتِراقِي حَبِيب حُبُّهُ كَانَ احْتِراقِي جَمَالُ العِشْقِ مِنْ نَاي لَدَيْهِ جَمَالُ العِشْقِ مِنْ نَاي لَدَيْهِ

دُجَايَ سَنَا بِكَوْكَبِهَا العَجِيبِ(٢) بَدَا فِي بَسْمَةِ الأَسَدِ الغَضُوبِ^(٣) وَمِنْهُ الوَصْلُ يَنْطِقُ عَنْ فِرَاقِ تَسزيَّسن مِسنْ عَسلاء بِسائتِسلاقِ

* * *

وَلَـي عُقَـدِي ، فَحَـلَّ بِمَا يَشَاء وأَسْمَعَنِـي لـه أَنْغَـامَ نَـاي

غُبارٌ فِي طَرِيقِي الكِيميَاء (٤) فَفِي سُكُرِي وَفِي عِشْقِي رَجَاء

* * *

كَمَا خَلَقُوا لَهُمْ دُنْيَا بِتُرْبِي⁽⁰⁾
فَبِي مَا حَقَّقُوا مِن صُنْعِ شُهْبِ
وَرَاءَ البِدْرِ يَنْظُرُ فِسِي مَجَالِ
لهُ الأَنْفَاسُ تَخْفِقُ فِي اتَّصَالِ⁽¹⁾

وَهَا قَدْ فَتَحُوا بَاباً لِقَلْبِي وَمِنْ فَيْضِ لَهُ نِلْتَ اعْتِبَارًا فَيُسِنْ فَيْضِ لَهُ نِلْتَ اعْتِبَارًا نُجُومَ الأُفْقِ جَالِسْ بالخَيَالِ فَقَدَّمَ قَلْبَهُ الضَّاوِي إِلَيْهِ

⁽١) الجلمد: الحجر . والوسم: أثر الكي .

⁽٢) سورة الخمر : شدتها . الدجي : الظلام . السنا : الضوء .

⁽٣) الحمى: هنا حرم بيت الله .

⁽٤) الكيمياء: ما كان يضعه القدماء على المعادن لتحويلها إلى ذهب.

⁽٥) الترب: التراب.

⁽٦) الضاوي: المنهوك الضعيف.

يُثِيسِرُ بِفَقْسِرِهِ حَسدًّ الأَمِيسِرِ مَقَىاماً نِلْتَ يُدُنِي مِنْ حَفِيرِ^(۱)

عَن السرُّومِسيِّ خُدْ سِرَّ الفَقِيسِ وَفَقْسِرٌ ذَاكَ لكِسنْ مِنْسهُ فَساحُدْز

تَمُدُ الكَفَّ فِي طَلَبِ العَطَاءِ سُرُورًا مِنْ مَقَامِ الكِبْرِيَاء سُرُورًا مِنْ مَقَامِ الكِبْرِيَاء وَيَسْعَدُ مَنْ بِذَيْلِي قَدْ تَعَلَّقُ (٢) سَنَائِسي نَالَ وَالرُّومِيّ يُحْرَقُ

وَعَسنْ ذَاتِ إِلَهِسي وَهُسوَ نَساءِ وَلِلسرُّومِسيُّ عَيْسنٌ حَقَّقَستْ لِسي رَحِيتَ لِسي رَحِيتَ طُابَ مِن كَرْمِسي تَدَفَّقْ نَصِيبِي كَانَ مِن كَرْمِسي تَدَفَّقْ نَصِيبِي كَانَ مِن لَهَبٍ قَدِيمَا

* * *

إلى مصر

عُبَابَ النَّيلِ فِي خَفْقٍ أَثِيرِي (٣) عُبَابَ النَّيرِي (٣) المُعَرِفُ بِالفَقيرِ »

رِيَاحَ البِيدِ وَافِينِي وَسِيدِي وَأَدِي القَوْلَ عَنْ عُمَدٍ فَقُولِي

* * 4

رَ فَقْرِ لَــهُ تَــاجٌ ، فَكَــانَ دَوَام أَمْــرِ وَفَقْـرِ بِغَيْـرِ الفَقْـرِ مُلْكُــكَ عِنْــدَ قَبْـرِ

وَمَا تِلْكَ الْخِلْافَةُ غَيْرَ فَقْرِ تَمَسَّكْ يَا فَتَى دَوْماً بِفَقْرٍ

⁽۱) يتلاعب الشاعر بالكلمة الفارسية (سربز يرى) وتحمل معنيين: الطاعة والخضوع، والنكس أي القلب على الرأس وجعل الأسفل الأعلى. فكأنه يريد ليقول: أن تلقي الفقر بالمعنى الصوفى المطلق يعرض للتهلكة. والحفير: القبر.

⁽٢) الرحيق: الخمر، والكرم: العنب.

⁽٣) العباب : الموج . وعنوان هذا القدر من الرباعيات في الأصل باسم أحد الملوك .

وَتِلْكَ اللَّاتُ يَوْماً مَنْ يُشَاهِدُ وَهَا قَدْ طَافَ فِي خَلْتِ كَثْيرٍ لِعَقْلِكَ أَوْ لِقَلْبِكَ فَابِيغِ بَابَا إلى الحاجاتِ فلتسلفُ سبيلًا

يُقِمْ فِي الغَدِ للدُّنْيَا القَوَاعِدُ
بِخُلُوتِهِ بِـذَاتٍ ، وَهُـوَ قَـاعِـدُ
وحـذُ مـنْ شيخ حاناتٍ شرابَا
لتطـرخ مظهـراً واطهــرْ لبـابَــا

ونِي عمل ونِي نصبِ تمادتُ(١)

إذا بسيــوفهــا ضــربـــأ أرادت

* * *

وتسعددُ أمدةٌ للداتِ عدادتُ سَيلمعُ نورُها فِي الأفقِ شرقاً

* * *

ومَالَّحُ من الأتراك طرّب إذا لم أستطع في البحر سيراً بملك الأرض قد مزجوا ثرانا لنادينا بعمق المذات شاهد

بذوبِ الوردِ منه الخدَّ رطِّبُ (٢) فلِي الطوفان أقهرهُ وأركبُ بآياتِ الإمامةِ هلْ تَرانا (٣) بهذا القلبِ حبّاً مِنْ ذُرانا (٤) ؟

* * *

وأسرارَ اليقينِ إذنْ عرفتًا عن الاثنينِ عينكَ هل كففتًا لمصباحينِ مُلكاً هل أَلفتًا لمصباحينِ مُلكاً هل أَلفتا

النصب : الإعياء .

⁽٢) يضرب شعراء الفوس بالترك المثل في الحسن . مثال ذلك قول الشاعر الفارسي حافظ الشيرازي :

⁽ لو اكترث هذا التركي الشيرازي لحالنا ورعى جامينا لوهبت خاله الأسود بخاري وسمرقند) .

⁽٣) الآيات: العلامات.

 ⁽٤) ذرى الحب: نثره. وفي الأصل ذرى الدنيا حباً في قلب المليك.

ختبار خلقت لك السماء من الغبار ب منه تُضيء الشمس في وضح النهار (١)

وإن عـــرَّضــتَ ذاتــكَ لاختبــارِ شــرارُ الشــوقِ طَــيُّ القلــبِ منــهُ

شعراء العرب

لياقبوت الشفاهِ البخسِ منِّي (٢) جعلتُ الليلَ لِي فجراً يغنِّي

وقىلْ للشاعرِ العربيِّ عَنَّي قَبِّي قَبِّي قَبِّي قَبِّي قَبِي قَبِي النور بالقرآنِ حَتَّى

* * *

ترابي ما يراهُ الناسُ قصرَا^(٣) عباباً ، ثارَ فِي النَّكِباءِ بَحْرَا^(٤)

وفِي الأرواحِ قَــدُ أذكيــتَ جمــرَا غــديــرٌ ســاكــنٌ حــركــتَ فيــهِ

* * *

أترسم صورة ؟ لا يا غرير وروضتُنَا خفقت بها جناحًا تُرابٌ نحسنُ ذُو قلسبِ كثيب وهَلذَا النبع فجسره بسِحسرِ

لتعملُ ما يجبُّذهُ الضميرُ (٥) حنيفاً خُص بالقبَسِ المنيرُ (٦) وطَلُّ ظلَّ فِي الغصنِ الرطيبُ جوانعُ مسلم حرمَ القليبُ (٧)

⁽١) الخطاب إلى المسلم.

⁽٢) بخسه حقه: نقصه إياه. يقول: إنه لم يقل شعراً في الغزل ، فما تغزل في الشفاه ولا شبهها بالياقوت.

⁽٣) أذكى النار: أضرمها.

⁽٤) النكباء: الريح بين الريحين .

⁽٥) الغرير: الناقص التجربة.

⁽٦) القبس: شعلة تؤخذ من معظم النار.

⁽٧) القليب: البئر. والمقصود بها بئر زمزم.

حَنِيفٌ شبه ربى في الصفاتِ بنورِ الله ِ تشهددُ فيده حسناً

ويحـــوي قلبُـــه أســـرارَ ذاتِ لـــه أصـــلٌ بقلـــبِ الكـــائنـــاتِ

لتمنيخ ذاته نيوراً وَنَاراً ونَالاً وذاكَ اللحن فلتعنون بفيض وذاكَ اللحن فلتعنوف بفيض لغيركَ ينبغني للقلب حسرتُ وذاتٌ أنت تنكرها لشعب

ليصبح ليله الداجي نهارًا فَذَلُكُ ذُوقُ تبديلٍ أثارًا ومثلُ خفوقِ قلبِ سواكَ خفقُ (ونحن الشعبُ) قولٌ منكَ حقَّ

* * *

* * *

لتحفظ ما بِصلصال لديكا فكم من نشوة حامث عليكا لهاذا أو لذاك الدن خلو وقلبُك قدم الصهبَا إليكا() وهَذا الليل يوحِشُنَا بفَدْفَدْ فأين الماء والشحرورُ غرد () وليس يضيء رهبان سِرَاجاً فشمس الصبح حتماً سوف تشهد

وفِيمَا تُخْبِى عَلَى الْأَيَامُ فَكُورُ وفِيمَا تُخْبِىءُ الْأَيَامُ فَكُورُ وفِيمَا تُخْبِىءُ الْأَيَامُ فَكُورُ وسِرْ مثلى بصحراءِ الحمي سِرْ لأنَّاكَ عمن ذاتِكَ قَدْ تُقَدِّرُ

⁽١) الدن: جرة الخمر. والصهباء: الخمر.

⁽٢) الفدفد : الصحراء . الشحرور : طائر حسن التغريد .

يا بنَ الصحراءِ

تنيسرُ البيسدَ بسالفجسرِ الجميسلِ ويَصدحُ طائسرٌ بيسنَ النخيسلِ (۱) « خيامُكَ يا فتى الصحراءِ دعْهَا أيمكنُ أنْ تعيشَ بلاً رحيلِ ؟ »

* * *

وللسرُّ كُبَسانِ مِسنْ عسربِ دليسلُ فمحنةُ ربهم فقرَّ طسويسلُ (٢) وهسذًا الفقرُ الشيالُ الفقرُ الذليلُ

* * *

شهــذُنَــا الصبــحَ فِــي ليــلِ مبينَــا تجلّــتُ فيـــهِ أنـــوارٌ لِسِينَـــا^(٣) صَححنــا مــنُ ريــاحِ البيــدِ روحــاً فمنهَــا القـــومُ كــانـــوا القــادِمينَــا

* * *

وما يدريكَ أنَّ المغوارَ فِي هذًا الغبارِ

رضاكَ وذلكَ التسليمُ مـذهـب وعـن نهـج لصـدق أيـنَ تـذهـب وشعـري لا تفسّـر بـاجتهـاد جنوني فِي حِجَايَ لديكَ مكتب (١٤)

⁽١) الكلام منسوب إلى الطائر.

⁽٢) في الأصل أن الله جعل العربي دليل القافلة .

⁽٣) الْإِشارة إلَى قوله تعالى في سورة طه ﴿ وَهَلَ أَتَنْكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿ إِذْ رَوَا نَازَا فَقَالَ لِأَهْلِهِ اللهُ اللهُ اللهُ وَهَلَ أَتَنْكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿ وَهَلَ أَلنَّا لِهُ اللهُ اللهُ

⁽٤) الحجى: العقل. المكتب: المدرسة.

وهــذَا المسرجُ أَقْفَـرَ مــنْ جنــونِـي وفِـي بلــدٍ أصيــحُ ومــنْ صيــاحِـي

وأصبح كالغىريىبِ بىلاً خَـدِيـنِ جنــونٌ ظــلً كــالعقــلِ الــوزيــنِ

* * *

ربيعِي منبت في الفَجْرِ زَهْرِي المُتَالِي أَبْقَدِي وَحِيداً أَتَدركنِي المُشَّدتُ كالغبارِ فطوبَى لي ويا بُشرَى فُوَادِي

وَإِنَّ مُحْرِقٌ زَهْرِي بِجَمْرِي وزهْرِي ليسَ يدخلُ تحتَ حَصْرِ على النسماتِ مسلوبَ القرارِ فمِني فارسٌ يبدُو بغَارِ(١)

* * *

يسودُ القسومَ فِسي زمسنٍ يَضِيسرُ للديهِ السروُ مسنُ أسرادِ غيب

ويظهــرُ فيهــمُ البطــلُ الشهيــرُ(٢) أُكُــلُ ثــرى بــهِ بطــلٌ جَسُــورُ

* * *

إلى الطوف إذ أدَّث سافياتي (٣) وإلّا من دمِي رُسمتْ شِياتِي (٤) وَرَاحَ منسي بهذا الكرم أَفْحِمُ صغيرٌ من بحارِ البحرِ أعظمُ

خففت كموجة في موج ذاتي ومَا شاهدتُ لوناً مشلَ هَذَا دِنانَ الخمرِ بالنظراتِ أفعِم ومن طوفانِهِ أمْسَى غديرٌ

* * *

زِمَامَ الـركـبِ يــومــاً إِنْ تسلَّـم فقدْ كشفَ الخفا عن كلِّ مبهَـمْ وأظهــرَ مــنْ بــافـــلاكِ جِهــارًا سمــواتِ بهَــا مــا كــانَ يهتَــمْ

⁽١) طوبي له : الخير والحسني له . الغار : ما يكلل به رأس المنتصر من ورق الكرم .

⁽٢) يضير: يؤذي.

⁽٣) السافيات : الرياح .

⁽٤) الدمى : الصور والتماثيل . الشيات : الألوان .

ألم تلد الأمير رفيع شانِ وأخجلُ منه حوراً في الجنانِ مغيرٌ جَاءَ هيء مَا يعِيبُ البسقطة زهرة ثمرٌ يطيبُ

* * *

الجلافةُ والمُلْكُ

أنارَ بشَرقِهِ مَا كَانَ أَظُلَمُ (١) فهذا المومنين الملكَ علَمُ (٢)

بنــور للنبــي القلــبُ أضــرَمْ ولكــنَ الخِــلافَــة وســطَ تيــهِ

* * *

ونشهد أننَا نَسْمُو مَقَاما وهذا الملكُ قدْ كانَ الحرامَا^(٣) خداعٌ كُلُه ، بل كل مكر وترعَى عهدَ ربّي والذَّمَامَا^(٤)

* * *

نــزاعٌ فيـــهِ ملــكٌ والكَلِيــمُ ومـن أكــدَى وأعــوزَهُ كَلِيـمُ (٥) هي الأقدارُ تجري كيفَ شاءتُ فعصفُ الريحِ ما وهبَ النسيمُ! هـوَ الإنسانُ فِـي البدنيا غـلامُ وليـس لِمَـا يــزاولُــهُ تَمَـامُ لفقـرِ عظيــم قـوم كنـتُ عبْـدَاً لـديـهِ الملـكُ فِـي ديـن حـرامُ

⁽١) يقصد العربي .

⁽٢) إقبال لا يرتضي الخلافة إذا كانت كالملك .

⁽٣) الخلافة هي التي تشهد .

⁽٤) الذمام : الحرمة والحق .

 ⁽٥) أكدى: افتقر. والكليم: البساط أو الثوب الخلق في الفارسية.

ومنــهُ السكــرُ تقـــدِيــراً يَـــرُومُ بتـــربيـــبِ لأشـــواقٍ يقُـــومُ(١)

* * *

التركي العثماني

بقلب قد وعنى أمسَى بصيرًا لسحر طِلَسْمِهم بَقِيَ الأَسِيرَا بملك واسع أضحَـــى أميـــرًا يظــلُ مــنَ الفــرنجــةِ فِــي قيــودٍ

ومَا شَغلُوا بِعَهْدِهِمُ قُلُوبَا(") تحددًى قبلَهم قدومٌ خطوبَا

لمن قد أبطَلوا ذا السحر طوبَى بذاتِكَ فاعترف واليأسَ جانبُ

* * *

ونالُوا بغتة أعلَى المراتب لقد كشف المصير له الأجانب

بهم قَدْ حقَّقَ التركُ الرخائبُ اليسسَ لمسلم عيناً بصير ا

* * *

(١) تردد ذكر « عبده » في ديوان « رسالة الخلود » لمحمد إقبال وهو القائل تحت عنوان « الحلاج » :

نفسه سمسى النبسي عبسده إنه الإنسان وهمو الجموهمر بالفيافي الخصب منها قد ظهر عبده فيها انتظار المنتظر عبده فيها معان مغلقات (ص٢٠٢-٢٠١)

عفر العالم خداً عنده عبده عبده عبده فهما لديك تبهر عبده قد شكلت هذا القدر غير عبد عبده فلتعتبر عبد عبده الكائنات

(٢) طوبي لهم: الخير والحسني لهم.

فتاة المجتمع

من الكفَّارِ تـزييـنٌ أيجمـلُ؟(١) فإنَّ الغزوَ من عينِ السَّأْمُـلُ (٢)

فتاتِي دعكِ من هنذًا التجمُّلُ وصـدِّي القلـبَ عـن تــوريــدِ خَــدُّ

لسروح من جسراحسات قسوام (٣)

لكِ النظراتُ من ربِّي حسامُ ومنهَا يستمددُ القلبُ شيّاً فماءٌ للحياء هدوَ المرامُ

علَى حسن تَفتَّحَ منهُ بابُ عليم فسي تجليم الحجاب أمين قلبه المكنات فليسس لأي أمر من تُباتِ

ضميـرُ العصـرِ ليـسَ لـهُ نقـابُ بنـــورِ اللهِ دنيَــا فلتُنيـــري ويصلح عيشنا بالأمهات وهــذا إنْ يغــب عــن فكــر قــوم

وهــلُ مــنُ مكتــبِ غيــرَ الفنــونِ

أصَبْنَا العقل من ذاك الجنون ومَا فِي مَكْتب عينٌ وقلبُ

ويسعمد مُمن رأوا بالمواردات

قيامات بتلك الكائنات (١٤)

يجمل: يحسن. (1)

يقول: إن الحسناء تغزو قلب العاشق بعينها. **(Y)**

قوام الشيء: نظامه وأساسه. **(**T)

الواردات : حلول المعاني بالقلب ، وما يخطر عليه بلا تفكر ولا تدبر . (1)

لهمة أبدى جبين الأمهات ليفنى الأمهات ليفنى الناس طُرّاً قبلَ دفنيك (١) ليبقَى شبرٌ في دفء حضنك (٢)

وما قد فَاتَ أو ما سوفَ يأتِي ونُصحي فاجعَليهِ مل، أذنكُ عن العصر اختَفَى ، كونِي بتولًا

* * *

ومن ليل لنا فجراً أنيري إلى القرآن عودي بالبَصِيرِ (٣) (قرأتُ) وتعلمين لهَا أُوارٌ بهَا عُمَرٌ تغيَّرَ في كثيرِ (٤)

* * *

العصرُ الحاضرُ

وحــــرَيَـــاتُـــه وأَدُ الطغَـــاةُ وأَدُ الطغَـــاةُ وأَدُ الطغَـــاةُ

وعصر منه للدين الشكاة وعصر منه للانسان شاهت

**

ونظُـرَتُـه بهـا تصـويـرُ كفـرٍ وليـسَ كمـالُ فـنَّ غيـرَ جمـرِ

⁽١) طراً : جميعاً . يقول إذا انتصحت بقولي فإن ألف أمة تموت وأنت لا تموتين .

⁽٢) البتول: العذراء وتطلق على السيدة فاطمة رضي الله عنها، وشبر أو شبير: اسم الحسن بن على رضى الله عنه .

أى اطلبي إلى أهل النظر أن يعودوا إلى كتاب الله الكريم لتدبره.

⁽٤) يلمح إقبال إلى سبب وقوع الإسلام بقلب عمر بن الخطاب وذلك أنه دخل على أخته وزوجها فوجدهما يقرأان سورة طه . وقالت له أخته (إن كان الحق في غير دينك فأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) ودفعت إليه الكتاب فقرأ حتى انتهى إلى قوله تعالى ﴿ إِنَّنِى أَنَا اللهُ إِنَّهَ إِلَهَ إِلَّا آنَا فَآعَبُدَنِى وَأَقِيرِ الصَّلَوْةَ لِذِكْتِينَ ﴾ ثم أسلم .

⁽٥) في الأصل أن بهزاد هذا العصر أفسد نقشه . وبهزاد : اسم أشهر رسام إيراني في العصر الصفوى .

ومن تُجاره في السوقِ ضاحـذر فهـذا ميَسَّــرٌ فِــي كــلِّ أمْــرِ

* * *

شبابَ القوم هذا العصرُ أفسدُ ليه الأذيالُ تطوينَا كَنَادٍ جَمَعْنَا بينَ سلطانٍ وفَقْرِ عياداً منه بالباري عياداً

لإبليس دُجَاه الصبح فاشهد فك فك في الله المنطب المنطبان ال

أنشْــوَةُ فــرحــةِ أَمْ سكــرُ خمــرِ وليـسَ دمــاً بعــرقِـكَ وهــوَ يَجْـرِي

أرقص ذاك؟ إنسي لستُ أدرِي لتقليدِ الفرنجةِ كانَ رقص

.

البرهممي

فتحتُ لفتنة بابًا وبَابًا مشتُ ، سقطتُ ، لاقيتُ الصعاباً وبَابًا ؟(١) وُمَى للبرهَمِيُ ترين طاقاً برأسِ الطاقِ علقتُ الكتَابَا ؟(١)

له الأحجارُ يكسوهَا الصقَالَا^(۲) صلودَ الصخرِ قدْ يزنُ الجبَالَا^(۳)

أَفي عمل ونَى ؟ لا بـل أطَالًا بقـوةِ سـاعـديـهِ بـرَى إِلهــاً

⁽١) الطاق: ما جعل كالقوس من الأبنية .

⁽٢) وني : أبطأ .

⁽٣) برأ : خلق .

ويحفظُ بــزهمـــيٌّ كُـــلٌ أمـــر وقـــالَ لتبتعـــدْ عـــنْ بـــابِ غيـــرِ ومَــا تســعُ المســاجــدُ غيــرَ مُــلَّا

ولا يفضسي إلسي أحسد بسسرً بــزُنــارٍ علــى كتفيــهِ يجــرِي(١) فمن أهمل لنا نحظم بخير ومن سحر الـدُّمَـى كَـانَـا بـدَيْـرَ

التعليم

كَسُوطٍ ، والحياةُ هي النجيبُ(٢) يدومُ لقلبنَا هذا اللهيب فعلَّـــم ذاكَ أبنــاء فعلَّــم لأَنَّ كِتَسابهـمْ سِحْرٌ يَخِيـبُ

ومِنْ علم بقلب ليس حرق تسأمُّلُ متستى خيسرٌ وأبقَسى وأَصْفَى مِـنَ عيــونِ الصقــرِ قلـبٌ هــوَ المــزوَرُّ عــنُ دارَيْــهِ حَقًــا^(٣)

إلهي مدومناً لا ريب يسلو لذًا عن مكتب الخلانِ أمْضَى ألا يا حبِّذا هذا الفررير أَفَضَّــلُ جـــاهـــلًا وَرِعـــاً تَقِيـــاً

مـن الــروح الــرقيقــةِ وهــوَ يخلُــو فما صَادفَتُ منْ بالذاتِ يعْلُو(٤) إذًا مسا أخطساً النَظَــر البصيــرُ بعلم ليس يخدّ عُنِي الكَفُورُ

اطرحها: ألقها . الزنار: ما يشد به النصراني وسطه . (1)

النجيب: الفرس الكريم. **(Y)**

ازورً : مال وحاد . **(T)**

يعاود إقبال ذكره للذات على أنها أهم ما ينبغي الالتفات إليه والاهتمام به في تعليم (1) النشء.

كــأذَّ الــريــعَ تــزْجِيــهِ سَحَــابَــاً

يحمومُ عَلَمَى النجُومِ بِسلاَ انتِهَاءِ فتَــاهَ ممــزَّقــاً وَسَــطَّ الفَضَــاءِ^(١)

عَلِيــــمٌ زَانَـــهُ أَدبٌ وجـــاهــــــُلُ وَمَـــا أحببـــتُ إنســـانـــاً عَلِيمـــاً لماذًا اليأسُ مِنْ طفل صغِير ولكـــنْ مَـــنْ يعَلَّمُـــهُ لتســـالْ

كريمٌ منهُ منْ يحظَى بِحَاصِلْ (٢) وَمِـنْ أَدْبِ نَصِيبٌ غَيـرُ كَــامِــلْ إذًا ما شِئْتَ فِانْعَتْ بِالغَرِيرِ أَلِـ الْأَطْفُ الِ قُلْبُ فِي الصُّـدُورِ؟

صغيرَكَ لقُّنَانَ السدينَ علما

ليشرق سعده بدراً ونَجْمَا لزيَّنَ باليدِ البيضَاءِ كُمَّا (٣)

أوارٌ بسالسورودِ لسديسهِ طَسابَسا(٤) فعمن روح لأجمل الخبسز غَمابَما يفتح قلبنا عِطْراً وزَهْرا

غنساءٌ مِسنُ بَسلَابِسل مَسا أَصَسابَسا بِعِلْم لِيتَ شِعْرِي أَيُّ فَخْرِ إلهبي حَيِّ للدرويسش ذِكْرَى وينصبخ طِفْلَنــا نصحـــأ حَكِيمـــأ

و « إلا الله » مــن دومــاً تــذَكّــز مــن المــلَّا ومِــن درسِ تحــرَّز (٥)

تزجيه: تدفعه ، (1)

يقول: إن الأدب زينة للعالم والجاهل على السواء، ويكرم من ينال من الأدب نصيباً. **(Y)**

الإشارة إلى قوله تعالى في سورة طه ﴿ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَغَرِّجُ بَيْضَآهُ مِنْ غَيْرِسُوّهِ ﴾ (٣) وبيضاء بمعنى مشعة . ومن غير سوء : من غير عاهة .

الأوار: لهيب النار. (1)

في الأصل (لا إله) . (0)

بهذًا العلم لا تبسُط جَنَاحًا بِهِ الإنسانُ فِي عجْزٍ تحيَّرُ(١)

أتسال كيف أورد هُم بوارًا (٢) فمنه الروح يمكن أن تُضارًا (٣) ونظرتُه كليث لا تُقيم (٤) ومَا إنْ يسَرَ الورق الجميم (٥)

وإنْ لسصٌّ علسى رَكْسبِ أغسارَا فسلاً تسأمسنْ إذا حصَّلْتَ عِلماً فتسىً راقستْ فَصَساحتَهُ وسِيسمُ وفسي درسٍ تلقسنْ عِلْسمَ شَساةٍ

الهِ ي قسال إنسي لا أرّاهُ (٢) بعُسْرَتِه ليشهد مَن بَسرَاهُ (٧)

وسَقَـــ أي شـــي؛ مـــا دَرَاهُ فقــالُ أبــوهُ قَــدُ يُمنَــى بَعِيــرٌ

السعْيُ في الرِّزْق

أَمِنْ سطح إلى سطح تطير بهدنا مَا سَمَتْ قَطُّ الصَّقُورُ إِمَا مَا سَمَتْ قَطُّ الصَّقُورُ إِلَى المَانَ صَيْدُكَ بَعْضَ رِيشٍ فخيرٌ منْهُ موتٌ في الوكُورُ (^)

 ⁽١) في الأصل : هذا العلم يسلبنا عيننا وقلبنا ويدنا .

⁽٢) البوار: الهلاك.

⁽٣) تضار: تصاب بالضرر والأذى .

⁽٤) يشبه نظرته في دوام حركتها بأسد جوال لا عرين له .

⁽٥) الجميم: النبات.

⁽٦) السقب: ولد الناقة.

⁽٧) يمني : يبتلى . براه : خلقه .

⁽A) الصيد : الفريسة . الوكور والأوكار : جمع وكر وهو العش .

للذاتك نظرة في كمل أمر لنا مِنْ نَظْرة سوطٌ لنَجْرِي وَمَا نَظْرة سوطٌ لنَجْرِي وَمَا نَشْعَمَى وَرَاءَ الله كرراءَ الله الكرر إلّا لكري نَعْلُو وَنَعْلُو مِثْل طَيْر

التمساح وصغيره

وللتمسياح هَـــذَاكَ الكَـــلامُ (لـزُومُ الشَّطِّ فِـي دِينـي حَـرَامُ عَــنِ الشَّـطُّ ابْتَعِــدْ مــوجــاً تَسَلَّــقْ فَعِــشْ بحـــرَنَـــا وَبِـــهِ نَنَـــامُ »

وَهَـذَا البَحْـرُ فِـي صَـدْدِ حَمَلْتَـهُ وذَا الطوفَانُ فِي حَـرْبِ غَلَّبْتَهُ (۱) ولَـوْ فِـي حَـرْبِ غَلَّبْتَهُ (۱) ولَـوْ فِـي بُـرْهَـةِ أَغْيَـا وَأَغْفَـى لَكَـانَ مُقَـاتِـلاً مَـا إِنْ قَتَلْتَـهُ

خاتمة

عن السَّاقِي وَعَنْ كَأْسِ المدَّامِ سَكَتُ وَكَانَ عَنْ عِشْقِ كَلَامِي مِن اللَّخِيَارِ فِي قَوْمٍ حَدِيثًا سَمِعْتُ لِكَيْ أَبْلُغُ بِالتَّمَامِ

بقلبكَ أَمْسِكَ أَمْسِكَ وَعَدْ لِنَفْسِكُ وَصَدْرُكَ فَلْيَكُ نَ دَارَاً لحَبْسِكُ لِتَسَانُ الْحَبْ فَلَتَعملُ بِفَأْسِكُ لِتَسَانِ الْحَبِّ فلتعملُ بِفَأْسِكُ

(١) طوفان في الفارسية بمعنى العاصفة ومعنى الطوفان في العربية . ونحن نشير إلى
 المعنيين تمهيداً لفهم التورية الممكنة .

بقَلب حوْلَ هَذَا البيتِ طُفْنَا وَمَا كَمُطَوَّف بِالبَابِ كُنَّا (١) وَمَا كَمُطَوَّف بِالبَابِ كُنَّا (١) ويَكُمُنُ بِنَنَا سَرٌ عَجِيبٌ وهَذَا الرَّمزُ عَنْ جِبْرِيلَ عَنَّا (٢)

* * *

العالمُ الإِنسَانِيُ (٣)

كانَ خُبُّ الخيرِ للمرْءِ احتِرَامَا كيفَ تَنْسى أَنَّه يسمُو مَقَامَا كانَ خُبُّ الخيرِ للمرْءِ احتِرَامَا

تمهيد

عَلَينَا فَلْتُسدِرْ كَاأُسَ الشُمُولِ ونَضَرْ لِسي رَبِيعاً فِي ذُبُولِ^(٥) وأَنْفَاس لِسي رَبِيعاً فِي ذُبُولِ^(١) وأَنْفَاساً مِنْ الأَنْغَامِ هَبْنِي أَضَرَم نَارَ نَايِي بِالأَلِيلِ^(١)

* * *

بَقِيتَ بخلوةٍ فلتَاتِ مَرَّه وَصَدْرُكَ فِي الصَّبَا فَتْحُ بِخَطْرَه

⁽١) طوف : طاف .

⁽٢) عن عنه : بعد .

⁽٣) في الأصل أن الإنسانية هي احترام الإنسان . ومفهوم الإنسانية : حب الخير للإنسان ورقة الشعور نحوه .

⁽٤) وهذا البيت في ديوان « جاويدنامه » لمحمد إقبال الذي ترجمة الدكتور مجيب المصري بعنوان « في السماء » وهو الديوان السابع من مجموعة هذه الدواوين باسم « رسالة الخلود » .

⁽٥) دارت الكأس: تناولها الشاربون الواحد تلو الآخر. والشمول: الخمر أو الباردة منها.

⁽٦) الأليل: الأنين.

مقام الريع والألوانِ دوَّى فردْ فِيهِ لهذا الطيرِ نَبْرَه

* * *

أَثَارَ السده مِنْ فِتْنَفَه ، وَوَلَّى بسلادَ الله بغسداداً مَحَساهَسا بهذا الغد كَم شَغَلوا القُلُوبَا فمسنْ فِي يَوْمِهِ أَحْيَسا دَويَّساً

لشامَ الناسِ مَنْ رَبَّى، وَوَلَّى عَلَى عَجَلُى عَجِنْكِينِ ، وَوَلَّى عَجَنْكِينِ ، وَوَلَّى عَلَى عَجَنْكِينِ ، وَوَلَّى فَهُمْ فِي أَمْسِهِمْ ذَاقُوا شَعُوبَا (١) لِيَسْعَدْ أَوْ لِيَسْمَعْهُ الطروبَا ؟

* * *

أنُحْتَ كَمَا يَنُوحُ العندليبُ بِهَـٰذَا الـرَّوضِ قَطْفُ الـرَهْـرِ حَـلَ

فَمَا للرُّوحِ مِنْ نَوْم هُبُوبُ وَلِيسَ لدَيكَ مِنْ شَوْكِ نُدُوبُ(٢)

**

بظفرِكَ حَفْرُ صَدْرِكَ ، فلْتعلِّمْ فَرُوْدَ ، فلْتعلِّمْ فَرُوْدِهُ عَمْنِ ذَاتِكَ ، فَلْتُعلِّمْ فَمَنْ لَمْ يَنْصَهِرْ كَالتَّبْرِ يُخْسِرْ (٣) يشتِّتُ مِنْهُ أَمْسُواجِماً وَيَكْسِرْ

على النَّاتِ انْطِواءٌ، فَلتُعلَّمُ تسرجِّي رؤيسةَ المسولَى عَيَانَاً عن الشكوى مِن الأيامِ أَقْصِرْ يطيبُ الماءُ فِي نَهْرِ بصَحْرِ

* * *

عَـنِ السورْقَـاءِ للفَـرْخِ الصغيـرِ ﴿ بطبع كيفَ نَحْيَـا كَـالحَـرِيـرِ ﴿ اللَّهِ عَـلَ اللَّهُ اللَّهُ اللّ فَقُـلْ فِـي نشـوَةِ الأشـوَاقِ يَـا هُـو ۚ وَخُـذْ مَـا زَانَ هَـامَـاتِ الصُّقُـورِ ﴾

⁽١) شعوب: الموت.

⁽٢) الندوب : جمع ندب وهو أثر الجرح .

⁽٣) أقصر عن الكلام: سكت .

 ⁽٤) الورقاء: الحمامة التي يضرب لونها إلى الخضرة .

هُـوِيُّـكَ مِـنْ مقامِ الكبـرياءِ وشَـاهِينَـاً أَرَاكَ تَصِيــدُ ذَاتـاً لـك البشـرى فَـذَاتـك تستـردُ حياةُ الخُلـدِ هـذِي فِـي يَقِيـنِ

وعَقَّدِتَ الجبيدِنَ لأَذْنِيداءِ(١) ولكنْ فِي شِبَاكِكَ بِارْتِماء ومِنْ فقْدِ غِندى منا تستَمِدُ وفِي حنْس لموتٍ تستَعِدُ(١)

* * *

أعــن ذات تحَجَّـبُ بــالحجــابِ وفِــي رِزْقِــي لــي التفْكِيــرُ كَفَــرْ

إليهًا حَبَّذَا يَصِوْمُ الإيسابِ وَأَنْتَ كَفَرْتَ مِنْ عِلْمِ الكتابِ(٣)

* * *

لسقب قسال هسذاك البعيسرُ لتَعْمَلُ مِثْلَنَا ، جِبْنَا الصَّحَارَى كسلامُ جهبلِ الإفرنسج قسالًا مسنَ الأعجام شَيْخٌ قسالً قولًا

« تسأمَّ لُ أنتَ لِي نِعْمَ النَّظِيرُ بسأخمَ ال لنَسا كُنَّ ا نَسِيرُ "(3) وفِي كَوْنٍ وفِي عَدَمِ أَطَ الآ(0) أبَلِّغُسهُ ، فَسألُسقِ إِلَيْسِهِ بَسالًا

* * *

لقَلْبِ تشْتَرِي الحزْنَ الوَبِيلَا(١)

غــرِيــبٌ عنــكَ يَجْعَلُــكَ القَتيــلاَ

⁽١) عفر الجبين : مرغه في التراب .

⁽٢) الحدس: الظن والتخمين.

⁽٣) يذهب إقبال مذهب المتصوفة الذين لا يرون أن النظر في الكتب وسيلة إلى العلم ، فهم على أن القلب هو مصدر المعرفة وليس العقل الذي يعد وحده مصدرها عند غيرهم . ويروى أن بعض الصوفية طرحوا كتبهم في النهر . ومنهم من دفنوها في جوف الثرى رغبة في الخلاص منها لعدم جدواها . وفي هذا المعنى قال شاعر فارسي ما ترجمته : (اغسل الأوراق إن كنت في الدرس زميلنا ، فليس لعلم العشق دفتر عندنا) .

⁽٤) جاب الصحراء: اجتازها.

⁽٥) الجهبذ: الناقد العارف بتمييز الجيد من الرديء.

⁽٦) الوبيل: الشديد.

ويَفْضُ لُ كُلَّ تَلْوِيلٍ لِشَيْخِ مع اللَّذَاتِ الجلُّوسُ وَلَّوْ قَلِيلًا

* * *

وجُرودُ ذَاكَ أَمْ هَرَاكَ مَظْهَرِ وَجُرودُ ذَاكَ أَمْ هَرَاكَ مَظْهَرِ وَعَلْمُ الغروسِ ضَمَّنَهُ كِتَراباً إليستُرونُ إليستُرونُ الفاس دع من قال عنه شرار الفاس دع من قال عنه

حَكِيهُ عِنْهَ ذَهَا الإِشْكَال فَسَّرُ ولَكِنْ لَيْتَهُ فِي العُمْرِ أَبْحَرُ (١)! ولكِنْ لَيْتَهُ فِي العُمْرِ أَبْحَرُ (١)! وبادِرْ ، دَهْرُكَ العَاتِي خَوُونُ (٢) أمِنْ فَأْسِ ؟ أَمِنْ حَجَرٍ يَكُونُ ؟ أمِنْ حَجَرٍ يَكُونُ ؟

* * *

سِسرَاجُ مُنَساكَ فِسِي كَفَيْسك أَبْسَقِ وفِي دُنياكَ فَاحْدَزْ مِنْ ضَيَاعِ

مقَامَ الهَاتِفِينَ فَنَالُ بِحَاقً بِذَاتِكَ خُذْ، دعِ الدنْيَا لِمَحْقِ^(٣)

* * *

وهَ ذَا القلبُ بَحْرٌ مِنْكَ يَسْكُنْ ومِنْ جَرَاكَ فِيهِ الدَّرُ يَكُمُنْ (3) فَيْ السَّدُّرُ يَكُمُنْ (4) فَيْ السَّدِرُ وَاحِذْ مِنْ سُكُونِ فَهِ ذَا البَحْرُ دَارَا مِنْكَ يَحْسُنْ إِلَى ذَاتٍ لَكَ الداريْنِ فَاجْذِبْ أَعَسَنْ ذَاتٍ تشسرَقُ أَوْ تَعْسَرُبْ وَلِي وَمَ ذَا النُّورُ يَسُومَ لَ الْ تُجَنِّبُ وَهِ النَّورُ يَسُومَ لَ لَا تُجَنِّبُ

⁽١) يتهكم الشاعر مرير التهكم بمن يدعي بالوجود علماً ، فيقول إنه يخرج الكتاب ليعلم الناس الغوص في البحر وهو لم يركب البحر في العمر مرة .

⁽٢) إليك الفأس: بمعنى خذ الفأس. وبيستون: اسم جبل في إيران جاء في القصص الفارسي أن من يسمى فرهاد شق في صخره طريقاً، وكان في ذلك صادعاً بأمر الملك برويز في خبر أسلفنا الإشارة إليه. والشاعر يدعو إلى الإقبال على العمل وإنجازه بقطع النظر عما يتكشف عنه من نتيجة وعدم المبالاة بالمادحين والقادحين.

⁽٣) محقه محقاً: أهلكه.

⁽٤) من جراك : من أجلك .

لنَا يَا زَهْرَةً هَا قَدْ ظَهَرْتِ وهيذِي زهرة البستانِ قالُوا

بِـوَجْـهِ الحشـنِ دُنْيَـانَـا أنَــزتِ بغضنِكِ كيفَ كَنْتِ وكيفَ صرْتِ ؟

* * *

من التبريع لا يبكِي الرجالُ وقَدْ تبكي ولكن لستَ مِنهم ومن فيي مِحْنة نَسِيَ الفناء وأنت بموته هَذا جَديسرٌ

بصرف الدهر يوماً لم يُبَالُوا⁽¹⁾ لدمع مِنْ لَظَى الشوقِ انهِمَالُ^(۲) ولوْ شهدَتْهُ في الموتِ السَّماءُ^(۳) وَإِلَّا فَلْتَمُــــــــُ مَـــوْتـــاً تَشَـــاءُ

* * *

تُسرابُكَ وَهُـوَ عـنْ روحٍ غـريـبْ عليـك بحـرقـةِ الأنفـاسِ واسعـدْ

غصونك ليسَ يرويِها صَبِيبُ⁽³⁾ فمبتهج بِها الصدْرُ الكثيبُ

* * *

غَـرِيباً مُسْعِداً كُنَّا نَـرُومُ (٥) ولكن إنْ عرفت بكم يقُومُ (١) بِرَمْيِ الشَّصِّ لا يؤذِي الخِضَمَّا (٧) بغِـلِ القلـب والكفَّيـن حتْمَا

علينَا قَدْ تكاثرتِ الغمومُ فهيِّىء فِي غد ما أنتَ تبغي فهيِّىء فِي غد ما أنتَ تبغي كريم ذاتَه والقلبَ ضَمَّا تجلّي السكرُ للنظراتِ حِدلً

* **

⁽١) التبريح : من برح به الأمر : إذا أجهده وآذاه .

⁽٢) انهمل الدمع: سال .

 ⁽٣) المحنة : بمعنى الامتحان والشدة . وفي هذا احتمال التلميح إلى من يموتون من أجل
 رأي يرونه وعقيدة يعتقدونها ومن يصيبهم الله بالبلاء ليبلوهم به .

⁽٤) الصبيب: المصبوب، والمقصود به هنا الماء.

⁽٥) المسعد: المواسى المشارك في الحزن.

⁽٦) قامت السلعة بالثمن: تعدلت به .

⁽٧) الكريم : خير الناس . والشص : حديدة معقوفة يصاد بها السمك .

هُمُــومٌ قَلْبُنَـا مِنْهَــا تَفَطَّــر ولكــنْ مَــا عَــرَفنَــا الهــمَّ يخلــوُ

ترابٌ أَصْلُهَا وضرٌ وَأَكْدَرُ^(۱) بأصلِ الفكرِ فِي عَقْلٍ تَفَكَّرُ^(۲)

* * *

إلى الأقدار لا تنسب أمُورا ولكن قلّب الدنيا ففيها مرين قلّب الدنيا ففيها مرين الحقيد فليَلْفُظ جَنانُ وليس لحقيل قليكُ من خراج

وَكَانَ اللهُ وَهَاالَ اللهُ وَهَا اللهُ وَهَا اللهُ وَهَا اللهُ وَهَا اللهُ اللهُ

لفجر من لياليم الظهررُ واعجزُ عن كلام فيه عجزاً

وَقَالَتُ للصَّبَا فِي الطَّلِّ قَطْرَهُ

مــنَ الأزهـــارِ فــي قلبــي مَــلَالٌ

لكوكبه على المداريس نورُ فعند الموت يغشاهُ السرورُ

* * *

مُنَساي إلى مسن عينك نَظْرَهُ فهبِّي كَيْ أُوَافِي العشبَ مَرَّهُ (١)

⁽١) الوضر: القذر.

 ⁽٢) يقول: إن الهم الحلو المناقض للهم المر الذي تتأذى به هو هم العقل المفكر.

⁽٣) قمره: غلبه في القمار.

⁽٤) لفظ الشيء : ألقاء من فمه . والجنان : القلب . يشبه خروج الحقد من القلب بخروج الدخان الذي لم يكن مستحب البقاء في الدار .

⁽٥) الدمقان: رئيس الإقليم.

⁽٦) وافي : أتى .

القلب

يثيرُ بهيبةِ الأمسواجِ رُغْبَا عَبَا ؟(١) حَبَابٌ فيهِ بالأفلاكِ يعبَا ؟(١)

بِــلاً شَــطً خِضَــمً كَــانَ قَلْبَــا بسيـــل مغـــرق سهبــــاً وسهبَـــا

ومِنْ خَفَقَاتِهِ رَجْعُ الأَغَانِي كَالْحُانِي كَالْحُانِي كَقَطَرِةِ زَنْبِسَقٍ تَبِدُو لَـرانِ (٢)

لهيب ، جسمُنَا موجُ الدخان ومجلِسُهُ بِـذِكْـرِ الـوَهْـنِ أَمْسَى

* * *

بصونِ اللذاتِ درويسُ يُجَاهِرُ فهذَا البخرُ قَدْ صَانَ الجواهِرُ^(٣) وقَيْداً بَعْدَ قيدٍ مَا حَطَمْتَا^(٤) إِذَا فِي صَدْرِه القلبُ افتقَدْتَا^(٥)

وينجِعُ سعبُه دَهْرَ مُثَابِرُ وينجِعُ سعبُه سَلطَاناً وَفَقْراً وصَاللًا وَفَقْراً قِسوماً مَا بَلَوْنَا يَدُومُ العقلُ لِلإنْسَانِ قَبْداً

* * *

تَقُــولُ القلــبُ مــنْ تــربٍ مهيــنِ

⁽١) الخضم : البحر . السهب : الأرض المنبسطة . والحباب : الفقاقيع التي تعلو الماء والخمر . والشاعر يريد ليقول إن الأفلاك كلها لا تساوي فقاعة واحدة في هذا السيل .

 ⁽۲) يقول: إن هذا القلب نار والجسم موج دخانها ، وهو بخفقه أشبه شيء بالقيثارة .
 الوهن : نصف الليل . ويشبه من يطربون لذكر الله ليلاً في هزتهم وحركتهم بالزئبق الرجراج .

⁽٣) أنجحه : جعله ناجحاً . وإقبال يجري على مألوف عادته في الربط بين فقر النفس وعظمة السلطان .

⁽٤) بلوت : اختبرت . حطم : مثل حطم بتشديد الطاء .

⁽٥) افتقد : فقد .

وفِي صِيدْرِ لقلب مِستَقَرِ هُنَا مَا كَانَ يَـوْماً بِالقَطِيـنِ (١)

ودنْيَا النَّرِيْنِ بِهَا تَمَنْطَتْ وَكَمْ عَفْدٍ يَجِلُ إِذَا تَحَرَّقُ (٢) وَكُمْ عَفْدٍ يَجِلُ إِذَا تَحَرَّقُ (٢) وَقُلْ لِلْهَنْدِ هَذَا مِنْ كَلَامِي بَصَحْوَتِهِ عُلَامُ الهندِ يُعْتَقُ وَكُنَّا حَفْلَ رَبِّي وَهُو حَاصِلْ لِعَالَمِنَا عَرُوسٌ وهو محمَلُ عَبِارَ مِنْ دَرَى سِرَاً بِدَربٍ ولم يكُ غيرَ هذَا القلْبِ ، فاعقِلُ (٣) عَبِارَ مِنْ دَرَى سِراً بِدَربٍ

* * *

دؤوبٌ يطلُبُ الحسنَ الغسرِيبَ خطيبٌ كانَ منبــرُهُ صَلِيبَــا^(٤) وسلطـــانٌ لـــهُ خيــــلٌ وجَيــشٌ ويعـــدمُ عنــــدَ دولتِـــهِ نصيبَـــا

* * *

ودُنْیَا القلبِ ما اتَّسمَتْ برونَیْ ومن أرض خلتْ بل من سماء ومن أرض خلتْ بل من سماء رأتْ عین ، أتَی قلب سریعَا وهاندا القلب سکیسراً یسمَّی

وما يبدُو بها حِجْرٌ وَجَوْسَقْ (٥) و الله هـو) تغشَّيهَا فتغْرَقْ أَرَادَ يقيس عالمنا الوسِيعَا تحسَّى مَا بِهِ حُسْنَاً بَدِيعَا

* * *

سهامُ العشقِ مِنْ عينِ تصيبُ يطيبُ الجرحُ والسرامِي حَبِيبُ بِصَيدِ القلبِ سهمُكَ فلتدَعْهُ بكلِّ الصيدِ ، منْ نَظَرِ تـؤوبُ^(١)

⁽١) المراد بـ (هنا) : هذه الدنيا . والقطين : الساكن والمقيم

⁽٢) تمنطق: شد وسطه بالمنطقة .

⁽٣) الدرب: الطريق.

 ⁽٤) الصليب: من معاني الصليب العود الذي يصلب عليه من يقتل.

⁽٥) الجوسق: القصر.

⁽٦) الصيد: اسم من صاد وبمعنى ما يصيد.

الذاتية

ومن نُقْصِ لَها كُلُّ الكَمَالُ كَمَالُ كَمَالُ كَمَالُ كَمَالُ كَمَالُ كَمَالُ لَهَا وِصَالُ

بنور الكبرياء لها اشتعال مقاماتُ الوصال لها فِراقٌ

ليزهِرَ عندهم أملٌ نَجِيحُ (١) ويعرفُ حدلُهُ ليونٌ وريححُ

ومِنْ جَدَلِ لقوم أَنْ يُسريحُوا بِسِدتُ ذَاتيعةٌ سيفاً حُسَامَا

فَكَانَتْ مَظْهراً جَازَ الحدُودَا سواهُ بمثلِهِ من لَنْ يَجُودَا يفطَّره لطيب النوم حُببُ بجسم حين يحكمُهاسيخُبُو وجُـودُ اللهِ أكسَبَها الـوجـودَا أرَاهَا جَوْهـراً منْ جَوْف بحر وطِين حِينَما يسرضاهُ قلبُ ومِن نوم بخَلْق (أنَا) سيضحُو

لنا وصلُ فِرَاقٍ فيهِ يظْهَرُ وهذي عقدةٌ للحَدلُ تنظَرُ تضيعُ جواهِرٌ منْ حِضنِ بحرٍ وليسَ لماءِ بحرٍ ما لجوهَرُ!

ومن صَدْرٍ لَـه زَهْـرٌ عُجَـابُ بِصَـدْرٍ مِنْـهُ تَحْـوينِـي رِحَـابُ^(۲) وَلِي من بَايِهِ هَذَا التَّرَابُ ولا أذري (أنا) أوْ مَا عَدَاهَا

⁽١) أراح : استراح . والنجيح : الذي تنجح أموره .

 ⁽٢) يقول : إنه لا يعرف (أنا) ولا (هو) ولكن يعرف أن (أنا) في صدر (هو).

الجبر والاختيار

سيوزَنُ كُلُّ شيء يَوْمَ حَشْرِ لدَى الإنسانِ مِنْ جُحرٍ وقَصْر فَمَاذَا فِي غَدِيا لَيْتَ شِعْرِي أَيَرْضَى اللهُ عمَّا سوفَ يَجْرِي ؟

* * *

وَلي شَيْخٌ مِنَ الرهْبَانِ قَالًا كَلاَمي ذَاكَ أَلَو إِلَيهِ بَالًا بِتَقْدِيرٍ لَكُم عمرٌ سيَفْنَى سنُقْتَلُ نحنُ بالتذبيرِ طَالًا

* * *

الموت

لِرَبِي قَالَ ذَا الموتُ المريدُ لعين أصلُها طِينٌ جَمُودُ (١) من الإنسانِ يخجَلُ قبضُ رُوحٍ أمِنْ مَوْتٍ له العارُ الجدِيدُ!

* * *

وأَيُّد فِيه مَنْ مَلَكَ الجِهَاتُ بمقْدودِهِ يَقُدودُ الكَائِسَاتُ لَللَّهُ المَدوتِ مَا أُغْضِي حَيَاءً غدريبٌ عنهُ نَاموسُ الحيَاة

* * *

إلى إبليس فلتنقل مَقَالِي إلامَ لِيَ التملْمُلُ فِي العِقَالِ (٢) وَلِي التملْمُلُ فِي العِقَالِ (٢) وَلِي دُنْيَا الثرَى لا أَرْتَضِيهَا فَفِيهَا الصبحُ مَهدٌ للَّيَالِي

⁽١) جمود العين: انقطاع دمعها.

⁽٢) المقال : القول . التململ : المتقلب على الفراش من هم أو مرض .

ضَمِيراً خامِداً فِيها رَأَيْنَا لقَدْ خَلَقُوكَ مِنْ نَارٍ لَدَيْنَا

ولمَّا أخرجُوا الدنيَا إِلَيْنَا بِغَيرِ السروحِ أين لنسا لهِيبٌ

* * *

بعمن البحث يجعله الجديرا وطينٌ قبالَ لِي اكبانَ الخبيرا ؟

فراقٌ يجعَلُ الشوقَ البَصِيرَا ولكن كَيفَ حالكَ لستُ أَدْرِي

لَـكَ التَفْكِيـرُ بَيْـنَ الخَلْـقِ زَادَا فَقَلبي فيه كم زَرَعُـوا القَتَـادَا(١) عدِمْتُ النبتَ فِي حَقْلي الجديبِ(١) أَخَـذْتُ إِليْـكَ مَـالي مِـنْ ذُنـوبِ

لقَدْ طَرَدُوكَ يا مَنْ لَنْ يُعَادَا قضيتُ الدهرَ فِي بَلُوى عَذَابِي قضيتُ الدهرَ فِي بَلُوى عَذَابِي مُصِيبًا مِنْ عَيرِ المصِيبِ مُصِيبًا مِنْ عَيرِ المصِيبِ ولَا مَ تَصَاسِي

* * *

ودُنْيانَا لنحرِقَهَا فتعطَبْ لنصنعُ جنَّةَ الأفلاكِ فاعجَبْ

تَعالَ النودَ في مرَح لنلعب بسحرٍ من هشيم كان فيها

* * *

إبليسُ الترابيّ وإبليسُ النَّارِيّ

وأفسلاك تشساهسدُهُ فتخجَسلُ لتُخسدَمَ عنسدَ شيطانٍ وتُحمَسلُ

فسادُ عصرِنَا أَوْهَى وَأَثْقَلْ أليس لديك للنظراتِ ذوقٌ

⁽١) القتاد : الشوك .

⁽٢) النبت: النبات.

ومَــنُ عينــاهُ والأذنــانِ ســارقُ وَكَـانَ السعـرُ فـى الأسـواقِ بخسـاً

ترصَّدُ فِي الظلامِ لسلْبِ خَافِقُ بفلس بفلس تشترِي ذنباً ؟ تحامِقُ (١)

* * *

عجيبُ السعي شيط انَّ عجيبُ اسمَّ من السَّالَ ميت السَّالَ ميت السَّالَ ميت الله كاأسٌ بها سلمٌ دَهَاكا لله الحلقاتُ تبديهَا شباكٌ

بِسِخْدِ للعمَدَى عيناً يصيبُ فمثلكَ صيدُهُ وهو الطليبُ (٢) لقتـلِ الـروحِ ، جسمٌ مَا هُنَـاكَـا ومَا شَاهَدْتَ فِي الحَبُّ الشبَاكَا!

* * *

هــوَى الإنســانُ مِــنْ أَعْلَــى مقــامِ بــــلاً طعـــم ولاً لـــونِ ذنـــوبُ

فضاق مجالة عند ارتطام^(٣) وإبليس له طبع الأنسام^(٤)

* * *

ومن شيطانِ هذا العصرِ فاحذرْ أرَى إبليسسَ خيسراً مِنْهُ حقَّساً له النسدُّ المغَالِبُ مِنْ هُمامِ ومَا كُلُّ التسرابِ رَمَاهُ صيداً

خسيس مسن يضلَّك ويسحَر رأى السرحمن فهو بناك يفخر وبالنيسران يعلُو في المقام وأعجف أن يصيد من الحرام (٥)

* * *

خسيس الطبع هذا ليس يفهم علينا القول فيم قد تحتّم

⁽١) حامقه : ساعده على الحمق ، فكان بذل الثمن السخي في الذنب يعين الحمقى الذين يبيعون بالثمن القليل .

⁽٢) الطليب: الكثير الطلب.

⁽٣) الارتطام : الوقوع في الوحل .

⁽٤) الأنام: الناس.

⁽٥) الأعجف: الهزيل.

أبالسةً بهـذَا العصـرِ جَـافَـى غيـورٌ وَهُـوَ طُـولُ العمْـرِ يـأثـمُ

إلى رُفقاء الطريق

تعالَ لقومِنَا أمراً ندَبُر لنكسبُ إنَّ هذا العيش ميسرُ نصعًد فِي مَسَاجدِنَا أَنِينَاً على إِحْرَاقِ قلبِ الشيخِ يَقْدِرْ

* * *

وصفَّرٌ فِي السمواتِ القَلنَّدُ لخفقِ جناحهِ ذو الثقلِ أصغَرُ (١) وفِي هذا الفضاءِ له مَصَادٌ بعشٌ لم يَطُف فالعُشُّ أغبَرُ

* * *

ولحنُ ﴿ اللهِ ﴾ من روحِي تنردَّدُ مناع الكون عثيره تصعَّدُ (٢) ولي في معزَفِي وَتسرُّ بنارٍ تقطَّع ، ينا لنه دمعِي المبلدَّدُ

* * *

خفقت كدمعة سالت فطره إلى عين وصلتُ بفضل طَفْرَه (٣)

⁽۱) في القرن الثامن الهجري أنشأ من يدعى قلندر الأندلسي فرقة دينية من مبادئها طهارة القلب وقطع الإنسان ما بينه وبين دنياه من أسباب رغبة عنها وزهداً فيها ، ودوام الترحال . وكانوا يحلقون شعورهم ولحاهم وشواربهم وحواجبهم إمعاناً منهم في تشويه مظهرهم ، ورغبة في أن يعلنوا على الملأ أنهم لا يبالون إلا بما بينهم وبين ربهم ولا يكترثون بما يشاهد الناس من ظاهرهم . ويريد إقبال بالقلندر من تخلى عن دنياه وكان اهتمامه ببواطن الأمور لا ظواهرها .

⁽٢) العثير: الغبار.

⁽٣) الطفرة : الوثبة .

ولي إشراقة في الهذب تبدو ولم يسفر منطق لي بالمرام سيفتح كلل باب اوصده

عَلى هذا الهشيم نَشرتُ قَطْرَه (۱) دَليسلٌ فيسهِ خُلْسوٌ مسنْ تمسام بيت قالهُ الرُّومي وجَامِي (۲)

تعالَ إليكَ منَّى بنتُ حَانِ ومن قارورَتِي فلتسقِ غصْناً

تثيرُ الروحَ فِي طينِ الدُّنَانِ^(٣) لتشهـدَ فيـه إنسانـاً يـرانِـي^(٤)

* * *

بكفّي معزَفي شِعري يغنّي علي علي عدر الأساد عرفي علي عليه الأساد عرفي المسرى المعسر عنّي القولُ ينقلُ بعدرًا المسدّري شوكة أدمت وخراً

أنيسنٌ فيسهِ مسن لسونٍ ولسونٍ المجنّ (٥) بم الأوتار من وجه المجنّ (٥) المفرهاد لدى الفأس تحمّل ؟ لقلب الطودِ منها السيفُ يعمَلُ »

* * *

فقيسرٌ نظسرةٌ لي كسلُّ مَالِسي على على على على على البازي أفضًل زَاغَ ميت

هشيم ما لصحبي من جِبَالِ ولو ربَّاهُ كِسْرَى في الدَّلالِ(١)

⁽١) الهشيم: النبات اليابس المتكسر.

⁽۲) راجع ما مضى عن جلال الدين الرومى ، وجامى .

⁽٣) الدنان : جمع دن وهو جرة الخمر .

 ⁽٤) يقول: إذا سقيت غصناً من خمري أصبح هذا الغصن إنساناً.

⁽٥) المجن : الترس . وفي الأصل أن أوتاره من عروق الحجر .

⁽٦) الزاغ: الغراب. والإشارة هنا إلى جوارح الطير التي تأكل جثث الموتى. ولتفسير ذلك نقول: إن المجوس لا يدفنون جثث موتاهم في الأرض التي يعتقدون أنها من خلق إله الخير ويحرم تنجيسها. فهم يضعون جثة الميت عل منصة عالية ويعرضونها لجوارح الطير حتى تأكلها. أما ما تبقى من عظامها فيلقون به في البئر.

لقلبي قط ما أوصدت بابا قبعت بمجلسي في عقر صَدْرِي عدمت بروضة عزّي وَجَاهِي وصاحبُهَا يسميني وقاحاً

ولا قَاطَعْتُ أهلًا أو صحَابَا فجزتُ بمجلسِي هذا السحَابَا(۱) نصيبِي أيُّ شيء كي أُبَاهِي ؟ بعينِ نرجسٍ جذَبَ انتباهِي(٢)

وللعلمَاء فِي الحفْل المرين ولكن من رأى فِي الروضِ شوكاً

كـــــلامٌ رقَّ مثــــلُ اليــــاسمِيــــنِ لـوصـف الـروضِ بـالقـولِ اليقِيـنِ؟

مقسامٌ آخسرُ فيسهِ كسلامِسي خفيف الخطوِ يعدُو في الأمَامِ وحسبي السروض أفعمُه نجيبًا بعُشَي أن يغيبًا

بعلم أو يِف نَّ ما اهتمامِ ي ضعيف السركب يجعلُ لهيسِي اتحسبُنِ عندَلِيبَ العجدِ عندَلِيبَ ا تمسكُ بي تجدُ مِفْتَاحَ روضٍ

* * *

هي السدنيَا لعيني الممَدرُ رفيتُ ليس لِي والكلُّ سَفْرُ (٢) نفارَى من قويب كانَ خيراً خيريبُ وهو لِي هم وشررُ

وفِي عدم تعلَّم كيف تَحيَا وزد ذَاتاً من التقديد هيًّا

⁼ والمراد بالبازي هنا: ذلك البازي الذي يربيه الملوك في قصورهم لاستخدامه في صيدهم.

⁽١) قبع : أدخل رأسه في فتحة ثوبه . وعقر البيت : وسطه .

⁽٢) الوقاح : الوقح .

⁽٣) السفر: المسافرون.

وفي أعماق انغامِي تقلب وتسريبِي وتسائد الأرض كانا

ببخري لـؤلـؤ فـاسكـنْ مليّـا(١) ولكـنْ أجتـوِيهـا لِـي مَكـانـا(٢) سمـاءٌ لِـي أأشهــدُهـا عيـانــا

إلى نفس السرجال كن القَرِيبَ لهم أنفاسهم تحيى القلوبا شكاة الندَّاتِ همُّهم يَجَافِي فما عن ذاتِه كانَ الغريبَا

**

لتخلص نظرة والسروح أبصِر والآ فلتكُسن سهما لقسوس والآ فلتكُسن سهما لقسوس تغسرًب عقلنا ذا عسن يقيسن جهول كان خيراً من حكيم

تجد زهراً بغصن غير منزهر ومن يرفي و منزهر ومن يرفي له هدفاً يُقَدَّرُ (٣) بندا كمقامر العلم المشين (٤) بنظرتيه إلى الحدق الميسن

* * *

ومسن ذَهَسب ودُرٌ مسا المسرام ومَسا سرجُ المطهَّم والغلامُ (٥) مسنَ السدارَيْسِ شسيءٌ لا يسرَجَّس وذاكَ لمسالِ ذِي الفضلِ القسوَامُ

* * *

وإنَّ الصمتَ في حَانِي لِفضْلُ ففِي يـوم مضَـى للــدُنَّ بَــزْلُ^(٢)

وسخُـرُ أنــا لتلــكَ الــذاتِ عقــلْ شـرابِـي مــا صَفَــا ، لكــنْ تــرشَـفْ

⁽١) ملياً : زماناً طويلًا .

⁽٢) التربيب: التربية.

 ⁽٣) يشبهه بالسهم الذي يحدد راميه الهدف ولا يحتد هو هدفه بنفسه .

⁽٤) المشين: المعيب.

⁽٥) الجواد المطهم: التام الحسن.

⁽٦) بزل الدن : ثقبه لأخذ الخمر منه .

لدَيْكَ بخرْقة أو فِي نصِيبِ لَدَيَّ المالُ مِنْ خَشَبِ لِنَاء

ومنْ ذَاتِي وَجَدْتُ شَذَا الحبِيبِ^(۱) وليـــسَ لمنبــــرِ أَوْ للصليــــبِ^(۱)

بمرزَّآةِ للذاتِسي قَلْ بَصُرْتُ مَلَّ مَصُرْتُ مَلَّ مَا العميانِ فِسي عِلْم وَفَلَّ

بصَـــدْرِي خُلْــوةٌ فِيهَــا قَــرَرْتُ ببلبَــال قـــدِيـــم لِـــي فــرَرتُ

* * *

رحِيلِي حَانَ عن هذَا الترابِ فَمَنْ هذا الترابِ فَمَنْ هذا المسافرُ ليتَ شِعْرِي عليه القلب رَقْرَاقُ الضَّميرِ وليسسَ لمعدم ديناً وعلماً

فقالَ الكلُّ (كانَ منَ الصحابِ) ومَنْ قدْ خُصَّ بالقولِ العجَابِ أميرٌ وَهمو يُعرَفُ بسالفقِيرِ قباءٌ بسلُ لهُ سرجُ الحرير

لَجَــمْ أنــتَ تَسجُــدُ أو لــدَارَا فَـلاَ تُلحِــقْ ببيــتِ اللهِ عَــارَا(٣) ولا تطلب إلـى الغـربِـيُّ شيئــاً بقلبِــكَ حطّــمِ الصنــمَ المعَــارَا

بسمْعِسى طاف مِسنْ شيسخ كبِيسرِ ﴿ فقيسرٌ إِنْ يصُسنْ بِالفُقسرِ ذاتَساً وفِسي حسرْفَيسنِ هسذَا السسرُ يستَسرُ وإبسرَاهِيسمُ نمسرُوداً أيخشَسى

له عفل وإشراق الضَّمِيرِ اللهَ الفَّمِيرِ اللهَ الفَقِيرِ اللهَ الفقيرِ اللهَ اللهُ اللهُ

⁽١) الخرفة: الثوب الخشن البالي الذي يلبسه الصوفى.

⁽٢) الصليب : من معانيه العود يصلب عليه من يقتل .

 ⁽٣) جم : هو الملك جمشيد من ملوك الأساطير عند الفرس وهو مذكور بعظمة الملك .

ألَّا يــا زهْــرُ مــا طلــبُ العــزاءِ؟ وصـــدرَكَ افْتَحَـــنَّ لكـــلُّ ريـــحِ

بـذَاتـكَ فـالْتَـزِمْ خـلَ الـوفـاءِ وصنْ وَسْماً قدِيماً فِي الخفَاءِ(١)

* * *

يدوِّي النصْحُ فِي سمعِي دوِيًا لتحذرُ من أضَاعَ السروحَ رهْنَاً لشطُّ قسالَ مسوجٌ وهسو يهدرُرْ عَلَى ذَاتِي التَفَافِي مِثْلُ أَفْعَى

«برُوحِكَ وحدَهَا عِشْ يا بنيًا
 بجسم لا بسروح وهو يحيا »
 بفسرعُسونية ذَاتِسيَ أقسدِرُ
 وأرقُسصُ بانتظارٍ فيه أصيرً

* * *

بجَاهِ الغربِ إِنْ كنْتُ القمِينَا أَدِرُ لعصاهُ عندَ الضرب ظَهراً

على عتبَاتِهِ عَفَّرْ جَبِينَا (٢) كَعِيرٍ سيتَ فلتَكُن المهِينَا ! (٣)

* * *

وأيسن فسؤاده طسوع اليميسن شيساطيسن تطسوف لسه ببيست ومسن قلب ومسن ديسن يشنسا ومات الديس مدر لقلب

خلامً ملكًة من كِللَ دِين (٤) وتُوحِشُ غيبة الرُّوحُ الأمِين (٥) كعِطْرِ الوردِ من أصلِ هربُنا لنا موتينِ نحن قَد اشتَريْنا!

* * 4

لرَبِّي منه تعفِيرُ الجبِينِ أَدَارَ الأَرْضَ منه بساليمِينِ

حنيفٌ كَانَ يعرفُ قدْرَ دِينِ بَما لا يُشتَهي الأفْلكَ دَارَتْ

⁽١) الوسم : أثر الكي .

⁽٢) القمين: الجدير.

⁽٣) العير: الحمار.

⁽٤) يريد الرجل من الفرنجة .

⁽٥) الروح الأمين : سيدنا جبريل .

من دُنْبا لنا قلبٌ غَريبُ صلاة العشقِ مَيُّذِها بوقت مقامُ العشقِ يفعَمُهُ اليقِينَ إذا حصَلتَ من هذا نصِيبَاً

لهُ الأَيَّامُ من فَلَكِ نَصِيبُ (۱) فَلَكِ نَصِيبُ (۱) فَلَكِ نَصِيبُ فَلَكِ نَصِيبُ فَلَكِ فَلَكِ فَالخَطِيبُ فَلَي فَا الْمَحِينُ السروحَ الأميسنُ فَسِرْ قُدُماً ، فما اعتَرضَ الكَمِينُ

* * *

وعِ رَفَ الْ وَإِذْرَاكُ لَمُسَلِّمُ وَعَيَنِيهِ ﴿ بِلَولا ﴾ النَّات يَفْعَمُ (٢) سَمَا رَبِّي سَمُوا عَن قياسٍ بقائلٍ ﴿ مَا عَرَفْنَا ﴾ النَّفْسَ أَكْرَمُ (٣)

* * *

بمعبد يوسم فينسس المسوت مِسَّا فما بسلاف من سَلَفُوا سكِرْتَا (٤) ومِن سُلُو من يمَيلُ ومِن شُكْرِ التَدَلُّلِ من يمَيلُ على قد الخِسَاس هو الطّويلُ

وأَصْنَامَ الفرنجَةِ ما عبدتَا وعقلُك كانَ عن قلب غَريبَاً أكلُ الناسِ منْ نفسَاً يُسِلْ قباءٌ « لا إلىه » به دماء

* * *

من الأبواب يفتَحُ ما يسريـدُ (٥) جمـالُ الصبُـرِ يظهـرُه السُّجـودُ

ويحرِقُ مؤمِناً حَرُّ الوقيدُ جَالُ الكبرياءِ لهُ قيامٌ

* * *

وفِيهَا خُفْيةً هم ساجِدُونَا أَفِي خمس بدَتْ للنَّاظِرِينَا

أتسال عن صلاة العاشِقينا أرى « الله أكبر » مشل نسادٍ

 ⁽١) يريد ليقول إن القلب الغريب الطبع ليس من دنيانا .

 ⁽٢) التلميح إلى (لو لاك لما خلقت الأفلاك) هكذا في الأصل .

⁽٣) الإشارة إلى (ما عرفناك حق معرفتك) هكذا في الأصل .

⁽٤) السلاف: الخمر.

⁽٥) الوقيد: الوقود.

نِــدَاءُ العَــالمِيــنَ بهَــا يــدُومُ صريع العصر فينًا ليس يدري

ومِنهَــا مُسلــمٌ خلــداً يَـــرُومُ قِيسامَساتِ (لقد قَسامستُ) تَقُسومُ

فيسرزقُ وهمو يطلُبُ منه دَوْمَما رَأَى مَتَفَــــرْنِــــجٌ لله ِحُكْمَــــا إلى أنْ حارَ في الله يسومَا على الشيطانِ أغدقَ أي رِزقٍ !

وفِي قَـوْلـي لِـمَ الإِسهـابُ كَـانَـا وعالمة لمتجرين أغطي لمــنْ تَصْفُــو قُلُــوبُهُــمُ نَعِيـــمُ فبلِّغ مُسْلِماً فِي الهندِ بُشرى

وهــذَا الحقــلُ أقفَــر مــنُ حصَــادٍ

أقُولُ الحرفَ عن سرُّ أبَانَا(١) مَكَانَ كَيْفَ يدْدِي الـالْأَمَكَانَـا وَآخَـــرُ فِيـــهِ ذُو هِمَـــم يُقِيــــمُ انَعِيماً في سبيلِ اللهِ شيمُوا اللهِ

ك_اكس_ر لــه رأيٌ يقــلّز إلى التقرير مَا مالَ القلندَرُ فما يروي ثراهُ دمٌ لشبّرُ (٣)

أبان عنه : فسره . (1)

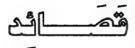
شيموا : انظروا . **(Y)**

الحصاد . الزرع . شبر : اسم الحسن بن علي رضي الله عنه . (٣)





القسم الرابع



(١) من هُنا القسم الرابع والخامس لهذا الديوان نقلها من الأردوية إلى العربية نثراً الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم .







برلمانُ إبليس

هذه قصيدة بديعة لمحمد إقبال ، وصف فيها وصور جلسة برلمانية ، وصفرها وتناقش فيها شياطين العالم ووكلاء النظام الإبليسي ، واستعرضوا فيها الاتجاهات والحركات والمذاهب السياسية العصرية التي تهدّد مهمّتهم في العالم وتحبط مساعيهم ، أو تعرقلُ سيرهم ، وأبدوا فيها آراءهم ، ووجهات نظرهم ، وترأس هذه الجلسة ، وأشرف عليها «إبليس» فحكم على هذه الآراء والدراسات ، وعارض أكثرها في ضوء تجاربه الواسعة ، وبعد نظره الذي لا يشاركه فيه أحد من تلاميذه ، وأدلى برأيه الحصيف المؤسس على الدراسة الواسعة العميقة ، وهو يتلخّص في : أنَّ المسلم هو المنافسُ الوحيدُ ، والمصارعُ الكفءُ لنظامه ، وهو الشرارةُ التي تتحوّل ناراً بسرعة ، فالمصلحة والرأي أن يركّز «الزملاء» تفكيرهم على محاربةِ هذا العدو ، أو إلهائه وتنويمه ، وقد جاء في هذه القصيدة من الوصف الصّادقِ الدقيقِ للمسلم ، ومن الملاحظات الصّائبة الدَّقيقة عن كثيرٍ من المذاهب السياسية وزعمائها ما يفيدُ الاطلاعُ عليه ، وإليك محضر الجلسة :

« إنَّ الشياطينَ وزملاءَ إبليس وأعوانَه اجتمعوا في مجلسِ شورى ، وتباحثوا في سيرِ العالم ، وأخطار الغدِ ، وفتنه ، وما يتوجَّسون من خيفةٍ على نظامهم الإبليسي ، ومهمَّتهم الشيطانية ، فتذاكروا في فتنٍ وأخطارٍ قد أحدقت بهم ، وهدَّدت نظامهم ، وجلَّلوا خطبها ، وتناذروا شرَّها ، فذكرَ أحدُهم « الجمهورية » وحسب لها حساباً كبيراً ، فقال الثاني : لا يهولنَّك أمرُها ، فإنَّها ليست إلا غطاءً للملوكية ، ونحن الذين كسونا الملوكية اللباس الجمهوري ؛ إذ

رأينا الإنسانَ بدأ ينتبهُ ويفيقُ ، ويشعرُ بكرامته ، وخفنا ثورةً على نظامنا قد لا تُحْمدُ عاقبتُها ألهيناه بلعبةِ الجمهورية ، وليس الشأن في الأمير والملك ، إنَّ الملوكية لا تنحصر في وجودِ شخصِ ترتكز فيه الملوكية ، وفردِ يستبدُّ بالسلطان ، إنَّما الملوكية أن يعيشَ الإنسانُ عيالًا على غيره ، مستشرفاً إلى متاع غيره ، سواءٌ في ذلك الشعبُ والفرد ، أما رأيت نظام الغرب الجمهوري ، وجهُه مشرقٌ وضَّاحٌ ، وباطنه أظلم من باطن جنكيزخان .

فقال الآخر: لا بأسَ إذا بقيت روحُ الملوكية ، ولكن ماذا يقول النائب المحترم في هذه الفتنة الدَّهماء التي أثارها هذا اليهوديُّ الذي يُدعى «كارل ماركس» ذلك الباقعة الذي ليس نبياً ، ولكنَّه يحملُ عند أتباعه كتاباً مقدساً ، هل عندك نبأ أنَّه أقام العالم وأقعده ، وأثار العبيد على السَّادة ، حتى تزعزعت مباني الإمارة والسِّيادة ؟.

فقال الآخر مخاطباً رئيس المجلس: يا صاحبَ الفخامة! إنَّ سحرة أوربة ، وإن كانوا مريديكَ المخلصين ، ولكنَّ لم أعد أثق بفراستهم ، هاهو السامريُّ اليهوديُّ الذي هو نسخة من « مزدك » (الزعيم الفارسي الاشتراكي) ، قد كاد يأتي على العالم بقواعده ، فاستنسرَ البُغاث ، وأصبحَ الصعاليك يزاحمون الملوك بالمناكب ، ويدفعونهم بالرَّاح (أعلامُ أرضٍ جُعِلَتْ بطائحاً) إنا قد استهنَّا بخطب هذه الحركة الاشتراكية ، وهاهي قد استفحلت وتفاقم شرُّها ، وهاهي الأرضُ ترتجفُ بهولِ فتنة الغد ، يا سيدي! إنَّ العالمَ الذي كنتَ تحكمه سينقضُّ عليك ، وينقلبُ نظامُ العالم ظهراً لبطن .

فتكلم رئيسُ المجلسِ ﴿ إبليس ﴾ وقال : إنّي أملك زمام العالم ، وأتصرّف به كيف أشاء ، وسيرى العالمُ عجباً إذا حرّشت بين الأمم ، فتهارشت الكلابُ ، وافترسَ بعضُها بعضاً فِعْلَ الذئاب ، وإذا هَمَسْتُ في آذان القادة السياسيين ، وأساقفةِ الكنائس الروحانيين فقدوا رُشدَهم ، وجُنَّ جنونُهم .

أما ما ذكرتم عن الاشتراكية ، فكونوا على ثقةٍ أنَّ الخَرْقَ الذي أحدثته

الفطرة بين الإنسان والإنسان لا يرفؤه المنطقُ المزدكي (يعني الفلسفة الاشتراكية) لا يخوِّفني هؤلاء الاشتراكيون الطرداء ، والصعاليكُ السُّفهاء .

إِنْ كَنتُ خَاتِفاً ، فإنِّي أَخَافُ أُمةً لا تزال شرارةُ الحياةِ والطموحِ كَامنةً في رمادها ، ولا يزالُ فيها رجالٌ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، وتسيلُ دموعُهم على خدودهم سَحَراً ، لا يخفى على الخبير المتفرِّس : أنَّ الإسلام هو فتنةُ الغد ، وداهيةُ المستقبل ، ليست الاشتراكية .

أنا لا أجهلُ أنَّ هذه الأمَّة قد اتخذت القرآن مهجوراً ، وأنَّها فُتِنتُ بالمال ، وشُغِفَتْ بجمعه ، وادخاره ، كغيرها من الأمم ، أنا خبيرٌ بأنَّ ليل الشرق داجٍ مكفهرٌ ، وأنَّ علماء الإسلام وشيوخه ليست عندهم تلك اليد البيضاء التي تشرق لها الظلماتُ ويضيءُ لها العالمُ ، ولكنِّي أخاف أنَّ قوارعَ هذا العصر وهزَّاتِه ستقضُّ مضجعها ، وتوقظ هذه الأمة ، وتوجهها إلى شريعة محمد (على) ، وإنِّي احلَّركم وأنذرُكم من دين محمد (الله على) ، حامي الذِّمار ، حارس الدِّمم والأعراض ، دينِ الكرامة والشَّرف ، دينِ الأمانة والعفاف ، دين المروءة ، والبطولة ، دينِ الكفاح والجهاد ، يلغي كلَّ نوع من أنواع الرَّقُ ، ويمحو كلَّ أثرِ من آثار استعباد الإنسان ، لا يفرِّقُ بين مالكِ ومملوك ، ولا يؤثرُ سلطاناً على صعلوك ، يزكِّي المال من كلِّ دنسٍ ورجس ، ويجعله نقياً صافياً ، ويجعلُ أصحابَ الثروة والملاَّك مستخلفين في أموالهم ، أمناءَ الله ، وكلاءَ على الأموال ، وأيُّ ثورةِ أعظمُ ، وأيُّ انقلابِ أشدُّ خطراً مما أحدثه هذا الدِّينُ في عالم الفكر والعمل ، يومَ صرخَ : إنَّ الأرض لله لا للملوك والسّلاطين .

فابذلوا جهدكم أنْ يظلَّ هذا الدِّينُ متوارياً عن أُعينِ الناس ، وليهنكم أنَّ المسلمَ بنفسه هو ضعيفُ الثقةِ بربِّه ، قليلُ الإيمان بدينه ، فخيرٌ لنا أنْ يظلَّ مشتغلاً بمسائل علم الكلام ، والإلهيات ، وتأويل كتاب الله ، والآيات ، اضربوا على أذان المسلم ، فإنَّه يستطيع أن يكسرَ طلاسمَ العالم ، ويبطلَ سحرنا بأذانه وتكبيره ، واجتهدوا أن يطول ليله ، ويبطىءَ سَحَرُه ، اشغلوه يا إخوتي ا

عن الجدِّ والعمل ، حتى يخسرَ الرَّهان في العالم ، خيرٌ لنا أن يبقى المسلم عبداً لغيره ، ويهجرَ هذا العالمَ ، ويعتزلَه ، ويتنازلَ عنه لغيره زهداً فيه واستخفافاً لخطره ، يا ويلتنا ! ويا شقوتنا! لو انتبهتْ هذه الأمَّة ، التي يَعْزِمُ عليها دينها أن تراقب العالم وتعسَّه »(١) .

مؤامرة أنصار الباطل ضد المسلم:

وفعلاً نجحَ شياطينُ الإنس والجنّ في مهمّتهم ، وكانت مؤامرةٌ مبيتةٌ ضدّ الإسلام ، وخطةٌ منظمةٌ ضدّ أجياله القادمة ، فأكبر ما اهتموا به هو إطفاءُ الجمرةِ الإيمانيّة ، التي لا تزال كامنة في الرّماد ، وتجريدُ المسلمين في بلاد العرب والعجم من الحَمِيَّة الدِّينية ، والعاطفة الإسلامية ، التي تحمل أصحابها على التضحيةِ والجهاد ، وتحمُّلِ الشدائدِ والمكاره في سبيل الله ، والثورةِ على الباطل ، وقد أوصى بذلك إبليسُ أشياعه وجنده ، يقول محمد إقبال في قصيدة عنوانها (وصية إبليس إلى تلاميذه السياسيين) :

" إنّ المجاهد الذي يصبرُ على الجوع ، ولا يحسب للموتِ حساباً ، أخرجوا روحَ محمد (على) من جسمه ، فيصبحُ قليلَ الصّبر ، جزوعاً من الفقر ، شديدَ الخوف من الموت ، وأشغلوا العرب بالأفكار الغربيّة ، وانتزعوا من أهل الحرم تراثهم الدينيّ تتمكّنون بذلك من إجلاء الإسلام من الحجازِ واليمن ، إنّ في الأفغان غيرةً دينية ، وعلاجُها أن يُقصى العَالِمُ الدّينيُّ من جبالها وسهولها » .

وكان من أقرب الطُّرق للوصول إلى هذا الهدف هو التعليمُ الذي يجرُّد الشباب المسلم من الروح الدِّيني والعواطف الإسلاميَّة ، والتعلية الإسلاميَّة ، وينشىءُ فيه طبيعة النفعية والأبيقورية ، وطبيعة التهام الحياة ، وانتهاب

⁽١) كتب الشاعر هذه القصيدة عام ١٩٣٦م ، كما هو مكتوب تحت عنوان القصيدة في الأصل .

المسرّات ، وتقديسَ المادّة ورجالها ، وعدمَ الاستقامة الخلقية والتماسك ، وضعفَ الثقة بالنفس ، والشكّ في الدّين ، لذلك يرى شاعرٌ هنديٌ آخر اسمه : أكبر الإله آبادي : أنَّ فرعون مصر أخطأ الرمية ، وجانبه التوفيق في تحقيق فكرة القضاء على بني إسرائيل ، فقد التجأ في قتلهم وإبادتهم إلى طرقِ سافرةِ ألصقت به العار ، وأثارتُ عليه اللّعناتِ ، فكان يقتل أبناءهم ، ويستحيي نساءهم ليأمن ثورة بني إسرائيل ، وغائلتهم في المستقبل ، ولو أنَّه رُزِقَ شيئاً من الابتكار ، وبُعْدِ النظر ، ودقَّةِ التفكير ، لاكتفى بتأسيس كليةٍ لبني إسرائيل ، ينشىءُ الجيل الإسرائيليَّ الجديدَ كما يشاء ، ويسبكُ العقول والطبائع سبكاً جديداً ؛ لا يدع مكاناً لنشأة شاب مثقف يشعر الشعور الدِّينيَّ ، ويحمل العاطفة الدينية ، والغيرة القومية ، ويهتم بشيء آخر غير الوظائف ، والمناصب ، والمرتبات ، والدرجات ، لو أنَّ فرعون وُفِّقَ لهذا المشروع لتفادى هذه المتاعب ، وسوءَ الأحدوثة ، ووصلَ إلى غايته في سهولةٍ ويسرٍ ، وهدوءٍ وسلام ، وزيادةً على الأحدوثة ، ووصلَ إلى غايته في سهولةٍ ويسرٍ ، وهدوءٍ وسلام ، وزيادةً على والتعليم في الناس بلقب «حامي العلم » و«مربي الجيل » وناشرِ الثقافة والتعليم في الشعب .

نجاح أنصار الباطل في إضعاف الروح الديني:

ويرى محمد إقبال أن أنصار الباطل قد نجحوا نجاحاً كبيراً في فكرتهم ، وجهودهم ، فضعف الشعور الديني في بلاد الإسلام ، وخَمَدَت جذوة الإيمان ، وفقدت البطولة الإسلاميّة وروح الجهاد ، وفَشَتِ النفعية ، وجَمَحَتِ المادّية ، يقول الشاعر ؛ وقد ساح في كثيرٍ من البلاد الإسلامية والعربية : « لقد تجوّلت في بلاد العرب والعجم ، فرأيت خلفاء أبي لهب كثيرين تفيض بهم البلاد ، والمتشبعين بروح محمد على كالكبريت الأحمر ، وعنقاء المغرب ، ، ويقول في قصيدة قالها في فلسطين : « لا أرى في بلاد العرب تلك اللّوعة القلبية التي كان يمتاز بها العرب ، ولا في بلاد العجم ذلك السمو الفكري الذي كان يمتاز به العجم ، لا تزال دجلة والفرات متعطشين إلى بطلٍ من أبطال كان يمتاز به العجم ، لا تزال دجلة والفرات متعطشين إلى بطلٍ من أبطال

الإسلام ، ولكنِّي لا أرى في قافلة الحجاز أحداً يقوم مقام الحسين » .

يشعرُ محمد إقبال بهذا التدهورِ الذي وقع في حياة المسلمين ، ويتألَّم لذلك أشدً الألم ، ويبكي دما ، وشعره يفيض بهذه الأناتِ والدموع ، يقول في أبيات : " يا وارث التوحيد الإسلاميُّ لقد فَقَدْتَ الكلامَ الجذابَ السَّاحر ، والعملَ المسخر القاهر ، لقد كنتَ يوماً من الأيام إذا نظرت إلى أحدِ ارتعد فرقاً منك ، وطار قلبه شعاعاً ، وقد أصبحت اليوم كسائر الناس ، لا تحملُ روحاً ولا تجذبُ نفوساً » . ويقول في موضع آخر : " إنَّ السجدة التي كانت تهترُّ لها روحُ الأرض ، لقد طال عهدُ المحراب بها ، واشتاق إليها المسجد ، كما تشتاق الأرضُ الجديبة الخاشعة إلى المطر ، لم أسمعُ في مصر ، ولا في فلسطين ذلك الأرضُ الذي ارتعشت له الجبال بالأمس » . ويقول في بيتٍ : " لقد فقد المسلمُ لوعةَ القلب ، وانطفأت نارُ الحياة فيه ، فأصبح ركامها من تراب » . ويقول : لم أر في محيطكَ أيُّها المسلم لؤلؤةَ الحياة ، قد بحثتُ عنها موجةً موجة ، ونفقدُتها صدفةً صدفة » .

ويرى محمد إقبال أنَّ مصدر هذا التدهور هو القلبُ الذي خوى من الإيمانِ وشعلةِ الحياة ، يقول : « لقد فقدَ المسلمون سَوْرَةَ الحبُ الصادق ، ونَزَفَ منهم دمُ الحياة ، أصبحوا هيكلاً من عظام ، لا روحَ فيه ولا دم ، الصفوفُ زائعة ، والقلوبُ مضطربةٌ ، والسَّجدةُ لا لذَّة فيها ، ذلكَ لأنَّ القلب خالِ من الحنان » .

اليقظة الإسلامية:

هذا ، ولكنَّ محمَّد إقبال يعتقدُ أنَّ الصَّدماتِ السياسية التي أصيب بها العالم الإسلاميُّ أقضَّت مضجع المسلمين وأيقظتهم ، ودبَّ فيه دبيبُ الحياة ، يقول في قصيدته البليغة (طلوع الإسلام) : (إذا رأيت النُّجومَ شاحبةً منكدرةً تخفق ؛ فاعلم أنَّ الفجر قريب ، هاهي الشمس قد ذرَّ قرنها من الأفق ، وولَّى الليلُ على أدباره ، إنَّ عاصفة الغرب قد أعادت المسلم إلى الإسلام ، فإنَّما تتكوَّن اللالىء

في البحر المتلاطم الهائج ، ولقد دبَّ دبيب الحياة في الشرق ، وجرى الدَّمُ الفائر في عروقه الميتة ، وذلك سرَّ لا يفهمه ابنُ سينا ، والفارابي ، إنَّ المسلم سَيُمْنحُ من الله الأبهة التركية ، والذكاء الهندي ، والنطق العربي " ، ويقول في بيت : « إنَّ إقبالًا ليس يائساً من تربته الحقيرة ، فإنَّها إذا سقيت أتت بحاصل كبير " .

المسلم هو باني العالم الجديد:

ويرى محمد إقبال أنَّ الحضارة الغربية قد مثَّلَتْ دورَها ، ونثرت كنانتها ، وقد شاخَتْ وهَرِمتْ ، وأيْنَعتْ كالفاكهةِ ، وحانَ قطافها ، وأنَّ العالمَ القديمَ الذي حوَّله مقامرو الغرب إلى حانةِ الفساد والمقامرة منهارٌ قريباً ، والإنسانية تتمخَّضُ بعالم جديد ، ويعتقد محمد إقبال أنَّ هذا العالم الجديد لا يُحْسنُ تصميمَه إلا من بنى للإنسانية البيتَ الحرامَ بالأمس ، ووَرِثَ إبراهيم ومحمداً في قيادة العالم وإرشادِه ، فيهيبُ محمد إقبال بهذا المسلم النائم ، وينشدُه بالله أن يقومَ ويمسحَ النَّوم من عينيه ، فقد ظهر الفسادُ في البرُّ والبحر ، وعاث الأوربيون في الأرض ، وأفسدوا فيها بعد إصلاحها ، وخرَّبوا العالم وملؤوه ظلماً وظلمات ، وشروراً وويلات ، وليست هذه الأرض إلا بيناً من بيوتِ الله جعلها مسجداً وطهوراً ، وأذِنَ أن تُرفَعَ ويذكر فيها اسمه ، ولكنَّ الأوربيين قد حوَّلوها إلى خمارةٍ ، وبيتِ فسقٍ ودعارةٍ ، ومكانِ نهب وغارةٍ ، وقد آن لباني حوّلوها إلى خمارةٍ ، وبيتِ فسقٍ ودعارةٍ ، ويُصْلِحَ ما أفسده الأوربيون ، ويعيد هذا البيتَ إلى قواعدِ إبراهيمَ ومحمدِ صلى الله عليهما وسلم ، ويبني العالم من جديد (١).

⁽۱) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . للعلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي ص ٢٣٠ ـ ٢٣٣ نقلاً عن «روائع إقبال» للعلامة الندوي ، ص ٢١٤ ـ ١٢٣ ، طبع دار ابن كثير ، دمشق .

وإليك الآن هذه القصيدة المترجمة في النثر:

إبليس

- ١ ـ هذه الألاعيبُ القديمةُ للعناصرِ (١) ، وهذه الدُّنيا الوضيعة
 كانت سبباً في قَتْل أمنياتِ ساكني العَرْشِ الأعظم (٢) .
 - ٢ _ الخالقُ الذي سمَّاها دنيا الكاف والنون (٣)
 مُتَهَيًّى * اليومَ لتدميرِها .
 - ٣ ـ عَرَضْتُ على الإفرنج حُلْمَ المُلوكيَّة
 وحطَّمْتُ سِحْرَ المسجدِ والمعبدِ والكنيسة .
 - ٤ ـ علَّمتُ الجهلاء درسَ القَدَر
 وأعْطَيْتُ الغنيَّ جنونَ الرأسمالية .
 - ٥ ـ من يستطيعُ أن يطفىء نارَه المتأججة (٤) .
 إنَّ في هيجانها الحُزقةَ الإبليسيَّة .
 - ٦ _ أغصانُه (٥) تنمو وترتفعُ من ماءِ سُقيانا
 فَمَنْ يستطيعُ أن يُنكِّسَ أغصانَ هذا النَّخلِ القديم ؟!

⁽١) أي : الإنسان والعناصر المكونة له ، وهي : الماء ، والهواء ، والتراب ، والنار .

⁽٢) أي : الملائكة .

 ⁽٣) حَيث قال تعالى ﴿ كُن فَيكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] .

⁽٤) يقصد نار الإنسان الذي يحمل الملكية ، وجنون الرأسمالية .

⁽٥) أي : أعماله ، وما يقوم به من أفعال .

المُستشارُ الأول

٧ ـ لا شكَّ أنَّ هذا النظام الإبليسيَّ مُحْكمٌ
 نفي ظلِّه ألِفَ الشَّعْبُ طَبْعَ العُبودية

٨ ـ الخضوعُ والمذلّة على جبينِ هؤلاءِ المساكين
 فنظرتُهم تقتضي منهم صلاةً بلا قيام

٩ ـ لا تَنْبُتُ لديهم الأمنيةُ أساساً
 فهي إنْ تَظْهَرْ تَمُتْ أو تَبْقَ كشيء خامل لا يَنْضَجُ أبداً .

١ - وهذه هي معجزة جهدِنا المتواصل
 فاليوم صار الصُّوفيُ والملَّا عبداً - بشكلٍ تامِّ - للمَلكيَّة .

١١ ـ هذا الأفيونُ ـ الملكيَّةُ ـ كانَ مناسباً تماماً لِطَبْعِ الشَّرق .
 مع أنَّ عِلْمَ الكلام ليس بأقلَّ من (الغناء الصُّوفي)(١) .

١٢ ـ لو بقِيَتْ لهم مناسكُ الحجِّ والطَّواف ، فلا ضَيْرَ
 فإنَّ سيفَ المؤمنِ المسلولِ صارَ كالًا .

١٣ ـ إِنَّ هذا الأملَ الجديدَ بأنَّ الجهادَ حرامٌ على المسلم دليلٌ على اليأس ؟ فَمَنْ ذا الذي أصابه اليأس ؟

المُستشارُ الثاني

١٤ ــ هَلْ غوغاءُ الحُكْمِ الجُمهوريِّ خيرٌ أم شرٌ ؟
 أنت لا تدري شيئاً عن الفتنِ الجديدةِ في العالم !

⁽١) هو ﴿ القوالي ﴾ وهو ما يتغنَّى به الصُّوفيَّة .

المُستشار الأول

١٥ ـ نَعَمُ ، ولكن بصيرتي تخبرني :
 لو تبقى المَلكيةُ كالسِّتار فلا خطر !

١٦ ـ فحين صار الإنسانُ مدبرًا ومفكّراً إلى حدّ ما
 البشنا المَلكية لباسَ الجُمهورية .

١٧ ـ شؤونُ الحُكْمِ شيءٌ آخر
 لا يَنْحصرُ في وجودِ الأميرِ والسَّلْطَنَة .

١٨ ـ وسواءٌ يكونُ مجلسُ الأمّة ـ أو يكونُ بلاط برويز
 فالحقيقةُ أنَّ السلطانَ هو من تكون عيونُه على زَرْع الغَيْرِ

١٩ ـ أما رأيت أنَّ النَّظامَ الجُمهوريَّ الغربيَّ
 له وجة مضيءٌ لكنَّةُ من الدَّاخل أحلكُ من جنكيز (١) .

المُستشارُ الثالث

٢٠ ـ روحُ السَّلطنة باديةٌ فأيُّ اضطرابٍ بعدَ ذلك
 لكنْ ما هو الردُّ على شقاوةِ ذلكَ اليهوديِّ (٢).

٢١ ـ هو الكليمُ بغير تجل ، هو المسيحُ بغيرِ صليب
 د ليس رسولًا ولكن في حضنه كتاب » .

٢٢ ماذا أقول ؟ كيف يكون نظرُ هذا الكافِر الذي يخترقُ السَّتائر ؟
 هذا النَّظرُ صارَ كيوم حسابٍ لأقوام الشَّرق والغربِ .

 ⁽١) مثالٌ لظلم جنكيز وقهره ، ثم التعبير عن مدى ظلم النظام الجمهوري الغربي نفسه .

⁽۲) هو کارل مارکس .

٢٣ ـ لا يوجدُ للطبيعة فسادٌ أعظمُ من هذا
 فقد حطم العبيدُ أطنبةَ خيام السّادة .

المستشار الرابع

٢٤ ـ انظر ردَّ هذه الشقاوة في إيوانات روما الكبرى (١)
 فقد أعدنا على آلِ قَيْصَرَ حُلْمَ قيصرَ مرَّةً ثانية (٢)

۲۵ ــ من الذي يتلوَّى بأمواجِ بحر الروم ويرتفعُ أحياناً كالصَّنوبرِ ــ وأحياناً يبكي كالرَّباب ؟

المُستشار الثالث

٢٦ ـ الرَّجُلُ الذي فضح سياسة الإفرنج ، هكذا
 لا أعترفُ أبداً بدرايتِه للأمور .

المُستشار الخامس (يُخاطِب إبليس)

٢٧ ـ يا منْ أمورُ العالم قائمةٌ بأنفاسِك المحترقة !
 أنتَ الذي أظهرْتَ كلَّ مختفٍ حينَ شِئْت .

٢٨ ـ صار الماء والطين من حرارتك عالماً مليثاً بالحُرقة والغِناء
 وصار أبْلة الجنة (٣) بتعليمك عالماً بالأمور .

⁽١) أي: الإمبراطورية الرومانية.

⁽٢) هذا هو رأد شقاوة اليهودي.

⁽٣) أبله الجنة : هو ﴿ آدم ﴾ .

٢٩ ـ هو ليس أعرف مِنْكَ بسر الفِطْرة
 ذلك الذي اشتهر بين العباد البسطاء باسم الرّب .

٣٠ ـ أولئكَ الذين لم يكن لهم عمل سوى التقديس والتسبيح والطواف (١)
 هم بسبب غَيْرَتِك سيبقون أذلاء خجلين إلى الأبد .

٣١ ـ ومع أنَّ سَحَرَة الإفرنج جميعاً من مريديك لكن لا أعتمدُ على فراستهم .

٣٢ ـ ذلكَ اليهوديُّ (٢) المثيرُ للفتن الذي هو ظهورٌ لروح مَزْدَك والذي كادَ كلُّ قباء أنْ يكونَ فتّاناً بسببِ جنونه .

٣٣ ـ غرابُ الصَّحراء صارَ نِدًا للشَّاهين والعُقاب كيف يتغيَّر بسرعةٍ طبعُ الزَّمان (٣) .

٣٤ - إنَّ ما اعتقدناه قبضة غُبارٍ بسبب الجَهْلِ التَشرَ فاغبرَتْ سعةُ الأفلاك .

٣٥ ـ إنَّ هيبة فتنة الغدِ قد وصلت إلى درجةِ أنَّ
 الجبالَ والسهولَ والهضابَ والأنهارَ كلَها تَرْتَعِد ...

٣٦ ـ وهذا العالمُ الذي لم يكن يدارُ إلا بسيطرتِك أعلاهُ سُفلاه . أوشكَ ـ يا مولايَ ! ـ أنْ يضطربَ فيصبحَ أعلاهُ سُفلاه .

⁽١) أي : الملائكة .

⁽٢) كارل ماركس.

 ⁽٣) الغراب لم يكن أبداً نِداً للعُقاب ، والمعروف أنَّه من أخسِّ الطيور ، وهو رمزُ الجاهل
 الخبيثِ النفس .

(إبليس إلى مشيريه)

٣٧ ـ عالمُ اللَّونِ والرائحة (١) هذا (٢) في قبضتي المتصرَّفة سواءٌ هذه الأرض ، أو هذه السَّماءُ ، أو كلُها جميعاً .

٣٨ ـ وسوف يرى أهلُ الشَّرقِ والغربِ بأعينِهمْ
 حينَ أثيرُ دِماءَ أقوام أوربة .

٣٩ ـ ما قيمة أثمة السّياسة ، وما قيمة شيوخ الكنيسة
 إنّ صيحة واحدة منّى تُذهِلُهم وتَذْهبُ بعقولهم .

٤٠ ـ الجاهلُ الَّذي يعتبرُ هذا العملَ بيتاً من الرُّجاجِ
 عليهِ أَنْ يحاولَ أَنْ يحطِّم كأسَ وأباريقَ هذه المدنية

 ٤١ ـ الجيوبُ الَّتي مرَّقتها يدُ الفِطْرة أصبحَ منَ المُحالِ رَثْقُها بإبرةِ مَنْطِقِ مزدَك^(٣).

٤٢ ـ كيف يستطيعُ هؤلاءِ المتشرِّدون الاشتراكيُّون
 أن يخيفوني ، المخبولون ، منفوشي الشعر ، مضطربي الأيام .

٤٣ _ إنَّ ما بين جنباتي من خطرٍ ليس إلَّا مِنْ هذه الأمَّة (٤) في رمادِها حتى الآنَ شرارةُ الأمل .

٤٤ ـ فحتًى الآنَ يوجدُ في هذه الأمّة قليلٌ من النّاس
 يتوضّؤون بدموع الأسحار .

أي: العالم المحسوس.

⁽٢) أصلها في النص ﴿ هُو ﴾ .

 ⁽٣) جاء بعد زردشت ومانى وادّعى النبوة ، وهو أولُ من نادى بالاشتراكية الشيوعية .

⁽٤) الأمة الإسلامئة.

٥٤ ـ إِنَّ منْ كُشفَ له باطنُ الأيامَ يعرفُ
 أنَّ فتنةَ الغدِ ليست مَرْدَكيَّةً لكنَّها الإسلام .

(Y)

٤٦ ـ أعرفُ أنَّ هذه الأمَّة لا تَحْمِلُ القرآن
 وأنَّ الرأسماليةَ هي دينُ العبدِ المؤمن

٤٧ ـ أغرِفُ أنَّه في ظلمة دجا ليلُ الشَّرق
 فإنَّ أكمامَ شيوخ الحَرَمِ خاليةٌ من اليّدِ البيضاء (١١) .

٤٨ ـ لكنَّ الخوف من مطالبِ العصرِ الحاضِر ،
 ألا يَظْهَرَ شرعُ النَّبِيِّ .

٤٩ ـ الحذر ، الحذر مِئة مرّة بنظام الرّسول فهو
 حافظٌ لكرامة المرأة ، ومختبِرُ المرء ، ويَخْلُقُ الرّجال .

٥ ـ هذا النّظامُ كرسالةِ الموت لكلّ أنواع العبودية
 ليس هناكَ فرقٌ بين مَلِكِ الصّين ، أو فارسٍ ، أو مسكينٍ ذي مَتْرَبة .

 ٥ - إنَّه يُطَهِّرُ الثروةَ ويخلِّيها مِنْ كلِّ قذارة ويجعلُ الأغنياة أمناءَ على المالِ والثّروة (٢).

٢٥ ـ لا يوجدُ في الفِكْرِ والعَمَلِ ثورةٌ أعظمُ من :
 « هذه الأرضُ لله وليست للملوك ٤(٣) .

٥٣ _ يا حبدًا لو يبقى هذا النظامُ مختفياً عن عينِ العالم

⁽١) إشارة إلى قصّة موسى ، انظر [الشعراء : ٣٣] و[النّحل : ١٢] و[القصص : ٣٣] .

⁽٢) إشارة إلى النظام الإسلامي .

⁽٣) له في جناح جبريل قطعة بعنوان « الأرض لله) ، في القسم الثاني .

فهذا مغتنمٌ أن يبقى المؤمنُ محروماً من اليقين .

٥٥ ـ وهذا أحسنُ أن يبقى في شِرْكِ الإلهيات
 ويبقى منهمكاً في تأويلاتِ كتابِ الله .

(T)

٥٥ _ الإنسانُ الَّذي حطَّمتْ تهليلاتُه سِحْرَ الجهاتِ السَّتِّ (١) كيفَ لا يضيء الليلَ الحالكَ لهذا الوَرع التَّقيِّ .

٥٦ _ أماتَ ابنُ مريمَ ؟ أمْ هو حيٌّ باقٍ ؟ هذه صفاتُ ذاتِ الحقُّ هَلُ صفاتُ الذاتِ منفصلةٌ عنه أمْ عَيْنُ الذَّاتِ ؟

٥٧ _ هَلْ يَقْصِدُونَ بالقادمِ المسيحَ ابنَ مريمَ أَمْ هُوَ المجددُ الله عنه عنه الله عنه عنه الله عنه الله عنه عنه الله عنه عنه الله عنه عنه عنه الله عنه عنه عنه الله عنه عنه الله عنه عنه عنه الله عنه عنه الله عنه عنه الله عنه الله عنه عنه الله عنه الله

٥٨ ـ مَلْ أَلْفَاظُ كتابِ الله قديمة أم حادثة ؟
 وفي أيَّ عقيدةٍ منها تَكْمُنُ نجاةُ الأَمَّةِ المَرْحُومَةِ ؟

٥٩ ـ ألا يكفي المسلمين في هذه الأيام
 هذه الأصنامُ (٢) المنحوتةُ من الإلهيات ؟

٦٠ ـ اجعلوه غريباً عن عالم العَمَلِ لكي
 تنهزمَ جميعُ قطعهِ الشَّطرنجيَّة على بساطِ الحياة .

٦١ _ فهذا خيرٌ أنْ يبقى المؤمنُ عبداً حتى يومِ القيامة
 ويتركَ هذه الدُنيا الفانيةَ للآخرين

⁽۱) يقصد: الشمالية ، والجنوبية ، والغربية ، والشرقية ، والغوقانية ، والتحتانية ويمكن أن يكون المقصد منها أن تكون رمزاً للحواس الخمس ، والحس المشترك ، وأسير الحواس عند الصُّوفية هو إبليس .

⁽٢) في الأصل (اللات ومناة) .

٦٢ ـ الشِّعْرُ والتصوُّف اللذان يغطيانِ عن عُيونه مَنْظَرَ الحياة
 أحسنُ بالنّسبةِ له .

٦٣ - إنِّي أخافُ مع كل نَفَسٍ منْ يقظةِ الأمَّة فحقيقةُ دينها هي احتسابُ الكاثنات .

٦٤ ـ أَسْكِرُوه واجعلوه ينتشي بالذِّكر والتفكُّر في الأسحار وأنضِجُوا فيه طَبْعَ الخانقاهات .

نصيحة بَلُوش عجوز لابنهِ(١)

لِيُنْعِشْكَ هواءُ صحرائك

فليستْ دهلي ولا بخارى بأروع منْ هذه الصَّحراء .

إنَّك تستطيعُ أنْ تسيرَ كالسَّيل الجارِف حينما تريد

فهذا وادينا وهذه صحراؤنا

الاعتزازُ بالنَّفس له قَدْرٌ عظيمٌ في دنيا الكَدُّ والجُهْدِ فهو يُلبسُ الدرويشَ تاجَ دارا(٢) .

عليكَ أن تنالَ هذا الفنَّ الخفيِّ منْ كاملٍ ، إذ إنَّهم يقولون : إنَّهم يستطيعونَ أن يجعلوا من الرُّجاج صخراً جلموداً .

إنَّ تقديرَ الأمم بيدِ الأفراد

⁽۱) في الأصل: بلوج ، هو اسم لقبيلة تسكن منطقة بلوجستان في باكستان الغربية على الحدود بين إيران والسند وهي بلادٌ صحراوية ، وهم الذين كتب عنهم أولُ فاتح إسلامي دخل في بلاد الهند ، فقال : إنَّهم أشداءُ أقوياء .

⁽٢) ملكٌ من ملوك إيران .

ومعَ كلِّ فردٍ نجمُ تقديرِ الأُمَّة . هذا الغوَّاصُ الَّذي لا يتركُ صُحْبَةَ السَّاحلِ ظلَّ محروماً من ثورةِ البَخرِ .

> لو ضاع الدِّينُ من يدِ الأمَّة الحرَّة فهذهِ التَّجارةُ خسارةٌ للمُسلم .

إنَّ العالَمَ يواجهُ معركةَ الرُّوحِ والجَسَدِ مرَّة ثانيةٍ فَإِنَّ المدنية قد هيَّجتْ وحوشَهَا .

اللهُ يعتمدُ على ثباتِ المسلم وإبليسُ يعتمدُ على آلات أوربة .

ما هو تقديرُ الأمم ، لا أحدٌ يستطيعُ أن يقول لكن لو تجدُ فراسةَ المؤمن ، فالإشارةُ كافية . اطلبِ الإخلاص في العمل من الأسلافِ القُدماء أيُ عَجَبِ لو يعطفُ الملوكُ على الشَّحاذين !

الصُّورةُ والمصوِّر

الصورة :

قالتِ الصُّورةُ للمصوِّرِ : سببُ ظهوري من إبداعِكَ وفنَكِ (١) ، كمْ منَ الظُّلم أنْ تَكُونَ

⁽۱) يوضح أنَّ الإنسان الذي يتخذ من صورته الحسية أساساً لإدراك حقيقة الخالق لا بدَّ من وقوعه في الخطأ لأنه سلك إلى ذلك العرفان سبيلاً خاطئاً ، وعلى الإنسان أن يتحرَّر من سيطرة الحواس قبل انطلاقه إلى الحديث عن الخالق .

محجوباً عن نظري .

المصور:

صَعْبٌ على الإنسانِ البصيرِ أَنْ تكونَ له عينٌ تنظرُ ماذا حلَّ بالشَّررِ من رؤيةِ العالَم .

فلتقتنعي أيَّتُها الجاهلةُ بهذا الخبر _ إنَّ النظر ليس إلا الغمَّ والألمَ والحميَّةَ والنَّشاط .

الصُّورة :

الخبرُ عجزُ العَقْلِ والفِكْرِ النَظرُ حياةُ القلبِ الخالدة ليس جدُّ وجُهدُ هذا الزَّمانِ لائقاً بحديثِ ﴿ لَن تَرْبَنِي ﴾

المصوّر:

أنتِ من روائعِ فنَّي ولذلكَ فلا تياسي من مُبْدِعِكِ . ليسَ هناك شرطٌ لرؤيتي سوى ألا تختفي أنتِ عن نظرِكِ .

عالَمُ البرزخ

المَيْتُ (يخاطبُ قبره) : ما هذا ؟ وأيُّ يومٍ تكونُ القيامةُ غَدَهُ ؟

يا بيتي القديم: ما القيامة ؟

القبر:

ألا تعرفُ بعدُ ، يا ميَّتَ المئة عام ؟ بأنَّ القيامة هي المطلبُ الخفيُّ لكلِّ موت .

الميِّت:

أنا لستُ أسيراً في شَرَكِ ذلك المَوْتِ الذي يخفى بداخله القيامة .

فمع أنَّني مِثُ منذ مئةِ سنةِ إلا أنَّني لِسَّ منذ مئةِ سنةِ إلا أنَّني لستُ متضايقاً من هذا البيتِ الأرضيِّ المُظلم . آه لو تَلْبسُ الرُّوحُ هذا الجسمَ الهزيلَ مرَّةً أخرى

فإنِّي لستُ راغباً في شراءِ هذه القيامة .

نداء من الغيب:

ليسَ الموتُ من نصيبِ التُّعبان والعَقْرَبِ أو الغَزَالِ والوَحْشِ فإنَّ الموتَ الأبديَّ ليس إلَّا للأمم المستعبَدة .

> صوتُ إسرافيل (١) لا يستطيعُ أن يبعثَ أولئكَ الذينَ كانتْ أجسادُهم خاليةً مِنَ الرُّوحِ في دنياهم .

ولو أنَّ مُستَقَرَّ كلِّ ذي روح هو حِضْنُ اللَّحدِ إلا أنَّ القيامَ بعدَ الموتِ ليسَ إلا شأنُ الأحرار .

القبرُ (يخاطبُ ميته) :

آه أيُّها الظَّالمُ ، أكنتَ عبداً محكوماً في الدُّنيا ؟

 ⁽١) إسرافيل هو الملك الذي ينفخ في الصور يوم القيامة ، فيبعث الموتى .

لَمَ ترابي ملتهبٌ هكذا ؟ ازدادتْ ظُلماتي بِجَسَدِكَ ظلمةً وتمزَّقَتْ ستارةُ ناموسِ الأرضِ بجسدِك .

الحذرُ من جسدِ الميت المحكومِ ، الحذرُ مِئَةَ مرَّةٍ يا إسرافيلُ ! يا ربَّ الكائنات ! النجدةَ أيَّتها الروحُ الطَّاهرة .

نداء من الغيب :

مع أنَّ النَّظام الكونيَّ مضطربٌ بسببِ القيامة إلا أنَّ هذا الاضطرابَ يكشفُ أسرار الوُجود .

> بالزَّلازِل تطيرُ الجبالُ كالسَّحاب وتظهرُ في الوُديان عيونٌ جديدة .

لا بدَّ لكلِّ تعميرِ جديدِ منْ تخريبِ كاملِ ففي هذا حلِّ لكلِّ مشكلاتِ الحياة .

الأرض:

آهِ مِنْ هذا الموتِ الدَّائم ، آهِ منْ معركةِ الحياة هل ينتهي صِراعُ الكائناتِ إلى الأبد ؟

لا يجدُ العقلُ النجاةَ مِنْ أصنامِه

العارفُ ، العالمُ ، العامَّةُ ، جميعُهم صاروا عبيداً لِلَّات ومناة .

كم صار خاضعاً ذليلاً هذا الآدميُّ المتمثِّل لصفاتِ الله فبقاءُ هذا العالم ثقيلٌ على هذا القلبِ والنَّظر .

فلماذا لا يكونُ ليلُ هذا الإنسانِ العظيمِ سَحَراً ؟

* * *

المَلِكُ المعزول(١) ·

فلنُباركُ هذا الملكَ الطَّيِّبِ الذي فَضَحَتْ تضحيتُه أسرارَ المُلوكية . المَلِكُ في المعبد البريطانيِّ ليس إلا صنماً من التُّراب يمكنُ أن يحطّمه العبادُ حينما يشاؤون . هذا المِسْكُ ممزوجٌ بالأفيون لنا نحنُ العبيد أيُّها السَّاحرُ الإنجليزيُّ انْحتْ لنا سيَّداً آخر !

مُناجاةً جهنَّميٌّ

العبادُ في هذا الدَّير القديم ذوو احتياجِ
يذكرون الله حين يتألَّمونَ منَ الأصنام .
ولا تفيدُهم الصَّلاة ، ولا تفيدُهم عبادة الأصنام
فحظُّ هؤلاءِ المساكينِ ليس إلا النُّواحُ والعويلُ .
مع أنَّ العماراتِ تطاولُ الفَلك رفعة لكنَّ الحقيقة أنَّ كلَّ مدينةِ كخرابةِ عامرة .
انظُرْ إلى تقلُّباتِ خطِّ الفاس
فبرويز مرتو ، وفرهاد ظمآنُ كبدُه (٢٠) .
هذا العِلْمُ ، هذه الحِكْمةُ ، هذه السَّياسةُ ، هذه التّجارةُ

⁽١) أنشد هذه الأبيات بعد عزل ملك الهند ، وأعتقدُ أنَّه يشير إلى : Edward Assamen .

⁽٢) انظر خطَّ الفأس كيف كان حين استعملها برويز ، وكيف كان حين استعملها فرهاد .

جميعُها أشياء من إبداع المَلكيّة .

شكراً لك يا إلهي ، فإنَّ هذه القطعة من الأرضِ الملتهبةِ (١) حرَّةٌ من عُبوديَّةِ التَّاجِرِ الأوربيِّ .

مسعود المرحوم^(۲)

هذه الشَّمْسُ ، هذا القَمَرُ ، هذه النُّجومُ ، وهذه السَّماءُ الزَّرقاء منْ يدري أهذا عالمُ الوجودِ أم الفناء ؟

التَّفكيرُ في الرَّحلةِ والهدفِ ما هو إلا خُرافةٌ فالحياةُ كلُها رحيلٌ دون هدف .

واأسفاهُ لم يَبْقَ في يدِ الزَّمانِ تِذْكارُ كمالاتِ أحمد ومحمود (٣).

تأسَّفَ العِلْمُ والفنُّ لموتِه المفاجىء فقد كان متاعاً غالباً للقافلة .

تُبكيني جفوةُ أهل الدُّنيا

فإنَّهم يعتقدونَ أنَّ بكاء طيورِ السَّحَرِ نغماتٌ .

لا تَقُلُ: إِنَّ علاجَ حزنِ الصَّديقِ يمكنُ بالصَّبرِ

لا تَقُلْ : إِنَّ حلَّ لُغْزِ الموتِ كامنٌ في الصَّبر .

⁽۱) جهنم .

⁽٢) هو صديق محمد إقبال ، وحفيد السر سيد أحمد خان ، وكان زميلاً لإقبال في الدراسة ، وأشرت إلى هذه القصيدة في الفصول السابقة

⁽٣) أحمد هو سرسيد أحمد خان ، ومحمود هو ابنه ، ووالد مسعود . وكان مسعود هو ابنه ، ووالد مسعود . وكان مسعود هو ا

القلبُ الذي يَعْشقُ ويَصْبرُ ليس سوى حجر فبينَ العِشْقِ والصَّبْرِ ألفُ فرسخ (١) .

لا تسلُّني عن العُمْرِ الذي يمرُّ بسرعةٍ فلا أحد يدري ما هذا التغيُّر والجاذبية .

كلُّ منْ خُلِقَ من التُّراب سيوارىٰ فيه أهذه هي الغيبةُ الصُّغرى أم هذا هو الفناء ؟ ماذا ؟

وُهِبَ لغُبار الطُّريق ذوقُ الجمال

والعقلُ لم يستطعُ أن يكشفَ المعنى الخفيُّ .

أليسَ القلبُ والنَّظرُ من إعجاز هذا الماء والطَّين (٢) ؟ وإنْ لمْ يَكُنْ فما نهايةُ حضرةِ الإنسانِ إذاً ؟

إنَّ ﴿ لا إِله إِلا هُو ﴾ هي روحُ الدُّنيا الخالدة

فما معنى المسيح والمسمار والصليب؟

مِمَّنْ نطلبُ القِصاصَ لدمِ الأمال مَنِ المُذنبُ ؟ وما هي الفِدْيةُ ؟

لا تَحْزَنْ فنحنُ مكبَّلونَ بقيد الدُّنيا فالقلبُ الذي نملكُ يحطَّم الطلاسم (٣).

لو أنَّ معرفةَ الذَّات حيةٌ ، فالموتُ مقامٌ في الحياة ،

لأنَّ العِشْقَ يختبرُ ثباتَها بالموت .

غمین مشوکه به بند جهان گرنتاریم طلسمها بشکند آن ولی که ماداریم

 ⁽١) هذا البيت من شعر سعدي وقد ضمنه إقبال قصيدته .

⁽٢) الإنسان نفسه .

⁽٣) هذا البيت بالفارسية:

لو تكنِ الذَّاتُ حيَّةً ، فَبَحْرُكَ لا شَاطِىءَ لَهُ وموجُ النَّيلِ والفراتِ يتوقُ لأنْ يَنْدَمِجَ مَعَك . لو تَكُنِ الذَّات ميتةً فهي كأعوادِ القشُّ أمامَ النَّسيمِ ؛ لو تَكُنِ الذَّاتُ حيَّةً فهي سلطانُ كلِّ الموجودات . لو أنَّ البصيرةَ حُرِمَتْ منْ تجلُّ واحدٍ فإنَّها تحتاجُ إلى مِئتَيْ تجلُّ لتعويضِ ما فات . فإنَّها تحتاجُ إلى مِئتَيْ تجلُّ لتعويضِ ما فات . اللَّاتُ ومناةُ منتشرةٌ من الأرضِ حتى الثريًّا بينما مقامُ العبدِ المؤمنِ وراءَ الفَلكِ . بينما مقامُ العبدِ المؤمنِ وراءَ الفَلكِ . مقامُه الأبديُّ هو حَرَمُ الذَّات والفَلكِ . وليس مكانَه القبرُ المظلمُ ولا مكانَ تجلِّي الصَّفات . وليس مكانَه القبرُ المظلمُ ولا مكانَ تجلِّي الصَّفات . أولئكَ الذين ملكوا معرفةَ الذَّاتِ والذَين خرجوا من هذه الدُّنيا . قد حطَّموا طِلَّسْمَ الشَّمْسِ والفَلكِ والنَّجوم (١١) .

صوت من الغيب

يأتي صوتٌ من العَرْشِ الأعلى ذاتَ صباحٍ ، يَهْتِفُ : ﴿ كيفَ ضاعَ جوهرُ إدراكِك ﴾ ؟ كيفَ أصبحَ مِشْرَطُ التَّحقيقِ لَدَيْكَ كالًا ؟ لماذا لا تستطيعُ أن تمزُقَ أكبادَ النُّجوم ! لقد كنتَ جديراً بخلافة الظَّاهرِ والباطنِ

⁽١) أصله فارسي .

هلْ تكونُ الشَّعلةُ أسيرةً للأعشابِ الجافَّة (١) ؟ لماذا لا تَخْضعُ لكَ الشَّمْسُ والقَمَرُ ؟ لماذا لا ترتجفُ الأفلاكُ منْ أنظارك ؟ مع أنَّ الدَّمَ يجري في عروقِكَ لكنَّك لا تملكُ حميَّة الأفكارِ ، ولا الفِكْرَ الجريء . العينُ الَّتي لا يُوجدُ في ثناياها النَّظُرُ الطَّاهرُ تكونُ مضيئةً لكنَّها لا ترى العالَمَ . لم يَبْقَ في أحضانِك صفاءُ مرآة ضميرِك يا قتيلَ السَّلطنة والملَّ والمَشْيَخَةِ !

**

⁽١) حرفياً : التَّبْنُ والنَّشارة .







القسم الخامس

رُبَاحِیّات







(1)

١ ـ لا أدري ما هي ثَمَرةُ غُصْنِ أملي
 فأيُّ درايةٍ لي بتقديرك
 بُرْعُمُ الزَّهرةِ يحتاجُ اليومَ إلى التفتح
 فما فائدة انتظار نسيم صُبْح الغد!

٢ - حَرِّرُهُ من عَمَلِ الدُّنيا
 حتَّى يتحرَّر من امتحانِ كلَّ نفس
 صارَ تفكيرُ الشَّيطانِ بسَبَبِ الكِبْرِ تفكيراً قديماً
 فمن أين يأتي بإثم جديد ؟(١)

٣ ـ غيرٌ وبدَّلْ عالَم الماء والسَّحْر
 اقْلِبْ هذه الدُّنيا الجافة والطريَّة
 ولتبقَ ألوهيَّتُكَ طاهرةً من الوصمة
 واحْذَرْ من السُّجود الخالي من أيَّ ذوق

(Y)

3 ــ أنا في حالة الفَقْرِ محسودُ الغِنى
 لأنَّ فقري ذو غيرة

⁽١) المفروض أن تكون آثامه قديمةً قَدَمَ تفكيره ، وهنا استفهامٌ استنكاري .

الحذرَ من ذلكَ الفقرِ والتصوُّف الذي علَّم المسلمينَ الذلَّ والخُضوع .

٥ ـ الغوث الغوث مِنْ ضيق ذيل العقل !!
 الغوث الغوث من زيادة التَّجلي !!
 إنَّ النَّظر يُفضِّل النَّظرَ في غير الله
 الغوث الغوث منْ كُفْر النَّظر .

* * *

٦ _ قال إقبالٌ لشيخ الحَرَم:

منِ الذي نامَ تحتَ محرابِ المَسْجِد ؟ أجابتْ جدرانُ المَسْجِدِ :

هو الذي تاه في بيت أوثانِ الإفرنج .

* * *

٧ ـ صارت الهيجاناتُ القديمةُ رغبةً باردةً سقيمة
 دماءُ المُسلمِ أصبحتْ باردةً
 فلتباركْ للأصنامِ كفري
 إذ إنَّ نارَ * الله هو * أصبحتِ اليومَ باردة

* * *

٨ ـ حديث العبد المؤمن يتعلَّق بالقلب
 الكَبِدُ ملي * بالدَّم ، النَّفْسُ مضيئةٌ ، النَّظْرةُ حادَّةٌ
 كيف تتيسرُ رؤيةُ المؤمنِ الَّذي يضيء المَحْفَلَ
 فهو لا يختلطُ بنا إلا قليلاً .

٩ ـ صفاء ضمير الصبح المنير
 يعرف التمييز بين الشوك والرَّهر
 حماية الرَّهر غيرُ ممكنة
 لو أنَّ في الشَّوكةِ طبعَ الحرير

١٠ ــ لا تذكر الفراق واللَّقاء
 لأنَّ أصلَ الحياةِ نفسه هو الظُّهور
 إنّ انفصالَ اللؤلؤِ منْ قَلْبِ البَحْرِ
 ليسَ فيه أيُّ ضررٍ للبَحْرِ ولا لِلُؤلؤ .

١١ ـ لماذا لا يجتائح الطُّوفانُ بَخْرَكَ ؟
 لماذا لا تكونُ ذاتُك مسلمةً ؟
 عَبثٌ تلك الشَّكوى من تقديرِ الله
 لماذا لا تكونُ أنت قَدرَ الله ؟

* * *

١٢ ـ لو يَنْظُرُ العقلُ بعينِ القلب
 يرى العالم مُضاءً بنورِ * لا إله ،
 ولو يَنْظُرُ إلى نورِ الشَّمس والقَمَرِ
 لا يَحْسبُه إلا دورانَ الليلِ والنَّهار (١١) .

* * *

١٣ ـ أحياناً ترتفعُ منَ البحرِ كالمَوْجِ

⁽١١ أي : العالم .

وأحياناً تنزلُ إلى صَدْرِ الْبَحْرِ وأحياناً تمرُّ على ساحلِ البَحْرِ فأظهرْ لنا سرَّ مقام ذاتِكَ واضحاً .

مُذاكرات مُلَّا زاده ضيغم اللُّولابيِّ (١) الكَشْمِيْرِيِّ (١)

ماءً عيونِكَ كالزِّئبقِ الرَّجراج طيورُ السُّحرِ قلقةٌ في أجوائك يا وادى اللُّولاب .

لو لم يكنُ خطيبُ المنبرِ والمحرابِ ذا همةٍ ونشاط فالدّين للعبدِ المؤمنِ إمَّا الموتُ ، وإمَّا الحُلم يا وادى اللُّولاب .

النغماتُ المُحْرِقةُ للقلبِ إنَّما تنبُع من الآلةِ الموسيقيَّةِ فلو كانت أسلاكُها رِخوةً فلا فائدةَ تُرْجى من مِضرابها يا وادى اللُّولاب .

بصيرةُ المؤمنِ خاليةٌ منْ نُوْرِ الفِراسة (٢) والخمرُ الصَّافيةُ في حانة الصُّوفية خاليةٌ من الحُرْقَةِ يا واديَ اللُّولابِ .

(٢) تلميح إلى الحديث : « اتقوا فراسة المؤمن فإنَّه يرى بنورِ الله » .

⁽١) ضيغم هو الأسد ، لولاب : اسم وادي في كشمير . والواقع أنَّ إقبال كتب هذا الشعر إلى أهل كشمير .

إنَّ الفقير (١٦) الذي تستيقظُ القلوبُ من آهته السَّحرية لا يوجدُ في هذه الأمَّةِ منذُ زمانٍ يا وادى اللُّولاب .

(Y)

الموتُ الصَّعبُ اسمه العبوديَّةُ ألا لَيْتَ العبدَ يَفْهمُ مَكْرَ وخِدَاعَ السَّادةِ . انظرْ تنوُّعَ الأحكام في شَرْعِ المُلْكِيَّةِ غوغاءُ الصَّورِ حلالٌ ، لذَّهُ الحَشْرِ حرامٌ . يا مَنْ ذَبُلت (٢) روحُك من العبوديَّة أتبحثُ عن مقام الذَّاتية في الصَّدر الخالي من الحُرْقَة ؟!

(4)

كشميرُ الَّتي سمَّاها أهلُ النَّظر بالأمسِ إيرانَ الصَّغير هوَ اليومَ بلدٌ خاضعٌ وفقير .

> حينَ يخافُ رجلُ الحقَّ السُّلطانَ والأمير تخرجُ آهاتٌ مُحْرِقَةٌ منْ صَدْرِ الأفلاك .

منزلُ الحزنِ لفلاحِ عجوزِ على سفحِ الجبل يحكي لنا حكاية قَسُوةِ الأيّام :

واأسفاهُ على هؤلاء القوم النُّجباء ذي الأيدي النَّشيطةِ والدِّماغ الخلاَّق(٣).

⁽١) استخدم كلمة ﴿ درويش ﴾ بمعناها الصوفي .

 ⁽٢) استخدم اللفظ العربي « مضمحل » مع الروح . وقد استبدلتها في الترجمة بكلمة
 « ذبلت » .

٣) في الأصل: (تردماغ) أي: الدماغ الندي .

أيها الإله يا من تمهل الناس^(١) . أين يوم الجزاء ؟ (٤)

حين تثورُ الشَّعوب المغلوبةُ على أمرها يضطربُ هذا العالمُ ذو الأطرافِ الأربعةِ ، واللَّونِ والرَّائحة (٢) . ضميرُ الإنسانِ يتطهَّر من الظنِّ والتَّخمينِ ويجعلُ مصباحَ الأملِ يضيءُ كلَّ طريق . ذلكَ الفَتْقُ القديمُ الَّذي لم يستطع العقلُ رَتْقَهُ يُخيطهُ العِشْقُ دونَ حاجةٍ إلى إبرة أو خيطِ الرَّفَاء .

صنمُ الحُكم له قلبٌ حجريٌّ ووجهٌ منْ زجاج وهو يصبحُ في النهاية قِطعاً مبعثرةً من الدَّقُّ المُسْتَمر .

(0)

عظمةُ الشَّاهين وشوكتُه توجدُ في طيرانِ الدَّرَّاجِ والصَّيادُ في حيرةِ شاهينٌ هذا أم درَّاج . تلاطَمَتْ أفكارُ كلِّ قوم فاليومَ مُظْهرٌ لغدِ القيامةِ في الشَّرق . فالميتُ الذي كان في حاجةٍ إلى صُوْرِ إسرافيل اضطرَّ للقيام ثانية استجابة لمطالبِ الفطرة 1

 ⁽١) أصله * خدا ديركي ، أي الرب الذي يقبض ويحاسب الإنسان في النهاية وبعد تمهُّلِ
 شديد .

⁽٢) في الأصل : جهان جار سو ، عالم رنگ وبو ، وهو تعبير أدبي يعبر عن العالم المحسوس الذي نعيش فيه .

حتى السُّكِّيرون (١) أيضاً يعرفونَ كمالاتِ الصُّوفية مع أنَّ كراماتِهم غيرُ معروفة ، وغيرُ مشهورة . حين يكونُ السَّالكُ حُرًا فهذه هي مقاماتُه : عزَّةُ النَّفس وثباتُها والصَّوتُ الحسنُ القائل ﴿ أَنَا الحق ﴾(٢) . حينَ يكونُ السَّالِكُ محكوماً فالعبوديةُ هي كلُّ شيءٍ له فهو نفسُه ميَّتٌ ، وهو المريدُ ، وهو الموتُ المفاجىء نفسُه .

(V)

اخْرُجْ من الخانقاهات ، وقمُ بتقليدِ شبير فليسَ فقرُ الخانقاهات إلّا الهمَّ .

من دِينكَ وأدبكَ تَهُبُّ رائحةُ الرُّهبانِ إنَّ هذا عالمُ الشيخوخةِ للأممِ التي حان موتُها .

في عيونِ شياطينِ المَلَكيَّةِ يوجدُ السَّحرُ الذي يخلقُ في قلبِ الصَّيادِ طَبْعَ المَصِيْد كيف مَضَوْا غيرَ مكترثين بآهاتي السَّحريَّةِ ومَن الذي ذهب بالنَّشوةِ والنَّشاط مِنَ العيونِ الكشْميريَّةِ السَّوداء^(٣) ؟

(A)

إذا اعتقدتَ أنَّ هذا القلبَ قطرةٌ منْ دمٍ فَهُوَ كذلك فقلبُ الإنسان إنَّما هو _ فقط _ جذْبةٌ عالية .

⁽١) أصله : ﴿ رند ، وهو من لا يهتم بالأحكام الدينية الظاهرة ولا يتمسَّك بها .

⁽٢) إشارة إلى قول الحلاج ﴿ أَنَا الْحَقِّ وَمَا فِي الْجَبَّةُ غَيْرُ اللهِ ﴾ .

 ⁽٣) د تمتاز العيون الكشميرية بسوادها وكثيراً ما تغنى بها الشعراء ٤ .

لا يُعْجِبُه دوران القمر والنجوم فهو الذي يخطِّطُ سَحَرَهُ ومساءه . لا يمكنُ أن يَبْرُدَ ذلك التُّرابُ الأصيلُ الذي تَكْمُنُ في ضمير ترابه نارُ چنار^(١) .

(4)

حين انفتحتْ في الرَّوضة مكتبةُ الورود فإنَّ العِلْمَ الكتابيَّ لم ينفعُ المُلاَّ . كانَ هواءُ الرَّبيع محطماً للجدِّيَّة فبدأ شيخ « أندراب »^(۲) يُنشدُ الغزل .

قالت زهرة شقائق النُّعمانِ ذاتُ القميصِ الأحمر إنَّى مظهرةٌ لأسرار الرُّوح (٣) .

منِ الَّذي يعتقدُ أنَّ النَّوْمَ في القبر هو الموتُ إِنَّ سرَ تعميرِ كلِّ شيءِ يَكُمُنُ في تخريبه (٤) ؟

ليستِ الحياةُ سلسلةَ الأيَّام والليالي

ليستِ الحياةُ نشوةً وغفوة .

الحياةُ والاحتراقُ في نارِك

فما أسعدَ اللحظاتِ حينما تستعيدُ هذه الحِكْمة :

⁽١) چنار : شجرة ذات أوراق كثيرة ، تشبه كف اليد ، وتكون خضراء في الصيف ، بينما تحمر جداً في الخريف وتصبغ في لون النار الملتهبة خاصةً في الأصل .

⁽۲) أندراب: اسم مكان بكشمير.

⁽٣) لأنها مفتحة في الوسط.

⁽٤) أشار إلى هذه الفكرة جلال الدين الرومي بأبيات متوالية في أنشودة الناي ـ انظر المثنوى .

لو تأخذُ شرارةً من نار القلب
 فإنّك تستطيعُ أن تجعلها شمساً تحت الفَلكِ » .

(1.)

شِرْيَانُ الحرِّ صُلْبٌ كَشِرْيَانِ الحَجَرِ شِرْيَانُ المحكومِ رقيقٌ كشِرْيَانِ الكرم . قلبُ المحكوم ميتٌ سقيمٌ يائس قلبُ المحكوم ميتٌ سقيمٌ يائس قلبُ الحرِّ حيِّ مفعمٌ بالحرارة يبعثُ الطَّرب . ثروةُ الحرِّ قلبٌ مضيء ونَفْسٌ حاميةٌ ثروةُ المحكومِ ليست إلا عيناً دامعة . المحكومُ غريبٌ عن الإخلاصِ والمروءةِ مع أنَّه بارغٌ في البراهينِ المنطقية . في البراهينِ المنطقية . ليس من الممكن أن يكونَ المحكومُ نداً للحرِّ ليس من الممكن أن يكونَ المحكومُ نداً للحرِّ المؤهوعيدٌ للأفلاك والحرُّ ستَّدُها .

(11)

جميعُ العارفينَ والعامَّةِ غرباءُ عن الذَّات فليقلْ أحدٌ إنِ استطاع : أهذا مسجدٌ أم خمَّارة ؟ لقد أخفى هذا السرَّ عنا « مير واعظ »(١) إنَّ الفراشةَ التي تدورُ حولَ مصباح الحَرَمِ هي الحَرَمُ . طِلَّسُمُ الجَهْلِ هو الكفرُ والتديُّن

⁽۱) شخصية سياسية في كشمير واسمه محمد يوسف مير واعظ كشميري ، مات في باكستان حوالي عام ١٩٦٦م .

وحديثُ الشَّيخِ والبرهمن ليس إلَّا سِحْرٌ وخرافة . فليكنْ ذلكَ العبدُ الدَّرويشُ نصيبَ هذه الأرض ففي فقرِه تَكْمُنُ طرقُ الكليم . ففي فقرِه تَكْمُنُ طرقُ الكليم . إلى متى تبقى لآلىء بحيرةِ وُلَّر^(١) الفريدةُ من نوعها . مختفيةً عن أعين الزَّمان .

(11)

العالمُ مضطربٌ من قوّة عملهم فالأممُ الحيَّة خاضت معاركَ كبيرةً . إنَّ تقويمَ المُنجِّمِ للغدِ باطلٌ فالنُّجومُ القديمةُ سقطتْ من السَّماء . ضميرُ العالَم ملتهبٌ بدرجةِ عظيمةِ حتى أنَّ أمواجَ البحر كَسَرَتِ النُّجوم . الأرضُ لم تَعُدْ خاليةً من الزَّلازل فالدَّلائلُ الدَّقيقةُ للفِطرة ظاهرةٌ .

إنَّ الخضرَ ـ قابعٌ ـ يفكِّرُ على شاطىء بحيرة وُلَّر^(٢) إلى متى تفورُ عيونُ الهملايا !!

(11)

هذا هو دليلُ الشُّعوب الخالدةِ على مرَّ الزمان : أنَّ تقديرَهمْ يتغيَّر صباحَ مساء .

⁽۱) بحيرة ولر : بحيرة رائعة في كشمير يذهب إليها الأثرياء للاستمتاع بالتجديف ، وكانوا من المسلمين .

⁽٢) وردت قصة الخضر في سورة الكهف الآيات (٦٥ _ ٨٢) .

حياتُهم هي كمالُ الصَّدقِ والمروءةِ حتى الفطرةُ أيضاً تعفو عن تقصيرِهم .

أعمالُهم كأعمالِ القَلَنْدرِ ، وجلالُهم كالجَلال الإسكندري هذه الأمَّةُ في العالم كالشيوفِ المسلولةِ .

إنَّ جمالَ وجلالَ الرَّجلِ العارفِ يَكْمُنُ في معرفةِ ذاتيته هذا هو الكتابُ ، وما تبقَّى كلَّه تفاسير له .

أنا لا أنْكرُ عظمةَ العِيد

لكنَّ ما يُقْبَلُ هو تكبيراتُ الحرِّ .

كيفَ يَعْرِفُ الحكيمُ سرَّ نغماتي وأنَّ تدابيرَ أهل الجُنون فيما وراء العقل ؟

(11)

كيف تقامرُ ـ قمار الحياة ـ كالكافرِ ؟ ذلكَ أنَّك تسيرُ مع الزَّمانِ ولا تسيرُ مع نفسك .

لم أرَ في مدارسِ الحَرَمِ مرَّةً ثانيةً قلب عنه والرَّازي .

في حُكْمِ الفتى الأعظمِ الذي هو نفسه حُكْمُ الفطرةِ الأزليَّة : أنَّ أعمالَ الصُّقورِ حرامٌ في عقيدةِ الصَّغوة .

قالَ ذلكَ الفقيهُ الأزليُّ للصَّقرِ الصَّغيرِ : عليكَ أنْ ترتبطَ بالسَّماء ولا تتعلقَ بالأرض .

> أنا الذي لها أقلع عن الكلام الصَّريح خوفاً من وشيهم بي لدى السُّلطان .

قدم التحيات منَّا نحنُ الفقراءَ إلى ترك شيرازَ

فليس في أيدينا سمرقندُ وبخاري^(١) .

(10)

ضميرُ الغرب ضميرُ التُّجَّارِ ، ضميرُ الشَّرق ضميرُ الرُّهبان هناك التغيير المستمرُّ في كل لحظةٍ ، وهنا لا يتغيَّر الزَّمان .

قال لي الخضر على شاطىء البحر وكأنَّني محرم الأسرارِه: إنَّ طرقَ الإسكندر (٢) والقَلَنْدر كلُّها طرقٌ سحريةٌ

آلهة الخانقاهات يعتبرونني نِدّاً لهم ويَخْشون ألا ينشقَّ حَجَرُ عتبتهم من نواحي

النَّصيحةُ الواضحةُ والعلامةُ المميِّزةُ لعلمِ ومعرفةِ الأمم المستعبدة : أنَّ الأرضَ لو ضاقت فها هو فضاء الفَلكِ بلاِ حدود .

لا أعرفُ بماذا أسمِّيه ، هل أسمِّيه اختبارَ الله (٣) ، أم خداعَ النفس ؟ إذ إنَّ المسلمَ أصبح خالياً من العملِ بعد أن اختلقَ من القَدَرِ عُذراً له . قال غصنُ الوردِ عن أسري قولًا أبكى الصَّياد : إنَّ عُشَّ هذا المغرِّدِ المفعم بالحُرْفةِ لم يكنْ ثقيلًا عليَّ .

(17)

يا أَيُّها الوطن العزيزُ لا حاجةَ للشَّرح والبيانِ عن صورةِ قلبنا المليءِ بالدَّم ، كشقائقِ النُّعمان .

⁽١) إشارة إلى شعر حافظ:

اگر این ترك شیرازي بدست آرد دل مارا بخال هندوش بخشم سمرقند وبخارا

⁽٢) طرق الإسكندر هي طرق الحياة .

 ⁽٣) في الأصل المعنى (خداع الله)، أم خداع النفس ؟
 إذ إنَّ المسلمَ أصبح خالياً من العمل بعد أن اختلقَ من القَدرِ عُذراً له.

التقديرُ هو اسمٌ لمكافأةِ الأعمال هذه هي رسالة آلهةِ الهمالايا .

جسدُه عارٍ في ريح الشَّتاءِ ذلكَ الذي يقدِّم للأمراء رداءً من الصُّوفِ بفنَّه وإبداعه .

لا تأملُ في وفاءِ دولةِ الدُّنيا

فهي كالغزالِ ، الهروبُ من طبعها .

(1V)

حرامٌ على منْ علَّمتُه معرفةُ الذَّات نسيانَ الجسد حرامٌ على هذا الرَّجلِ المجاهدِ أن يَلْبَسَ الدَّرْع !

 $(\Lambda\Lambda)$

احُمِلْ على ذلك العزمَ الرفيعَ ، واستمع إلى عويلي لكى تقومَ القياماتُ في صدرك أيضاً .

(11)

أنا غريبُ هذه المدينة ، فاستمع إلى عويلي لكى تقوم القياماتُ في صدرك أيضاً .

أغنياتي الممزوجةُ بالغمَّ والحزنِ متاعٌ عزيزٌ ونَغْمةُ القلبِ الحزينِ ليستْ عامَّةً في هذه الدُّنيا .

أنوحُ وأشكو منْ ذَوْقِ هذا الزَّمانِ الأَعمى الذي فَهمَ محنتي على أنَّها محنةُ فرهاد .

أعرفُ أنَّ الصَّوْتَ الذي ينبعثُ مِنْ ضربِ الفاْسِ على الِحَجَرِ أعرِفُ أنَّهُ آخرُ ، فهو صوتُ الفاسِ والكَبِدِ معاً .

إلى سر أكبر حيدري رئيس وزراء حيدر آباد الدَّكن(١)

كَانَ هذا من أمرِ الله أن يُعطىٰ القَلَنْدَرُ ذو الصَّفاتِ المَلَكيَّة عظمةَ برويز (٢).

قال لي : خُذْ وصِرْ حاكماً وأعطِ الثبات لحسنِ التدبير لكلِّ ما هو آتٍ ولكلِّ ما فات .

كنتُ مستعداً لأن أتحمل عبءَ هذه الأمانة على كتفي لأنَّ كلَّ ما هو مرَّ طعمه يصير في حلق الدَّرويش السُّكَر . ولكنَّ غيرة فقري وعظَمَتَهُ لم تستطعْ أنْ تقبل ما قدَّمه حين قال ، إنَّ هذه هو زكاةً لألوهيتي .

حسين أحمد (٣)

لا يَعْرِفُ العَجَمُ حتَّى الآنَ أسرارَ الدِّين وحسين أحمد الديوبندي _ ما هذا العجبُ العجاب . من يخطبُ على المنبر قائلًا بأنَّ الملَّة قائمةٌ على الوطن كم هو جاهلٌ بمقام محمدِ العربي (٤) ! عليك أن تَصِلَ بنفسك إلى النَّبِيِّ فإنَّ الدِّين كلَّه

⁽١) كان رئيس وزراء الهند ، وأرسل شيكاً بمبلغ ألف روبية إلى إقبال في ذكرى ميلاده .

⁽٢) أي : المال والدنيا .

 ⁽٣) كان من علماء الهند ويُعدُّ من مؤسسي مدرسة ديوبند ، ومن أنصار حزب المؤتمر ،
 وهذا الشعر بالفارسية .

⁽٤) يقصد الدين.

فإنْ لم تصل إليه فكلُّ هذا يعدُّ من أعمالِ أبي لهب.

السَّيِّدُ الإنسان

وَصَلَتْ درجةُ العِلْمِ والفِكْرِ في هذه الدُّنيا إلى درجةِ أنَّه لا يمكنُ لشيءِ أن يختفي ، فهذا عالمٌ نوراني . لو نظرَ أحدٌ لوأى أنَّ حجابَ الفِطْرَةِ رقيقٌ إلى درجةِ : أنَّ البسماتِ الخفيَّةَ للملائكةِ تظهرُ واضحةً . هذه الدُّنيا دعوةٌ لابن آدم أنْ يشاهدَ وينظُرَ

هذه الدنيا دعوة لابن ادم ال يشاهد وينظر فكلُّ مستورٍ قد وُهِبَ ذوقَ التعرِّي .

هذا هو ابنُ آدمَ الذي جَعَلَ اللهُ الأنهارَ تفيضُ من دموعه الدَّامية .

ماذا يعرفُ الفَلكُ ؟ مقرُّ مَنْ هذا المسكنُ التُرابيُّ ؟ والهدفُ مِنْ خَلْقِ النُّجومِ هو حراسةُ بيتِ مَنْ ؟ لو أنّني مقصودُ الكلِّ فماذا * ما ورائي * وما هي نهايةُ اضطراباتي المتجدِّدة !!

- •••
- ••
 - •

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	الديوان السادس: ضرب الكليم
Λ	محتوى الديوان
١٨	إلى القارئين
19	رىرين تمهيد
	سهيــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
**************************************	الصبح ـ لا إله إلا الله
Y	الاستسلام للقدر ـ المعراج
70	إلى سيد مصاب بالفلسفة
. العلم والعشق	الأرض والسماء _اضمحلال المسلمين ـ
YV	اجتهاد
YA	 شکر وشکوی۔الذکر والفکر
79	شيخ الحرم _ القدر _ التوحيد
٣٠	العلم والدين _ المسلم الهندي
٣١	على ذكر الإذن بحمل السيف ـ الجهاد
***	القوة والدين ـ الفقر
78	الإسلام _ الحياة الأبدية
٣٥	السلطان ـ إلى الصوفي
٣٦	صريع الفرنج ـ التصوف
TY	الإسلام الهندي ـ قطعة
٣٨	الدنيا ـ الصلاة
٣٩	الدي _ الطبارة
{•	الوحي ـ هريمه ـ العفل والفلب سك العمل ـ القب ـ همة القلندر

الصفحة	الموضوع
£113	الفلسفة ـ رجال الله
£7	الكافر والمؤمن
لجنة	المهدي الحق_المؤمن في الدنيا_في ا
س	محمد علي الباب _ القدر _ الخالق وإبلي
٤٥	أين روح محمد
73	مدنية الإسلام _ الإمامة
٤٧	الفقر والترهب
٤٨	قطعة ـ التسليم والرضا
٤٩	نكتة التوحيد_الإلهام والحرية
O •	الروح والجسم ـ لاهور وكراجي
01	النبوة ـ الإنسان ـ مكة وجنيوا
٥٢	يا شيخ الحرم ـ المهدي
۰۳	المؤمن
في بلاد الإفرنج	المسلم البنجابي ـ الحرية ـ نشر الإسلام
00	لا وإلا ـ إلى أمراء العرب
٥٦	الأحكام الإلهية ـ الموت
ογ	قم بإذن الله
٥٩	القسم الثاني : التعليم والتربية
71	المقصود_إنسان هذا العصر
77	أمم الشرق ـ التنبه ـ مصلحو الشرق
71"	الحضارة الغربية _ أسراء ظاهرة
78	وصية السلطان تيبو ـ قطعة
70	اليقظة ـ تربية الذات
77	حرية الفكر ـ حياة الذات ـ حكومة
77	المدرسة الهندية _ التربية
٦٨	الحسن والقبيح _ موت الذات

الصفحة	الموضوع
م	ضيف عزيز _ العصر الحاضر _ طالب العد
٧٠	امتحان_المدرسة
٧١	الحكيم نيتشه _ الأساتذة _ قطعة
VY	الدين والتعليم ـ إلى جاويد
VV	القسم الثالث: المرأة المسالة المرابع الم
V9	الرجل الإفرنجي ـ سؤال ـ حجاب
٨٠	الخلوة ـ المرأة ـ حرية النساء
۸۱	حصانة المرأة ـ المرأة والتعليم ـ المرأة
۸۳	القسم الرابع: الأدب والفنون مستسسس
۸٥	الدين والفن ـ التخليق
۸٦	جنون _ إلى شعره _ مسجد باريس
AV	الأدب - البصيرة - مسجد قوة الإسلام
۸۸	مسرح
Λ٩	شعاع الأمل
٩٠	أمل
91	البصيرة ـ إلى أهل الفن
97	قطعة
97"	الوجود_الغناء
٩٤	النسيم والندي _ أهرام مصر
٩٥	مخلوقات الفن_إقبال_الفنون الجميلة
97	صبح المرج
9V	الخاقاني
٩٨	الرومي ـ الجدة
	مرزا بيدل_الجلال والجمال
1 * *	المصور ـ الغناء الحلال
1.1	الفناء الحرام النافيية

الصفحة	الموضوع
1 • Y	الشاعر _شعر العجم
1.7	أصحاب الفن في الهند ـ الرجل العظيم
1 • 8	عالم جديد ـ خلق المعاني
	الموسيقا _ لذة النظر _ الشعر
1.7	الرقص والموسيقا ـ ضبط النفس ـ الرقص
1 · Y	القسم الخامس: سياسات المشرق والمغرب
1 • 4	انقلاب ـ تملق ـ المناصب
11.	أوربة واليهود_عبودية الأنفس
111	الروس الشيوعيون ـ اليوم والغد ـ المشرق
117	سياسة الإفرنج ـ العبيد ـ إلى أهل مصر
117	الحبشة ــ أوامر إبليس إلى أبنائه الساسة
118	جماعة الأمم الشرقية
ليني	الملك الخالد_الجمهورية_أوربة وسورية_من موسو
117	شکوی ـ انتداب
117	السياسة اللادينية ـ شبكة التمدين
11A	نصيحة ـ قرصان وإسكندر
119	عصبة الأمم ـ الشام وفلسطين ـ أئمة السياسة
17.	نزعات العبودية ـ صلاة العبيد
171	إلى عرب فلسطين ـ الشرق والغرب ـ نزعات التسلط
177	القسم السادس: إفكار محراب غل الأفغاني
144	الديوان السابع: رسالة الخلود
144	مناجاة
187	تمهيد سماوي
180	أغنية الملائكة ـ تمهيد أرضي
187	غزلغزل
107	زروان (وهو روح الزمان والمكان)

الصفحة	الموضوع
108	زمزمة النجوم
\	القسم الأول ـ فلك القمر
171	ً الحكيم الهندي الذي آثر الخلوة
777	الروميٰ
177	جهان دوست
170	تسع كلمات للعارف الهندي
17V	· · · · · · · · · · · · · · · · · · ·
17A	
174	
1V1	طاسين جوتاما بودا
177	الراقصة ـ طاسين زرادشت
\Vo	زرا دشت
TV1	طاسين المسيح
1YA	طاسين محمد _ ﷺ ـ
١٨٥	القسم الثاني ـ فلك عطارد
1AV	ساعة مع السيد جمال الدين الأفغاني
190	الأفغاني_زنده رود_الدين والوطن
197	الشيوعية والرأسمالية
١٩٨	سعید حلیم باشا
199	زنده رود ـ الأفغاني
Y · ·	محكمات العالم القرآني
Y•٣	الحكم الإلهي
	الأرض ملك لله
Y•V	القسم الثالث: فلك زحل
	الحكمة خير كثير
Y1.	I the last as a second

الصفحة	الموضوع
Y1Y	الأَفغاني
Y1Y	رسالة الأفغاني إلى شعب روسيا
	جلال الدين الرومي
	غزل زنده رود
Y19	فلك الزهرة
177	عودة الجاهلية
770	أغنية بعل
YYY	الغوص في بحر الزهرة ـ غزل
774	الرومي ـ فرعون
77.	اللورد كتسنر ـ فرعون
771	ظهور درويش السودان ظهور درويش السودان
****	القسم الرابع: فلك المريخ
740	أهل المريخ
YTY	ظهور فلك المريخ من المرصد
	الرومي
779	حكيم المريخ
78.	التجوال في مدينة مرغدين ـ حكيم المريخ
	قصة فتاة المريخ التي ادعت النبوة
7 8 8	رسالة نبية المريخ
737	الرومي
Y. EV	القسم الخامس: فلك المشتري
P37	أرواح الحلاج وغالب وقرة العين الطاهرة
	لحن الحلاج
	لحن غالب
707	لحن الطاهرة
708	زنده رود يعرض مشكلاته على الأرواح

الصفحة	الموضوع
Y11	ظهور رأس أهل الفراق إبليس
Y 7 9	شکوی إبلیس
YV1	القسم السادس: فلك زحل
۲۷۳	الأرواح الخبيثة التي غدرت بالوطن
TV8	بحر الدماء
YV0	روح الهند تظهر ـ روح الهند تنوح وتنتحب .
TVV	صيحة راكب في زورق بحر الدماء
YV9	القسم السابع : ما وراء الأفلاك
١٨١	منزلة الفيلسوف الألماني نيتشه
YAT	الرحيل إلى جنة الفردوس
۲۸٥	قصر شرف النسا
ن کشمیزی	زيارة الأمير سيدعلي همداني وملا طاهر غنم
YAA	في حضرة أمير همدان
797	حديث مع الشاعر الهندي برتري هري
799	السفر إلى قصر سلاطين المشرق
r.r	ظهور روح ناصر خسرو العلوي واختفاؤها
٣١٠	رسالة السلطان الشهيد إلى نهر كاويري
rir	زنده رود يغادر الجنة العالية
٣١٥	في الحضرة الإلهية
*1V	نداء الجمال الأبدي
rrr	القسم الثامن: كلمة إلى الجيل الجديد
***	الديوان الثامن : والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق
rer,	التمهيد
	مناجاة الشمس
TEA	حكمة الكليم ـ سياسة الأنبياء
	حكمة فرعون أو سياسة الطغاة

الصفحة	الموضوع
708	كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)
TOA	فقر الصالحين
1	الرجل الحر
Y18	رباعيات
٣٦٦	في أسرار الشريعة
۲۷•	دمعة على افتراق الشعب في شبه القارة
TV 8	السياسة الحاضرة
TYY	إلى الأمة العربية
TA9	والآن ماذا نصنع يا أمم الشرق
٣٩٦	شکوی ومناجاة
٤٠٩	الديوان التاسع : هدية الحجاز
8 \ Y	القسم الأول: بالفارسية ـ مناجاة
773	في الحضرة الإلهية
773	القسم الثاني : الرسالة
ξον	القسم الثالث: المجتمع
271	الذاتية
773	أنا الحق
773	الصوفي والملا
{1{	جلال الدين الرومي
£11	إلى مصر
87	شعراء العرب
{V•	يابن الصحراء
{Y•	وما يدريك أن المغوار في هذا الغبار
EVY	الخلافة والملك
277	التركي العثماني
£V£	ما الماحية

الصفحة	الموضوع
٤٧٥	العصر الحاضر
٤٧٦	••
{ Y Y	•
EV9	•
٤٨٠	
£A1	
£ A 9	الذاتية
{ 9 •	
£91	•
£ 9 .	إبىيس عربي وببيس معاري
٥٠١	
٥٠٢	(,)
۰۱۸	O total
019	. 33. 83. 1
٥٢٠	
	عالم البرزخ
o Y {	ې د د د د د د د د د د د د د د د د د د د
٥٢٦	مسعود المرحوم
~~^	صوت من الغيب
	مذكرات ملا زاده ضيغم اللولابي الكشمير
• £ {	إلى سر أكبر حيدري ـحسين أحمد
0 8 0	السيد الإنسان
2 5 7	al- tr

